

سلام لكل امرأة مضحية  
سلام لكل امرأة مؤمنة  
سلام لكل امرأة  
علقت المجد من ضعفها  
ازهرت بالربيع في غريفها  
سلام لك انتِ

# طوع و يدي الحق

الجزء الثاني من سلسلة  
نساء صالحات

بقلم MOUNA LATIFI

www.rewity.com

رواية

تهدى من ربي الاعضاء  
صمم كاردنيا 73

# طوع يدي الحق

بقلم الكاتبة : منى لطيفي

سلسلة : نساء صالحات

الجزء الثاني

حصرياً لشبكة روايتي الثقافية

[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

بدأت بتاريخ : ٢٠١٨/١١/١٢

انتهت بتاريخ : ٢٠١٨/١/٢١

تنقيح لغوي : منى لطيفي

تصميم الغلاف الرسمي : كاردينيا ٧٣

تصميم قالب الصفحات الداخلية : كاردينيا ٧٣

تصميم الفواصل ووسام التفاعل المميز :

Dr Fati

تصميم البنر الاعلاني : rewaida

تعبئة فصول الرواية وتجهيز رابط الكتاب

الالكتروني : ضحى حماد

بسم الله الرحمن الرحيم

(سلسلة نساء صالحات).. بكل اجزاءها ...  
(حق بين يدي الحق) ... (طوغ يدي الحق)  
... (الستر من الحق)... هي حصريته لمنتدي  
روايتي ... ولا أحل لأحد نشرها على أو خارج  
النت ... فليثق المؤمن ربه ولا يبخس أخاه  
أشياءه ... والله على ما أقول شهيد.

كلمة من القلب .....

• لا تفوت عليك صلاتك لأي سبب كان  
... فالروايات تنتظر وأجر الصلاة في وقتها يطير.  
• أنصح بقراءة الجزء الأول لأنه ضروري لفهم  
الأحداث.....

• أدعوكم لقراءة متأملتة، ووقفت حساب للذات  
مع كل موقف قد يكون لديكم عابر في  
عدة أسطر، لكنه كان الحياة بعينها للمعني  
بها، وتذكروا ... قد تواجهكم نفس المواقف  
في حياتكم.

## التمهيد

منزل آل عيسى ....

(تعالى هنا... تغريد!! .....لن تفري مني  
....وستجيبني حالا ...). فرت تغريد من أخيها  
ابراهيم المستشيط غضبا، في وسط البهو  
تمسكه زوجته من كوع يده. وهو يستطرد  
بغضب ... (من قطع شعرك يا تغريد؟؟ .... لقد  
اقسمت على تشميع محل من سمحت له بفعل  
ذلك ... وان كان حلاقا اقسام أن أعلقه في  
وسط ساحة الموحدين العامة .... وسط مدينتنا  
كي يعتبر باقي الحلاقين ....). ... اختبأت خلف  
شمة التي اسرعت من المطبخ بهلع، على اثر  
شجار جديد لتلك الفتاة المتهورة، لتشهق

برعب حين لمحت خصلاتها السوداء القصيرة.  
... (انا حرة ... هو شعري انا!! ... ألم تسمع عن  
الحرية الشخصية من قبل؟؟ ... يجب أن  
تدركها فأنت على وشك تحمل مسؤولية  
منصب قيادي!! (...). ... انكمشت خلف شمة  
التي نغزتها على كتفها بزجر، وابراهيم يحاول  
الوصول اليها دون ان يؤذي زوجته الحامل  
الناظرة اليه بقلق بالغ ... (حرية شخصية؟؟ ...  
انت فتاة .... وابنتا أناس محافظين .... تعلمي  
الأدب والا سأؤدبك بنفسى تغريد ... انا  
عاملتك بحنان ... لم تري وجهي الآخر بعد  
...). ... انفرط لسانها من مكانه تهتف بما تربت  
عليه ... (لا شأن لك بي .... أفعل ما أريده متى ما  
أريد ... لا احد له سلطة علي ... لا أحد!!) ...  
أمسك حق المرعوبة وحملها بروية، ليضعها

على جنب، ثم خطى بسرعة ليسحبها من  
ذراعها، يطبق عليها بقوة يقول بتهديد حازم ...  
(أقسم يا تغريد ... إن أعدت ما قلته مرة أخرى  
... سأقص لك لسانك السليط هذا ... أنا  
أخوك الأكبر والمسؤول عنك ... ادخلي هذا  
الى رأسك العنيد الذي سيتسبب لك بمصيبة  
يوما ما ...). ... اطرقت برأسها تزم شفيتها  
بعبوس طفولي، لينقذها إسماعيل الذي ولج  
لتوه من عمله. أزال يده المطبقة على ذراعها  
بخفتة يسأل ... (ما بكما؟؟) ... أشار ابراهيم  
الى قصة شعرها الصبانية التي تعتبر عيب في  
حق الفتيات في عرفهم، يهتف بامتعاض....(ألا  
تري الفضيحة؟؟) ... اتسعت مقلتي اسماعيل  
اتساعا طفيفا، تعبيرا عن ادراكه حين لمح

شعرها، يقول بدهشة ... (لما يا تغريد؟...  
شعرك كان جميلا ... هل تنتقمين من  
نفسك؟؟...) ... هزت كتفيها بتجاهل ترد  
بانفعال ....(أجل .... انا حرة ...). زفر ابراهيم  
بنفاذ صبر فرفع اسماعيل يده مقاطعا ... (تغريد  
الى غرفتك .... سأنضم اليك بعد قليل ... اريد  
التحدث معك ..... هيا ...). .. قلبت شفيتها  
السفلى حنقا، واستدارت تضرب الأرض وشمته  
في أثرها تهتف بنزق ... (يا غبيته ... فضحت  
نفسك وعائلتك بين الناس ... اضعث شعرا  
كالحرير ... لتتشبهى بالصبيان ... وا فضيحتاه  
..... وا فضيحتاه ..).

ابتسم اسماعيل يسحب شقيقه الى الشرفة  
الأرضية، وحق ترمقه بامتنان قبل ان تنصرف

حين تذكر... (هل هاتفتك خطيبتك؟؟...  
والدها زارني في المصنع... سيحضرها غدا بإذن  
الله...)... تجمدت ملامحه فتهرب بنظراته،  
ليقول ابراهيم بحزم وان طغى عليه بعض من  
الحنو... (أنا حذرتك من قبل... لكنك قبلت  
وانتهى الأمر... الرجال يا أخي يوفون بوعودهم  
...والفتاة الآن محسوبة عليك... خطيبته... إن  
تركتها...)... قاطعه يستنكر... (لا أخي  
...انا لن أراجع... أنت سألتني إن هاتفتها  
...وأنا لم افعل... هذا كل شيء...)... أوما  
بتفهم ثم قال... (لا بأس... الله المستعان...).

.....

لتركهما على انفراد... (خالت شمتة تتحسر  
على مستقبل الفتاة الذي سيضيع عليها زواجا  
لائقا بها...)... تنهد ابراهيم رافضا الاستجابة  
لمزاحه يقول بقلق... (إنها تُخرج مني الأسوء يا  
أخي...).. ربت على يده يرد بمهادنة... (أنت  
فقط لم تعتد على مراهق عنيد... فما بالك  
بفتاة...).. التفت اليه مجيبا... (عيسى كان  
مراهقا... ولم يتعبني هكذا...)... ضحك  
اسماعيل يقول بمرح... (بلى بلى كان جاحدا  
...كل ما في الأمر انه تربي على أن يهابك  
... ولم يستطع معصية أوامرک... أما تغريد  
... فهي لم تعتد بعد على سلطة الأهل...  
فاخوها لا يكبرها سوى بخمس سنوات... ليس  
فرقا كبيرا يا أخي... ستعود مع الوقت فقط  
أمهالها بعضا منه...).. هز راسه مستسلما ثم قال

...هزت راسها مرات عدة ثم نطقت بنفس التردد  
بعد أن اطأنت على طرحتها..... (لقد اقامت  
علاقة لأول مرة مع زوجي ...ب... بعد ...).  
\*الملاحظات\* ... فشل اللقاء الحميمي، تأثير  
طبيعي مستمر للحادث.

ابتسمت تقول مشجعة... (جيد جدا ... إنها  
خطوة كبيرة وهامة ... بماذا أحسست؟؟...)..  
\*الملاحظات\* ...شبح بسمت أمل، بوادر ثقة في  
النفس.

(خف عبوسه ... وكان مسرورا ... مالت  
تجاهها تنظر في مقلتيها المتزعزعتين قائلة  
بثقة... (سيده ناديت ...انا أسالك عن  
شعورك أنت ... ليس هو...). ..بلعت ريقها

المكان .... العاصمة ... المصحة النفسية  
للبروفيسور مختار العربي.  
التاريخ أول شهر سبتمبر ألفين و..... (تفضلي  
سيده ناديت ...انا اسمعك)..

\*الملاحظات\* ...لاتزال ترتبك وهي تتحدث  
بعد صمت متردد.  
(أنا أظنني بخير .....)... سكنت بتوتر، تلك  
الشاببة العشرينية تجلس على طرف المقعد  
الكبير، وكأنها تحتاج لدفعة بسيطة فتهرب  
دون عودة.

\*الملاحظات\* .... هناك أمر تريد البوح به .  
(سيده ناديت.... أخبريني بما يحيرك ... أنا  
هنا لأسمعك لا لأحكم عليك ...ثقي بي).

يهم ... و سجلي ما سأقوله لك الآن.. أنا لا ذنب  
لي في ما حدث ....أنا لا ذنب لي في ما حدث ...  
كيريها وكيريها إلى أن تصدقي وتقتني  
... لأنه يا سيدة ناديت ...إن لم تصدقي أنت  
نفسك ... لن يصدقك غيرك ... إن لم تؤمني  
بنفسك لا احد سيؤمن بك ...هل فهمتني  
سيدة ناديت؟ ... تتعمد اعادة اسمها مع لقب  
الاحترام في كل جملة من حوارهما، كي تثق  
بأنها هي، وبهويتها.

\*الملاحظات\* .... تطور ملاحظ في تصديق ما  
يقال لها.

واختفت البسمة، ليحل مكانها اشمئزاز  
وانزعاج.

\*الملاحظات\* ... انكار للذات، تفضيل الشريك  
على حساب النفس.

(سيدة ناديت ... ) ... حثتها فرفعت راسها تفتح  
فمها وتقفله مرات عدة، وهي تنتظر بصبر  
كبرت عليه ليصبح جزءا منها.

(لا بأس ... أستطيع تحمله ... يسعدني كونه  
سعيد .. ) ... صمتت تعلم ان هناك المزيد  
... (تقتلني نظرتة اللائمة ... هو لا يخبرني  
بذلك ... وانا أعذره .. ) .. هنا فقط تدخلت تقول  
بتصميم ... (وأنت سيدة ناديت ... من

يعذرک؟؟) ... رمقتها بمقلتين على وشك  
البكاء، فاستطردت ... (خذي ورقة او مسجلا لا



(متى حدث ذلك سيدة ناديتي؟؟) ... استنشقت  
الهواء بعمق ثم زفرته ببطء، ترد  
بتصميم... (قبل سنتين ...). ابتسمت لها تقول  
لها بنصر... (أهنتك سيدة ناديتي .... أنت في  
آخر مراحل العلاج ... لقد تحسنت كثيرا ...  
وأخبرك ان احساسك بالعلاقة لأول مرة بعد  
ما حدث طبيعيا جدا ... وأنصحك بتذكر  
العلاقة كيف كانت بينك وبين زوجك قبل  
ما حدث ... واستعيني بتلك الذكريات  
السعيدة كل مرة قررتما فيها الوصال ... هل  
فهمتني سيدة ناديتي؟؟) ... أومأت بأمل وراحت  
بدأت تسلل الى داخلها، بعد حرب شعواء امتدت  
واوشكت على تدميرها.

ابتسمت السيدة ناديتي بامتنان تمسح دموعها،  
فطلبت منها بتشجيع .. (أخبريني ... ماذا حدث  
لك سيدة ناديتي؟؟ ...)  
عضت شفتها بحزن، فهزت الأخرى رأسها بثقة.  
\*الملاحظات\* ... ردة فعل طبيعية، تقبل  
للحادث في الجزء الماضي من الذكريات.  
(استدرجتني امرأة بحجة بيع ملابس نسائية ...  
خدرتني في بيتها واغتصبني مجموعة من  
الرجال وصورتني ... حاولت تهديدي بذلك  
لكنني أخبرت زوجي ...)  
\*الملاحظات\* ... تنفس سريع، احمرار الوجه،  
ارتباك واضح. اختفاء لأي رد فعل هستري.

تحدثت تقول باعتذار... (سيدة ناديت هناك  
أمر اريد إعلامك به ...).. نظرت إليها باهتمام  
فاستطردت ... (أنا سأترك المدينة .... وبالتالي  
لن أعمل هنا بعد اليوم ... لذا )... قطبت السيدة  
بخوف تقول بقلق ... (لكن دكتورة ... أنا اثق  
بك ... ولا اريد احدا آخر ... من فضلك ..) ...  
ابتسمت بتأثر ترد ... (يمكنني تحويل ملفك  
لزميلت اثق بها ... ويمكننا التواصل عبر  
الهاتف ... وانا سأفعل هذا معك فقط ...).

\*ملاحظات\* ... انتهت الجلسة مع السيد ناديت،  
الساعة الرابعة زوالا .

لملمت أشياءها بترتيب في حقيبتها الأنيقة  
السوداء، ثم ألقت بنظرة الى المرأة على الجدار  
في مكتبها لتسوي حجابها. تاهت مقلتيها الى  
لقاء سريع مع من يُفترض أنه سيكون زوجها  
بعد غد. لقاء أقل ما يقال عنه بارد رسمي  
للغايتة، حتى ان لقاءها لطلب التدريب لدى  
البروفيسور كان أدق وأكثر حياة. ابتسمت

تحدثت تقول باعتذار... (سيدة ناديت هناك  
أمر اريد إعلامك به ...).. نظرت إليها باهتمام  
فاستطردت ... (أنا سأترك المدينة .... وبالتالي  
لن أعمل هنا بعد اليوم ... لذا )... قطبت السيدة  
بخوف تقول بقلق ... (لكن دكتورة ... أنا اثق  
بك ... ولا اريد احدا آخر ... من فضلك ..) ...  
ابتسمت بتأثر ترد ... (يمكنني تحويل ملفك  
لزميلت اثق بها ... ويمكننا التواصل عبر  
الهاتف ... وانا سأفعل هذا معك فقط ...).

.. تلك المريضة مميزة لديها، لأنها أول حالة  
تتحمل مسؤوليتها قبل سنتين وهي لاتزال  
طالبة، تعبت حتى كسبت ثقتها، بعد ان  
فقدتها بكل بني البشر. ... (أجل ... اجل  
... أشكرك ... سنتحدث على الهاتف ... وازورك  
اينما ذهبت ..) ... ضمت شفيتها ببسمة برد

أن يترك الموضوع عليها، فرمقها بامتنان  
ورحل.

دخلت تبتمس برزانتة كما تعودت، فارتقى على  
مقعده يلقي بالعكاز على سطح مكتبه، يقول  
بهدوء يحاول استجلابه... (أدخلي طائعتة  
...اجلسي!!).... أطاعته وهي تقول  
... (بروفيسور... اهدئ..)... مال على مكتبه  
يقول ببرود متهكم .. (لما الجميع يطلب مني  
الهدوء؟! ... أنا من علمته لكم ....).. هزت  
رأسها بنفس بسمتها ترد ... (أجل .... أشكرك  
على ذلك ... لكنك الآن بالتأكيد لست  
هادئا ...).. عاد للخلف يسترخي على مقعده  
الجلدي، يقول بنبرة ساخرة ... (عندما يسلبني  
أحد ما افضل المتدربين عندي ... ثم يأتي آخر

لانعكاسها تقول بمرح ... (على الأقل سمح لي  
بالعمل ... سنعالج كل أمر على حدى..).

مسدت على طاقتها الأنيق المحتشم. بدلت  
مكونتة من قميص وتنورة طويلة، عليهما سترة  
من نفس اللون البني البارد. ثم انطلقت الى  
وجهتها. رفعت يدها لتطرق باب مكتب  
البروفيسور، فانفتح فجأة يخرج منه دكتور  
نفسى زميل، والمسؤول في وزارة الصحة، تعرفه  
جيذا يرمقها بياس يخص به مديرها، الذي  
يهتف بنزق من خلفه ... (أخبره أن حالات  
الانتحار قد ارتفعت بسبب العلل النفسية ...  
ويكون الجواب اهدأ بروفيسور!!).... انا هادئ  
.... فأنا طبيب نفسي .. بحق الله!!) ... أشارت له

حياتك ... )... هذا هو البروفيسور، يُدخل أنفه  
الطويل في كل شيء، ولا يهدأ حتى يدرس  
الشخصية أمامه بالتدقيق. تحدثت تفسر  
بلمحة من المرح ... (لا يتزوج الناس من اجل  
الحفاظ على موظفيهم ..بروفيسور ... ثم أنت لا  
تريد الزواج بي فعلا ... )... رفر برموشه براءة  
مدعية يقول ... (احذري ... فكل ما تعلمته  
وتطبقينه علي الآن ... انا من علمتك اياه ... فلا  
تحاولي لعب دور الطبيب معي ... )... صمت  
قليلا، وهي ترمقه بنظرة ذات معنى، فأردف  
باستسلام ... (حسنا انت محقة ... )... اعتبرك  
اختا صغيرة لا غير ... وكم تمنيت لو كنت  
بالفعل أختي ... لكن في نفس الوقت لا اتمنى  
والدا كوالدك ... رحم الله والدي اعشقه  
... كان نعم الأب ... برحمته بي ومراعاته لكن

ليني علي بؤس يومي ... يتذاكي علي  
ليتلاعب بإحصائيات رسمية ... وباسم مصحتي  
... طبعا سأزجر كأسد فقد عقله وسط غابرة  
مليئة بالأغبياء (!... )... رmqته بعتاب تجيب  
بروية، فهي تكن احتراما بالغا للرجل أمامها ...  
(بروفيسور ... أولا لا أحد يسلبك متدربين  
... لأنني سأزوج وهذا سبب كافي للرحيل  
... ولو كان لديك فرع في مدينتي لعملت فيه  
دون تردد ... ثانيا ... الدكتور العلوي ليس  
متلعبا ... هو فقط يريد الموازنة بين الوثائق  
المعروضة لديه ... )... شخر بتهكم يهتف  
بنزق ... (اصبحت تدافعين عن أصحاب الساطرة  
... )... زفرت بيأس فاستطرد بانزعاج ... (الذنب  
ذنبك ... لو كنت وافقت على الزواج مني قبل  
سنة لما احتجت للرضوخ لأبيك الغائب عن

...اليس كذلك؟؟)... ضحك بصخب أخيرا  
يهز راسه تأكيدا، ثم قال ....(سأتصل بك من  
حين لآخر....بأبغى زوجك المعتوه بهذا ..)...  
عادت ترمقه بعتاب ، فرفع راسه باستعلاء  
يستطرد ..(أذكره... فانا دائما اذكر المجدين  
.... لكنه سيظل معتوها لأنه سلبك مني ...  
وان احتجت لأي شئ ...لا تنسي أن لك أخا  
سيكسر راس من يزعجك بعكازه...).  
...اتسعت بسمتها تشكره قبل ان ترحل لتقوم  
بجولتة أخيرة، في المكان الذي احتواها بكل  
أحاسيسها لسنتين كاملتين ... (أشكرك على  
كل شئ بروفيسور ...و سأسعد بسؤالك علي  
دائما... لأنني أيضا اعتبرك أخا كبيرا لي  
...).

بحزم يهذب به من سلوكي ... )... تأثرت  
فلمعت مقلتيها، تتمتع بالرحمة ليكمل هو  
بوجود... (من سيتحمل نزقي بعد اليوم  
?...سأعود للعهد قبل سنتين ...والجميع سيفر  
مني ...ولن أجد من يوصل اليهم أوامري ...)  
ضحكت بخفوت تقوم من مكانها قائلة بمرح  
... (وكان ذلك سيحول بينك وبينهم.... ثم  
انت طبيب نفسي ...بل بروفيسور مختار العربي  
.... اهم واعظم الأطباء النفسين في عصره  
...ستجد طريقة بل طرق عدة ...). قام هو  
الأخر وسحب عكازه واقترب منها قائلا بجديتة  
... (مبارك عليك ....اهتمي بنفسك جيدا  
...ولا تطيعي كل من يأمرك ...لازلت غير  
مستسيغ لذلك الأمر فيك ...يا طائعتة!!)...  
قاطعته بمزاح ... (إلا إذا كان في مصلحتك

اليوم التالي .... بلدة السقاة ...ضواحي مدينة  
الجبيل .

منزل جد طائعت.

( اخبرتك يا سهام... إنها رغبة أبي... ثم انا  
لن أقيم عرسا وجدي لم يفت على موته  
...شهرين .... أغلق الموضوع ...لأنه منتهي ..)...  
زفرت ابنة خالها بيأس وألقت بنفسها على  
السرير القديم، ترمق الغرفة بحسرة تقول  
..(انت الخاسرة ...لأن الفتاة تُزف مرة واحدة في  
حياتها .... وجدي رحمه الله ما كان ليمنع  
...).. رمتها بعتاب ومدت لها بحقيبة تقول  
...)(هذه ملابس لا تلزمني ...قومي بإعطائها لمن

يستحقها ...).. امسكت الحقيبة تضمها الى  
صدرها، فهي من ستأخذها بالتأكيد، لكنها  
ابنة عمته المراعية، لم تكن لتطلب منها  
أخذهم مباشرة. ... (أخي عابس طوال الوقت  
...خبر زواجك نزل على رأسه كالصاعقة...)..  
... جلست جوارها لينطلق تأوه السرير الحديدي  
القديم ككل شيئ في منزل جدها العتيق،  
تقول بعتاب... (ستفعلين مثل والدتك ...)..  
تنهدت سهام وهي تضع الحقيبة ترد برفض لين  
... (أمي لن تغامر بخسارتك ... انت ورقتها  
الرابحة ...هي فقط صُدمت بعد أن تمننت  
الحفاظ على ورقتها الرابحة بين يديها ...)..  
ضمتها طائعت تقول بحنو، سهام تعتبر أخت  
لها، تصغرها بثلاث سنوات.... (سهام ... لا تقولي  
ذلك عن خالتي ...).. التفتت اليها تقول

بانزعاج... (أرجوك طائعتي .. كفي عن تجاهل  
الحقيقتي!! ... حقيقة أننا فقراء... ولولاك  
لكنا متنا جوعا... فأبي لا يكاد يذر عليه  
عمله ربنا يكفيننا قوتنا ... كما ان أخي منذ  
أن تخرج قبل اربع سنوات لم يفلح في إيجاد  
عمل ... ولولاك أيضا ما وجد عملا في مصنع  
والدك ... وهذا ما يجعله يكتف حبه ويتعذب  
... لعلمه إنه ليس جديرا بك. ... ردت  
عليها بحزم قاطع ... (أولا ... الرزق على الله ... لا  
علي أنا... ولا تنسي أن من رباني هم جدي  
ووالديك بعد موت امي رحمها الله .... وان  
ظللت أدفع لهم كل ما امتلكه لن أوفيهم  
.. كالمته او ضمت حنونة لم يبخلوا بها عني  
بعد أن رماني والدي ... ) (إذن لما لا ترفضني  
... طلبه منك ...؟) ... تنهدت طائعتي بتعب ترد

... (لأنه والدي .... وتجب علي طاعته .... وهذا ما  
تربيت عليه سهام ... لما تُصعبين علي  
الأمور؟؟؟ ... من فضلك ... شقيقك انسان جاد  
وصادق ... سيبني نفسه ومستقبله في عمله  
... وسيرزقه الله بالتي تستحقه ... أما انا فلم  
أعلق قلبي بأي رجل من قبل .. ) (لأننا لا  
نختار ازواجنا ... بل ازواجنا من يختاروننا .... فلما  
لا نحافظ على قلوبنا خاليتنا إلى أن يدخلها من  
اختارنا .... أعلم ..... وحفظت عن ظهر قلب  
... كل ما في الأمر أنني أنا نيتي ... وتمنيت أن  
تكوني من نصيب أخي ... ) ... شددت على ضمها  
تقبل خدتها قائلة بحب ... (إنها أقدار مقسومة  
بين العباد بحكمة من رب العباد ... ) .

اليوم التالي ...

امتلاً البيت البسيط بزوار من الجيران وأهل  
الحي، يباركون زواجها الوشيك ويودعونها،  
فقد تربت وكبرت بينهم.

ظلت تصافح الفتيات قريناتها، وقرينات سهام  
منهن من تزوجن ومنهن من لم ترزق بعد. انقبض  
قلبها ككل مرة تنظر اليها تلك الفتاة  
بالذات، بغموض لم تألفه رغم السنوات اللاتي  
قضت معاً في الدراسة، قبل أن تسافر إلى  
العاصمة كي تنهي تعليمها الجامعي.

اقتربت منها تصافحها بفضول عملي، اكثر منه  
مجاملة... (كيف حالك مريم ؟؟) ... ابتسمت

ترد بنفس المجاملة... (بخير أشكر لك  
اهتمامك.... مبارك عليك تخرجك ...)..  
اومات ثم قالت بحيرة... (حسبتك ستباركين  
لي زواجي الوشيك ..) ... كان اتساعاً طفيفاً  
يكاد يلمح، عبر مقلتيها الواسعتين خلقت، قبل  
أن تجيب بثقتة.... (كنت سأهنئك على  
زواجك أيضاً .. لكن التخرج سبق وحدث ... هل  
ستعملين ام ان زوجك الثري لن يسمح  
بذلك؟؟؟ ... فقد سمعت أنه طبيب نفسي مثلك  
... ضيقت طائعت مقلتيها، وكأنها في حلبة  
مصارعة، البقاء فيها للأقوى... (أجل ... هو  
طبيب نفسي ... وأجل هو سمح لي بممارسة  
عملي ...). ... تأملتها ورأسها تطرق وسط كتفيها  
التان تهدلتا بشكل مفاجئ.... (مريم !!؟!) ...  
نادتها بخفوت جعلها ترفع رأسها، لتقول بتردد



يأتي معها زوجها ولا لمرّة واحدة؟؟)... ردت  
بسخط..(زوجها رجل رائع.... لكنه طبعها  
الضجر... المدينة بعيدة وهو مشغول بعمله  
..... هل نسيت ما فعلته بخطيبها السابق؟؟  
...المسكين قدم لها الهدايا والتبجيلات ...  
لتصدمه بخيانتها...)(...شهقت طائعت تهتف  
بخفوت...)(أستغفر الله العظيم... لا تقولي ما  
لم تريه...وحتى ان رأيت ... لا تخوضي في  
أعراض الناس ... إنها لكبيرة عند الله وعقابها  
عظيم...)(... مصمست شفيتها تجيب بحنق  
....(أنت من سألتني...))

بحثت عنها لتجدها تهم بالمغادرة، وقبل أن  
تغيب خلف باب البيت التفتت اليها لترمقها  
بابتسامت غامضة أرعدت قلبها، لتنظر الى

يناقض ثقتها السابقة... (طائعت... كيف  
حالك؟؟... سمعت عن زواجك الوشيك  
...مبارك عليك.. انا سعيدة من أجلك...)  
هزت طائعت راسها تبلع ريقها قائلت بريبت  
...)(شكرا لك مريم... كيف حال زوجك  
بالمناسبة؟؟)... اتسعت بسمتها وكفها اليمنى  
مشغولت بنزع خاتم غريب الشكل، إلا أنه  
خلاب يمتد مع اصبعي السبابة والابهام يظهر  
كنقش حناء... (بخير... لم يستطع المجيئ  
معي بسبب العمل ... عن اذنك طائعت...  
اعتني بنفسك...)(... أوامات لها وهي تبتعد  
لتقف جوار شقيقتها...)(لم تكمل السنه مع  
زوجها...وها هي هنا كل شهر و آخر...)  
همست سهام، التي تفاجأت بسؤال طائعت، فهي  
عادة ترفض أحاديث النميمة والغيبه...)(ألم

بنزق... (لا اعلم سبب اصرارك بترك بيت  
اهلي... بعد ان اتعبتني في اقناعك بتحويل  
أوراقك الى الجامعة هنا ..)

قام من على الأرض وجلس على الأريكة  
المقابلة، يرد مضرا... (أولا انا كنت اخشى أن  
لا يسمح لي أبي بذلك.... لكن ما إن أخبرني  
أن مدينة الجبل آمن وافضل من العاصمة  
...كما ايجار الشقق والمصاريف أرخص  
....فرحت وأخبرتكم بموافقتي.... ثانيا نحن  
شبابان لا يصح مشاركة فتيات سقف واحد  
....اعلم انكم متعودين على العيش كعائلات  
في بيت كبير واحد... لكنني مهما كنت  
مقربا... أعتبر غريب عنكم... ولا يصح  
...خصوصا بوجود اختك تغريد والكنة

الخاتم المتألئ بفعل انعكاس ضوء الشمس،  
فتكتشف انه عاد واستقر مكانه.

.....

شقة عيسى ومنصف... بالقرب من الجامعة  
الحديدة ...

ارتمى عيسى على احدى الأريكتين في البهو  
الصغير، المكون منه وغرفتي نوم، يقول  
بتعب... (آه... أنا تعبت ولم اعد قادرا على فعل  
اي شئ آخر...)

ضحك منصف يرتمي فوقه بتسلية يهتف...  
(يا ابن الأعيان... يا طري...).. صاح عيسى  
بألم ودفعه من عليه ليلقي به على الارض يرد

علي انهاء الجامعة لأبحث عن عمل....يجب ان  
أريحه بعد التقاعد ... لأنه افنى عمره من أجلي  
(... رمله عيسى بنظرة حسد رغما عنه،  
تجاهلها يقول بجديته... (لا تقلق من اجل العمل  
....عمل العائلة في انتظاري ... ولي فيه حصته  
ليست بهيئة...وانا لن اتخلى عنك ابدا يا  
صديقي... لا فكاك لك مني.... ستمضي  
فترة تدريبك في المصنع وتجهز مشروعك  
للتخرج...بعدها ستعمل رأسا... بإذن الله... وانا  
سأفعل المثل... رمله بامتنان، فاستطرد  
عيسى بحزم مزعوم... (لكن يجب عليك  
الجد في العمل.... لن أعطي على كسلك  
... ضحك منصف يرميه بمخدة أخرى  
... (من الكسول بيننا يا ابن الأعيان.... على  
فكرة ... هل أنهيت أوراق تسجيل حق

(الجديدة...)... هز رأسه يرد بامتعاض... (هل  
سيحرممني فتيات غريبات من بيت اهلي؟؟...لم  
أحسب لهذا الأمر حسابا ..)... رماه بإحدى  
المخدات يشرح بصبر اوشك على النفاذ،  
فصديقه لم يتقبل أخته بعد، ولم يحاول حتى  
التقرب منها ولا مرة واحدة خلال الشهرين  
المنصرمين.... (واحدة اختك يا رجل  
...والباقي زوجتي شقيقيك.... لسن غريبات...  
لا احد يحرمك من بيتك.. فقط حين تقرر  
العودة خذ في يدك زوجة لك... )... قالها  
ضاحكا بصخب، فرد عيسى بعبوس حائق  
... (ها... ها... ها... ظريف... لأكمل جامعتي  
أولا... لا اكاد انسى أنك تسبقني بسنة...)..  
اسند رأسه الى الخلف يرد بسهو.. (لم يفصل  
ابي عن التقاعد سوى سنوات قليلة... ويجب

وأختها؟؟)... فرت من قلبه دقة الى تلك التي  
تجاهلته واخرجته من حياتها نهائيا، يومئ  
بوجوم فاردف منصف... (متى ستعود؟؟)...  
حك دقنه بطرف اصابعه يجيب بهدوء يدرأ  
الكثير... (ياسين هاتفني كي يطمئن على  
تسجيل اختيه... واخبرني أن رواح تعافت من  
عملية رجلها... وسيعودان في خلال أسبوعين  
على الأكثر...). اوأ منصف يقول بمكر  
... (جيد... علّ عودتها تشفيك من سهوك  
المستمر...). لم يجبه فاستمر... (الحمد لله  
أنها تخلصت من عرجها ... مع أنه لم يكن عيبا  
فيها... لكن ان كان ذلك سيريحها ....  
فليكن... جيد لها...).. تاه بذكراه الى  
الغرفة في المشفى، فتوترت أطرافه متذكرا  
قربها منه. على قدر كرهه لتهوره الذي أفقدها

اياها، على قدر هروب فكره الى قربها والشعور  
بأنفاسها كما ارتعاشه اطرافها خوفا بين يديه.  
... (هييييييييه!!! اللهم ارحمنا ...). ... أجفل  
عيسى من سهوه على صياح صديقه المستطرد  
بمزاح.... (حالتك صعبت يا صديقي ..... ارى ان  
تتزوجها... وتكون لك سببا للعودة الى بيت  
العائلة...).. أعاد اليه احدي المخدرات التي  
رماه بها سابقا، يهتف بحنق وهو يقوم هاربا  
... (لا أعلم كيف أصبر عليك ؟؟؟)... ضحك  
منصف يستاقي على الأريكة مجيبا بتسلية  
... (لأنك تحبني... ولا تستطيع البعاد عني  
...).

## الفصل الأول

و الله لو علمت أن شرب الماء يثلم مروعتي ما  
شربته طول حياتي.... الإمام الشافعي ...

### منزل المرابط...

فتحت باب السيارة بتردد، كما خرجت. فردت  
قامتها ورفعت رأسها لتتأمل البيت الكبير لأهل  
والدها.

احساس غريب اكتنف قلبها، لكنها أجلت  
تحليله وهي ترمق رجلا كبيرا على الباب  
الداخلي، ذكرها بجدها الحنون الذي وافته  
المنية، فامعت مقاتيها بحنين وهرولت اليه

تهمس بسرور....(جدي ..!!).. ضمها الى صدره  
بحنو وذكريا يراقبهما بحيرة ودهشة، فهو لم  
يحصل منها على ذلك الترحيب الدافئ، رغم  
انها تحترمه للغاية. واعترف لنفسه أنها قدمت  
له الكثير مقابل القليل الذي منحها إياها.  
... (حمدا لله على سلامتك ... كيف حالك  
الآن بنيتي؟؟...) ... هزت رأسها ترد... (بخير  
...أفضل ...شكرا لك...)... عاد يضمها وهو  
يقودها الى داخل المنزل، وذكريا لا يزال يرمق  
تقاربهما بريبة، من يراها لا يصدق انه أول  
لقاء بينهما.... (لا أحد في البيت ...استرخي  
...)... تنفست طائعة الصعداء فقال زكريا  
مستفسرا... (أبي ...)... ابتسم له والده يقول  
بنبرة متسلية... (أنا آسف بني لأنني أخفيت  
عنك الأمر... لكنني لم استطع عدم التعرف

.... لم ازراختك اليوم بعد ... الى اللقاء....).  
راقبت ابتعاده بسهولة، أجملت منه على لمست  
جدها يحثها على المشي... (سأدلك على  
غرفتك ...). ابتمت بتهكم، غرفتها  
كيف وهي مكان مؤقت لساعات معدودة،  
والأصح أنها لم تحظى بغرفة في بيت أبيها. ولن  
تفعل، لأنها ستقاتل من اجل زواجها بكل ما  
تعلمته من أمها وجدها، ومن دراستها، حتى إن  
كان الزواج قائما على مصالح، والزوج يظهر  
عليه رغبة بالفرار منها. ... (لا تحزني لأن  
والدك غادر...). قال جدها حين لاحظ  
سهوها، فقالت مبتسمة... (لا جدي ... لست  
حزينة... كيف حالها؟ على ذكر الموضوع  
...). أجاب بقلق وهو يفتح لها باب الغرفة  
... (نقلوها الى القسم النفسي بعدما يئسوا من

على حفيدة لي ... ليس من شيمي ... لذا كنت  
أزورها من حين لآخر ... وكنت استمتع بصحبة  
جدها ... رحمه الله ... كان رجلا فريدا من  
نوعه ...). أطرق زكريا برأسه خجلا من  
نظرات ابنته التي مهما اخفت مصابها، إلا أنها  
تسأل اين كنت أبي ؟؟.

(أين هي نعيمته؟؟..). سأل زكريا، فقال الجد  
بوجوم ... (المشفي ...). هز رأسه ونظر الى  
ابنته قائلا بحنو ... (استريح في غرفتك  
... أبي سيأخذك إليها ... واستعدي ... آل عيسى  
سيأتون مساء ... كي نعقد القران .. ويصحبوك  
الى منزلهم ...). أومأت تتجاهل القشعريرة التي  
امتدت على طول بشرتها، فاقترب منها يقبل  
رأسها مستطرد .. (سألحق بنعيمته الى المشفي

استجابتها للعلاج ...). قطبت طائفة تلتفت  
اليه قائلة ... (أنا لا أفهم سبب محاولتها للانتحار  
... لقد وصل الخبر الى بلدتنا ....). توتر جدها  
يرد بتهرب... (أفسدها والدك بالدلال ... وحين  
عجز عن تحقيق رغباتها الأنانية.. اختارت  
طريق الجبناء ...). لم تقتنع لكنها أومات  
على أي حال، فاستطرد قائلاً... (سأدعك  
ترتاحين ... وافق آل عيسى على عدم اقامته  
عرس احتراماً لموت جدك ... كما لم يناسبهم  
الأمر كذلك بسبب مرض الحاجة إيجهت ...).  
تنفست بعمق وهي تتأمل فخامة الغرفة حولها،  
طلاء كريمي بارد، وستائر من الحرير  
كشرف السرير الكبير، المغلفة أطرافه  
بجلد مزين بكريستال نقي، مثله مثل

المناضد. جلست وهي تتحسس نعومة الحرير  
على بشرتها، تفكر إن كانت اختها حظيت  
بكل هذا وأكثر، فما الذي يجعلها تياس إلى  
درجة إنهاء حياتها. هزت كتفها استغراباً،  
فعلا رنين هاتفها. تطلعت اليه فابتسمت ترد  
... (مرحباً سهوومتي ... لا لم انساك ... وصلت  
لتوي ... اشتقت إليكم أيضاً ..).

.....

قرب مصلحة الماء ... لمدينة الجبل ..

تفقد الجثة المسجاة على أرضية واحد من  
مكاتب المصاحبة، وهو يستمع لحديث الطبيب  
الشرعي ... (فارق الحياة ما بين منتصف الليل و

٣ صباحا .... سبب الوفاة ... الغرق ...). ضم  
طارق شفثيه متمعنا، ثم قال ... (كيف  
ذلك؟؟... ثيابه جافتا وغير مجعدة... لا يظهر  
عليها البلبل من قبل ...). انحنى الطبيب  
الخمسيني بوجه بشوش لا يمت لعمله بصلتا،  
مضرا بامتعاض لا يتوافق مع ملامحه الباسمتا  
دوما، بخديه المزهرين قليلا وسط شحوب باقي  
بشرته، مع شعر بدأ اختفائه من على المقدمة  
... (انظر هنا !!)... أشار بيده المغطاة بقفاز طبي  
الى خط رُسم كطوق حول عنق الجثتا،  
مستطردا ... (بداية من هذه النقطة الى نهاية  
راسه ... تعرض للماء ولمدة كافية ... لتنتهي  
حياته ... كيف؟؟... أحتاج لوقت كي اضع  
افتراضات لما حدث .. لكن حالته بعد الفحص  
الأولي ... موت بسبب الغرق ...). هز راسه

بتفهم ثم وقف قائلا وهو يتأمل باقي فريق  
الشرطة العلمية، كل يقوم بعمله في البحث  
وأخذ البصمات من مسرح الجريمة.... (أرجو  
منك الإسراع دكتور هادي .... لا أريد لخبر  
قتله أن يصل للناس قبل أن نعرف  
الأجوبتا...). (فات الأوان على ذلك  
سيدي....). نطق مساعده عبد العالي وهو  
والج، يستطرد بقلق .... (الخبر أذيع في البرنامج  
الصباحي ..... والذي أصبح كل أهل المدينة  
ينصتون إليه ....). اشتدت عضلات فكه  
ينطق بحنق من بين أسنانه... (تلك ال.....  
الرزقي !! ...). هز مساعده رأسه بجزع،  
والطبيب يتدخل باسم يقول بتفكه ... (تلك  
الفتاة رائعة ... احاديثها شيقتا .... أحب طريقتها  
في تحليل الأمور... تحسبها محقق ماهر



هادي ... )... احتار الطبيب ذو القامة القصيرة،  
لا يظهر من ملابسه الرسمية المكونة من  
قميص وسروال قطني، شيئاً بسبب الباطو  
الأبيض الكبير. ليستطرد الشاب الأطول منه  
بمراحل، والمتأنق بكنزة سوداء مع سروال  
بخامة الجينز... (إنها عفريتة!!...).. صمت  
بغته وهو يلتفت خلفه خوفاً، ثم اقترب من  
الطبيب يردف بهمس وهو يضحك بقسمات  
وجهه الجبلية، حاجبين طويلين باللون الأسود  
المائل الى حمرة لا تظهر إلا في نور الشمس، مع  
مقلتين حادتين مظلمتين، وأنف كبير كالفم  
تماما.... (الفتاة تثير جنون المفتش... إنها قوية  
لا تهاب أحد... انا لم أرى شخصاً لا يهاب رئيسي  
سواها... والمشكلة انه لا يستطيع حتى لمسها  
... فالعفريتة ذكية... وتراوغه بالحيلة...).

...و...). بتر كلماته المسترسلة حين لاحظ  
تحديق طارق الحاد، فاستطرد بتوتر مضحك  
وهو يهز كتفيه قبل أن يستدير متهرباً الى  
الجثة... (إنها قوة الشباب... يا ليت الشباب  
يعود يوماً... س... أعود لعملي...).. زفر مجدداً،  
فقال عبد العالي وهو يحك خلف عنقه مترقباً  
... (حممم!!... إنها هنا...).. استدار اليه طارق  
بدهشة، فأوماً مساعده بحاجبين منكشين.  
(أوا تجرؤ!!؟)... نطقها وهو ينطلق خارجاً  
بغضب... (الفتاة المسكينه!!...).. غمغم  
الطبيب بشفقة، فضحك عبد العالي ببلاهة،  
أظهرت فمه الكبير بأسنانه الأكبر تنصع  
ببياض ملفت... (براء الرزقي  
... مسكينه!!؟... بل أنت المسكين يا عم

ملابسه بقرف يقول بامتعاض .....(أرجوك عم  
هادي ... لا مزاح في أمرين اثنين ... المفتش  
.....وشؤم القتل .....). قام من مكانه يرد باسم  
وهو يزيل قفازيه .....(بالنسبة لطارق .... انت  
محق لا مزاح حول ما يخصه ..... لكن بالنسبة  
للشؤم؟! ..... أنا لا أومن بتلك الخرافات  
المتداولت هنا . ....). لم يجبه يرمقه بحيرة،  
والآخر يقول وهو مغادر بعد أن منح القتييل  
نظرة أخيرة... (الأجل بيد الله وحده .... لا دخل  
لأي أمر مهما كان في ذلك ... ولو كان القاتل  
صبر على قتيله.... لفاضت روح الأخير الى  
خالقها في موعدها .... الى اللقاء يا عبد  
العالي..). ... نظر عبد العالي الى الجثة، فاقشعر  
جلده يهمس وهو يفر مسرعا... (اللهم أحسن  
خواتمنا .....).

ارتفعت زاوية شفتي الطبيب الزهريتين  
كالخدين، وهو يتفقد رأس الجثة يجيب  
بتسليته.... (ولما تسميها عفرية؟ ...). ... رد  
عبد العالي وهو ينحني بالكامل حين شعر  
بتعب في ظهره ... (لأنها بهذا الطول ...). .. ضيق  
المسافة بين سبابته و ابهامه مضرا، فضحك  
الطبيب قائلا بمزاح وهو يرمق خلف ظهر عبد  
العالي ... (مرحبا طارق ...). ... انتفض الشاب  
المسكين من مكانه فقوقع على الأرض جوار  
الجثة.... (هذا من أجل استهزائك بقصيري  
القامة ...). ... قام بسرعة ينفض ثيابه بجزع،  
يرمق الطبيب الضاحك بعتاب، فقال  
الأخير... (من حسن حظك .. أن المساحة حول  
القتيل قد تم الانتهاء من تفقدها .... لأنني ما  
كنت لأغطي عليك .....). .. لا زال يُنفض

أسرع اليها مزجرا بخفوت، عديمتة الحياء  
تتبعه كظله بل وتسبقه بخطوة احيانا. يكاد  
يموت غيظا، يريد معرفة من يرسل لها الأخبار  
بتلك السرعة. أصبحت أعماله على جهاز  
الراديو اللعين كل يوم، وكأنها تتقصد ذلك  
لتضيق عليه الخناق وتقرفه. لمحها تنظرهنا  
وهناك وديل شعرها الحريري يقفز في الهواء  
برشاقة ملفتة لعينته، يقف بجانبها ذلك  
اللزج شبيه الرجال الملاصق لها طوال الوقت....  
(ماذا تفعلين هنا؟؟) ... هتف طارق بغضب  
يختلط بالغيض على دوام لقاءه بها.  
أجفلت لكن الثبات اعتادت عليه أمام هذا  
الجلف، تقول بهدوء وهي ترمقه بضجر مفتعل  
... (من فضلك أيها المفتش ... هل ستسألني

نفس السؤال كل مرة نتقابل فيها؟؟) ... زمجر  
باستنكار فتدخل عصام بحماس يقول وهو  
يبسط يده لمصافحته. «شاب في أوائل  
العشرين نحيف البنية متوسط الطول، يطمح  
للعمل في الاذاعة، فتقدم بطلب للتدرب تحت  
امرة من صدح صيتها بعد شهرين فقط من  
عملها، فأصبح لا يفارقها حتى دوامه في  
الجامعة استغنى عنه باستعارة المحاضرات  
وتسجيلات الحصص من زملائه» ... (حضرة  
المفتش ... سعيد برؤيتك من جديد ... ماهي  
ملايسات الجريمة؟؟) ... هدل 'ا' طارق يرمقه  
بعدم تصديق، ثم لفي مستديرا إليها، ومهملا  
يد الآخر المبسوطة .. (هل هذا الصبي  
غبي؟؟) ... ضم يده يقبل شفته السفلى بحزن  
طفولي، بينما هي تحول بينهما، تمد قامتها

كُنَيْتَ بها لكن فقدت معناها، فباع ريقه من  
شيئاً ما تسلسل الى قعر صدره، وعات هناك  
فسادا بدغدغة لم يتقبلها اطلاقاً، ويرفض  
حتى التفكير بها... (أبعدي هذا الصبي  
عني... وأخبريني فيما ادخلت أنفك الفضولي  
هذا؟؟) ... مططت شفيتها بيأس من كلماته  
الخالية من أي حس للذوق، لكن الحماس من  
أجل عملها جعلها تستدير إلى عصام تقول  
باطف وهي تستمع لصرير أسنان الآخر...  
(عصام... من فضلك عد الى السيارة وأكمل  
مراجعة الملف... )... اوماً بطاعة وانصرف،  
فقال طارق بتهكم بارد... (غراء!!... )...  
(اووووف!!).. زفرت في وجهه فتقوسا حاجبيه  
دهشاً ليست من تصرفها، بل من ردة فعل  
جسده تجاه أنفاسها الدافئة العطرة... (تتصرف

الصغيرة لتصل الى نفس طوله، دون فائدة  
... (اسمه عصام وليس صبياً بل طالب جامعي  
طوح.... وسؤاله ما أحضرتي هنا... )... رفع  
حاجبه باستفزاز يرد.... (طالب جامعي.... يعني  
صبي يتبعك كالرضيع المتشبث بيدل جلاباب  
أمه.... ولا جواب لسؤالك... هيا غادرا... )...  
ضيقت مقلتيها فلمعت الزرقة الشفافة منهما،  
لتضرب أعاصير قلبه الجافة برعدٍ أخصبها  
لتتفجر بمائها السخي.

تنفس بصعوبة أضافت من احمرار وجهه الغاضب  
المُسْمَرُ بفعل الشمس، فقالت بمكر... (لا بأس  
... سأطرح الموضوع للتحليل و النقاش  
إذن... سيسعدني تقديم رأي حسب ما توصلت  
اليه من معلومات... )... رفرفت برموشها براءةً

إليه .... اياك يا براء ... ليس هذه المرة ... لا  
تعاندي (...). فتحت فمها تستغرب نطقه  
لاسمها، فتنحنت حين ابتسم ساخرا، لتقول  
بتلعثم لم يألفه منها ... (ح... حسنا .... أنا اعلم  
من هو ... والجثة داخلا ... خير برهان .... لن  
اشير إلى أي شيء .... حتى الجريمة ذكرتها  
صباحا كخبر فقط .....). عاد لعبوسه  
يراقبها بحذر، فأشارت إليه بإصبع سبابتها، بعد  
أن استجمعت زمام نفسها ... (سأظل صامتة  
بشرط ان تخبرني بكل جديد ... وبشكل  
حصري .... كي يكون لي السبق الصحفي  
حين تقبضون عليه ...). جعد انفه يرد  
بتهكم ..... (هذا ما ينقصني .... سنفوره  
تهددني أنا) ... اختفى التهكم لتحل التسلية،  
وهي تقفز من جديد على أطراف قدميها.... (من

كطفل لم يتجاوز الخامسة من عمره (!.....). لم  
يتخلص من تأثير نفضة النعناع في أنفاسها بعد،  
وهو يرمقها بجمود ... (لا يهه !.....). قالت  
بضجر فتنبه اليها وهي تستطرد بجديته  
... (أعلم أنك والسيد ابراهيم آل عيسى  
تخططان لشيء ما ... بخصوص اصلاح جودة  
المياه في المنطقة .... لكنكما فتحتما على  
نفسيكما ... باب لشر الفساد ...). هز كتفيه  
منتفخ الأوداج يجيب ببرود .... (لا شفاء بلا دواء  
..... وبعد حمى ترج البدن ...). قطبت تحاول  
استدراجه فهو ذكي حويط .... (لكن  
الميزانيات اللاتي تتبععتها وتواريخ اصدارها  
... تصب عند شخص واحد .... و) ... اقترب منها  
يقاطعها بتهديد خافت لكن خطير  
.... (أحذرك من ذكر اسمه او حتى الإشارة

تهمس لنفسها....(هدف لصالحك يا مفتش  
.....سأريك السنفور الزرقاء القصيرة ....ماذا  
تستطيع فعله!!).....)..

‘ا... هَدِلَ الرَّجُلُ : اسْتَرَخَتْ شَفْتُهُ السُّفْلَى ،  
تَدَلَّتْ.

.....

المشفى ...

تقدم زكريا بخطوات هادئة وهو يلج الى  
غرفة ابنته في القسم النفسي من المشفى، لمح  
زوجته جالسة قريبا تقرأ من كتاب الله بصوت  
خافت. تأمل ابنته الساهمة ترمق السراب

سنفوره هذه؟؟) ... (حقا؟! ... لا تعلمين عن  
السنافر؟ ... صحفية فاشلة...) ... اتسعت  
بسمته وهي تهتف بانفعال ....(اعلم عن السنافر  
...تلك الرسومات الزرقاء القصيرة ...) ... اوماً  
ضاحكا بعد أن حقق هدفه، قائلاً يشير إلى  
هيئتها بالسروال الجينز والكنزة باللون  
الأزرق.....(تماما .....رسومات زرقاء وقصيرة ...  
وداعا ..يا سنفوره ...) . ...انصرف ضاحكا،  
بينما هي تعود الى السيارة تتنفس بعنف، فقال  
عصام بيأس ... (إنه بالفعل إنسان مستفز!!  
...) ... حدقت به تقول بتحذير ....(لا تتحدث  
عنه هكذا ...) .. تجمد ذاهلاً من دفاعها،  
فتراجعت تستطرد....(هو مصدر معلوماتنا  
....ولا يجب فقدانه لأي سبب كان .....). ... اوماً  
بسو غير مقتنع بتفسيرها، فانطلقت بسيارتها

... (أنا لا اعلم كيف ... لكن اريدك ان تعيد  
لي ابنتي ... يا إلهي انها كقطعة خشب شاحبة  
... لا تستجيب لأحد ... أحذرك زكريا ... إن  
لم تشفى قريبا !... سأفقد عقلي أيضا...)  
مسح على وجهه، قائلاً بنبرة ارتفعت رغما عنه  
.... (نعيمت ... طائعت ستزوج اسماعيل هذه  
الليلة بإذن الله ... فأني السيرة ... وصباح  
سأبعثها لأفضل مصحة نفسية إن لم يفلح  
علاجها هنا ...)

تأججت تقول بعبوس ... (اسماعيل من أفضل  
الأطباء ... لما لا يعالجها هو ؟؟) ... مطط  
شفتيه امتعاضا يرد بتهكم ... (وهل ترين هذا  
منطقي ؟؟ ... بعد ما أخبرتني به عن مشاعرها  
تجاهه ؟؟) ... تلهفت تفسر ... (سيرضى ... لأنه

بمقلتين تائهتين، لا تحرك ساكنا ولا  
تستجيب لأي علاج. رقت بنيتيه بإشفاق و  
احساس بالذنب، يتساءل متى اقتترف الخطء  
القاتل؟! حين دللها؟! أم حين حاول إعادة  
تربيتها؟! أم أنه انتقام لحق ابنته الأخرى  
المسلوب؟! زفر بقنوط، فتنهت له زوجته،  
التي وضعت الكتاب على المنضدة تسرع اليه  
تهمس بوجوم ... (كيف استطعت فعل ذلك يا  
زكريا ؟؟ ... بعد كل ما أخبرتك به ...)  
أسدل جفنيه بأسا منها يرد بنفس همسها، لكن  
محتد بسخط ... (يا نعيمت افهمي .... الاتفاق تم  
بين الرجال ... لا رجعت فيه ... وما كان لها أن  
تدخل بيت آل عيسى حتى لو تراجعت عن  
تزويج اختها لابنهم ...). .. زمت شفتيها تضم  
حاجبيها قائلة بانفعال، وهي تهز كتفيها

تقف في آخر الرواق متنظرة، لتجفل على  
ريبتين سريعتين علمت صاحبتهما التي همست  
بمرح... (على من تتلصصين؟؟)... نفخت في  
وجهها ترد بعتاب... (ألا تخجلين من تصرفاتك  
؟؟)... هزت كتفيها تلاعب بحاجبيها قائلة  
... (لست من يتلصص على المسحور...)... قطبت  
سناء تجيب بعبوس... (كف عن مناداته  
بذلك اللقب... ثم أنا لا أتلصص على أحد  
... لديه زائرة... وانتظر مغادرتها... اقترب موعد  
الدواء...)... حركت فمها المضموم بمزاح  
متهكم، ثم قالت... (ومن سيزوره يا حسرة  
؟؟... عبد العالي اخبرني أن والدته وخالته قد  
حُكروا عليهما بسنة سجننا...).. ردت سناء تقول  
بسهو... (هي ابنة خالته... فتاة صغيرة... لم  
تكمل العشرين بعد... أول مرة تقوم بزيارته

طبيب... ولا يدخلون الأمور الشخصية في العمل  
... من فضلك.. زكريا...)... تنفس قانطا  
يجيب باستسلام.. (سأرى ما أستطيع فعله...)...  
ابتسمت بتوتر، والتفت ينظر الى صباح  
المتسمرة مكانها لا تشعر بمن حولها. ثم عاد  
يقول لزوجته... (يجب ان تغادر كي نستعد  
ليلية...).. هرولت لتجلس جوار ابنتها تضمها  
قائلة بحزن مدعى... (أنا لن أفارق ابنتي  
... خصوصا مع ما سيحصل الليلة...)... تخلص  
بتعب يتأملها ثم استسلم قائلا قبل أن يغادر  
... (حسنا اقضي الليلة برفقتها... وسأعود  
صباحا بإذن الله...).

.....  
في قسم الأمراض الباطنية ...



(... ضحكت نواراة ببلاهة تشير إليها بسابقتها... (كنت تتلصقين....) ... عبست من جديد تزفر بضجر، فضمتها تعتذر... (أنا آسفة... كنت أمازحك... ) ... هزت رأسها تعود لمراقبة الباب، وصديقتها تقول باسترسال... (أستغربها إن كانت من عائلته لما لم تزره من قبل؟؟ ... و لما لم يبحثوا عن دواء له؟ ... فما به لا يحتاج الى كيماويات.... بل الى رقية شرعية...).. خرجت الفتاة فأسرعت سناء تدخل إلى الغرفة، لتجده مسدلا مقلتيه يضع ظهر كفه على جبهته، جسده في نحول مرعب، وأطرافه ترتعش جميعها. اقتربت منه تلتقط رسغه الحر، تسأل بهدوء... (هل تشعر بشيء يا عزيز؟؟) ... لمحت هزة وهنت كضحكة متهكمة مريرة، ثم رد باهتزاز،

دون أن يحرك كفه من على جبهته... (أ.....نا.....لا .. أش...عر...بش يئ...!!) ... جست نبضه، ثم احضرت الدواء. انتظرت قليلا فلم يتحرك ثم حثته... (عزيز!!) ... أزال يده المرتعشة، فانسعت مقلتي سناء تهتف بدهشة... (عزيز... لماذا تبكي؟؟... ماذا حدث؟؟).... صمت وأحشائه تصيح، ماذا يقول؟ وماذا يحكي؟... تلك خسارة عظيمة. حياة أضاعها، وتسربت من بين أصابعه كالماء، والسبب هو لا غيره، لن يلوم أمه و لا خالته، بل سيلوم نفسه، ويحملها كل الذنوب. .... (عزيز؟؟!!) ... نادته من سهوه فنظر إليها هامسا بوهن ... (أريد حفصة... ) ... انقبض قلبها لأول مرة بعد سنين من اللامبالاة، تسأل بريبة... (من هي حفصة؟؟) ... ارتعشت شفتيه المشققة، وقد تنفس

بعمق زاد من شحوب سحنة وجهه، ثم أجاب  
... (حف...صتة .... زوجتي ..)....بلعت ريقها  
ترمقه بدهشة لم تزل، يشوبها احساس حارق،  
تعرفت عليه رأسا، إنها الغيرة.

.....

منزل آل عيسى ... مساء

أمسكت يدها برقعة تمسد عليها تقول باسمته  
... (يدك صارت جيدة ... وستشفين قريبا بإذن  
الله ...).. ابتسمت لها بحزن ومقلتها تلمع  
بدموع حبيسة، وفكرها يهمس لها بعتاب  
ناحيتها. ابنته لم تنجبها، ظلمتها دون وجه حق،  
فأتاها العقاب أقسى وأشد. لكنها شاكرة لمن

لا يحمد على مكروه سواه. فلولا محنتها لما  
تبين لها الشيطان شيطان، و الصالح صالح.  
كيف كانت تنوي التفريق بين ابنا، بكرها  
عن زوجة كانت له الدواء لدائه. والبسم  
لجروحه، بل كيف كانت ستفقد كنت  
تعاملها كأمر من لحمها ودمها ... (ما بك أمي  
؟؟ ... لا تحزني ... الشفاء قريب ... ألم يقل الله  
سبحانه ... وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ  
أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ۖ فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي  
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) (البقرة) ...  
ونحن ندعوا الله بيقين قربه وقرب استجابته  
...). رفعت يدها السليمة الى خد حق، التي  
اقتربت منها متقبلة لمستها الحنون. تتأمل  
ملامح وجهها وفمها الذي تحاول فتحه، لقول

لمعها تسرع الخطى وهو نازل من على الدرج  
 يستعد لينطلقوا الى بيت المرابط، فرفع يديه  
 يضمها الى صدره باسم يهمس بسرور لسرورها  
 الناضح من على وجهها الباسم بدموع لا تذرهما  
 إلا لفرح هز قلبها ... (ما الذي يسعدك لهذه  
 الدرجة يا حق ؟؟) ... رفعت وجهها اليه ترد  
 بلهات ... (أمي نطقت حروف...) ... تقوست  
 حاجبيه بعدم تصديق، فأومات بتأكيد ليسرع  
 إليها، من خلفها إسماعيل الذي سمع حديثهما  
 صدفت. أحاط إبراهيم وجه امه بكفيه يقول  
 مستبشرا ... (أمي ... حق قالت أنك نطقت ...  
 دعيني أسمع أمي ...) ... لآزالت تبكي وهي  
 تحاول إعادة النطق بمشقة ...  
 (ح.....ح.....ح.....ق) ... تهللت أساريرهم، وحق  
 تقترب منها تمسك بإحدى يديها مستجيبة

شيئاً ما ... (ماذا أمي؟ ...ها؟... حرفاً واحداً  
 وسأفهم ... إذا كان ذلك سيريحك ..)  
 نطقتها حق تشجعها، وهي تربت على يدها  
 الموضوعت فوق خدها. فجاهدت إيجهت لتحرك  
 لسانها الثقيل في مكانه كصخرة لا تززع  
 ... (.....ا.....ا.....س.....س.....ح.....ن.....ي) ...  
 انطلقت الدموع تسيل على وجنتيها، تهمس  
 بذهول ... (لقد نجحت ... أمي !!!) ... نطقت ... ربنا  
 لك الحمد ... حمداً كثيراً مبارك فيه  
 ... إبراهيم .. سأجلب إبراهيم !!!) ... انتفضت  
 مسرعة وإيجهت تومئ باكية، تريد ان تفهم  
 طلبها السماح منها، تخشى دنو الأجل قبل أن  
 تسمع منها كلمات الصبح. ترتعب من مقابله  
 وجه كريم بذنوب كالجبال تثقل على  
 كتفيها الوهينين.

للنداء، فشدت هي على يدها ترمقها بتوسل  
... (ا...ا...س...س...ح...ن...).. ... قطبت حق  
تتمعن في معنى للحروف، بينما ابراهيم ينظر  
الى امه برأفة يعلم تماما مطلبها. .... (إنها تطلب  
منك السماح ...). ... قالها اسماعيل وهو يقترب  
ليجلس جوارها، ويضم كتفها مستطردا  
... (أمي تطلب منك السماح يا حق ...). ... أوامات  
إيجت بلهفة أثرت على ولديها، فردت المعنية  
بحيرة .... (لما ستطلب مني السماح؟ ....). ... رقت  
نظرة ابراهيم وقلبه ينبض حبا لتلك الفتاة  
ذات السريرة النقية، بينما اسماعيل يتدخل  
حين لاحظ توغل الذنب يأكل من أحشاء  
والدته... (هل هذا يعني أنك لا تحملين  
ضعفني في قلبك حق؟ ...). ... حدق بها  
الثلاثة منتظرين الرد باهتمام، فابتسمت

بخجل من تركيزهم عليها تجيب بتوتر  
... (أجمل سببا لما تسألون عنه .... أنا لا احمل  
ضعفني لأحد .. فكيف أحمله لأمي ...).  
ضيق اسماعيل مقلتيه يسأل باحترافية تجاوزت  
إراحة ضمير والدته .... (هي تريد الاعتذار عن  
ما صدر منها تجاهك ... في بدايت زواجك أنت  
وابراهيم ...). .. تهربت إيجت بمقلتيها خزيا،  
بينما حق لازالت تستفسر بحيرة باغت مداها  
... (لكنني لا أتذكر منها شيئا يجعلني أحمل  
لها ضعفني ...). ... لم يياس اسماعيل وهو يشرح  
دون ان يبالي بملامح والدته المتوترة ... (أمي  
قست عليك يا حق ... وظلمتك دون وجه حق  
... وأنت لازلت عروسا جديدة ...). ... ضاقت  
أنفاس ابراهيم من الحوار، لكن شقيقه في  
طريقه لهدف ما، جعله يصمت مترقب.

ملا محها، فربت اسماعيل على وجنتها بحنو  
يقول... (من فضلك امي ارضي علي ... الفتاة  
ليست كالأخرى ...سترين ...).. هزت رأسها  
بوجوم، فانحنى يقبل يدها قبل ان ينصرف،  
فتقترب منها حق على السرير، تمسك يدها  
بحنو مجددا تقول... (هل أتلو عليك وزد اليوم  
قبل وجبة العشاء؟؟ ...أفترض سنضطر للسهر  
اليوم من أجل العروس ...).. أومات بفتور، لقد  
رفضت العروس الأولى بجور، فعوقبت برفض  
الثانية من أجل شيطانة لم تدرك مدى شرها،  
إلا بعد أن حققت مآربها.

لحق به ليجده منتظرا على الباب الداخلي  
ببدلته السوداء الانيقة، يرمقه بسؤال غير  
منطوق، فابتسم يجيب ... (إنه تصرف سلوكي

جعدت حق دقنها باستغراب ترد بتلقائية  
... (لكن الأمهات هكذا ... تهتاج اعصابهن  
قليلا ... ويصحن وهن يعاملن أولادهن ... أمي  
ميموننة تفعل ذلك ...).. هزت كتفها تردف  
باستخفاف ... (إنها الأم ...).. ابتسم اسماعيل  
ببرود وقد تأكد من شكوكه، ليقوم ابراهيم  
من مكانه قائلا وهو يقبل رأس والدته ... (أمي  
استرخي ... لقد سمعتها ... حق لا تحمل لك ولا  
لغيرك ضعيفتة ... وكلنا نخطئ ... المهمل هي  
التوبة أمي ... اكثري من الاستغفار ...).. لم  
تُحد إيجتة بمقلتيها من على حق مذ سمعت  
جوابها، لقد ظنتها تعاملها كأمر، لا تستوعب  
كيف تفكر تلك الفتاة... (هيا اسماعيل  
... الناس في انتظارنا ..).. انتزعت مقلتيها من  
على حق الى ولديها وقد انبثق الرفض من قلب

.... يعني زوجتك كبرت وهي ترى النمط الذي  
أمامها عن الأم ... فافترضت أن سائر الأمهات  
قاسيات في تربية أبنائهن .. قليل هم من مثل  
زوجتك ... ذكري ان اشرح لك عن السبب  
العلمي لسلوكهم ... لأننا تأخرنا بالفعل ...  
(أوووه ... العريس مستعجل ... أنت محظوظ إذ لم  
تقم عرسا ضخما كإبراهيم ... لكنت انتظرت  
أكثر ..) ... كان هذا عيسى الذي انضم اليهما  
متأنقا في بدلته هو الآخر، من خلفه جدهم  
الباسم لطرفة حفيده. ابتسم له اسماعيل  
بجمود دال على عدم مبادلته تسليته، فقال  
إبراهيم ... (أين منصف؟؟) ... اشار لهم  
ليتقدموا نحو السيارات يرد بنفس التسليته  
... (يشعر بتوعك في بطنه ... فتركته في  
عهدتي الخالته شمة ...). ... التفت إليه جده

بقلق ... (وما المضحك في ذلك؟؟ .. هل  
نأخذه للمشفى؟؟ ..) ... قهقه عيسى قائلا وهو  
يفتح باب السيارة ... (لا حاجة للمشفى جدي  
... حذرته من تناول مرق اللحم بسمن الخالته  
شمة لكنه لم ينصت ... فليشرب إذن ...). ... أوما  
جده ياسا، وانطلقوا الى وجهتهم.

.....

منزل طارق ...

دفع باب البيت الحديدي برجله، حاملا بكلتا  
يديه سلة تمر كبيرة، أدار رأسه متتبعا خريز  
المياه فزفر، حين لمح الحديقة قد فاضت....  
أمي .... أمي!! ... نسيتم اطفاء المضخة

أحضرت منها عينتة بنفسني ...ستكون غلتة  
مربحتة بإذن الله ... لاكها والده بلذة يرد  
بتفكك، وبنبرة عاليتة كي تسمعه زوجته  
... (بإذن الله وحوله وقوته ...فهي نخلتة من  
جبل \*أيت بن حدو\* ... ليس كمثلتها نخلتة ..)  
ألقى طارق بسترتة على احدى الأرائك، وارتمى  
على الأخرى جوارها يرد بتسليته .... (أبدا ليس  
كمثلتها نخلتة .....). ...قعد والده أمامه يسأل  
بلهفتة جندي كأنه يوما ما، فأحب حلما لم  
يكتمل، وحققه في ابنه الوحيد. ... (اخبرني  
عن الجريمة...). ... فوجئ للحظتة قبل ان  
يتذكرها، فزفر بخفوت يقول بامتعاض ... (لم  
يكن من المفترض بالخبر ان ينتشر ..). ... مطط  
والده شفتيه بإعجاب وقد ضاقت مقلتيه اكثر  
من ضيقهما الفطري، يتشدد بإعجاب وهو يشير

الكهربائيتة ..مرة اخرى ...). ...أسرعت إليه أمه  
ضاحكتة تتلقف منه السلته ... (بني ... لا بأس  
...إنها مياه البئر على أيتة حال ...). ...أطفأ  
المضختة، واستدار مُقبلاً رأسها، ثم مد يده  
يساعدها في حمل السلته متوجهان نحو المطبخ،  
يقول بعتاب ... (إنها مياه يا أمي ...سواء من  
الصنبور أو البئر فهي نعمتة من الله ... لا يجب  
اهدارها ...). ... (لن تفهم مهما حاولت!! ...  
تربيته جبلية فحّته!! ...). ...تدخل والده الذي  
قابلهما على الباب المطبخ، فجعدت والدته  
انفها بحنق ترد .. (ها هو قد بدأ من جديد  
...وكانه من أهل السواحل والسهول الخضراء  
...). ... ضحك طارق يسحب والده من المطبخ،  
وهو يدس حبتة تمر في فمه يهتف بمرح ... (امي  
انا جائع ...ذوق يا أبي هذا تمر جنائن \*أورتي\*

بقبضته يده.... (إنها فتاة مقدامة .... لو كنت  
حظيت بابنة لتمنيتها مثل ابنة الرزقي تلك  
...). رفع حاجبه دهشة ووالدته تضع صينيته  
عليها شربة الشعير بالطماطم والبقدونس،  
جوارها طبق تمر مع بيض مسلوقة.... تهتف  
بنفس اعجاب زوجها... (والدك محق .... تؤنس  
وحدتي وانا اقوم بأعمال البيت ...). قاطعها  
طارق بدهشة... (ماذا؟؟؟).... رفعت يديها إلى  
طرفي طرحتها المعقودين على مقدمة رأسها  
تشدها لتثبتها مكانها، تقول ضاحكة  
..(أستمتع وهي تقص علينا أخبار عمالك...)..  
جز على أسنانه وهي تردف بإسهاب... (وكأنها  
تحكي عن فلم بولييسي .... تحلل وتناقش  
وتضع .... ما اسم ذلك؟؟؟) .... نظرت إلى زوجها  
الذي بدأ في تناول طعامه، فقال بسخط



متعمد... (ما شأنك أنت بتلك المفردات  
...انشغلي بطهي الكسكس أو العصيدة ...).  
جعدت انفها الصغير من جديد، تقوم وهي ترد  
عليه بحنق مضحك.... (ها أنا ذا قائمة  
...صديقاتي في انتظاري على كل حال  
...سأدخلهن الى الحديقة لبعض من الوقت  
....). انصرفت تدعي الغضب، فرفع طارق إناء  
الشربة إلى فمه متلذذا بطعم الحلبة مع زيت  
الزيتون المنسمة بها. تمطق بلذة ثم قال  
بفضول لطالما شغله... (لما تتصرفان هكذا  
أبي؟؟؟ من يسمع حديثكما الآن يظنكما  
تكرهان بعضكما ...). حط والده بالإناء  
الفارغ على المائدة يرد بمزاح.. (نحن فعلا لا  
نطبق بعضنا ...). رماه بنظرة مكر يبادله  
تحريك أحجار الشطرنج... (لما لم تفترقا إذن





تطبيقها (...). ... زمجرة والده بتهكم معترض،  
فتمالك ضحكاته الصاخبة مستطردا بجديته  
... (صدقا أبي ... ما الذي يجمعك بأمي؟؟ ...  
يجعلكما لا تفارقان بعضكما ... مع أنكما  
تظلان على جدال طوال الوقت؟؟) ... جعد  
ذقنه وهو يهز رأسه بتفكر، ثم ضم إليه إحدى  
ركبتيه يسند قدمه على طرف الأريكة،  
فظهر سرواله القطني من تحت جلبابه  
الأبيض... (ما يجمعني بها الكثير يا بني ...)  
... صمت فقال ابنه بحيرة ... (مثل ماذا؟؟) ...  
فكر للحظة أخرى ثم لفي بهدوء ... (أدخل  
بيتي فأشعر بمدى قيمتي وأهميتي ... مع أول  
خطوة أعتبها هنا ... أجد خفي البيتي يزين  
جانب عتبة الباب الداخلي في انتظاري ... أجد  
لباسا نظيفا ... طعاما دافئا ... تحوم حولي

؟ ... او تبحث لنفسك عن زوجة ثانية على  
الأقل...). ... ضم شفتيه يزيد من تضيق مقلتيه،  
مركزا على عيني ولديه اللامعتين بمكر  
يوازي مكره .... (ولما أجلب على نفسي بلوتين  
بدل واحدة؟؟) ... أخذ طارق من الشربة  
بتمهل، ثم قال بإصرار متحدي ... (حسنا ... بما  
أن أمي بلوة ... سأريحك منها ... سأشتري لها  
بيت جديدا ... وهكذا يرتاح كلاكما ...)  
أراح ظهره إلى الخلف يجيب بتحد أكبر من  
خاصته ... (البيت الجديد تشتريه لك و لفتاة  
أعانها الله عليك ... ولا شأن لك بنا ... انا  
ووالدتك ... لقد تجاوزنا الأربعين عاما من  
الزواج بدون أفكارك العبقرية ... والله  
المستعان على ما بقي...). ... ضحك طارق من  
قلبه يهتف بمرح .... (انت قلت عليها بلوة ولا

كطائر يلبي رغباتي حتى قبل أن أطلبها  
...الكثير بني...الكثير...)... تاه ابنه مع  
الكلمات التي يسمعا لأول مرة من والده، مع  
انه كان مستشعرا لعلاقتها الفريدة، يسأل  
بحيرة لم يتخلص منها بعد... (ولما تتجادلان  
إذن؟؟... )... ابتسم بتسليّة تعود به الى عمر  
مضى، يرد... (هل تعلم كيف تزوجت أنا  
ووالدتك فنت؟)... أوما سلبا، فاستطرد والده  
يحكي... (التقيتها في عرس لأحدى بنات  
الجيران... في جبل \*أيت بن حدوا\*.... تتوسط  
الفتيات تروي لهن قصة ما.... لم أعي على  
نفسى إلا وقد نسيت كل شئ وأنا أسافر مع  
شخصيات حكايتها.... لأجفل وانتزع من  
الخيال ومن التحديق بها.... ببلاغة نسائية  
طبعت شكلها على ملامح وجهي.....).... قفز

حاجبي طارق يهتف بدهشة... (ضربتك  
ببلاغتها؟؟).... ضم جانب فمه يرد بسخط  
مازح... (بل صوبت علي بها كسهو أطلق ببراعة  
لينال هدفه الواضح... )...نطق آخر جملته  
وهو يشير الى وجهه بشكل دائري، فضحك  
ابنه بحذر يسأل....(وماذا فعلت؟؟)... اعتدل  
في جلوسه يقول بنفس السخط... (صحت بها  
طبعا.... أن كيف تتجرا وتفعل ما فعلته؟؟...  
ظننتها كباقي الفتيات في ذلك العهد  
...يخجلن من ظلالهن.... لكنني فوجئت بها وهي  
تجحظ بمقلتيها غضبا تصيح بي... انني لا  
استحي و أتلاصص على الفتيات....).... قهقهه  
ابنه بصخب، ثم قال وهو يشير بيده.... (وماذا  
بعد؟؟)... هز كتفيه باستخفاف وهو يعود في  
جلوسه الى سيرته الأولى.... (لا شئ.... بعدها

بثلاثة أشهر... تبعها هنا وتزوجت بها (...).  
زفر طارق كي يتمالك ضحكه، يقول  
بدهشت... (غريب !...). قطب والده مستفسرا  
... (ما الغريب ؟؟) ... (أن تترك بلدتك لتلحق  
بامرأة .... أهانتك ... إنه شيء غريب....) ... هز  
رأسه مفسرا... (لم تهني يا بني ... بل دافعت عن  
نفسها وحماتها بشراسة ... كانت مختلفة  
بطبعها .... فرغبت بها هي دوننا عن الأخريات..  
هذه هي الحياة .... كل شخص له آخر يناسبه  
دون عن الآخرين...). تحدث طارق وقد راقه  
الحديث بشكل ما ... (ولما لم تعد بها الى  
بلدتك... بعد الزواج؟ ... فهي منطقت  
قريبة!...). كان دوره ليضحك عاليا،  
فراقب طارق انتعاش روح والده وهو يحكي عن  
زوجته.... (ألم أخبرك أنها بلوة شرسة؟؟....

جادلتي بمنطقية واقنعتني بالحجة ....)  
قطب ابنه بعدم فهم، فأردف يشرح باسم  
... (كنت يتيما ... أعيش عند عمي رحمه الله  
.... وهي كان لها والدين رحمهما الله أيضا ....  
فعللت أن صاحب الوالدين أدعى للقرب منهما  
.... ناورتها أن عملي على أرضي وهي هناك في  
بلدتي ..... فنظرت لي تقول بتحد .... \*الأرض  
هنا وهناك .... أم أن نخلاتك لسن بالقوة  
الكافية لتصمدن في جبل غير جبل أيت بن  
حدوا؟؟\* ....). زم طارق شفثيه بمرح، يقول  
ساخرا .... (لقد أصابت الهدف .... وها أنت بعد  
أربعين سنة .... لا زلت عالقا في التحدي  
.... وهذا خير دليل .... ممممم) ... قالها وهو  
يلقي بثمرة في فمه، يمضغها بتلذذ، فقال والده  
ببهجة .... (بلى ... وسأظل في التحدي .... ما

متأكدا من حيلها التي لا تنقضي.... لكنها  
فاجأتني.... حين عرّفتني على الناس بلقب  
داومت عليه هي ... وَعَدت وصدقته.... هل  
فهمتني بني؟؟) ... لم تكن الحكمة من وراء  
حديث والده قد بلغتة كاملة، لكنه أوماً على  
أي حال، فغير والده الموضوع كلياً مسترجعاً  
اللهفة.... (أخبرني عن الجريمة... هل لها  
علاقة بقضية إصلاح الماء؟...) .... همس طارق  
بامتعاض... (عدنا للسنافرة!)... (ماذا قلت  
بني؟؟).... رفع نظره إليه مستسلماً يجيب لهفة  
والده، معترفاً بطرق تفكيره الخيالي، تساعده  
في وضع الافتراضات الممكنة.

.....

بقي من عمري بإذن الله .....) ... حل عليهما  
الصمت قليلاً، طارق يسبح في خيالات أصبحت  
تفرض نفسها على عقله، غافل عن تمعن والده  
الذي قطع الهدوء يسأل بتسليته... (لقد سألتني  
من قبل.... لما الجميع ينادونني بأحدوا؟؟... هل  
تذكر؟؟...) ... هز رأسه موافقاً يجيب  
.... (أخبرتني أن أمي من لقبتك بأصاك  
.... ولم تنادك باسمك أبداً... حتى عرفك  
الجميع بأصاك قبل لقبك....) ... أوماً  
والامتنان يشع من عينيه خالصاً بالحب والوفاء،  
يفسر.... (كانت آخر حُجْجِي كي اقنعها  
بالعودة معي.... خشية نسيان أصلي... فقدمت  
لي وعداً صادقاً... بأن يتعرف كل من يقابلني  
على أصلي...). .. ابتسم بحنين يردف... (لم  
افهم حينها ماذا ستفعل؟! ... مع اني كنت

## منزل المرابط...

دق الباب فاستدارت نحوه، ليطل والدها باسمها  
يحمل معه سجلا وورقتين برفقته رجلا ما  
....(ابنتي ... تجب موافقتك كي تتم عقد  
القران ...). هزت رأسها وتقدمت نحوهما. رسمت  
إمضاءها على السجل، ثم بصمت أسفل ورقتين،  
بعد أن أومأت بإيجاب على سؤال الرجل الذي لم  
يكن سوى كاتب عدلي.

انصرف الرجل، واستدر والدها يقبل جبينها  
قائلا بخرج حاول مداراته ... (مبارك عليك يا  
ابنتي ...). ابتسمت له بهدوء، فعلت الكثير  
مما تعلمته على مر سنين عمرها كي تتقيد  
بلجامه، فسألها وهو يشير الى القفطان الأبيض

الممدد على السرير حوله مستلزماته، كالخذاء  
وحقيبة اليد والحلي، احضرتهم الخادمت  
الساهرة على خدمتها، تكاد تبكي بشفقتة  
على حالها ... (أتمنى أن ينال رضاك ...).  
لمعت بنيتها بندى رقيق كرقعة قلبها، تتوسل  
القليل ممن أضنى عليها بالكثير، فتهرب  
بأنظاره يستطرد بتوتر ... (أمامك ساعتين على  
الاکثر ... لتستعدي فيهما ...). تنفست بهدوء  
وهي تحرك رأسها باستسلام، فقال وهو ينصرف  
... (سأنادي على الخادمت كي تساعدك ...).  
رفعت ابهامها تمسد المنطقة بين عينيها تهمس  
بخفوت ... (أجل ... نادي على الخادمت ...).  
خطت بتمهل الى النافذة ورفعت رأسها الى  
النجوم الساطعات، ثم اسدلت جفنيها تسترجع

...والزفاف انا من رفضت اقامته... احترام لجد  
لم ينشف تراب قبره بعد....) ... هزت الخادمت  
راسها تبتسم بتفهم، فرج صوت البروفيسور قاع  
أفكارها....(هل تقنعين نفسك بذلك؟؟...  
ومع صدق ما قلته... هناك حلقة مفقودة  
...كل تلك الروائع التي قمت بعدها... لم  
تكفي بطريقة ما...))... هزت رأسها تنفض  
عنها صياحه، فرنت نعمة هاتفها، تناولته من  
على المنضدة، فابتسمت ترد... (أبعد صياحك  
عن عقلي لأجده في وجهي...بروفيسور كيف  
حالك؟؟)... أنتها نبرته المتسليمة يجيب  
....(مهم!!)... بما أنني كنت أصيح في عقلك  
...فهذا يعني أنك كنت تناقضين نفسك  
...وتقنعينها بشيء... لا منطقي بالنسبة  
للاوعيها...).. قلبت مقلتيها ترد بيأس... (من

ملاح والدتها ورائحة حضنها، تلاعبها،  
تراقصها، تحملها، تطير بها في الهواء، وتوشوش  
لها بهمس حنون مليء بالشغف، بالحب  
... (أميرتي الجميلة... أنا احبك... أنت رائعة...  
أنت دنياي... أنت أملي... وولمي... أميرتي  
الجميلة...))...

فتحت مقلتيها بالتزامن مع دقائق على باب  
غرفتها، واستدارت حين دخلت الخادمت  
المشفقة، لاتزال تحتفظ بملاحها الحزينة.  
اقتربت منها وامسكت يدها تقول بنبرة لو  
كان البروفيسور حاضرا، لعلم انها تحولت  
لطبيبة نفسية تقول.... (يا خالتي... لا داعي  
لحزنك... لم أحرم من شيء... لي عائلتي  
رائعة... وقبالهم جد وأم أروع... رحمهما الله

قال ... لا تطبق علي ما علمتكم إياه (؟؟) ...  
عادت تبتسم حين رد بتفزلك ... (هذا ينطبق  
علي ... هو طريق ذو مسلك واحد ...). ... ردت  
بجدل ... (بدليل ... ما فات .. ولا داعي لذكره  
...) ... سمعت زفرة طويلة، تلاها حديث هادئ  
... (لقد تعلمت يا طائعت ... أم أقول يا ابنت  
المرابط!) ... يبدو على الجبل يشد من أزرك  
... (تنفست بعمق ترد بأسف ... أنا أسفرت  
... حسنا اعترف! ... أنا متوترة قليلا ...). ... أومأت  
بيأس حين هتف بظفر .. (فعلتها من جديد ...  
وجعلتك تعترفين ... من الطبيب الأفضل على  
الإطلاق؟؟) ... أجابته بجمود مفتعل، وهي تنظر  
الى الخادمت التي تستعجلها بإشارة من  
يدها ... (أنت أفضل طبيب على الإطلاق ... إنه  
وقت قفطان الزفاف ... الى اللقاء ..). .. أسرع قائلاً

.. (هل عقد قرانك؟؟) .. تلكأت تتأمل  
القفطان الأبيض، ثم ردت .. (بلى ... قبل قليل  
..). .. صمت للحظة وجيزة، ثم قال بجديتة قبل  
أن ينهي المكالمة ... (مبارك عليك ... ولا  
تنسي ... من يكون عقله في جدل دائم ... فهو  
على طريقه الصحيح ... إلى اللقاء ...).

.....

منزل آل عيسى ....

رحمة تلك التي تجتاح صدرها كلما انسابت  
كلمات تتحول الى نسيمات دافئة ذات ملمس  
حريري، بفعل مبدع أبدع في قوله ووحيه.  
فتنسى أمر هموها متتبعته حركة شفتي

طاقة للكره، وتفاجأت من نفسها تبكي من  
أجل الفتاة شفقة، ضحية أخرى لرجل أحبته  
من قلبها، لتظل ما تبقى من عمرها نادمة على  
اختيار حاربت من أجله.

(لا شأن لك بي... ابتعدي!)... أغلقت  
الكتاب ووضعتة على المنضدة ثم قامت بعد  
ان قالت بلطف....(عن اذنك أمي.... سأرى ما  
بها!)....).... أومات لها بقلق، فتقدمت حق  
مسرعة، لتجد شمة تفرد ذراعيها، تسد الباب  
الداخلي في وجه تغريد التي تستشيط غضبا  
من فعلتها.

(أحذرك يا فتاة!... سأتصل بأخيك!...)  
التفتت حق الى تغريد التي صاحت..(اتصلي  
به.... لا يهمني!).... فقط أزيحي نفسك من

كنتها تتلو الآيات البيئات وتغوص معها الى  
معان عميقة ما كانت تفهمها حين كانت  
تتلوها لنفسها، أم هو الظلم أعمى بصيرتها.  
(لا يهمني....!!).... انتفضت حق بهلع على  
صياح تغريد، بينما أسدلت إيجرة جفنيها ياسا  
ومرار. لم تصل بعد لقرار تجاه تلك الفتاة، منذ  
علمها بوجودها وابن آخر كانت تعلم عنه من  
قبل، لم تستطع التوصل الى ماهية إحساسها.  
ربما لو لم تواجه بلائها العظيم لكنت طردت  
الفتاة من بيتها وكرهتها كما كرهت الفتى  
سابقا، لكن الآن وبعد صدماتها، لا تعلم  
كيف؟ وكأن باب فُتح على مصراعيه، ليطلق  
سراح مشاعر وأحاسيس تعدل من موازين  
حكمتها. حين أخبروها عنها لم تجد في قلبها



لك بفقدان سمعتك كما فقدت الخصلات  
الحريرية.... يا حمقاء!!... غيرك يتمنى  
الشعر الحريري ولا يجدن سوى أسلاك ... كلما  
حاولن تصفيفها ذاع الخبر بين أهل الجبل  
....أدخلي إلى غرفتك!! ...إلا أقسم برب العزة  
... سأحلق ما تبقى من شعرك لتصبحي صبيا  
بحق.... هيا!!... عادت تغريد الى الخلف،  
ترمق شمة بصدمته يتخللها بعض من الخوف....  
(اجلبي المقص في المطبخ يا حق!!...)  
...انتفضت تغريد يتأكد لها صدق شمة  
الساخطة، فأسرعت مستديرة تهتف بنبرة خفت  
علوها... (أنت مجنونته!!)... أمسكت حق بذراع  
شمة التي همت باللاحاق بها، تصيح  
بغضب... (تعالى هنا!! ... سأريك الجنون  
بعينه..... حين أدهن قرعتك بزيت الزيتون

أمامي!!... ).... ففرت حق فمها بدهشة، وهي  
تتفقد ثيابها المكونة من سروال جينز ممزق،  
ملاصق لقامتها المليئة، مع كنزة ذات فتحة  
عنق واسعة، يكاد طرفه يلامس حزام  
السروال....(يا عديمة الحياء... أقسم لو كنت  
ابنتي... لأذقتك طعم الكوي ..على كل  
طرف عريته من ستره!!)... هتفت شمة مزمره،  
فردت الأخرى وحق تمسك على صدرها من  
الخوف... (ولأنك لست امي .. لا علاقتك لك  
بي!!)... عبست شمة في وجهها، فحاولت الفرار  
من تحت ذراعها، لكن هيهات فشمة مثال عن  
الأمر الجبلية القوية والتي لا تتهاون في تربيته  
ابنته جاحدة، تهدد مستقبلها وسمعتها.  
أمسكتها من شعرها القصير، فصرخت بألم و  
شمة تنطق من بين أسنانها بغل... (لن أسمح

يحدث...وزواج اسماعيل بفتاة الله أعلم بها  
(...)... قطبت حق تجيب بعتاب... (أحسني الظن  
بالله يا خالتي... كل شيء سيكون بخير  
...ياذن الله...)... هزت رأسها تجيب بأمل.....(و  
نعم بالله.....ونعم بالله...).

في الحديقة الخفية ..

أرخت رأسه الى الخلف يحاول التنفس بانتظام،  
كفه اليمنى على بطنه يتحسس موضع ألمه،  
جالسا على الكرسي البلاستيكي. متجاهلا  
كل الصياح والشجار. لا أحد يفهمها كما يفعل  
هو، إنها طفلة صغيرة حرمت من طفولتها. كل

تحت الشمس... ثم استدعي الصبيان ليركضوا  
خافك... يصرخون.... ابن الرعطوطِ ها هو...  
ابن الرعطوطِ ها هو (!...)...\*\*الزعطوط هو  
القرد بلهجة أهل الجبل\*\*... زفرت بلهات ثم  
التفتت الى حق وهي تهمس بتعب... (لا بأس...  
لقد خافت... كنت متأكدة من جنبها... يا  
إلهي ماذا فعلوا بها كي تصبح على هذا الحال  
؟؟)... أسندتها بإشفاق، متوجّهتان الى الأريكة  
في البهو، وهي ترد... (هداها الله يا خالتي... أنا  
أخشى عليها من غضب ابراهيم... لن يسمح لها  
بخطء يمس سمعة العائلة... وهي اشعرها  
تتعهد ما تفعله... يا ربي أصلحها...)... (أمين  
.....آمين...)... غمغمت شمة وهي ترتمي على  
الأريكة، ثم استطردت... (كان الله في عون  
زوجك... الحمل ثقيل على ظهره... مع كل ما

برأس أصلع لامع... و الصبيان يركضون خلفك  
ويصيحون....).. عاد للهَرْفُفَة ممسكا ببطنه  
من الألم فاهتز بدنها تغلي من الغيظ، وهتفت  
بخفوت... (كفَّ عن سخريتك واذهب من  
هنا!!)...).. رفع حاجبه بلهو، يسأل... (ولماذا  
تتحدثين بخفوت؟؟... أين صوتك يا ابن  
الزِعْطُوط؟؟)... (أيها ال!!)... تراجعت عن  
صياحها تتلفت حولها بقلق، ففتسع بسمته قائلا  
بتفكه.... (أرجوك.... انا غير قادر على  
الضحك... آه يا ربي...).. زمت شفثيها بعبوس،  
تهز كتفيها باستخفاف... (لما أضيع وقتي  
معك؟؟... اذهب إلى الجحيم...).. استدارت  
لتغادر، فقال بتهديد هادئ... (سأصرخ باسم  
الخالته شمته... فتجدينها في وجهك على الباب  
الخارجي....).. ... تسمرت مكانها، فاستطرد

ما تحتاجه هو تحسيسها بكونها ابنة، مسؤولة  
من شخص يهتم بها، وبطريقة ما، فعلتْ الخالته  
شمته، حققت هدفها، في اعتبارها طفلة صغيرة  
تُعْنَف على تهورها. لكن إن صدق احساسه  
وتصرفت كما يجب على طفلة متهورة أن  
تتصرف!!)... أسدل جفنيه مبتسما، وهو يسمع  
وقع خطواتها المتسللة على الدرج الحديدي  
الخلفي. ثم رفعها يقول بتسليته... (يا ابن  
الزِعْطُوط!!)... انتفضت بهلع وهي تستدير  
تجاهه. و نَشَعَتْ ١ ` ثُمسك على صدرها، ثم  
قالت بحنق... (ماذا تفعل هنا؟؟)... فتح فمه  
مُهْرِنْفًا ٢ ` ورأسه لايزال مرخيا الى الخلف على  
ظهر الكرسي، فاقتربت منه تستطرد بسخط  
... (ما الذي يضحكك؟؟)... نظر إليها بمقلتين  
ناعستين يرد بنبرة وهنت، ساخرة.... (أتصورك

بنبرة رائقة والبسمة المتسلية لا تفارق ثغره  
... (فأنا متلهف جدا .... لرؤية ابن الزعطوط ذو  
الرأس الصلعاء اللامعة ....) .. عادت أدراجها  
وتوقفت على رأسه ترمقه بغيض، فقال بنفس  
تسليته ... (لما أنت غاضبة؟؟ .... شعرك  
وتكرهينه على أي حال .... وقد واتتك  
الفرصة كي تتخلصي منه نهائيا ... على الأقل  
ستحظين بأوقات مرحية ... والصبية يلاحقونك  
ضاحكين ... لاهين ...). لا زالت تتنفس  
بغضب، وهو يردف رافعا كفه في الهواء يتساءل  
... (اللعب؟! ... اللهو؟! ... هل تعلمين عنهما شيئا  
؟! ..) .. ضربت رجلها بالأرض، تقول بانفعال قبل  
أن تستدير عائدة الى غرفتها ... (مجانين؟! ...  
جميعكم مجانين؟! ...). ضحك بنبرة علت  
قليلا، وهو يهتف ... (أنا سأقضي الليلة على هذا

الكرسي .... فلا تتعبي نفسك مرة أخرى  
... (.... التفتت إليه وهي على اول درجة، ترد  
بحنق طفولي .... (يا ناعم؟!)) ... نظرت تجاهها  
يرد بطفولية انعشت قلبه .... (يا ابن  
الزعطوط؟!)) ... زمجرت بغضب وهي تتساق  
الدرج، بينما هو يعود للهنفنة.

١' ... تنفست الصعداء.

٢' ... صوت الضحك الضعيف.

.....

منزل عمر الرزقي ....

قسمت السيدة أمينة الخبز الى أطراف صغيرة،  
وفرقته على أفراد أسرتها المجتمعين حول مائدة

تحول المشاهدين من مراقبين إلى مقطبين  
بريبتا، من تغير مسار الحديث الى شخصي،  
ليسترجع كل واحد منهم أحاديثها مؤخرا  
كلها تدور حول شخص واحد...المفتش طارق  
... (أنا سنفوره؟؟... انا لست قصيرة...بل هو  
العملاق...ساقيه لحالهما بطول ناطحة سحاب  
....ذلك ال...)... بترت كلمتها ووالدها يسأل  
بحيرة... (على فكرة يا براء..لما كل  
اخبارك حول الجرائم؟؟... لما لا تبحثين عن  
اخبار أخرى تهم الجبل أيضا ولا دخل لها بعمل  
الشرطة؟؟)... تلكأت قليلا مستغربة من سؤال  
والدها، ثم ردت بثقة... (هل لاحظت كم  
زادت نسبة المتابعين منذ أن بدأت بنشر أخبار  
عن الجرائم؟؟.... الناس يا أبي..يتشوقون  
أكثر حين يكون محور المواضيع المذاعة

الطعام. و الوحيدة التي لا تعرف للسكوت  
سبيل هي براء... (إنه عنيد.. لا أعلم لما  
يمنعني من متابعة القضية؟.... أليس أمرا مهما  
يخص الجبل؟؟.... إذن من حق أهل الجبل  
معرفة أخبار تخصصهم...وهكذا سيسهل الإيقاع  
بالمجرم..)... الجميع يراقبها، والديها بشغف  
لابنته يفخران بها ويخشيان عليها، وحفصة  
بإعجاب يتضاعف كل يوم وإن أسرت بعض  
التحفظات، لا تستطيع، مهما تأثرت بها، أن تصل  
الى مستواها. بلعت براء اللقمة كي تستأنف  
حديثها الذي لا ينتهي... (ويقف بكل ضخامته  
وعجرفته يهددني...)... ضمت بين شفتيها  
وأثخنت من نبرة صوتها تقلد طارق... (أحذرك  
....إياك وعنادك... ليس هذه المرة...يا  
سنفوره..)... ثم أكملت بحنق دون أن تلاحظ

حفصة بعتاب، وهمست لها بعد أن استفردت بها  
في المطبخ....(كيف توافقهما على منعي من  
عملي؟؟ ...).. ابتمت حفصة بمرح لم تعرفه  
سوى بمعرفة عائلة السيد رزقي، ثم قالت  
....(وهل تحتاجين لمساند؟؟... ما شاء الله  
....أنت حلف ناجح بمفرد .....)... نفخت براء  
رئيتها بتكبر مفتعل، تومئ براسها ويديها  
بشكل مسرحي وهي تجيب... (شكرا  
لسيادتكم ....شهادة أعلقها وسام على صدري  
المنفوخ....).. انفجرتنا ضحكا، في موقف  
أصبح عادة بين الصديقتين، أو بالحرى أصبح  
عادة مستجدة على التي لم ترى في حياتها سوى  
الضنك.

فيها حركة و ترقب... تحاليل و افتراضات ...  
ولو قبل ذلك المتعجرف مشاركتنا بالمعلومات  
....لكنت قمت بعمل غير مسبوق في  
البرنامج...).. تدخلت والدتها توافق زوجها  
..(لكن حبيبتي ... الأمر خطير...و المفتش  
محق في ابعادك عن قضاياها .....)... عبتت  
تدافع... (المفتش و محق؟؟... لا يجتمعان  
عندي في جملة واحدة أمي....هناك قانون  
يحمي الناس... لن نخاف من تهديدهم  
الجائر..)... استنكرت حفصة بتهكم  
... (بلى... كالجثة التي وجدوها في مصالحة  
المياه...).. هز والديها رأسيهما بقلق وتأكيد،  
بينما يقول والدها بتحذير....(المجرم لا  
يخشى قانونا ولا شرطة...فما بالك بفتاة ....  
احذري بنيتي ...أنا أخشى عليك ...).. رمقت

(يا سلام .... على من كل هذا المرح؟! ... هل هو  
المفتش المسكين؟؟ ...).. توقفت براء عن  
الضحك، تقول بامتعاض .... (مفتش  
ومسكين؟؟ ... أمي..... أنت تجمعين بين  
مفردات ... بينهما بُعد المشرق عن المغرب...)  
هزت رأسها بيأس وهي تأخذ صحن فواكه قائله  
... (اتبعاني إن أردتما الفاكهت...).. نظرت  
حفصة الى براء تسأل بمكر .... (لما تكرهين  
المفتش ... الذي ليس لا محق ولا  
مسكين؟؟).... خطفت من يدها الصحن  
المغسول لتجففه، تجيب بحنق ... (لأنه جلف  
غليظ .... لا علاقة له باللباقة ....).. زمت  
حفصة شفيتها ترد بتمهل ... (مهممم ...  
غير لبق ...).. هزت رأسها بتأكيد فسألت  
حفصة مجددا .... (إذا كان جلف .... فابتعدي

عن طريقه ....).. قطبت تفسر بان دفاع .... (لا  
استطيع!!) .... قوست الأخرى حاجبها ترد  
بدهشة ... (لا تستطيعين؟؟) ... تنحنت تقول  
بتوتر .... (أقصد لا أستطيع فقدان مصدري  
الوحيد للمعلومات...).. عادت حفصة ترد  
بريبة ... (مهممم ... لا تريدن فقدان مصدر  
معلوماتك!) ... رمتها بمنشفة المواعين،  
تهتف بغيض ... (ما بك؟؟ ... ماذا تقصدين  
؟؟).... هزت كتفها بخفة ترد ببراءة مزعومة  
.... (أبدا لم أقصد شيئا ....لما؟... هل من  
المفروض أن أقصد شيئا ما؟؟؟) ... ضمت براء  
جانب شفيتها السفلى تقضمها بتمعن، ثم ردت  
بحنق مفتعل، وهي تنسحب .... (أصبحت مستفزة  
يا حفصة ...).. أكملت حفصة إعادة الأطباق  
وهي تبتسم بحنو، براء في طريقها لمشاعر لم

هي زوابع تموج بها وبعقلها، لكنه أمرا واحدا  
تأكدت منه. غياب ياسين خلق لديها فراغا  
ألقى الى سعيها مزيدا من الحطب، لتتأجج  
النيران بشوق أضنى قلبها.

.....

منزل المرابط..

بسط الحاج أحمد يده لحفيدته المرافقة  
لوالدها، فاستجابت له باسمته بثقة، لمحها  
طبيب النفوس المترقب، مع قفطانها الأبيض.  
... (مبارك عليك حفيدتي ... اعنتي بنفسك  
و بزوجك ... ولا تنسي هنا بيتك و بيت  
أهلك ...). صاحب كلماته بنظرة ذات معنى،

تعرف هي عنها شيئا من قبل، فالمفتش حاضر  
في افكارها، فارض نفسه في كلماتها  
وسكناتها، حتى إن لم تعلم بعد ماهية  
شعورها. توقفت للحظة ساهمة تتساءل إن كان  
ما في بالها كما يحدث مع براء. ذاك الذي  
فرض نفسه عليها بحضوره الخفي، يظنها لا  
تشعر به وبما يفعله من أجلها، لكنه الخوف  
اللعين يجعلها ترفع ألف سد وسد. غارقت في بئر  
جحيمها. عِدَّة لم تنتهي بعد، وكوابيس تحوم  
حولها تعدمها الراحة، والد لازال يبحث عنها لا  
تعلم ماذا يريد منها؟! أليست بلائه الذي تمناه  
أن يزول من على ظهره حتى لو بالقتل  
والتعذيب؟! أليست حملا ثقيلًا تمنى اختفائه  
من حياته؟!.



فتح لها الباب الأمامي لسيارته، بعدما غمزه  
عيسى وهو يلحق بجده و شقيقه الأكبر في  
السيارة الأخرى.

راقبهم زكريا بوجوم يشعر بقنوط يحيط  
بقلبه، لا يعلم سبب حزنه من فقدان ابنة يريد  
تعويضها على ما فات، لكن الزمن لا يمهل.  
أجفل على ربه من يد والده يقول بحنو... (لا  
تخف عليها بني...إنها فتاة قوية...). نظر الى  
والده يقول بحزن أصابه بغم... (لقد ظلمتها يا  
أبي...وأشعر أنني لا أزال أظلمها...).. اكتشف  
زكريا انه يبكي، حين مسح والده طرف  
مقلتيه يقول... (قرار زواجها من ابن آل عيسى  
...قرار حكيم... لا تستعجل... فالأقدار طوع  
يدي الحق...يا بني...).

فأومات له وقبلت رأسه. سحبها زكريا يحثها  
لتتقدم ويعرفها على باقي أهل زوجها قبلت يد  
الحاج ابراهيم، وألقت تحية خافتة رغم ثباتها،  
فلقيت قبولا ألقى ببعض الطمأنينة في قلوبهم.  
وقفت أمامه ووالدها يقول له موصيا... (اعتني  
بها يا بني...إنها أمانتك...). هز رأسه مبتسما  
برسمية، فالتفت إليها ناظرا بعينيها يقطب  
بخفة احتارت لها. ثم غمغم بخفوت... (مبارك  
عليك...يا دكتورة...)

.... ارتفعت زاوية ثغرها الزهري بشبه بسمت  
تردد... (بارك الله فيك...يا دكتور...)  
رفع حاجبه يبصرها بتفحص فابتسمت بحياء،  
جعله ينتزع مقلتيه من عليها يشير لها لتتقدمه.

## منزل آل عيسى ...

أسرعت شمة حاملة الصينية الفضية، لتستقبل  
بها العروس الجديد على الباب الداخلي، ترافقها  
حق الباسمة بسرور صادق. تقدمت طائعت  
تشكر الله على وصولهم بعد رحلة قصيرة  
جدا كلالها الصمت والبرود، تحاول التهرب  
بتفحص الحديقة و شكل البيت الهندسي،  
لتجد امرأة خمسينية بشوشة ترتدي قفطان  
عليه تنورة واسعة تقليدية ترتديها النساء أثناء  
الخدمة المنزلية، كي تبقي القفطان نظيفا.  
جوارها فتاة اصغر منها هي سمحة الملامح،  
حيية المَحْيَا ترتدي هي الأخرى قفطانا أزرق  
كلون طرحتها... (تفضلي بُنيّتي ...سمي الله

وخدي تمرة... ثم اللبن ..) قالت المرأة  
الخمسينية بلهاث وكأنها كانت تعدو،  
فابتسمت لها واخذت الثمرة. همت بأكلها  
فهتفت شمة... (لا ...أطعمي زوجك ...)  
توترت تلتفت الى اسماعيل الذي رمق الخالته  
بلوم، حثته بنظرها الزاجرة، فالتفت الى  
الأخرى بجانبه يفتح فمه بضجر. قربت يدها  
بتردد من فمه وهي تراقبه بتمعن، لتتعلق  
نظراتهما ببعض، قبل ان ينتفضا على زغرودة  
الخالته شمة. فعلت المثل باللبن، وجاء دوره هو  
ليطعمها ويسقيها اللبن، وشقيقه يراقبان مع  
منصف والجد بضحكات مأكرة. سحبتا  
الخالته مقبلتا اياها برحابة، وهي تعرفها على  
نفسها، وعلى حق التي قبلتها برقة، تبارك لها  
بلطف جعلها تنفذ الى قلبها رأسا. سأل ابراهيم

من أجلنا ... وتركك لبيتك...)) ضحكت  
بخجل تربت على كتفه معاتبته ... (انتهم ابنائي  
كذلك ... وأدعو الله أن يصلح من حالك و  
حال اخوتك ... ويشفي والدتك بإذن الله ...))  
أمن على دعواتها، ثم طلب منها المبيت نظرا  
لتأخر الوقت. ضم إليه زوجته وهو يغلق باب  
غرفته، يقول بتعب ... (الحمد لله ... مر كل  
شيء على خير ..)) ... أسرع تجلب له منامته  
فأمسكها شاكرا، يستفسر ... (هل رأيت تغريد  
؟؟) ... بلعت ريقها تتوتر كما العادة حين تريد  
التهرب من الرد، ولا تستطيع، فتشعر بنفسها  
عالقة بشفافيتها لمن يحدثها. ألقى بالمنامة  
على السرير، واقترب منها يخفي بسمته قائلا  
وهو يحضن ذراعها ... (ماذا فعلت الآن ؟؟) ...  
لا زالت تتهرب بمقلتها، فتبث وجهها بيده

زوجته عن والدته يقول ... (كيف هي امي  
؟؟) ... ردت بإشفاق ... (انتظرتكم ... لكنها  
تعبت بعد أن اسقيتها الدواء فنامت ...)) .. هز  
رأسه قائلا يقصد شقيقه ... (خذ عروسك الى  
غرفتكما يا اسماعيل ... وأجل تعريضا على  
والدتنا الى الغد بإذن الله ...)) ... أوما موافقا  
وأشار لها من جديد لتتقدمه.

انسحب جدهم بعد أن ألقى تحية المساء،  
وكذلك فعل عيسى الذي طلب من منصف  
المبيت تلك الليلة بمناسبة زواج شقيقه،  
فقبل فقط من أجل مراقبة ابن الزعطوط حتى  
لا تقوم بتصرف أرعن يخرب المناسبة.

قبل إبراهيم رأس الخالة شمة يقول بامتنان  
... (شكرا لك يا خالتي ... أقدر لك ما فعلته

بين الأمرين، ثم نظرت إليه بعد ان اتخذت  
القرار، لتتسع بسمته متوقعا خيارها من احمرار  
وجنتيها الحار... (أح .....أحبك...)... أطرقت  
برأسها فعاد يرفعه متأملا ملامحها العزيزة على  
قلبه، يهمس بحب ذابت له الحنايا في جوفه،  
فأصبح الجفاء حمما ذائبة تسيل بحرارة حارقت  
....(واحد !!)....تلكأت قليلا وقد تعلق  
مقلتيها بأنظاره العاشقة، ثم همست ....(أحبك  
...)... التقط شفتيها في قبلة شغوفة، يمسكها  
بإحكام لتظل من أطرافه. أزال طرحتها دون أن  
يظلم شفتيها يبتها حبه بعملية، ثم أبعدها  
يلهث هامسا ... (قولها من جديد ...)... همست  
بها لكن حروفها انتهت داخل ثغره، لتتحول  
المشاعر إلى عاصفة التهمتها بتناغم انستهما

ممسكا بذقنها، يستطرد بمرح ... (أخبريني  
حق...)... زمت شفتيها بعبوس تقول بإشفاق  
....(أرجوك ابراهيم ...إنها فتاة صغيرة ...تائهة  
...ستتعقل بإذن الله ...فقط أمهلها بعض الوقت  
...)... سحبها يلاصقها به قائلا بمكر ... (أنت  
تتهربين من سؤالي ... حسنا أنا سأقبل بتهربك  
إن فقط فعلت شيئا ما ...)... ابتسمت بلهفة  
ترمقه باستفسار، فقال بجرأة اكتشف مدى  
حلاوتها برفقة زوجته.... (قولي أحبك  
...ثلاث مرات ...)... احمرت تحاول الفكاك  
من بين ذراعيه، فضحك ببهجة تجر صدره،  
يردف ... (لا .... لا فكاك من الأمر... اختاري  
أيهما أهون ...ما فعلته تغريد وتريدين اخفائه  
....أو كلمة أحبك من بين شفتيك ...ثلاث  
مرات ...)... سكنت ترفع مقلتيها وكأنها توازن

وبترتيبها و ألوانها الدافئة بين الأحمر  
والبرتقالي.

أفضل الباب محاولا الحفاظ على بروده، لا يريد  
لتوتره أن يطفو على صفحة وجهه. راقب تأملها  
للغرفة، فقال بهدوء... (يمكنك تغير ما لا  
يعجبك ...). ... أجملت تنظر إليه، فردت باسمته  
برسميته... (لا أريد تغير أي شيء ...)

.... زفر بتعب ثم أشار إلى كرسيين خشبيين  
بينهما مائدة من نفس الخامة، يقول... (تفضلي  
من فضلك يجب أن نتحدث ...). لمحت الطاقم  
في الركن الآخر من الغرفة، ثم مشت إليه  
وجالست على أحدهما. تنفس بخضوت وخطى هو  
أيضا ليجلس أمامها. حل عليها الصمت  
واسماعيل يبحث بين الكلمات ما يناسب نيته،

ما حولهما، متفوقعين داخل جنتهما مكانهما  
الخاص بهما وحدهما.

.....غرفة اسماعيل ....

توقف بلباقة كعادته ينتظرها لتتقدمه،  
فدخلت تسم الله في سرها، خطوات ثم سكنت  
تتفقد الغرفة من حولها، أثاث من صنع محلي،  
تقليدي بدرجة أولى. تنفست بعمق وقد  
اشتبكت احساسها بدفيء المكان، فاستغربت  
شعورها بالألفة التي تسللت إلى قلبها، ولم  
تحظى بها غرفتها العصرية الفخمة في بيت  
والدها. ليس ان تلك التي تقف وسطها ليست  
فخمة، هي كذلك، لكن برونقها الخاص،

وجهه تستطرد ....(ماذا تريد قوله دكتور؟؟...  
هل ندمت على الزواج بي؟؟... بماذا تشعر  
بالضبط؟؟).. رفع كفه إشارة للتوقف، يرد  
ببرود استولى عليه... (من فضلك ....دكتورة  
.... لا تتقمصي الدور هنا ...لست مريضك...)  
ابتسمت بخفتة ترد ... (صدقني لا أحسبك  
مريضا أبدا ...أردت تسهيل الأمر عليك ...لأنني  
أرى أمرا عظيما تريد قوله دون احراجي ...فما  
هو؟؟...أستطيع تقبل أي شيء... لا تقلق)... هز  
رأسه يقول ببعض الحنق ... (جيد إذن دكتورة  
.... أردت اخبارك بأنني لن اقربك كزوجة  
...حتى نتعرف على بعضنا .... ونمهل لنفسي  
وقتا كي نألف بعضنا ....).. رغم الاحمرار  
الذي علا وجنتيها، إلا أنها تحدثت بثبات ترد  
... (أنت محق ....وأنا موافقة ...).. هز رأسه

بينما هي منتظرة بصبر لم يَطل حتى قالت  
بهدوء ... (لا داعي لانتقاء الكلمات دكتور...  
فقط قل ما لديك ...)

نظر اليها مستوحشا يريد سبر أغوارها، يعلم  
بمشقة ذلك فهي طبيبة نفسية، وسيكون  
عليه بدل مجهود مضاعف كي يتفهم ما خفي  
ببراعتها، أوليس هو كذلك؟!

تنحج بعد برهة بهدوء يقول ... (تعلمين ان  
زواجنا تم بشكل مستعجل ودون سابق معرفة  
....) ... ابتسمت ببرود لم يتخلله تهكم رغم  
حضوره القوي في المعنى، تجيب ... (بلى  
....زواج لتبادل المصالح ...).. زفر بحنق، إنها لا  
تسهل عليه الأمر. مالت الى الأمام قليلا في  
جلستها، كأنها تحاول استشفاف نيته من ملامح

متين. الزواج مؤسسته مقدسه ومسؤوليته قليل  
من يعلم خطورتها في بناء مجتمع طبيعي واعي.  
تلكاً ينظر الى السرير للحظة ثم هز كتفيه  
يختار نفس الجهة التي ينام عليها. خرجت من  
الحمام تحمل القفطان بين يديها، ترتدي  
قميص نوم أبيض طويل عليه مآزره، لا يظهر من  
جسدها شيئاً، حتى رأسها وضعت عليه شالا  
مرخي. التفتت اليه تسأل باهتمام... (ألن تصلي  
بي ركعتين؟... عسى الله يبارك لنا حياتنا  
معا... )... تحرك من مكانه موافقا، فبحثت  
عن السجادة، لتلمحه قد جلب اثنتين وفردهما  
على الأرض. صلى بها واقتربت منه ونظر إليها  
مستفسرا.... (الدعاء؟! )... رفع راسه متذكرا  
فابتسمت بلطف.

فاستطردت بمكر أخفته، وهي تتلقت حولها  
... (أين ستنام ؟؟) ... قطب بحيرة يرد... (على  
السرير؟! )... قوست حاجبها تقول باستغراب  
أجادت ادعاه.... (أين لباقتك دكتور؟... وأين  
سأنام أنا ؟؟) ... فهم عليها فقام قائلاً بتهكم  
.... (نحن راشدين كفاية دكتورة ... لنضع ما  
يخصنا بيننا... الحمام من هنا... إذا أردت تغير  
ثيابك... )... ضمت شفيتها كي تخفي  
بسمتها، وأومات وهو يفتح باب خزانته يسحب  
منامته، وانتظرها بصبر الى أن أخذت من  
حقيبتها ما تحتاجه وتوجهت إلى الحمام. غير  
ثيابه يفكر في أمر زواجه، ومدى حكمت  
تأجيل إتمامه. تنفس بعمق وهو يزيل نظارته،  
يجب عليه التمهّل كي يبني علاقته على أساس

أطفأ النور بجانبه، غير غافل عن حضورها  
القوي بعطرها الهادئ، وحفيف رداؤها. كلاهما  
على ظهريهما يرمقان السقف رغم عدم ظهور  
نقوشه بسبب الظلام، وأنفاسهما منتظمت  
ظاهريا، عكس ما يموج داخلهما من ترقب  
وتمحيص للافتراضات. مالت على جانبها تدير  
له ظهرها، فالتفت ينظر إليها، يسأل بهدوء  
....(هل لي أن أسأل سؤالا؟؟).... تحركت  
تستدير نحوه، فلم يتبين أحدهما الآخر جيدا،  
ولم يبقى سوى تحليل الرد وتردد النبذة  
....(طبعا يمكنك....) ... لاحظت عليه عادة  
التمهل في استجلاب الكلمات، فتجاهلت ذلك  
مركزة على ما سيقوله... (لما وافقت على  
الزواج بي؟؟).... تلكأت قليلا ثم سألت بدل  
الجواب... (ماذا تعلم عن علاقتي بوالدي؟؟)...

لم ترى بسمته الجامدة، في الظلام يرد بهدوء  
....(ليست كعلاقته بأختك....) ... وأدت  
بسمته الخفية حين قالت بتلقائية هادئة  
أيضا... (لكنني لم أحاول الانتحار مثل أختي  
...)(... سأل بعجالتا... (هل تعلمين سبب محاولتها  
؟؟) ... ترددت وهي تقول... (ليس تماما...)  
سكن فعبست، لقد علم جهلها عن الموضوع  
ولن يفيدها، لا بأس ستعلم بطريقة أو بأخرى.  
....(لم تجيبي عن سؤالي... .. نطق، فقالت  
معترفة....(والدي طلب مني طلبا ليس بحرام و  
لا خاطئ....وأنا وافقت....) ... انتظرت حديثه  
فطال صمته، واستطردت تستنطقه....(لا بد  
أنك تحب أخاك كثيرا... كي تتزوج من  
فتاة لم ترها من قبل....) ...حافظ على صمته  
لبرهة قبل أن يقول باقتضاب... (بلى....أحبه



## الفصل الثاني

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديقٌ  
صدوقٌ صادق الوعدٍ منصفاً... الإمام الشافعي ...  
ركض إسماعيل يلهث خوفاً، إنها صرخة من فم  
والدته، هو متيقن من ذلك. دفع باب غرفتها  
دون أن يلاحظ كونه مفتوحاً، ليجد والدته  
في حالة فوضى. شعرها قد نزعت من عليه  
طرحتها، والغطاء مرمي على الأرض، ترتعش  
خوفاً نضحت به مقلتيها الجاحظتين، أنفاسها  
في تلاحق ابيضت لها سحنة وجهها. أمسك  
رأسها بين يديه يقول بقلق.... (أمي.... اهدئي  
..أنا هنا... ما بك؟؟)... ناظرته بنفس  
الجحوظ دون أن تقوى على النطق بحرف،  
ليأتيها هتاف عيسى الذي لحق به هو الآخر

...كثيراً)... قطبت تفكر في نبرته التي  
بردت، بعكس اعترافه الدافئ. يبدو أن حياة  
الدكتور مليئة بالغموض، ويجب عليها التحلي  
بالصبر وطولت البال.

عاد الصمت ليضيف من برودة الأجواء حولهما،  
فسحبت طائعة الغطاء الى حدود دقتها، وهمّ  
بسؤالها إن كانت تشعر بالبرد، لينتفضا معا  
على صوت صراخ. قفز من سريره وطائعة من  
خلفه تفتح فمها لتستفسر، لكن اسماعيل قد  
نطق وهو يهرول بهلع.... (أمي!!!).

.....

يضمر والدته من الجهة المقابلة... (ما الخطب  
أمي؟... لما صرخت؟؟).... لازالت ترتعش لا  
تقوى على فعل شيء سوى الخوف، بل الارتعاد  
رعبا.

كان آخر الواصلين ابراهيم، الذي هتف بحزم  
من منظر والدته الفوضوي... (ما الذي حدث هنا  
بحق الله؟؟)... انتبه الجميع الى الغطاء على  
الأرض والخالت شمة التي جمدها الصدمة قبل  
برهة، بجانب طائعة المتسمرة هي الأخرى قرب  
المدخل دون أن تجرؤ على التحرك.... (دعوني  
أرتب طرحتها... )... انكمشت تحت ذراع  
اسماعيل فاندeshوا من تصرفها، ونظر الأخير  
الى شمة بمعنى أنه سيقوم بذلك. راقبت  
طائعة حركات زوجها المراعية لوالدته، يرتب

شعرها بروية ثم يغطيها بالطرحة ليعود ضما  
ايها تحت ذراعه بحنو وحماية، مسح ابراهيم  
على وجهه بحيرة يسأل وهو يقترب من أمه يربت  
على جانب وجهها بلطف... (ما بك أماه؟؟... لما  
صرختي؟؟... لقد أرعبت قلبي... )... فتحت  
فمها وحاولت بحرقته ان تحكي عن مصابها،  
لكن الرعب أضاف الى لسانها أوزان مضاعفة  
ففقدت حتى حروفها التي نجحت في نطقها  
سابقا، لتعود وتفضل فمها بخيبة وحزن مرير.  
نظر ابراهيم الى شقيقه الذي أوما بقلته حيلته،  
لتتدخل حق ترمق زوجها تسأله الاذن... (لما لا  
تعودون الى غرفكم ! .... سأبيت الليلة معها  
..وأقرأ لها القرآن إلى أن تنام... )... صمتوا  
مترقبين ردا من إيجه الساهمة، ليجيب ابراهيم  
موافقا .. (حسنا ... ابقى معها... قد تخبرنا شيئا

ارتكبتة، ثم قال بحزم... (من فضلكم عودوا  
الى غرفكم....أنا من سينام جوارها...)  
رمقوه بريبة فأوماً مؤكداً يستطرد... (ستكون  
بخير بإذن الله....تفضلوا ..) ... زفر ابراهيم  
بخفوت ثم قبل رأس والدته، يشير لحق ان  
تتقدمه، ففعلت مثله تقبل حماتها بحنو مشفق،  
ليتبعهم عيسى غير متأكد من رغبته بترك  
والدته. خرجت شمة هي الأخرى، فبقيت  
طائعة لحالها متجمدة ترمق اسماعيل الذي عاد  
يبادلها نظرتها المتسائلة بأخرى قاسية، لتهز  
برأسها مستسلمة، تعود الى غرفتهما.  
تحدث الجد المنتظر على باب غرفة كنته،  
يسأل حفيده... (ماذا بها يا بني؟؟) ... ربت على  
كتفه يجيب بهوادة... (لا تقلق جدي... كل

بعدها تأخذ قسطاً من الراحة... )... هم  
اسماعيل بالنهوض في نفس اللحظة التي هتفت  
فيها شمة بسرور كي تغير من كآبة الجو،  
وهي تشير الى طائعة الجامدة مكانها  
....(أنظري إيجت...إنها كنتك الجديدة  
....أليست جميلة؟؟)..) ... حثتها على التقدم،  
لكنها عادت خطوة الى الخلف بدل ذلك،  
ترمق حماتها التي عاودتها نوبة الرعب تمرغ  
وجهها في صدر اسماعيل، وهي تنشج بنحيب  
خافت مريز، حتى ان ابراهيم وعيسى وحتى حق  
قد خلعت قلوبهم خوفاً من منظرها، واجتمعوا  
حولها كل يلمسها من جهة مهادئين.  
رفع اسماعيل رأسه يرمي طائعة بسهام ناريت،  
ارتعد لها قلبها، تتساءل ما الخطأ الذي

شيئ سيكون بخير..).. استسلم له، وخطى عائدا الى غرفته. بينما منصف يومئ لإبراهيم وهو رابض أسفل الدرج مستحيا من الدخول الى غرفة والدتهم، فقال الأول بوجوده له و لأخرى تقف جامدة أعلى الدرج... (كل شيئ بخير... عدا إلى غرفتيكما ...). التفت منصف إلى تغريد، التي اكتشف وجودها توا، تراقب مرور أخيها وحق التي ابتسمت لها بحزن، ثم استدار الى عيسى الجامدة ملامحه يقول بقلق... (لا نعلم لما صرخت....). صمتا حين لمحا طائعت التي هرولت من أمامهم تعالي الدرج بسهو واجم، فعاد منصف يرمق صديقه بتساؤل، أجابه الأخير بهزة كتف، ثم سحبه تجاه غرفتيهما، لكن منصف أدار راسه، ليرمي الأخرى أعلى الدرج بنظرة حيرة من ترقبها المتوتر.

وقفا أمام غرفته فقال لعيسى باعتراض... (لما لا تحدث أختك عيسى؟.... أظنها خائفت... ألم تلاحظها أعلى الدرج؟؟)... اشتدت ملامح عيسى بسخط يرد بنفور... (منصف... لا تضغط علي... تصبح على خير...). راقب ابتعاده، فعاد أدراجه ليجدها لا تزال مكانها منهمكتة في التفكير، تحدث بهدوء دون أن يعتلي الدرج إليها قائلا.... (لا تخافي... أظنها رأت كابوسا...). نظرت إليه لوهلة لا تراه حقا، ثم هزت كتفيها تقول بعدم اهتمام.... (لا يهمني...). ابتسم منصف هامسا لنفسه قبل أن يتوجه الى غرفته... (هكذا أفضل...). بينما هي تقفل عليها باب غرفتها بالمفتاح تفكر هل تخبرهم بما لمحتة؟؟. قلبت مقلتيها بضجر تهمس بسخط... (لن يصدقوني.. إن كنت

أظنه من أثر الجوع... يجب أن أكف عن عادة التسلسل الى المطبخ ليلا (...).

اندست طائعت تحت الغطاء ومقلتيها في اتساع ساهم، كلها حيرة مما حدث، ما علاقتها بمصاب حماتها؟ لما رمقها باتهام؟ هناك أمورا تجهلها، كيف ستواجه غموضا لا تفقهه؟ يجب ان تحدثه صباحا، يجب ان تستفسر منه. هناك فرق بين بناء حياة مع شخص لا تجمعها به أي رواسب من الماضي، وآخر يحمل لها مشاعر مسبقة لسبب مجهول. تنفست بعمق ثم زفرته أعمق، لمرات عدة وهي تسبح لله كي تستعيد تبات أعصابها.

حط اسماعيل برأس أمه على المخدة بروية، بعد ان راحت في النوم أخيرا، مع أنها تنتفض

خوفا كل حين من نعاسها. أرخى عنقه على مسند السرير يسترجع ذلك اليوم الذي علم فيه الحقيقة كاملة. يومها حاول الاستفسار من والدته عن مدى صحة شكوكه، لتهز رأسها ايجاب على كل كلمة نطق بها، فيتأكد من تورط صباح في كل ما حدث مع شقيقه وزوجته ومعهم في النهاية. زفر يمسح أسفل مقلتيه، يفكر في الأخرى القابضة في غرفته، تلك التي أصبحت زوجته وعلى ذمته. لا ينكر انجذابه لشخصيتها قبل ملامحها شاكرا لربه عدم شبهها بصباح، كما لا ينكر نفوره من مجرد قرابتها من التي رفضها بكل كيانه بما تحمله من شر وعلل. كان من الممكن أن يتجاوز مسألة حبها له المرضي، بل كان ليتنازل كي يعالجها، لولا ما فعلته مع شقيقه و

أمه، وأخيرا كانت ستقتلهم جميعا وباسم  
والدته. أجفل من انتفاضة الأخيرة فعاد يربت  
على رأسها بحنو.

.....

صباح اليوم التالي...

استيقظت على طرقات هادئة، فتلفتت حولها  
تتذكر مكان وجودها، مسحت على وجهها،  
فتنبهت لصوت الطرقات مرة أخرى، وتحركت  
من السرير تسوي الطرحة على رأسها. فتحت  
الباب فوجدت حق تبتسم لها بحنو قائلته  
بخفوت... (أعتذر عن ازعاجك ... لكنك  
تأخرت في نومك ... فطلبت مني الخالة شمة

الاطمئنان عليك ...)... قطبت طائعت بحيرة  
من أثر النعاس، ثم ألقت نظرة إلى الساعة،  
لتتسع مقلتيها تقول بدهشة... (لقد نمت  
كثيرا .... لم أشعر بنفسي ...)... اتسعت بسمته  
حق تقول بلطف... (لا بأس ... انت عروس بارك  
الله لك ولزوجك ... وورزقكما السعادة و  
الذرية الصالحة ...)... تسلل الدفء الى صدرها  
وبادلتها بسمته حقة، ترد بامتنان... (أمين  
.... أشكرك يا حق ...)... هزت الأخيرة رأسها  
تقول... (هل تريدن الافطار هنا؟؟ ... أم تنزلين  
الى غرفة الجلوس؟ ... بما أن أخي اسماعيل  
ليس في البيت...)... سألتها بريبتة .. (اس...  
أقصد الدكتور ليس في البيت؟؟) ... أو مات حق  
ترد... (لا ... لقد غادر مع إبراهيم... ما رأيك؟  
يمكنني إحضار الطعام هنا... ) ... أو مات بسلب

المشفى... القسم النفسي .

انتصب على مقعده ببدلته الأنيقة، عليها  
معطف يوازيها أنيقة. يرمق طبيب النفوس  
بمقلتين رغم غوارهما لا ترتعد فيهما الحدة.

\*الملاحظات\* تدهور عضوي .... تماسك  
ظاهري .... لوم الذات.

(كيف حال صحتك؟؟) ... هز رأسه وهو يالصق  
كفيه بأعلى ركبتيه، يقول ببسمة  
باردة... (الحمد لله ...أفضل مما يجب أن يكون  
عليه ...) ... انتظر اسماعيل قليلا ثم تحدثت  
... (لازلت هنا ....ظننتك ستياس وتعود الى

ترد بامتنان... (لا بأس سأغير ثيابي وأنزل  
...كيف هي العمرة إيجتة؟؟) ... ردت ببعض من  
الحزن... (أفضل من أمس... الحمد لله  
...سننتظر كإذن ...عن اذنك ...)... أقفلت  
الباب واتكأت عليه لبرهة، تتفقد الغرفة عن  
أثر له. خطت الى دولابه، وفتحته تبحث عن  
منامته لتجدها مطوية في مكانها. لقد كان  
في الغرفة، كيف لم تشعر به؟ تنفست تعترف  
بتعبها بعد كل ما فات وما إن صلت الفجر حتى  
غفت فاقدة الإدراك بما حولها. انعشت نفسها و  
توضأت ثم استعدت واتجهت الى الأسفل،  
تلكأت عند مدخل غرفة حماتها لكنها  
تراجعت واستأنفت خطاها إلى وجهتها.

.....

المدينة السياحية ...). تلكا كأنه يبحث  
عن رد لم يسعده ..(لم أجدها بعد ... لكنني لا  
أستطيع فقدان الأمل فيها هي الأخرى...)  
حرك اسماعيل عويناته يتمعن في ملامح  
وجهه الشاحبة.

\*الملاحظات\* أمل زائف ... البحث عن صلته  
بالجذور ...

(ماذا ستفعل إن لم تجدها؟).... انبثقت الحيرة  
من قلب ملامحه، ثم هز كتفيه يرد بهدوء  
... (لن أياس ... سأظل أبحث عنها ...). (لما  
هي بالذات دوننا عن باقي عائلتك؟) ... احتدت

مقلتيه أكثر يجيب بجمود ... (هي عائلتي ... لا  
أحد منهم عائلتي ... هي لوحدها ...). ضيق  
اسماعيل مقلتيه قليلا يقول بحذر ... (هل  
صدقتك حينها؟؟) ... على غير توقعه، لاح  
شبه بسمته حنين لماض أسود تلمع منه حبات  
نور نادرة .... (كانت صغيرة جدا ... أظن صغر  
سناها وبراعتها ما جعلها تصدقني ... في الوقت  
الذي تبرأت فيه مني باقي عائلتي.... أولهم  
والداي ...). عادت القساوة تنقض على مقلتيه،  
عند ذكر والديه، فقال اسماعيل ... (لازلت  
على شعورك ... حتى بعد موتهما؟؟) ... تنفس  
بصخب ثم قال ... (منحتها مسامحتي قبل  
موتهما ... لكن مصابي يرافقني ... فلا يدعني  
أنسى من السبب...).

www.rewily.com



\*الملاحظات\* ... غضب عميق ... بحث عن التعويض.

(لماذا ساعدت ذلك الفتى؟؟) ... تجمدت ملامحه وكأنه فوجئ من تغير مسار الحديث ... (إذا توقعت عدم سؤالي عنه ... لما أخبرتني؟) ... هز كتفيه بخفتة يرد وهو على استقامة قعوده ... (توقعت سؤالك عنه حين أخبرتك من قبل ...) ... ابتسم اسماعيل بعملية يقول ... (أغلب الأسئلة تتوه ردودها ... إن لم تُسأل في وقتها المناسب ..) ... بادلته بسمته الرسمية يهز رأسه قائلاً ... (رأيت فيه نضفي في مثل عمره ... ضائع بين الأزقة ... وكانوا ...) ... صمت يشد على شفثيه بألم، فأكمل اسماعيل

... (انقضته من بين براثن الدعارة؟؟) ... اتسعت مقلتيه الغائرتين بشكل طفيف، ورطب شفثيه الجافتين والمبيضتين مرضاً.

\*الملاحظات\* ... نفس أعراض رد الفعل ... عدم تجاوز الأمر رغم نكران آثاره.

(هل ترى فيه نفسك؟؟ ... هل كنت تتمنى منقذاً مثلك ... يأتي في نفس تلك المرحلة؟؟) ... راقبه الشاب بسهولة، وكان الكلمات تتجسد أمامه على شكل سهام سامتة موجهة إلى أحشائه، ليقول بعد مدة ... (ربما ... أنا لم أفكر حينها ... شيئاً ما جعلني أسرع إليه أنتزعه من بينهم ... وأهددهم بإبلاغ الشرطة إن لم يطلقوا سراحه ...) ... رفع إسماعيل وجهه

كونك مريض لا يحرمك من امتيازات....  
كما لا يمنحها لي لأنني بعافيتي.... كلانا على  
طريق الحياة بأقدارها المفاجئة.... وقد  
يكون عمري أقصر من عمرك.... وكلنا نسبح  
في آمال نسال خالقنا أن يحققها لنا (...). رومه  
باحترام وهو يستقيم كجندي متأهب، صافحه  
شاكرا، وحيًا منصرفا.

ألقى نظرة على ساعته ليكتشف أنه موعد  
الجولة على العنابر. لمح الملف فوق المكتب  
فأخذه ليطالعه. التهمت مقلتيه الكلمات  
والمعلومات ليتأكد قليلا على صورتها، ورغما  
عنه فرخياله الى مشهدها وهي نائمة في  
سكون. شعرها البني الفاتح، قد تسلمت

يرمقه وهو يسأل... (أين هو الآن؟) ... جعد  
دقنه مجيبا بهدوء... (مكانه الطبيعي... بين  
زملائه في المدرسة...). آمال رأسه قليلا يقول  
... (كم سنه تقريبا؟؟) ... قطب الشاب يرد  
بحيرة.. (خمسة عشر سنت..). تحدث  
اسماعيل بجدل... (مهمم... أليس في عمر  
شقيقتك التي تبحث عنها؟؟) ... زفر الشاب  
بمشقة يمسك على صدره، فتضاعف شحوبه،  
ليقول اسماعيل وهو يسحب آلت المسجل من  
على المائدة بينهما... (أظننا اكتفينا اليوم  
.... ما رأيك بأسبوع تفكر فيه جيدا  
... وسأعيد السؤال بإذن الله...). تشنجت  
ملامحه بتهكم يرد... (وما أدراك بأنني  
سأعيش لأسبوع؟؟) ... ابتسم اسماعيل بدفء  
يرد بثقة... (لا أحد منا يضمن عمره....

خصلاته من عقالها، تتناثر حولها فأخفت عنه  
ملاحج وجهها.

طُرق الباب فرفع رأسه من على الملاف، يأذن  
للطارق بالدخول، ولم يمنع نفسه من الدهشة  
وهو يرمق حماه الحاج زكريا المرابط.

.....

مصنع إله عيسى ...

مرر كفه بين خصلات شعره القصيرة، يقول  
بحيرة... (لا أعلم طارق ... الأمور تشابكت  
... هز المعني رأسه بمهادنته، يرد... (لا تقلق  
... كل قضية تبدأ هكذا ... ثم تتضح رويدا  
رويدا ... أكمل انت في مشروعك ... وستكون

محفز له كي يخطئ أكثر... بسط  
الخريطة أمامه يشرح مسارا ما... (استعنت  
بمهندسين... بعد ان يئست من إصلاح المياه ...  
بسبب الطحالب الفاسدة التي تنمو حول سدنا...  
فلم نجد سوى حلا جذريا... (تابعه طارق  
بتركيز، وهو يستطرد مشيرا الى نقطة على  
الخريطة... (هنا في هذه الجبال تماما... أقرب  
ثاني سد ... مياهه عذبة ... وحلوة... ولا نباتات  
ضارة تنمو فيه أو حوله ... لذا الحل المقترح هو  
جلب المياه من هناك... سيأخذ بعض الوقت و  
أيضا الكلفة ستتضاعف... لكنه حل جذري  
... ونهاية ..) ... نظر إليه طارق بعدم اقتناع  
يسأل... (كيف ستقنع الجهات المعنية  
...؟؟؟ تعلم صعوبة استخراج الميزانيات...  
سيتحججون بضياع ماء السد الأساسي

الاثباتات التي معي عن استحالة معالجة السد  
الأساسي.. ستكون قضيتي متكاملة الجوانب  
والدلائل... علت بسمتة قاسية ملامح طارق  
الجبليّة يقول بحزم.... (جيد جدا ..... فليرنا  
كيف سيتصرف؟؟) ... جمع ابراهيم الخريطة  
يستفسر... (ماذا عن الموظف الذي قُتل؟؟)....  
زفر طارق بامتعاض وهو يقوم... (الدكتور  
هادي وعدني بأجوبة محتملة بعد أيام ... لديه  
نقص في المختبر... لذا ننتظر النتائج  
المبعوثة الى العاصمة...)... قام ابراهيم هو  
الآخر يوصله الى الباب، قائلاً بجديّة... (اعتني  
بنفسك ... ولا تنهور... كما سبق وقلت  
... سيقع بنفسه ...).

.....

...وهكذا سيظل الوضع على ما هو عليه  
...ميزانيات لإصلاح السد الأساسي... دون فائدة  
تذكر لأن الطحالب لن تترك مكانها مهما  
فعلوا.... إنها تركيبة الأرض... والطامعين  
يعلمون ذلك فيملؤون بطونهم بالمال العام..)  
ابتسم ابراهيم بثقة يرد.... (ليس بعد الآن....  
) ... لازال طارق على ريبته، والآخر يشير الى  
مكان ما... (هنا ماذا يوجد؟؟).. فكر للحظة  
ثم أجاب.. (أليس هذا مشروع الطاقة  
الجديد؟.... والذي يعتبر الأكبر في شمال  
قارتنا؟؟).... أوما ابراهيم يرد بظفر... (تماما  
... هذا المشروع يستنزف أطنانا من المياه...  
وهي خير علة مقنعة ... السد الأساسي مياهه  
ستكون لسد حاجيات المشروع المهم... والسد  
الثاني سيتكفل بحاجيات السكان ... ومع

## منزل آل عيسى .

ارتشفت من الشاي، تبتسم لخصرة دم الخالدة  
شمة تحكي لها عن زوجها وشقيقه في  
صغرهم، التفتت تنظر الى حق المنهمكة في  
مطالعة كتاب ما، فسألت... (ماذا تقرئين  
حق؟؟)... رفعت رأسها ترد بخضوت... (إنه كتاب  
عن الاقتصاد....).. (تدرسين الاقتصاد؟؟)...  
ردت بسرور... (إبراهيم سمح بإكمال دراستي  
في الجامعة الجديدة... فاخترت تخصصا درست  
جانبا منه سابقا... وأيضا لا يلزم حضوري على  
الدوام...). أومات لها طائعة بتشجيع، والخالدة  
شمة تقول بتلقائية... (لا اعلم لما تثعبن  
انفسكن؟... ما للمرأة سوى بيتها و أولادها

...الدنيا بما فيها...). ضحكت طائعة ترد  
بمرح... (العلم نوريا خالدة شمة... يساعد  
المرأة على تربية أولادها و تقويم بيتها بشكل  
سوي...). قلبت شمة شفرتها السفلى إشارة إلى  
عدم اقتناعها، فاستطردت بنفس المرح  
... (سأسألك سؤالا يا خالدة.... حين تحتاجين  
طبيبا مثلا... خصوصا ما يتعلق بالرحم أو  
كشف عورتك... من تفضلين طبيبة امرأة أم  
رجل؟؟)... جذبت الخالدة شمة طرف شالها  
تغطي به فمها خجلا وقد احمرت وجنتيها  
المكتنزتين، تهتف باستنكار... (يا رب  
السموات... كيف يكشف علي رجل؟؟... انا لا  
أريد لرجل ولا امرأة أن يكشف علي... ربي  
الستار!!... ربي الستار!!)... ضحكت طائعة  
وحق تبتسم بحياء، فقالت الأولى.... (حماك



همت الخالته بقول شيئ ما فاستدارت تجاه باب  
غرفة الجلوس تلمح طيف تغريد ، لهتفت بدل  
ذلك ... (تغريد!!) ... توقفت تزفر بضجر ،  
فاستطردت شمة زاجرة ... (تعالى ... لتسلمي على  
العروس ... هيا!!) ... ضمت شفثيها بحنق ترمق  
شمة بغضب ، فاسترسلت المعنية بسخط ... (لما  
تأخرت؟ .... الثانية عشر مرت عليها نصف  
ساعة كاملة ... والثانوية على بعد مسيرة  
خمس دقائق فقط ...) ... هزت كتفيها ترد  
بوقاحة ... (أخبرتكم من قبل ... لست أمي ... فلا  
تتدخل في شؤوني ...) .. انتفضت شمة قائمة ،  
فانتفضن معا حتى تغريد التي لعنت غباءها ،  
حين اسرعت إليها تمسكها من أذنها تنهرها ...  
(وأنا ألف مرة أخبرك ... أن تكف عن  
وقاحتك ... إن لم أكن والدتك ... على الأقل

الله من كل شريا خالته ... لكن فرضنا لو  
أجبرتك الظروف ... أيهما تفضلين؟؟) ... ردت  
الخالته بعدم رضى ... (طبيبة طبعا ... لا قدر  
الله ...) ... ومقتها طائعة بنظرة ظفر تقول  
... (وكيف ستجدين طبيبة امرأة ... إن كفت  
النساء عن الدراسة يا خالته؟؟) ... (حركت  
شمة راسها تقول بمرح ... (انت كزوجك تماما  
... تديران الرؤوس بكلماتكما السحرية ... انا  
اعترف لك .... تجب على الصتيات الدراسة ....  
وفقكن الله ... لكن لا تنسين أسركن ايضا  
... ردت باطف ... (طبعا يا خالته ... إن لم  
تنفعنا دراستنا في تقويم أسرنا ... فلا فائدة  
منها ....) ...

احترمي كبري ..) أنت تغريد بألم تحاول  
فك اذنها من قبضة الخالدة القوية، بينما  
طائعتا المصدومتا، وحق يرتبان على يدها كي  
تطلق سراحها.... (إن ظننت أن قلت أدبك هذه  
...ستجعلني أمل من تقويمك ...فأنت مخطئة  
....أنا ربيت قبلك خمسة رجال ....و ثلاث  
فتيات ....لن أعجز أمام فتاة حمقاء ....لم تجد  
من يضع لرعونتها حدا ...). سحبتها طائعتا  
أخيرا، وهي تقول بمهادنته ... (إهداءا .... من  
فضلكما ...). رمت تغريد بمحفظتها أرضا،  
تتنفس بغضب بينما الخالدة تهتف مشيرة إليها  
... (أنظري إليها .... من يفترض به ان يهتز  
غضبا ؟... انا أم هي ؟.....وانظري بالله عليك  
الى ملبسها ... ان لمعها أحد اخوتها الله أعلم  
ماذا سيفعلون؟.... فالغبيبة لم تذق غضب رجال



الجبل بعد ...). رفعت طائعتا يدها، تحاول  
منعها عن الأخرى التي هتفت بغباء ... (لا أحد  
منهم يخصه شأني!) .... أما غضب رجال الجبل  
فأنا أعلم عنه ...وأنا نتيجته احدى نوبات  
غضبهم ....). (تغريد!) ... ساد الصمت رعبا  
من نبرة اسماعيل الحادة، توازي نظرتة وسط  
ملامحه الغاضبة. اقترب منهن يرمق تغريد  
المرتعدة في مكانها بخيبة يقول بهدوء بارد  
.... (الى غرفتك حالا ... ولا تخرجي منها دون  
إذن مني ...). صمتت فاستطرد بنبرة احتدت  
حتى اهتزت هي مكانها ... (مفهوم !). ...أومأت  
على مضض، تخطف محفظتها من على الأرض  
وتسرع الى غرفتها، التفت إلى الخالدة يقول  
باعتذار ... (أنا آسف يا خالدة ...إنها لاتزال  
صغيرة ... وضائعتا ... لا تهتمي بهدرها ....).



أمي .....)... تخبطته ووقفت أمامه تقول بهدوء...  
(زوجة أخيك مع والدتك .... يجب ان نتحدث  
..)... رفع حاجبه الأيسر يجيب بجمود، بعد أن  
تأملها من رأسها الى أخمص قدميها، مما جعلها  
تحمر تلقائيا ... (ليس الآن...)... (بلى دكتور  
....الآن...)... قالت بثبات، فاستسلم يشير لها  
كي تتقدمه.

جلست في نفس المقعد الذي احتواها في ليلة  
زفافها التي لم تكتمل، وجلس هو أمامها متوقعا  
فحوى حديثها ... (اسمعي دكتور ....)... نظر  
اليها بتركيز وهي تستطرد بشفافية دون لف أو  
مناورة .... (هل تريد فعلا لزواجنا ان ينجح؟...)  
... حسنا، هذا لم يكن ما توقعه. قطب بحيرة  
فسكنت تنتظره بصبر، حتى نطق بسؤال آخر

رمقته بإشفاق ترد .... (أعلم بني... الله أعلم  
بما في قلبي ... أحبها كما أحب أولادي وكما  
أحبكم .....)... ابتسم لها فانصرفت، وتبعته  
حق التي وقفت حين تحدث اسماعيل يقصدها  
.... (كيف حال أمي؟؟)... أجابته وهي تضم  
الكتاب الى صدرها ... (ظلت مستيقظت بعد  
رحيلك لساعتين ... تركتها نائمة ... لا بد أن  
الصراخ قد أيقظها .... سأذهب للاطمئنان عليها  
...)... بللت زوجته شفيتها منتظرة منه حديثا  
مهما كان، بينما هو يتنفس بعمق كي يستعيد  
برودة أعصابه، التي كاد يفقدها مع طلب حماه  
وفعلت أخته الرعناء، تسعى لفضح نفسها  
وعائلتها فيروح كل شيء فعله من أجله شقيقه  
هباء. رفع رأسه ليجدها أمامه ترمقه بترقب،  
ذكره بوالدها، فقال ببرود .... (سأذهب لرؤيت



... (ما سبب سؤالك ؟؟).... رفعت جانب ثغرها،  
بما يشبه البسمتة ترد بنفس الهدوء... (لا أظن  
أن زوجتاً تحتاج لسبب كي تسأل نفس سؤالي  
لزوجها... )... ضم شفته السفلى للحظرة ثم  
أجاب بيقين... (لن اكذب عليك... لقد وافقت  
على هذا الزواج من أجل مصلحة عائلتي  
....كنت أريد الشعور بمساعدتي لشقيقي  
الأكبر الذي تحمل ما لا يطيقه أحد من أجل  
العائلة.... )... عبست بخفتة، بينما يرفع يده  
إشارة الى قدوم لكن..... (لكن.... لا أنكر  
رغبتى في زواج ناجح... يخلو من المشاكل  
... )... شبكت كفيها بعد ان تأكدت من  
موضع طرحتها ذات اللون الذهبي الفاتح، تقول  
متجاهلة تلك النغزة وسط صدرها... (سأسألك  
بصيغة أخرى دكتور.... ما الذي يمنع زواجنا



من أن ينجح برأيك ؟؟).... رمقها بتمعن إنها  
محقة، ليس لها علاقة بكل الزوابع في  
أحشائه، ولا ما حدث مع عائلته قبل وصولها.  
كان يجب عليه توقع ما هو قادم، فهي طبيبة  
ذكية وستبحث عن إجابات . .... (لما لا تريد  
مصارحتي ؟؟).... قالت حين خجلت رغما عنها  
من بحلقته، فتنحج يرد.... (لما تفترضين  
عدم رغبتى في إنجاح علاقتنا ؟؟).... رفعت  
دقتها تجيب بتلقائية.... (هل سنظل نطرح  
أسئلة بالتناوب.... حتى كردود دكتور؟)....  
هز كتفيه يرد بحزم... (أنت من بدأت  
بجلساتك منذ التقينا دكتورة... وانا لا احب  
أن أعامل كمريض وفي بيتي... )... تنضت  
باستسلام ترفع كلا كفيها تقول.... (حسنا  
....حسنا... بما أنك تعتبر صراحتي... جلسات



مفقودة ... وأنا لا أحب اللف والدوران ... وها أنا  
ذا اسألك من جديد وبشكل مباشر ... ما الذي  
يقف عقبة في نجاح زواجنا ؟).... صمتت تلهث  
من فرط توترها ، فابتسم يقول بمهادنة ....  
(يبدو أن الطبيبة بعد كل شيء تفقد هدوءها  
...)... لم تستجب لطرفته ، لاتزال على عبوسها ،  
فاستطرد .....(انت محقة ... لكن من كان  
عليه اخبارك ... هو والدك أو جدك ...)..  
قطبت بريبة تتساءل ... (بماذا عليهما  
إخباري؟؟).... حل عليه الصمت مجددا ، مترددا  
فقال تحته ... (إن كنت بالفعل كما تقول  
... تسعى لزواج ناجح .... أخبرني ... )... تنهد  
بممل ثم قال كلمة واحدة .... (صباح ...).

.....

علاجية ... سأحدث بشكل مباشر.... لما  
والدتك ترفضني .... ولما غضبت مني حين  
رفضت التعرف علي؟؟).... صمت كعادته يتمهل  
في تفكيره ، فقالت بأعصاب شعرت لأول مرة  
بتهديد فقدانها ....(لا يمكنني معالجة  
الغموض .... كيف سأحاول إنجاح زواجي...وأنا  
لا اعلم حتى من يهدد بانتياره؟؟).... أمال رأسه  
ينتزع مقلتيه من على شفتيها المزمومتين ،  
فاستطردت بعبوس ... (أنا أخبرتك بكل  
صراحة ... أنني قبلت طلب أبي ... لأنه طلب  
شرعي وليس لا بحرام ولا منكر ... أعترف  
أنني ترددت للحظة حين علمت من جدي أنه  
زواج بُني على تبادل المصالح .... لكنه في  
نفس الوقت مدح حسن أخلاقك... فأخبرني  
أنت أيضا بكل شيء... اشعر ان هناك حلقة

بعد أسبوع ونصف ...

منزل آل طالب ...

لم تسعها الفرحة، فوقفت على باب البيت  
منتظرة سيارة ربيبها. لقد احبته كما لم تفعل  
من قبل، أثبت حبه لأخته الغير شقيقة،  
فكانت مفاجأتها تفوق كل مفاجأة حين  
اخبارهم انه لم يكف عن استشارة كل طبيب  
يعلم عن براعته في مجال العظام، والجميع  
كان يخبره بتأخرهم في معالجتها، ولا يسعهم  
سوى الذهاب بها الى الخارج، فظل يبحث عن  
فرصة مناسبة كي يسافر بها إذا اضطر الى  
ذلك. لكن الكلفة كانت باهضة مما جعله  
يتروى حتى يتوفر لديه المبلغ، فسبقت رحمة

الله، حين علم من أحد اصدقائه الأطباء أن  
مختص بارع من أصل وطنه لكنه درس و عمل  
في الغرب، قد عاد في زيارة الى بلاده. لم يتأخر  
في طلب موعد معه، وكل شيئ تم بفضل الله و  
تيسيره. زفرت ميمونة بحنين، لأول مرة تغيب  
عنها ابنتها ولشهرين كاملين، لا تصدق  
تخلصها مما اعتبرته نحسا على حظ ابنتها.  
لهثت بأنفاسها سرورا حين لمحت طيف السيارة،  
أسرعت تفتح الباب الأمامي حين توقفت لتضم  
إليها رواح المبتسمة بهجة.... (حمدا لله على  
سلامتكما ....كيف حالك حبيبتي ...اشتقت  
اليك ..) ... ضحكت رواح وهي تستجيب لضمته  
والدتها ترد ....(الحمد لله امي ...أنا بخير ...)  
ابعدتها قليلا تتفحصها ثم قالت ... (حركي  
رجليك ... هل شفيت حقا؟) ... زفرت رواح

بأخذه لصديقه المعروف بإصلاحه لكل شيء،  
ولا شيء ينصح لديه بالفعل. تقدم إليه وسحب  
يده يقبلها وهو يقول بأدب... (كيف حالك  
أبي؟؟)... تجاهل النظر إليه بتفقد المذياع  
قائلاً باقتضاب... (لله الحمد والشكر...)  
جلس بالقرب منه يقول بهدوء حذر... (روح  
خارجاً مع والدتها... يجاملن الجارات...)  
لم يجبه فاستطرد... (العملية تمت بنجاح... و...)  
قاطعها بسخط يهتف... (لم أسألك عن  
شيء!...) أنت الرجل هنا والمسؤول عن  
أهله... لما ستخبرني عن شيء!...).. انتفض  
ياسين يسحب يده بهلع يجيب... (لا عشت ولا  
كنت في هذا الوجود أبي... إن قلت من  
قيمتك أو حتى فكرت في ما قلته الآن... أنا  
لم أتخطأك أبي... لكنني لم أفهم سر

بعتاب، فضمها ياسين يحثها ويجيب زوجته  
والده... (هي بخير يا خالت... فقط لا توترها  
... أين أبي؟؟)... ردت ميمونته بسهولة وبألها مع  
خطى ابنتها المترددة مع أنها سويت، إنه في  
غرفة الجلوس، قطب يسأل بترقب.. (لا زال  
على موقفه؟؟)... لوحات بكفها امتعاضاً ترد  
... (سينسى... لا تقلق... حين يرى نجاح العملية  
سيهدأ...)  
... هز رأسه يأساً من تصرفات والده  
التي لا يفهمها أبداً. ترك والدته وروح التان  
استوقفنهن بعض الجارات على الباب يتحمدن  
لهن بالسلامة، واتجه نحو الغرفة، ليجده جالسا  
ينصت لإذاعة ما على مذياعه القديم. ابتسم  
ياسين بخفتة، يتذكر رفضه لأحدث جهاز  
أحضره له، وتمسكه بجهازه القديم كلما  
تعطل بعد الضربات العنيفة التي يتلقاها منه،

رفضك ... وروح ...). هتف من جديد يسحب  
يده قائلاً ... (أختك لم يكن بها أي خطب ....  
فعرجها الذي سببته والدتها بحمقها .... لم  
يكن ليحرمها من رزق مُقدر من خالقها.... ولا  
كانت صحة رجلها ستُذرع عليها خيرات لم  
تُكتب لها .... كنت أريد لأختك أن تتعلم  
ذلك حين تأتيها أرزاقها الخيرة .... ولو والدتها  
أن تتألم كل مرة تلمح فيه تقصيرها ....  
والبهتان الذي تلمقه لطفلة صغيرة الى يومنا  
هذا ... دون حياء من ربها الذي لا يخفى عنه  
أمر! ...). سكن لسانه دون مقلتيه الجاحظت  
غضبا، فتنفس ياسين بتعب يقول باستلطاف  
... (لكن الله أمرنا بالتداوي يا أبي .... وما دام  
هناك دواء متوفر لما لا نستعين به؟ ... نفسيت  
روح تأثرت كثيرا بتلك الإعاقة ... حتى

ظنت أنها أقل شئنا من صديقاتها ...). مطط  
شفتيه رفضا ثم قال وهو يقلب كفه في الهواء  
.... (سنرى كيف ستكون الآن وهي كاملة  
..... كما تظنون! ...). لاح شبح ابتسامته على  
ثغر ابنه، فاقترب منه يستطرد بجديته حازمة  
.... (الكمال لله وحده .... وكل النواقص التي  
فينا ... إنما خلقها الله لشكملنا كبشر..... .  
وستفهم حديثي هذا يوما ما ...). أوما ياسين  
مستسلما لحكمة والده التي جربها قبلا، ويعلم  
عن صدقها ... (أعلم أبي .... أدامك الله فوق  
رؤوسنا كي نتعلم منك دوما .....). دخلت  
عليهما روح تخطو بروية لازالت تنسى شفاء  
رجلها أحيانا، فتعود لعرجها المعتاد. نظر إليها  
يتأملها رغما عنه، ثم استسلم لعناقها ليده  
تقول دامت .... (كيف حالك أبي؟؟ ... اشتقت

إليك ....) ... زفر بضجر وسحب رأسها يمنحه ما  
يشبه القبلة، قائلاً بنفس سخطة الذي ابتسموا  
له بدل الوجوم السائد قبلاً ....(انا بخير الحمد  
لله ... وها هي رجاك شفيت هل نمى لك قرونا  
لم أرها؟ ... أجيال جاهلة (!) ... أخفى ياسين  
بسمته قائماً، يقول بمرح ... (عن اذنك  
سأنتعش .... و اذهب للعمل ... ) صاح والده  
بنزق ... (هذا إن قبل بك زكريا بعد كل هذا  
الغياب ... ) اتسعت بسمته وقد لمعت مقلتيه  
ببريق لم يخفى عن والده، وهو يجيب ... (لا  
تقلق علي أبي .... انا لم احظى بإجازة منذ  
سنوات .... أستحق اكثر من شهرين .... لكنني  
اكتفيت .... السلام عليكم ... ) ضحكت  
ميمونته وهي تدفع رواح بخفة تقول بسعادة  
....(بضع خطوات فقط حبيبتي ....أريد أن أملاً

\*\*\*\*\*

المشفى ....

اقتربت من الرجل، بعد ان انتهت من مراقبتة  
ردود أفعاله. غريبتة هي النفس البشرية، بكل  
عقدها وتحايلها، كيف تهرب في النهاية من

إليك ....) ... زفر بضجر وسحب رأسها يمنحه ما  
يشبه القبلة، قائلاً بنفس سخطة الذي ابتسموا  
له بدل الوجوم السائد قبلاً ....(انا بخير الحمد  
لله ... وها هي رجاك شفيت هل نمى لك قرونا  
لم أرها؟ ... أجيال جاهلة (!) ... أخفى ياسين  
بسمته قائماً، يقول بمرح ... (عن اذنك  
سأنتعش .... و اذهب للعمل ... ) صاح والده  
بنزق ... (هذا إن قبل بك زكريا بعد كل هذا  
الغياب ... ) اتسعت بسمته وقد لمعت مقلتيه  
ببريق لم يخفى عن والده، وهو يجيب ... (لا  
تقلق علي أبي .... انا لم احظى بإجازة منذ  
سنوات .... أستحق اكثر من شهرين .... لكنني  
اكتفيت .... السلام عليكم ... ) ضحكت  
ميمونته وهي تدفع رواح بخفة تقول بسعادة  
....(بضع خطوات فقط حبيبتي ....أريد أن أملاً

تحمل ما لا تطيقه الى منطقة اللاوعي. ضمت شفيتها تتمعن في الحركات التي تتوالى على ملامحه بين الضحك والبكاء و العبوس، ثم لا شيئ. كيف يسمح الإنسان لنفسه بكل تلك الضغوط على أعصابه؟ الى ان تطير منه بغتة!! لما لا يلجأ إلى خالقه ثم يستشير المختصين؟. سبحان الله، كيف يتجنبون العلاج خوفا من نعتهم بالجنون، حتى يسقطوا في طريقين اثنين، اما قتل النفس، أو الجنون الذي لطالما خافوا من لقبه، فيأتون به الى نفس المكان في النهاية.

التفتت إلى الممرضة تقول بعملية، وهي تدون على ورقة ما ... (الجرعة المعتادة ... لكن الموعد سيتغير ...). أوامات لها برسمية،

فسلمتها الورقة، ثم غادرت بخطى رتيبة حملتها رغما عنها الى غرفة لا تعلم لما تقصدها كل مرة، عند انتهاء دوامها. دفعت الباب الموارب بخفة، وتوقفت في نفس المكان، أمام الباب بخطوتين، لم تجرؤ على تجاوزها منذ بدأت بزياراتها الخفية، بعد علمها بمصاب أختها، ويا ليتها لم تعلم.

تخيلت كل سبب قد يكون عقبة في طريق علاقتها بزوجها، إلا أن تكون أختها واقعة في حبه. حب مرضي على حد قوله. تبثت مقلتيها على ملامحها المتخشبة، مشاعر كثيرة تتنازع في احشائها، بين عتاب عاطفي من ان تكون قد خطفت من أحبته أختها، فلم يكن لها ذنب بخسارته سوى دلالتها الذي لم تكن هي السبب

الساكنة في مكانها دون حراك واستدارت  
مغادرة. تستجير بخالقها على ما هو قادم.

.....

أمام مقر البلدية...

(هيا ... لا تكن جباناً!) (...). نطقها براء  
بضجر، وعصام يرمقها بقلق يجيب ... (ليس  
جبناً ... لكن قلقاً عليك وعلي ... انها أرواح  
ليست لعباً ...). زفرت براء تحته بتشجيع  
.... (هيا يا عصام ... سنستمع قليلاً ... أنت  
ستقوم بإلقاء الفتاة ... وانا سأجد ما ابحت عنه  
...). انكمشت ملامح عصام بطفولية يرد ...  
(ذلك الشرطي ... سيفضب منك كثيراً ... انا

الأساسي فيه. وبين تفكير عقلائي أن سلوكها  
قد تسبب بفقدان رجل لم يكن لها، إذ أنه  
صرح بعدم تقبلها في أي وقت من الأوقات، بل  
وأخبرها بذلك في عدة مناسبات.

أيًا كان السبب فقد وقف كعقبة كبيرة،  
أكبر مما تصورت. شملت حماتها التي يظهر  
عليها التأثير بما اقترفته صباح من أجل الظفر  
بحبها، الى درجة اصابها بنوبات صراخ كل  
ليلة او اثنتين أسبوعياً، فلم تتجرأ على دخول  
غرفتها أبداً، وبالتالي لم يقدم لها هي ولا  
زوجها في السير خطوة واحدة في علاقتهما، بل  
تظنهما يتراجعان، وهذه المرة هي توافقه على  
ذلك ولو بصمت. انتزعت مقلتيها من على أختها



أحذرك ...). ... قلبت شفتها تهز كتفيها بخفت  
..(لا يهمني .... يجب ان أومن باقي المعلومات  
كي يكتمل الملف لدي.... حينها لن أنتظر  
حضرتة كي يتكرم علي بمعلومات ...هيا  
عصام ... لم يبق وقت ...أمانا ساعة على  
الاکثر ..). ... صمت عصام غير متأكد ، فقالت  
بعبوس ... ( سأذهب معك أو بدونك ...).  
عبس مثلها يجيب بامتعاض ... (لا تستطيعين  
... لأن خطتك بمجملها بنيت على أساس الهائي  
للفتاة الكاتبة ...). .. زمت شفتيها ترمقه بحنق  
فاستسلم مستطردا ... (حسنا ...هيا بنا ...).  
صفقت فرفع يده يردف بتحذير ... (لكن .... إن  
شعرت بأي خطر ...سأقول بنبرة عالية ... أنت  
جميلة .... وهذه إشارتك لتخرجي مهما كانت

اهميتها ما تفعلينه ....هل فهمت؟) ... هزت رأسها  
مرات عدة وفتحت باب السيارة تهوول بحماس.  
تلكأت عند مدخل البهو المضي لمكتب  
رئيس البلدية، وأشارت لعصام ليسبقها حسب  
الاتفاق. تنفس بعمق ثم خطى إلى المكتب  
الخارجي للكاتبة حيث تعمل فتاة من سنه  
درست معه إلى السنة الأخيرة في الثانوية،  
فحصلت على مركز كاتبة رئيس البلدية، لا  
لشيء سوى أنها ابنة أخت زوجته. ابتسم لها  
فاتسعت مقلتيها تقوم من على مقعدها ترد  
بسرور ....(عصام ؟ ... ماذا تفعل هنا؟؟) ...  
ضحك وهو يمد يده ليصافحها فضغط على  
كفها، لتتوتر كما توقع ....(كنت اقضي  
مصاحبة في الإدارة... وتذكرت عمالك هنا

...فقررت المرور لأسلم عليك ...). أشارت الى  
أحد المقعدين أمام مكتبها، تقول بابتسامته  
أظهرت مدى تأثرها، إذ انها لم تلاحظ  
تحركاته التمويهية لتتسلل الأخرى الى  
مكتب رئيسها، شاكران ربهما على عدم انتشار  
موضته كاميرات الحراسة داخل المركز  
... (شكرا لك ... فاجأتني ...). جلس يضع  
رجلا على أخرى، يقول بابتسامته ساحرة....  
(كيف العمل معك؟؟).... هوت على الكرسي  
أمامه ترد بسهو وقد احمر خداهما ... (الحمد لله  
... أتعلم خطوة بخطوة...). (مهمم...). تلفت  
بعينيه يتعلل بتفحصه للمكتب، بينما هو  
يبحث عن موضوع ليفتحه معها، فقالت وهي  
تتلوى على مقعدها توترا... (وكيف هي  
الدراسة الجامعية.... انت في السنة الثانية

قسم اللغات؟؟)... تقوس حاجبيه يقول بحيرة  
... (أجل ... تماما ... جيد ... في الحقيقة ...).  
حل الصمت من جديد يضيف إلى توترهما  
المزيد، فقال وهو يرمي باب المكتب الرئيسي  
بنظرات خاطفة ... (لم.... لما... لم تكلمي  
دراستك الجامعية؟؟)... وكأنها خجلت وهي  
تفرك كفيها ببعضهما ترد ... (الجامعة لم  
تفتح ابوابها هنا سوى هذه السنة... وأخي لم  
يسمح لي بالدراسة في العاصمة ... ومع الوظيفة  
التي توفرت لي ... لم يعد لدي حجة...). أجاب  
ببلاهة ... (وان فقدت عمالك ... ماذا  
ستفعلين؟؟).. تجمدت تسأل بنفس  
بلاهته... (ولما سأفقداه؟؟) ... صمت للحظة  
يفكر في ما نطق به، فاستدرك قائلا .... (أنا  
أقصد الشهادة ضمان جيد ... للحفاظ على العمل

نابعت من الخوف ....(انا عصام سيدي ...كنت  
زميلها في الدراسة .... فمررت كي أسلم عليها  
...).... هز رأسه لازال يضحك، فاستطرد عصام  
برعب ... (أنتِ جميلة ...). ... قفزت حواجب  
الفتاة ورئيسها دهشة، فاستطرد بتوتر ظاهر  
عليه.... (أقصد ....سيدي انت انسان جميل ...  
هذا ما يقال عنك سيدي ...). ... لحسن حظه،  
الرجل فسر توتره بسبب مباغتته في المكتب  
برفقت فتاة من أقاربه، فقال بمهادنة ... (شكرا  
لك .... مرحبا بك في المكتب لكن لا  
تنسى احترامك لها .... عن اذنكما....). ... بلع  
ريقه مستديرا الى الأخرى التي أصبح وجهها  
كحبة طماطر، تقول ....(سأضطر للاستئذان  
منك .... سأبدأ عملي ...). ... أوما منصرفا، وهو  
يدعو ربه أن تكون الحمقاء قد تسالت بطريقتي

... ليس كمثله عدم وجودها....والجامعة الآن  
بقربك ...وأغلب الطلاب قد نقلوا أوراقهم  
عائدين الى مدينتهم....).. زفر بخفوت حين  
عادت تبتسم تقول بحماس... (هل تظنني  
سألحق بباب التسجيل هذه السنة قبل أن يُقفل  
؟؟)... أوما بموافقة وقد زادت نظراته تجاه  
الباب ... (أمل أن يفتح قبل فوات الأوان...).  
(ها؟؟)... عاد يرمقها بتيه، يهتف ... (أقصد  
...ستلحقين ...ستلحقين!)). ... انتفضت واقفت  
حين لمحت رئيسها يدخل، فوقف هو الآخر  
ودقات قلبه بلغت عنان السماء .... (أهلا بك  
عمي ...أقصد سيدي ....). .. ضحك الرجل في  
أواخر الخمسين، قامت معتدلت وشعر أشيب،  
وبدلت رماديت. ... (ما بك تلبكت؟؟)... نظر  
الى عصام الذي سارع يقول وهو يصافحه بحرارة

قلبي يتوقف....ظننتك داخلا... وتصورتك  
في قبضة الشرطة بتهمة السرقة.... بالذات  
بين براثن ذلك العملاق المشتعل طوال الوقت  
....(هل تذكرينه؟؟).... نفخت في وجهه بضجر  
وسحبت يده، كي تفتح الباب، استدار حول  
السيارة وجلس مكانه يزفر بحنق، فقالت  
بمهادنة....(أهدئ عصام.... لم يحدث شيء....  
إنها مخاطر المهنة.... أنت تريد التعلم... وهذا  
هو الثمن الذي ندفعه....).... التفت اليها يقول  
بتلقائية وصراحتة....(لا يا أستاذة براء....  
لكل شيء حدود... هذا الرجل لا يلعب... و  
الدليل على ذلك سكوت أشخاص رغم قوتهم  
عليه....كابن آل عيسى والشرطي.... هذا  
يجعلك تفكرين في اي تصرف تجاهه مئة مرة  
....)(... ضمت شفتيها تحركهما يمينا ويسارا

ما، فتوقف حين نادته الفتاة من جديد تقول  
ببسمتة مستحيتة....(لا تغب كثيرا...)  
حرك رأسه مرات عدة، وأسرع فارا من هناك،  
ليجد يدا أمام وجهه توقفه قرب الرواق المؤدي  
للحمامات... (هييييه....قف!!).... جحظ  
بمقلتيه حين وجدها أمامه يهتف بلهات...  
(كيف خرجت؟؟... لم ألمحك!!).... هزت  
كتفيها تشير له كي يتبعها الى السيارة تجيب  
... (حمام مكتبه.... له باب آخر يؤدي إلى رواق  
خلفي.... لما تأخرت؟).... بسط يده يحط بها  
على باب السيارة مانعا إياها من فتحه يقول  
بغضب طفولي....(لا أعلم.... ربما لأنني كنت  
منشغلا بفتاة استغليت إعجابها بي.... كي  
أضللها عنك.... أو لأن رئيسها الذي هو في نفس  
الوقت زوج خالتها دخل علينا بغتة... كاد

استكمل ما وجدته ...). ... رمقها بصدمة يشير  
اليها بإصبع سبابته ...). (أقسم يا أستاذة .... لو  
فتحت هذا الموضوع مرة أخرى ... او حتى حاولت  
من دوني .... سأخبر المفتش ...). ... التفتت اليه  
تهتف بحنق ... (ماذا؟؟؟) ... (أجل .... كما سمعت  
.... لن أبقى مكتوف الأيدي .... حتى أجرك  
جثة هامدة في صباح يوم ما .... او حتى ألقى  
حتفي انا الآخر .... لازلنا صفارا بالله عليك  
....). ... ابتسمت فجأة تقول بمزاح .... (هل  
اعجبت بكاتبته رئيس البلدية؟؟؟) .... لم  
يستجب لطرفتها يرد ببرود .... (ها .... ها .... ها  
.... غير مضحكة ... لأن ضميري يقوم بصفع  
أحشائي ... لست خسيسا يا أستاذة .... كي  
استغل فتاة .... وألعب بمشاعرها ....). ... ضمت  
ملامحها الصغيرة تقول باستلطاف .... (أوووه

وهي تفكر وتنتطق بسهولة ....). (إنه جدا خطير  
.... لن تصدق ما وجدته ....). ... تنبه إليها قائلا  
بقلق ... (هل عبثت بأوراقه؟؟؟) ... يا إلهي .... هل  
أخذت شيئا؟؟؟ ... بل هل أعدت كل شيء الى  
مكانه؟؟؟) .... (رفقا بي يا عصام .... لقد  
صورت ما يهمني دون تحريكه من مكانه  
.... اهدئ .... انا لست مبتدئة ....). ... قالتها وهي  
تسترخي على مقعدها، فقال الآخر بتحذير  
.... (لن أوافقك على شيء خطير كهذا مرة  
أخرى .... قد نتسلل الى جمعية كي نتجسس  
على اجتماعات الأعضاء .... او حتى نحرق  
دواليب سيارات كي نلهي الحراس عن مخازن  
الدولة كي نتأكد من البضاعة .... لكن  
جرائم قتل ... أنا آسف لست بلاعب ....).  
أومات ترد بأسف ....). (خسارة .... كنت اود لو

فقط غيرة سخيضة على ابن من أبناءها،  
فالنوبات ذعر حقيقي. تنفس بقلق يفكر في  
زوجته، التي بدأ قلبه يألفها، وعقله يأمره  
بالتقرب منها، لكن مع ما يحدث لأمه، ومنذ أن  
أخبرها عن اختها يجدها تبتعد عنه هي  
الأخرى، وما زاد الطين بلة استجابته لحماه في  
معالجة سبب المصائب. تأفف بقوة، يفكر أنه  
هو إسماعيل آل عيسى، طبيب النفوس المعروف  
ببرودته يشعر بحمم تغلي بأحشائه تهدد  
بانفلات قريب.

ترجل من سيارته أخيرا، وتوجه الى البيت  
ليجدها بأحد فساتينها المنزلية، وسط  
الحديقة تمسك بالهاتف وتتحدث بهدوء رائق  
يحسدها عليه. فتح فمه كي يدخل انفاس

.... أنت بالفعل معجب بها ....) زفر بتهرب،  
فهزت كتفيها تلتفت الى المقود وهي تهتف  
بسرور ..... (يكفيني ما وجدته الآن .... وذلك  
ال..... مفتش ... سيعلم قدر السنفورة الزرقاء  
...) أو ما زافرا بيأس، وهي تنطلق بالسيارة.

.....

منزل آل عيسى ...

أوقف محرك سيارته وتجمد للحظة، يديه على  
المقود، يرمق بيتهم من مكانه وكأنه يفكر  
هل يدخل أم يعود أدراجه. لقد ورط نفسه في  
فخ كبير لن يستطيع انقاذ حاله منه، أمه لم  
تقبل الزواج وهذه المرة بشكل مقنع وليس

رتيبة، تساعد قلبه على دقاته المتعبته في  
حضرتها، يحاول تجنب التحاليل والتفاسير التي  
يعلمونها أنفا.

لمحته فتوقفت أمامه تنهي حديثها الذي لم  
يكن إلا مع البروفيسور، لينطلق مع تعب قلبه  
حنقا كفته بمشقة.... (بلى بروفيسور.... إنه  
بخير.... وهو أمامي إن أردت التحدث معه ..)...  
رمقها بملامح ظاهرها الهدوء كالذي تلقف به  
الهاتف، لتأتيه نبرته النزقة دون ان يمهل  
....(كيف حالك يا طبيب النفوس

؟؟.... أعجبنى لقب أهل الجبل ...)... نظر إليها  
فعلت حمرةً وجنتيها، ليعود بتركيزه الى الذي  
استطرد بتحذير.... (أمل انك تعاملها جيدا  
...إلا جئت إليك كي أذكرك بألم عكازي

فوق رأسك .... هل تذكر؟؟)... ابتم  
للذكرى يرد بأدب.... (أجل بروفيسور أذكر  
...)... (جيد... احسن معاملتها... كما  
أخبرتكم هي أختي الصغيرة... ولأنني أعلم عن  
مدى بساطتها... احذرك من اذيتها.... يكفي  
ما فعله والدها...).. قطب اسماعيل وقد فر  
ذهنه الى نقطة يعلمها لكن لم يفكر فيها  
سابقا، هل من الممكن ان تكون هي أيضا  
تأثرت بوالدها؟!.. جيد جدا اسماعيل، على  
الأقل تعترف لأول مرة في حياتك انك تأثرت  
بوالدك، فما هي تلك ال\*أيضا\*....  
(اسماعيل!... ما زلت على الخط؟؟)... تنحج  
يرد... (أجل بروفيسور... أنا اسمعك...)... أنهى  
المكاملة بعد بضع كلمات مجاملة، ثم أعاد  
إليها الهاتف. تلبكت حين تأملها من رأسها الى

أنا لا أحب الكعوبية العالية ... (قطب بخفت  
يرد ببعض الرفض ... (لما سألق؟ ... لست  
قلقا..) ... اتسعت بسمتها الحلوة، ترمقه بمرح  
يشوبه الخجل، فابتسم لها هو الآخر، كانت  
برهة تقارب انفك سحرها حين قاطعهما  
إبراهيم وحق المغادرين. اقترب من شقيقه يسأل  
... (خارجين؟؟) ... هز الآخر برأسه يرد ... (بلى  
... ياسين وأخته عادا ... سنتحمد لهما بالسلامة  
... (نظر الى حق يقول بمجاملت ... (حمدا لله  
على سلامة ياسين ... ونجاح عملية أختك  
... (شكرته بخفوت، وربتت على يد طائعت  
التي فعلت مثل إسماعيل، ثم غادرت برفقت  
زوجها.

أخمص قدميها، كعادته منذ أن تزوجها، إلا أنها  
تشعر بعدم رضاه حين يصل الى رأسها دوما،  
فتجد نفسها تتفقد الحجاب بتلقائية.... (ماذا  
هناك؟) ... ضيق مقلتيه بعدم فهم، فاستطردت  
وهي تسوي طرحتها ... (هل هناك شيء ما لا  
يعجبك في حجابي؟؟) ... ضم شفته السفلى  
يفكر لو هلت، ثم قال بتردد ... (أنت طويلة  
... اتسعت مقلتيها تهتف بدهشة  
... (عضوا؟!) ... ابتسم باعتذار يقول ... (لا  
اقصد الإساءة ... فقط انت في نفس طولي  
... وإن حدث وارتديت كعبا عاليا ... س...)  
أشار بيده الى الأعلى، وهو يلوم نفسه سرا،  
مخافتة ان تكون شعرت بالإهانة، لكنها  
فاجأته ببسمة حلوة تجيب بمرح ... (كوني في  
نفس طولك لا يد لي فيه... لكن لا تقلق...



يجيب بعملية ... (لا أظنه تخشب نفسي ... مع أن  
الظاهر يشير الى ذلك .... ما زلت على  
تشخيصي الأول .... انهيار عصبي ناتج عن عدم  
تقبل للواقع ... ) ... شبكت كفيها ببعضهما،  
وهي تناقشه .... (هل تظن أنها قد تستعيد  
إدراكها في أي وقت قريب؟؟) .... جعد دقنه  
بتفكير ... (ربما .... لا زلت مترددا في  
مصابها ... حين أتأكد .... سأضع افتراضات  
منطقية ... ) ... هزت رأسها، فقال وهو ينظر الى  
الرواق حيث غرف النوم السفلية .... (سأطمئن  
على امي .... المعذرة ... ) ... أسدلت جفنيها  
لثانية، وانصرف تشيعة بنظراتها الحائرة،  
التائهة، المتعلقة.

.....

تنهدت طائعت تهمس بسهو ... (انها فتاة رائعت  
... محظوظ بها شقيقك .. ) ... عاد ينظر إليها  
بتمعن، ثم قال مؤكدا ... (شقيقي يستحقها  
... لأنه هو الآخر انسان رائع ... ) ... هزت رأسها  
وردت بلطف .... (رزقهما الله ذرية صالحت  
.... وواقهما من شياطين الانس والجن) ... أمن  
على دعائها وهو يعلم في من تفكر، ولم يخب  
ظنه حين سألته فجأة .... (هل رأيتها  
اليوم؟؟) .... أوما دون حرف، فاستطردت بتردد ...  
(هل تظن أنه تخشب نفسي؟) ... كان سيجيب  
بعملية لكنه توقف يرمقها باستفسار  
.... (قابلتها؟؟) ... زمت شفتيها وبطريقة ما  
ذلك أثر عليه، ثم حركت رأسها بخفة ... (من  
بعيد ... لم أتجرأ على تجاوز عتبة الباب ... ) ...  
أشار لها لتتقدم معه الى الباب الداخلي وهو

## منزل آل طالب ...

ضمت أختها بقوة، تهتف بسرور....(اشتقت إليك يا حق ....جدا جدا ...). ضحكت حق تبادلها سرورها....(أنا أيضا أختي ...حمدا لله على سلامتكم... وعلى نجاح العملية)...  
ابتعدت عنها واستدارت لتسلم على زوجة أبيها التي قالت باستعلاء .... (الحمد لله .... لقد شفيت رجلها ... التي كسرت بسببك ...ولا فرق بينكما الآن... بل هي أجمل منك....  
فليرزقها ربي رجل أفضل من زوجك ...).  
شهقت رواح تهتف ... (أمي!!)... بينما حق ترد بحنو ... (أمين يا رب العالمين ....).. قلبت ميمونة شفيتها، وحق تلتفت الى أختها

المشفقة، تستطرد بتأكيد ... (أدعو الله لك برزق وفير وأفضل من رزقي ...يا رب ...). عادت رواح تضمها بمقلتين دامعتين، ترمق بهما أمها بعتاب، تجاهلته تقول ... (أدخلا الضيافة للرجال ....هيا!!)... أومأت رواح بيأس، وحق تسحبها كي يقدا واجب الضيافة.  
(حمدا لله على سلامتكم ياسين لقد غبت كثيرا...). قالها إبراهيم باسمها، ليحييه بنفس البسمت... (الظروف يا إبراهيم.... الحمد لله أن الله يسر لنا الأمور..). هز رأسه مؤكدا وهو يتمتم بالحمد، فتدخل جده الذي سبقه الى زيارة الحاج عبد الله آل طالب ... (سمعت عن ذلك الطبيب إنه بارع .... خسارة عدم مكوثه في وطنه ...هو أولى به ..). وافقه الحاج

(... اقترب ياسين من ابراهيم، بعد ان لاحظ تبادل والده مع نسيبه حوار عن باقي أمور المدينة، يقول بنبرة أقرب للخفوت ... (اين وصلت في مشروع الماء؟؟ ... سمعت عن الجريمة (... اتسمت ملامحه بالبرود وهو يجيب ..(نحاول استدراجه ...والله المستعان ..) بدى القلق على وجه ياسين وهو يحذره ... (كن حذرا ابراهيم ... انت بالنسبة إليه تهديد ...ولن يكون في مصلحته فوزك بالمنصب ....(قد يفعل اي شئ) ... هز راسه ورد مطمئنا ... (الرب واحد .. والعمر واحد .... لا تقلق) ... لكن ياسين لم يهدأ قلقة، كما لم تهدأ خيبته من عدم رؤيتها في المصنع، يشاقها قلبه قبل عينيه، كيف تسالت الى أحشائه لا يعلم، لكنه يريد رؤيتها بأي طريقة كانت،

عبدالله يقول بامتعاض ....(انت محق يا حاج .... لا اعلم سبب ترك الأبناء لوطنهم ... وهو في أمس الحاجة إليهم... قلته عقل!! (...)... تدخل ياسين يفسر بهدوء ... (لا نستطيع إلقاء كل اللوم عليه يا أبي ...الوطن أيضا يُقصر في تقديرهم ...وتوفير ما يستحقونه...)... رفع والده يده بسخط يرد باستنكار... (إنها أرضنا .... وان تركناها جميعنا بسبب التقصير .. لكانت خلاء .. بل نخدمها بدمائنا ...دون ان نتنظر مقابلا ...المقابل نتنظره من خالقنا ... فالوطن مهما حدث منه نتحملة ...لأنه بعد كل شئ هو من سيتحملنا...)... ابتموا لجدال الحاج عبدالله الفاقد للصبر، فقال ابراهيم بلطف ... (هكذا الحياة ... آراء مختلفت ...وكل يرى من منظاره .... نسأل الله الهدايت

ولولا زيارة أنسابه، لتعلل بأي حجة كي يزور  
بيت عمر، حتى وهو متأكد من أنها لن تخرج  
إليهم وهو موجود.

.....

بعد يومين ...

الحرم الجامعي ....

تمشي بتمهل لا تريد لنفوسها ان تنسى شفاءها،  
فتعود للعرج دون وعي. تفقدت المكان الشاسع  
حولها تبحث عن مرشد إلى وجهتها، لتجد أمامها  
شاب ابتسمت له تقول ... (عبد الرحمان كيف  
حالك؟؟).. اتسعت بسمته البلاء يرد ببهجة  
....(الحمد لله يا ابنة الخالدة...كيف أنت

وخالتي ميمونة؟؟)... لم يمهلهما يستطرد ...  
(سعدت بشفاء رجلك ...كنت أريد زيارتك  
لكن تعلمين الحاج عبد الله... يخيفني قليلا  
..)... ضحكت رواح من سذاجة ابن خالتها، ولم  
تشعر بالسهام المسمومة، القادمة إليها رأسا من  
ذاك الذي انتظرها وراقبها بشغف منذ ان  
خطت داخل الحرم متريته في خطواتها  
السوية.. (لا تخشى شيئا يا عبد الرحمان ...  
يمكنك زيارتنا في أي وقت تشاء ..)...

(لا انضحك يا صاح ...).. نطق منصف بتسليته  
حين هم عيسى بالتوجه إليها، فقال بحنق  
... (لما؟؟) ... هز كتفيه بخفة يجيب ....  
(حالتك لا تسمح .... وهي لن تقبل ...)..

تجاهله وتقدم نحوها وذلك الشاب السمج  
حسب رأيه طبعاً، فضحك منصف بمرح يتبعه  
هامسا... (إنه لمشهد ممتع ..)...

(هل تؤلمك رجلك؟؟) ... سأل عبد الرحمان  
باهتمام، فردت بامتنان... (لا ... الحمد لله ... لم  
تعد تؤلمني ... أشعر بها عادية ... لكن لازلت  
أنسى أنها شفيت ... فأتفادى التركيز عليها في  
بعض الأحيان ...). ... ضحك لها بنفس  
البلاهة، يقول... (لا بأس ... ستعودين ... فأنت  
فتاة قوية... وواثقة...). ... معتادة هي على  
حديث ابن خالتها، تعلم أنه طيب النية لا  
يقصد بها تغزلاً، فتبسمت بلطف اختفى حين  
قاطعتها نبرة حادة ... (وماذا أيضاً؟ ...).

رمته بنظرة خاطفة، وقد تجمدت ملامحها  
بينما الآخر يسأل ببلادة... (ها!!) ... اقترب منه  
وهو يتلمس على لحيته المشذبة براحة كفه  
قائلاً بتهديد بارد ... (هي قوية... وواثقة  
... وماذا أيضاً؟؟) ... تلبك الشاب المسكين من  
نظرات عيسى الحارقة، فهو يعرفه جيداً، ثم  
قال بتردد... (ر... رواح ... تكون ابنة خالتي  
...). .. اهتزت المعنية تهتف بحنق... (لما  
اخبرته؟؟ ... لا شأن له بي) ... فتح عبد  
الرحمان فمه، ثم أغلقه حين قال عيسى بنفس  
الحنق... (أنا من كلفني أخوك ... بتسجيلك  
وارشادك إلى الجدول الزمني ...). ... رفعت رأسها  
بأنفة تقول باستعلاء وهي ترمقه ببرود... (وهل  
احضرت الجدول؟؟) ... سحب ورقة ما من جيبه  
وقدمها لها، أمسكتها بحركة عنيفة ثم قالت

## مصنع المرابط...

بحث في ملفاته عن ضالته فلم يفلح، لذا استدار بتلقائية وتلقف سماعة الهاتف، لم يأتيه رد فتحرك من على كرسيه مقطب بريبتة. تفقد المكاتب الفارغة فزفر وهو يتذكر أنه موعد الغداء، وبذكر الطعام قرقرت بطنه جوعا. عاد الى مكتبه وأخذ سترة بدلته، ارتداها واتجه نحو مطعم المصنع. شمل ببصره المطعم، ليحدد مكان السيد عمر الذي بات يترك مجموعته من أجل حفصة، يحاول التقرب منها، مراقبتها، وعلاجها من حالتها النفسية الصعبة. لكنه قلق بشدة لأن الناس في الجبل للأسف لا يقدرُونَ أمرا كذاك، وقد بدأت الهمزات واللمزات حولهما

قبل ان تنسحب... (شكرا لك.... اتمنى ان لا أرى وجهك مرة أخرى... وداعا)... انسحبت تحت انظار عيسى المندهشة، وعبد الرحمان يناديها لاحقا بها، بينما منصف يقهقه بمرح.... (أخبرتكَ... ولم تصدقني... اشرب يا صاح... (... زم شفتيه ينظر اليه بعبوس، ثم قال بتوعد... تلك المتكبرة.... سأصالحها... وسترى...))... اقترب منه منصف يقول ببراءة مدعية... (وما كان سبب الخصام؟؟)... دفعه عيسى يجيب وهو يبتعد... (لا يهم سبب الخصام.... بل كيفية المصالحة...).

.....

الأمانة .... أعانك الله ...). ... (بل لأن الله أرسلك إلي أنت وكثير من الموظفين الأمانة ... الحمد له و الشكر ...). ... هز السيد عمر راسه بامتنان، فأردف ياسين بمرح وهو يرمق الأكل، يتمنى لو يلقى منها ردا مهما يكن ... (ماذا تأكلون؟؟ ... انا جائع ... وقد آكلكما معا ... ولا أمانع ...). .. استجاب عمر لطرفته، والشاهدة عليهما ساكنة لا تتامل ... (تفضل من فضلك .... تكفي جريمة واحدة في هذا الشهر...). ... تذكر ياسين فقال .. (أجل ... لقد سمعت الخبر على لسان ابنتك ... ألا تخشى عليها يا عمر؟؟) ... أوما بيأس كياسهما معا من تحدث الغائبة الحاضرة .... (ماذا بيدي لأفعله؟؟ ... أخشى عليها ... لكن لا أستطيع منعها من ممارسة مهنتها ... ادعو لها الله دائما بالحفظ

دون حياء، واعتراف بمدى احترام السيد عمر، وحتى تقديرا لسنة. تنفس بأسى يعترف أن مجتمعه لا يرحم. تقدم نحوهما كي يكسر تلك النظرات المسروقة إليهما كل حين. ... (السلام عليكم ....). ... رفع السيد عمر رأسه مبتسما، بينما ظهر له تكومها على نفسها، من خلال تشنج كتفها و إطراقها براسها. ... (وعليكم السلام ياسين .... اجلس ... تأخرت على الغداء مجددا ... هذا ليس جيدا لصحتك ...). .. جلس يرد بهدوء محتفظ بابتسامته ... (العمل يا عمر ... إنها أمانة كبرى ... وصاحب الأمانة كان الله في عونته ...). ... لازالت مطرقة فلم يتبين حالة مزاجها، بينما الآخر يرمقه باحترام كما عهد منه ... (انت على قدر

اختنقت أنفاسها، وقلبها يسرع بدقاته، ترد  
بحياء....(الحمد لله ... شكرا لك )... لكم  
سعد بردها، متيقن هو من طول الطريق بينهما،  
لكنها فرصة واحدة، إن علم كيف يقتنصها،  
سيغير نظرتها عن الرجال كليا، تمهل في  
طعامه، وهو يشعر بألم في قلبه حين تذكر  
طليقها، يود لو كان السابق إلى حياتها وقلبها،  
ما كانت تجرعت كل تلك الآلام. لمح نظرات  
عمر المتمركزة عليه، فتحنح ينهي طعامه.

.....

...).. شرع ياسين في الأكل، وهو يقول محذرا  
... (لكن ملاحظتها للجرائم ... امر غير مريح  
على الإطلاق... انصحك بلجم شجاعته قليلا  
...).. لم يمهله ليجيب، وأردف ضاحكا... (أم  
انك فقدت اللجام كليا يا عمر؟؟؟)... جعد  
دقنه باستنكار يقول .. (كل ما في الأمر انني  
احب نظرة الشغف في مقلتيها... تجعلها نابضة  
بالحياة.... فيسعد قلبي لها وبها.... اخشى ان  
أكون السبب في اطفاء ذلك الشغف ...)  
رفعت أخيرا رأسها ترمق السيد عمر بنظرة تأثر  
لا يخطئها عاقل. وكان المعني شعر بها،  
فاستطرد قائلا... (لكنني ايضا لا أنكر رفضي  
لتهورها.... لذا أحاول بين الحين والآخر...)  
ابتسمت بهدوء فتشجع ياسين يقصدها  
... (كيف حال العمل معك يا حفصة؟؟)...



في مطعم ما ..... مساء

ضمت شفتيها بضجر فهتفت في وجه صديقتها،  
التي تلهو بكأس العصير في انتظار خطيبها  
... (أين خطيبك هذا؟ ... أنا تعبت ...). همت  
بالرد فقاطعهما وصوله بطوله الفاره يقول باسم  
لخطيبته بحب ... (مساء الخير ... آسف لأنني  
تأخرت ...). برق الاهتمام من مقلتي خطيبته  
تهتف بسرور ... (اجلس عبد العالي ... لم  
تتأخر كثيرا ...). شهقت سناء تقول بامتعاض  
... (لا لم يتأخر ... هما فقط ساعتين لا غير  
..). مطط عبد العالي شفتيه، ثم قال باعتذار  
... (آسف أنست سناء ... لكن رئيسي صعب ...  
ولم أستطيع التسلل قبل نهاية الدوام ...).

أومات بنفاذ صبر ثم قالت ... (لا بأس عبد  
العالي ... أنا اريدك في خدمت ... أدعو الله ان  
لا تخيبني ...). ضم ما بين حاجبتي بحيرة،  
يقول ... (لو كان في استطاعتي ... أنت في  
مرتبة أخت لدي ...). شكرته ثم استطردت  
... (هل تذكر السيدة التي سُم زوجها  
... واتهمتها والدته ...؟). زادت تقطيبته  
يحاول التذكر، فهتفت خطيبته ... (المسحور  
... يا عبد العالي ... ما بك!). عادت البسمة  
تزين فمه الكبير، يقول بتفاخر ... (بلى  
أذكره ... لقد حوكت والدته وخالته بسنت  
سجنا ... بعد ان ثبت كذبهما ... ما به؟).  
نظرت سناء الى صديقتها، التي قالت باستطاف  
... (نريد المعنية ... زوجته التي اختفت ...).  
لم يفهم بعد يستفسر ... (ما علاقتكما

يهلوس باسمها طوال الوقت ..) ... رمقتها سناء  
بوجود، فاستطردت بحزم من أجل مصلحة  
صديقتها ... (يجب عليها ان تزوره ... لقد كان  
زوجا لها في يوم من الأيام بحق الله ... على  
الأقل يتصافيان ... الله أعلم بالأعمار ....) ...  
صمت عبد العالى غير متأكد، فحشته ... (قد  
يساعده ذلك في مرضه ... المسكين يتعذب ...  
ألا تكفيه أوجاعه العضوية؟؟) ... عضت سناء  
على شفتها السفلى، تشعر بقلبها يتضخم، لا  
تعلم لما هو؟ وفي حالته تلك؟ بعد كل  
السنين التي مرت.

زفر عبد العالى باستسلام يقول .... (كل ما  
سأعدكما به ... أننى سأبلغها برسالتكما ....  
وهي حرة ...) ... هزت سناء رأسها بامتنان،

بالأمر؟؟؟ ... ماذا تريدان منها؟؟) ... تولت سناء  
الرد تقول بألم أجادت اخفاءه... (زوجها ...  
يحتظر ... ويريد ان يراها لآخر مرة ...) ... أسرت  
استغفارها، لكذبتها لكنه فعلا مريض ويود  
رؤيتها بشدة، يكاد يهلوس باسمها كل حين،  
وهي تعبت ولم تعد تتحمل ... (ليس بزوجها  
...) ... اتسعت مقلتي سناء تهتف بعدم تصديق  
... (ماذا!!؟؟) ... حرك يديه الضخمتين يفسر  
... (الفتاة طلقت نفسها بالمحكمة ... لا أعلم  
كيف! ... لكن المحكمة حكمت لها  
بالتطليق من أول جلست ... وكانت سرية بطلب  
من محاميها ... لم يحضرها سواها والقاضي  
والمحامي وشاهدين موثوقين ...) ... فغرت سناء  
فمها بسهوا، وقد تنفست أخيرا بعد ضيق ألم  
بصدرها، فتدخلت صديقتها تقول ... (لكنه

مسرورة... (والثالثة ؟؟) ... أخذ الكأس بين يديه بعد أن حط به النادل، يقول ... (حين كنت قادما اليك .....!).

.....

اليوم التالي ... صباحا .... منزل آل عيسى ...

فتح اسماعيل مقلتيه برويته، وقام بأول حركة اعتاد عليها مؤخرا، التفت إليها ليجدها تنام بسلام. ابتسم لمرآها ينعش قلبه كلما فتح مقلتيه ليجدها قربه، رغم بعدهما النفسي. تتجاهل كل ما يحدث حولهما مع انه يهدد بإفشال علاقتهما الوليدة، وكأنها قادمة وهي مصرة على زواج دائر و ناجح. تنفس براحته

فالتفت الى خطيبته يقول بنبرة أخجلت الأولى فقامت معذرة.... (أين عصير خطيبك ... أم أنك نسيته؟؟) ... (عن اذنكما ... شكرا لك عبد العالي ...). انسحبت فقالت صديقتها بخجل .... (لقد أخجلتها يا عبد العالي ...). ضحك يرد وهو يشير للنادل .... (لم أقل شيئا بعد ... كي أخجلها أو أخجلك ...). احمرت وهي تقول ببلاهة ... (وما هذا الذي ستقوله يا عبد العالي ؟) ... اقترب هامسا كأنه سيسر لها بسر خطير ..... (لقد تذكرتك اليوم ثلاث مرات ....). لم تصدق حظها تهتف بدهشة ... (حقا! ... متى؟) .... بقي على همسه يرد بحب منفرد خاص بأهل الجبل .... (حين تضررت جوعا وسط النهار.... و حين قبضت على سارق أضنانا البحث عنه ...). صمت فقالت

البارحة...قبضوا عليها؟؟... هل جننت يا سهام  
...كيف تخون زوجها ولم تكمل عاما كاملا  
في زواجها؟؟... ثم...يا إلهي إنها مريم....حالت  
تلبس؟؟... يا إلهي (...). أنهت المكالمات،  
والتفت لتجده أمامها، وقد نسيت أمر زواجها  
كلها. انتظر تفسيرا لما سمع، ليتفاجأ بدلا من  
ذلك، بقضها من السرير تقول بجديتة... (يجب  
ان نذهب للمركز..... حالا!!.....).

.....

حين تذكر والدته، وعدم تعرضها لنوبة  
الليلة الماضية، فالأمر مرهق لهما معا، يستنزف  
الفرص التي يخلقها ليتقربا من بعضهما.  
علا رنين هاتفها، فقطب بريبتة من قد يطلبها  
باكرا هكذا؟ تلملمت تمد يدها الى الهاتف  
دون ان تفتح عينيها فعادت بسمته، مأخوذا  
بحركاتها، والخصلات منفلتة من عقالها، تسرح  
في كل مكان.... (نعم...سهام... عدت لعادة  
الاتصال باكرا...). لازل يراقبها ببسمته،  
تتجمد مع انتفاضتها وهتافها... (ماذا تقولين يا  
سهام؟؟.... متى وكيف؟؟)... راقب ارتعاد  
يدها، تحاول التيقظ كي تسمع بتركيز، ثم  
قالت ما جعل كل حواسه تتنبه تأهبا.... (مريم  
بذاتها!!.... هل أنت متأكدة؟؟... ليلة

## الفصل الثالث

إذا المرء لا يردك إلا تكافاً ... فدعه ولا  
تكثر عليه التأسفاً... الإمام الشافعي..  
قبل سنوات ... ثانوية الإمام مالك.

ترجلت من على دراجتها الهوائية، وتوجهت بها  
لتضعها بين مثيلاتها المصطفة بترتيب، داخل  
أول ساحة واسعة تستقبلهم خلف الباب  
الحديدي الكبير للثانوية. التفتت ترمي  
ساعتها المطاوية بنظرة مستهجنة لتأخرها،  
فأسرعت من خطواتها التي عادت وتمهلت حين  
استدارت خلفها على اثر نبرة لاهثة

... طائعت!!... أنت أيضا تأخرت؟... تمهلي  
...!!... انتظرتها تقول بنفاذ صبر... (مريم  
... لقد تأخرنا ... يا إلهي ... لأول مرة أخط في  
النوم ... والامتحان!!...).. قاطعتها تقول ببسمة  
ماكرة مليئة باللؤم... (لا تخافي ... لن يكون  
هناك امتحان اليوم ... وأستاذنا العزيز  
... سيضطر لإلغائه ...). فغرت طائعت بين  
شفتيها، تدفع بحقيبتها الى جانب خصرها،  
لتهتف بدهشة... (هل قام بإلغائه؟؟... لم  
يخبرني أحد...). ... نفذت تلك النغزة المخيفة  
الى قلب طائعت، حين ضحكت بغنج لم يكن  
فيها قبلا وهي ترفرف برموشها الكبيرة حول  
مقلتيها الأكبر، لتضيف الى جمالها فتنة  
طاغية، وكان بياض بشرتها وخصلاتها  
الكثيفة السوداء التي تحرص على تصفيفها

دائماً، لا يكفون لتدير عقول أغلب من يلتقي بها، رغم صغر سنها....(لا يا عزيزتي ... لم ياغيه بعد ... بل سياغيه ... حين ندخل الآن..)... ضمت ما بين حاجبيها البنيين ريبته وهي تقول... (مريم... ماذا ستفعلين؟)... هزت المعنيتة كتفيها باستخفاف، ترد... (لم استعد للامتحان اللعين .... وسألغيه ...)... لم تنبس طائعت بحرف ترمقها بحيرة، فسحبت يدها تستطرد... (هيا ... ستساندينني ولا تفارقيني ...)... نفضت يدها من كفها، تهتف برفض... (لا مريم ... أنا لا دخل لي في ما

سيئ فيما أفعله ...). ... أومات طائعت باستنكار، فقلبت مريم مقلتها، تقول بسخط قبل أن تسبقها الى الصف .... (إن كُشف أمري ... سأخبرهم أنك شريكتي ... فمن الأفضل لك مسانديتي من أجل مصلحة الصف أجمع...). ... تنضت طائعت بخوف، من هذه المخلوقة التي بدأ تغير سلوكها يشغلها. تحديدا منذ سنتين أصبحت غامضة معقدة بالنسبة لها. باعت ريقها وهي تخطو الى مقعدها، مترقبته حتى أنها لم تلقي السلام على شريكها في المقعد.

تحرك الأستاذ من قرب مكتبه يحمل بين يديه أوراق الامتحان، كي يقوم بتوزيعها، فالتفتت بشكل آلي إلى مريم، التي غمزتها قبل أن تمسك على صدرها تلهث بشكل

بعد ساعتة .... المشفى المركزي ...

تقف على باب احدى غرف قسم المستعجلات،  
ترمق الراقدة على السرير بعدم تصديق. لقد  
وعدت ووفت. أُلغِيَ الامتحان، بل وطلب منها  
المدير مرافقة صديقتها مع نائبة الحارس العام  
الى المشفى، مع وعد بتعويضهما عن باقى  
دروس اليوم. راقبت الطبيب الشاب وهو يقترب  
من مريم يفحصها، ففتحت عينيها على غفلة  
منه تغمزها فانتفضت خوفا تبحث عن النائبة.  
نشغت حين لمحتها مستغرقة في حديث هاتفي،  
لتعود بأنظارها الى التي فاجأتها أكثر بإتقانها  
للدور الذي تقمصته ببراعة، تستغرب تهريها من  
الامتحان فهي متفوقة، إن استثنت مرات

هستري، جعل الاستاذ يعود خطوة إلى الخلف  
يلقي برزمة الأوراق، قبل أن يسرع إليها بهلع  
يهتف ... (آنسة مريم ... ما بك؟ ... ليبلغ  
أحدكم الإدارة... أسرعوا !!) ... تجمدت  
طائعة بصدمته، فهي الأخرى صدقت حالتها،  
من شدة حمرة وجهها المكتنز قليلا، بسبب  
تلاحق أنفاسها. ليتخلى الرجل عن حذره ويحاول  
تعديل ظهرها، كي تتمكن من التنفس جيدا،  
فتتسع مقلتيه رعبا وجسدا يرتخي بين يديه،  
فيمسكها بإحكام يتفقدتها، وتنتفض طائعة  
من مكانها مسرعة إليها، تلعن غباء صديقتها،  
متسائلة في سرها ما الذي تناولته جلب عليها  
تلك الحالة!!.

تفاجئهم بنقاط متدنية، وكأنها تُصاب بغباء  
لحظي.

رمشت بجفنيها مرات عدة، قبل ان تقرر أخيرا  
فتحهما لتجد أمامها مقلتين سوداوين يبصرانها  
بعمليّة، فابتسمت تهمس بعث لم تفكر في  
عاقبته ... (يال جمال عينيك! ...) ... تقوس  
حاجبيه دهشة يكبت بسمته فرضت نفسها،  
يستغرب جرأتها التي لم يعتدها في مدينته مع  
انه قد صادف مثلها لکن في المدينة  
الكبرى، حيث تخرج من كلية الطب حديثا  
.... (كيف تشعرين؟) ... (ناقمة!! ...) ...  
أخبرته بضجر ساخط، فابتسم رغما عنه، يقول  
بالتزامن مع حركاته العمليّة كطبيب  
... (يبدو أنك تواجهين يوما سيئا ...) ... تنضت

بعمق جعل مقلتيها تغرق في حيرة، جعلته هو  
ينتبه لها، لتقول بعدها بمرار لم تقصد هي  
إظهاره ولم يفته هو التأثر به .... (قل أياما  
وليس يوما واحدا ...) ... تجاهل ريبته منها،  
يرفع المصباح اليدوي الصغير كي يفحص  
بؤبؤي مقلتيها، معترف لنفسه بكبر وجمالهما  
الغير مألوف، فسأل بفضول .... (أصاك من هنا  
؟ ... أم من خارج المدينة؟) ... نظرت إليه  
بتمعن وكأنها تذكّر في أمر ما، ثم قالت  
مبتسمة بعث ... (أمي من جبل يبعد عن  
المدينة مسيرة ساعة ... أما والدي فمن حي  
السقاة هنا في الضواحي ... أظنك تعرف عن  
المكانين!! ...) ... هز رأسه وهو يطلب منها،  
متفقدا صدرها بالسماعة الطيبة ... (خذي  
نفسا عميقا ...) ... فعلت، ثم حثها كي تجلس



يجيب بدعشت... (لا أظنك من مواليد السبعين  
فما تحت ....هم من عانوا من تزييف تواريخ  
ميلادهم ...). ضحكت مجدداً، فترك  
معصمها يشعر بتوتر أريك ريعان شبابه، فقالت  
وهي تلمح تملل طائعت الضجر والساخط... (أنا  
لا أقصد ذلك ... أعني عمري الذي سجلوه على  
ورق .... وعمري الذي أشعر به أنا ...). رفع رأسه  
متفهماً، فقال بمرح ... (أخبريني عن كلاهما  
...). عضت شفتها السفلى المكتنزة بتردد  
أصابها للحظة، قبل أن ترد بجملة بدأت  
بتهكم، وتوسطت بغنج، لتنتهي بمرار ساخط  
مخيف ... (يقولون صغيرة!! ... مهمم سأكمل  
عامي السابع عشر مع انتهاء هذه السنة .... مع  
أنني أشعر بنفسي أعيش من العمر ضعفين  
... كل يوم .. بيومين ... وكل سنة بسنتين ...

ليفحص نفس المكان لكن من الظهر... (خذي  
آخر .... جيد!! ...). نطقها ثم استطرد مجادلاً  
... (لي زملاء هنا من الممرضين من نفس حيك  
... إنهم أناس طيبون...). ضحكت ساخرة ترد  
... (أجل طيبين ... جداً ..). أمسك رسغها  
يجس نبضها، فلفت نظره خاتماً له يسبق ان لمح  
مثله من قبل، فسلب انتباهه للحظة، حتى قالت  
بدلال ... (أعجبك الخاتم؟؟) ... بلع ريقه  
يحاول الحفاظ على شخصه في عمله، فأخر  
شيئاً يريد أن يتم استدراجه من قبل مريضة  
صغيرة، حسنا إنها حسناء  
وفاتنت... (همهم!! ...). تنحج من منحنى  
أفكاره ثم سأل بنبرة مراوغة .... (كم عمرك  
؟؟) ... اتسعت بسمتها ترد بمكر ... (المكتوب  
على الورق ... أم الحقيقي؟) ... قطب من جديد،

وارتباك وجميع الكلمات التي تحمل معنى لما  
شدّ عن الهدوء. فلم يعلم أن أنفاسه قد حُبست  
سوى حين وقفت أمامه سيدة وقورة، تسأل عن  
حالة التلميذة، ليبلغ ريقه من جفاف حلقه  
وفمه، يقول بدقات قلب تسابقت مع أنفاسه التي  
شبّ عن انقطاعها لبرهة، تسارعا ملحوظا ....  
(إجهاذ.... حممممم !!).... إنه إجهاد ... لم أجد  
شيئا خطيرا... سوى الإجهاد النفسي ....)  
أومات السيدة، وانصرفت بعد ان تسلمت منه  
تقريراً وقعته، وكله يقربان تلك الفتاة هي  
الخطر بعينه على الأقل عليه، فلم يفته اسمها  
الذي نطقه بشفتيه دون لسانه ... (مريم...)  
رفع رأسه في نفس اللحظة التي نطق بحروف  
اسمها، ليجد مقلتيها الواسعتين في انتظاره،  
لكن بنظرة أرعدت قلبه، كيف؟! ...مرت

... تجمد في مكانه لا يملك سوى مراقبتها،  
وهي تقوم من على السرير، وتقترب منه تردف  
بهمس اقشعر له بدنه، إن كان رجولتاً أو ريبتاً  
... (وانه لشيء متعب ....يا دكتور) ... رفعت  
اصبع ابهامها تربت على شفتيها تسأل بغنج  
عادت إليه ... (على فكرة ... ما هو  
اسمك؟؟).... أجفل من بحلقته جراء دهشته  
يرد بتوتر ... (أمين ....اسمي أمين ..) ... قطب  
حين زمت شفتيها الى الأمام تقول بدلال، يقسم  
بغلاظ أيمانه أن هذه الفتنة ليست طبيعية...  
(مممم .... إذن دكتور أمين ... ما نتيجت  
فحصك؟؟).... (ها؟!...) ... رد ببلاهة فضحكت  
مما جعل طائعتة تزفر هواء حانقا، وصلهما رغم  
بعدها... (لا يهه .... ستخبر النائبة ... الى  
اللقاء ....دكتور أمين) ... تركته على دهشته

على جسدها الى حدود كعبيها، عليه سترة إلى  
أول خصرها، بئيتة كلون الطرحة وحادثها  
عالي الرقبة المسطح. ضيق عينيه مقرا  
بأناقته المحتشمة، وتحدث مهدئا... (لن يتأخر  
طارق ... سترينها ان شاء الله ...)... تنبهت إليه  
تنزع عقلها من أفكارها العاتية في صخب. تهز  
رأسها باستجابة عابرة، ليستطرد بتأكيد  
... (سنعلم كل شيئ بالتفصيل ...)... لم تكذ  
تبدي ردة فعل، حتى دخل عليهما طارق يلقي  
التحية في طريقه الى مقعده خلف مكتبه.  
ناظرهما بخفتة قبل أن يقول بتردد.... (هل أنت  
واثقة من رغبتك في رؤيتها؟؟)... رمت زوجها  
بنظرة خاطفة، قبل أن تهز رأسها مرات عدة،  
ليزفر باستسلام ويتدخل اسماعيل مستفسرا ...  
(أخبرنا طارق ...)... هز كتفيه يجيب بعملية

سنوات سافر فيها إلى الخارج من أجل دراسة  
التخصص، ثم عاد الى مدينته، دون ان يتوصل  
لجواب شافي كلما زارته المقلتين الواسعتين  
ببريقهما المخيف، كبريق خاتمها الفريد.

.....

الحاضر ..... مبنى الشرطة المركزي.

ضم ذراعيه الى صدره و أرخى ظهره على مسند  
مقعده، ينظر الى الجالسة أمامه والبعيدة عنه  
كليا. يجزم بتحليق عقلها الى الماضي، من  
خلال سهوها الذي طفى على صفحة وجهها  
القلق. رغم هدوء هيئتها الأنيقة ببدلتة نسائية  
محتشمة، مكونة من فستان منسدل بانسيابية

على موافقته، فعاد يهز كتفيه باستسلام يشير  
لهما ليتقدما .

ضمت نفسها تحميها من برد شعرته فاقشعرت  
وهي تنتظر في غرفة ما، أرشدها المفتش إليها،  
تحمد ربها على موافقة زوجها لزيارتها، كما  
تشكر له بقاءه خارجا. فتح الباب لتظهر من  
خلفه. إنها بالفعل مريم لكن!!! أسرعت إليها  
ترتمي بين ذراعيها تلهث برعب وهي تهتف  
بنبرة بحت من البكاء.... (طائعتي.... الحمد لله  
أنك أتيت... أنا بريئة طائعتي... ما يقولونه  
عني... انا لم افعله.... يا إلهي... انا... أخون  
زوجي... ومع من... مع سلف شقيقتي... أنا لا  
أعلم ماذا يحدث... أشعر بنفسي أفقد عقلي  
....) ربتت على ظهرها، قبل ان تبعدا قليلا

... (استعلمت من زميلي المكلف بقضايا ...  
الأدب .... هي مقبوض عليها في شقة هنا وسط  
المدينة مع شاب يقربها .... شقيق زوج  
اختها!...)... تلاحقت انفاس طائعتي، تهتف  
باستنكار... (لا أصدق.... مستحيل... مريم  
...إنها)... صمت اسماعيل يتأمل تأهبها، في حين  
تحدث طارق مؤكدا.... (الحالة تلبس... رأيت  
الصور في الملف.... كانا بملابس داخلية  
.... أستغفر الله....) وقفت منتفضة تمسد  
على سترتها، تقول بجفاء... (من فضلك حضرة  
المفتش... أريد مقابلتها... )... نظر الى  
اسماعيل وكأنه يطلب منه منع زوجته من  
التورط في شبهة، إن كان أهلها قد انسحبوا  
جميعهم بصدمة كادت تؤدي بوالدها الذي  
أسعفه الى المشفى، إلا أنه أسدل جفنيه، دلالت

...تحملني وزر أبي الذي أصيب بجلطة بسبب  
الفضيحة....) ... بترت حديثها تنتحب مجدداً،  
فربتت طائعتاً على يديها تستفسر بهدوء تحاول  
إيجاد نقطة واحدة تبدأ منها.... (ما آخر ما  
تذكرينه قبل ذلك؟؟) ... فتحت فمها  
تستجمع انفاسها كما افكارها المبعثرة، ثم  
هتفت بتيه ترد ... (كنت !)... أجل كنت في  
عرس الجيران ... أنت تعرفينهم ... فنحن نسكن  
في نفس الزقاق ... برفقتي أمي وأختي  
الكبرى.... اسألني سهام كانت حاضرة هي  
وزوجتي خالك... حتى أنني سألتها عنك.....) ...  
ضمت طائعتاً شففتها السفلى وقد تشتتت هي  
الأخرى معها، فسحبت مريم يديها تقول بانها  
لا تكف عن الارتعاد ... (أنت لا تصدقيني ....  
مثلهم ... الجميع تخلى عني .... الله اعلم ماذا

تقول بإشفاق ... (اهدئي مريم .... اهدئي كي  
نتحدث ...).. هزت رأسها دون أن تكف عن  
الشهيق من أثر البكاء والرعب، فسحبت  
لتجلسها على أحد الكرسيين وتجلس مقابلتها  
لها. أمسكت بيدها تسأل بحذر ... (هلا  
أخبرتني ماذا حدث؟؟) ... نظرت إليها نظرة  
بائسة، تنضح منها الحيرة والجهل تقول بتقطع  
... (لا أعلم .... فجأة وجدت نفسي مكبلتة...  
وأنا ... يا إلهي ... لا ارتدي سوى قميص  
خليع... برفقتي قريبي ... ورجال يدفعون بنا من  
شقة لم أرها من قبل ... والناس .... الجيران  
طائعتة... بعضهم يبصق علينا ... والبعض يسب  
ويلعن ... قاموا بتصويرنا هنا.... وسألوني بعدها  
اسئلت لم اعرف لها من جواب ... ثم ألقوا بي في  
زنزانتة .... لم أرى من أهلي سوى أمي المصدومتة

أخبروهم بانتهاء الزيارة فضمتها بحنو تهمس  
بثقتة... (تماسكي مريم... سنجد حلا بإذن الله  
...). ... انسلت بعيدا عنها تهز رأسها بعدم يقين،  
وخطت بتمهل بانس الى أن اختفت عن مرمى  
نظرها.

تقدمت بسهولة لتجفل على يد زوجها التي امتدت  
تمسح ما اكتشفت أنها دمعة سالت على خدها،  
ولم تنتبه لها... (وضعها صعب؟؟) ... سأل برقتة،  
فأومات له بتأثر تهمس.... (هناك شيء ما  
مفقود.... لا أعلم ماذا أقول... لكنني لا  
أستطيع التخلي عنها.... لا أستطيع!...)...  
توسلته بشكواها، فضم ذراعها يحثها قائلا  
... (لا تفعلي إذن... إذا كنت مؤمنة ببراءتها  
فابقي بجانبها...). ... توقفت تلتفت إليه تبحث

سيفعل زوجي حين يصل؟! (...). ... مسحت على  
وجهها، تقول بتماسك تعلمته من عملها  
.... (اهدئي يا مريم... لا يهمك إن صدقتك أم  
لا... بل ما يهم الآن هو اخراجك من هنا...) ...  
انكمشت على نفسها برعب، تقول بيأس  
... (كيف ذلك؟؟... مع انني لا اتذكر كيف  
وصلت الى تلك الشقة... لكنني اتذكر  
جيذا خروجي منها... وبرفقتة... آه... يا إلهي  
...). ... غطت وجهها بخزي تنتحب، فزفرت  
طائعتة، دوما ما يحوم حول هذه الفتاة غموضا  
وأمر ما يجعل قلبها يرتعد، لم تعرفه قبلا وظنت  
أن ما حدث في عائلتهم السبب، لكنه نفس  
الأمر حدث لعائلات قباهم وأخرى بعدهم، ولم  
تشعر بنفس القلق تجاه أبنائهم.

## الحرم الجامعي ...

زفرت بضجر تنسحب من المحاضرة فور انتهاءها،  
وصديقتها تهول في أثرها هاتفتة ... (رواح!)...  
انتظري!... رفعت وجهها لأشعة الشمس  
تستشعر دفئها، وقد بدأت نسيمات الخريف تميل  
للبرودة مودعة أجواء الصيف الحارة... (مللت  
... لم أكن أعلم ان الجامعة مملت هكذا ...)  
ضحكت صديقتها ترد بمرح .. (ماذا كنت  
تنتظرين؟ ... على الأقل الحضور ليس اجباريا  
ولا مراقبة صارمة كالثانوية ...)  
تقدمتا الى الساحة الكبيرة واتخذتا زاوية تحت  
إحدى النخلات المنتشرة فيها، ورواح تقول  
بضجر، عينيها لا تكفان عن البحث هنا

عن تأكيد في عينيه... (حقا؟!... وماذا عن  
شقيقك؟ ..ألن أجلب له فضيحة بشكل ما؟!...  
تعلم عن وضعه!...)... عاد يحث خطاها قائلا  
بثقتة... (ابراهيم لا يترك مظلوما دون مساعدة  
... ثم هذا يتعلق بسمعة فتاة ... كما قلت  
سالفا ... إن كنت متأكدة من براءتها ... فلا  
توفري مجهودا ... وأنا معك ..)  
... ابتسمت له غافلة عن قربها الذي أهلك أعصابه، لتنتهيها  
ببسمتها المتأثرة... (شكرا لك ..)  
... شد على ذراعها قليلا يقول ببسمة متسعة... (لا  
شكر بين الأزواج... دكتورة...)  
.. نطقها ببعض المزاح، جعلها تنسى همها لبرهة من الزمن.

.....

وهناك... (أرجوك... لا تذكريني بتلك الأيام.... راحت ولن تعود...)... هزت صديقتها رأسها مؤكدة، فانضمت إليها بصمت تراقبان المحتلين للساحة من الحشود المختلفة الأعمار والجنس.

احدهما لم تجد ضالتها رغم أنها لا تعترف حتى ببحثها المضني، لتتجمد لوهلة وهي ترى نجوى تحدث شاب ما أقل ما يوصف به الوسامة، بل الوسامة بخس في حقه، بذلك الجسد المعضل المكسو بملابس شبابية مهندمة وأنيقة، وقصة شعره التي يصل طولها الى نصف عنقه يلمع لونه الكستنائي تحت اشعة الشمس الساطعة. همست بسهو.. (استدر... استدر... أجل..)... استدار لتنتهي تفحصها لوجهه

الأسمر، ولحيته المشذبة تذكرها بآخر، طردته من فكرها، في التو والحين.... (مع من تقف نجوى؟؟)... تتبعت صديقتها مسار نظرها، لتتسع مقلتيها وهي تهتف بلهفة من نسي أهم الأخبار، لم يقر بواجبه في نقلها... (نسيت اخبارك.... إنه من عائلة عمها صاحب شركة كبيرة في العاصمة الاقتصادية.... لا أعلم لما نقل أوراقه هنا ليكمل آخر سنت له تخصص \*تقنيات استغلال الطاقة\* أو شيئ من ذلك القبيل.... انه التخصص المعقد الذي له صلة بأعمال مشروع الطاقة الجديد... تعرفين عنه؟؟)... أومأت رواح بسخط ترد... (أجل اعرف.... ولهذا جعلوا من شروط ولوجه معضلة... لم يُعْتَبَها أحد من أبناء هذه المدينة... مع أن المشروع على أرضه ويستنزف مياحه وشمسه



وجه الأخرى تهتف بدهشت... (ماذا؟؟)...  
ابتسمت رواح بتسلية سوداء لا تبشر بخير، وهي  
تجيب بتمهل تشير بكفها.... (الفرصة من  
ذهب.... والنجم... بووووووف!!)... ينشغل  
بأخرى... (انتفضت الفتاة تمسك ذراعها  
قائلة بتسلية توفرت لها، فلما لا تستغلها... (من  
تقصدين؟ ... أنت؟!)... حدجتها بنظرة  
ساخطة، ترفع حاجبا بخطورة.... (وهل أنا لا  
أصلح للمهمة؟؟)... (طبعاً... تصالحين وأكثر  
...).. هتفت بتوتر، ثم استطردت بمكر وهي  
تفرك كفيها بحماس... (متى ستبدئين؟؟)...  
ما رأيك بالآن؟؟)... (أومات بسلب فأحبطت  
الأخرى.... (لا.. ليس اليوم... اتركها تهنأ  
بأمانها... وأنا سأستعد لها... وبعدها  
.... لنرى!!)... صمتت الأخرى تكتم احباطها،

.... أراهنك أن هذا الشاب لم يقبل سوى برشوة  
أو محسوبية... ألم تقولي ثري؟؟)... (مهمم....  
مممكن!..)... نطقت ثم استطردت متنهدة  
بحالمية... (المهم أن نجوى قد أتتها فرصة من  
ذهب.... وستستغلها شر استغلال...).. التفتت  
إليها مستفسرة.. (ماذا تقصدين؟؟)... ضحكت  
مجددا تقول بتهكم... (تعلمين كيف كانت  
تحوم حول ابن آل عيسى... لتستسلم أخيرا...  
جهلت السبب لفترة... وحين ظهر هذا النجم  
علمته رأسا... وبطل العجب...).. تذكرت رواح  
ما حدث وتشنجت قسماتها بقرف، لتضيق  
مقلتيها في لحظة، انبثق فيهما التكبر مع  
الألم مصاحب للعجرفة، لتطفو نزعته الانتقام  
على صفحة ملامحها ذات السهام السامة... (ما  
رأيك إن دمرنا خططها؟؟)... فر المرح من على

.... أطربني بصمتك ...ماذا تفعل هنا؟؟.. ألم  
تكن لديك محاضرة؟؟... )... أوما بيأس، يقول  
وهو مغادر، دون أن ينسى طبعا دفعه بنزق... (أنا  
الملام لأنني أحدثك ...الى اللقاء...وغضّ  
بصرك ....يا منحل ...). تما لك توازنه يرمقه  
بغضب انقلب الى بسمتة دافئة، حين تذكر  
الموقف الذي نعتته على اثرها بالمنحل. ليعود  
بأنظارها المتلهفة باحثا عنها فلم يجد لها أثر.  
.....

مساء ..... منزل آل عيسى ...

تبتت السماعات في أذنيها تجيب مخاطبتها...  
(لا أعلم يا سلوى ... لست متأكدة ...السجن هنا  
خائق ... وكل شيء مقدور على أمره .... إلا  
تلك ال... خالته مصيبة لوحدها... )... صمتت

بينما رواح تفكر في تدريباتها على الكعب  
العالي، وكأنه سلاحها المدمر الذي ستكمل  
به لوحته جمالها، كي تنافس من حطمت  
كرامتها لسنين طويلة، دون ان يرف لها جفن.  
غافلت على من وجدها منذ مدة يراقب  
سكناتها، كما نظراتها الى ذلك الشاب  
الجديد، ومن لم يلمحه ببهرجته الغير مألوفة.  
فتشتد أعصابه بغضب يضيق به صدره. ... (ألم  
تسمعي؟؟ ... هناك تجمع بعد يومين عند  
السد ... أحدهم سيقوم حفلة... هل نذهب  
؟؟... لم يسبق لي ان ذهبت الى السد ...). ... لم  
يجبه فدفعه بحنق، وقد لمح مركز اهتمامه  
... (كف عن التهامها بنظراتك ... لن تصالحها  
بذلك ...). ... أجابه بزفرة ضجرة، فاستطرد  
بمرح ... (هل سنذهب أم لا؟؟؟) ... (كما تريد

أنفاسها المنفلتة بفعل الخوف، تستطرد بألم  
... (طبعاً ستجن ... ألم تكن زوجة ذلك  
المتوحش؟؟ .... أوووووف!! ... )... نفخت تتحول  
الى سخطها المعتاد تردف ... (أنا جائعة .... وان  
لم أكل قريباً ... سأكل أحدهم ... ) ... أصدرت  
ضحكة حلوة، لم يرها أحد من قبل. تلك  
التي تتزين بها ثغور الفتيات البريئات، ذوات  
البال الخالي من الهموم والمتمرغات في أحضان  
ذويهن بدلال. .... (هل أصبحت غولا يا تغريد؟؟  
... كما قالت الخالدة مصيبة .... ابن الزعطوط  
... )... رفعت كفيها تغطي على فمها، تكتم  
ضحكها وهي تتذكر كلمات الخالدة، لتتحول  
الضحكات الى عبوس طفيف حين انتقلت  
الذكرى الى شاب أشقر يتسلى على حسابها  
... (أشقر ناعم ... يظن نفسه ظريف... ذلك

تنصت بضجر استحكم بها، ثم ردت بسخط  
... (انا أدري بأنها حفلة كبيرة... هل سأظل  
أشرح لك؟؟ ... إن أفلحت في التسلسل سأرافقك  
... فقط تأكدي باستعارة \*السكوتر\* ... \* نوع  
من الدراجات النارية \* ... لأنني لن أستقل سيارة  
أجرى... )... صمتت من جديد، ثم قالت لتنتهي  
المكالمة ... (حسناً ... سنتحدث في التفاصيل  
غدا .. إلى اللقاء ... )... نزعنا السماعات وألقت  
بها على السرير مع الهاتف، وتفقدت الساعة  
تزفر براحة ... (أخيراً ... سأجلب بعض  
الوجبات .. ).... وضعت يدها على مقبض الباب،  
فانتفضت بدل فتحه على اثر صراخ الحاجة  
إيجت. تركت المقبض وعادت ترتمي على  
سريرها تهتف بنزق ... (ما بالها تلك المرأة  
المجنونة؟؟ .... ).. تأملت السقف تتمالك

ال...)... اعتدلت جالسة تمسك على بطنها  
تهتف بانزعاج....(أنا يجب أن أكل .... مضطرة  
للصبر قليلا.... حتى تهدأ المجنونة وتنام  
...)... تلفتت حولها تبحث عن شيء ما يلهيها عن  
جوعها، فسحبت قنينة طلاء الأظافر التي  
أجادت اخفاءها، وشرعت في طلاء اظافرها يعد  
ان أعادت السماعات الى أذنيها.  
.....  
قبل لحظات... غرقت اسماعيل  
كان يقرأ في كتاب حين اندست مكانها،  
تحدث ابنة خالها .... (شكرا لك سهام ...  
بلغني سلامي لأهل البيت...ماذا؟؟)... صمتت

بتوتر جلب تركيزه إليها، ترد بتاعته... (أجل  
...كيف حالك؟... لا... أنت لا تفهم...)  
قطب وقد استدار كليا إليها، وهي تتنهد برفض  
من محدثها، لا تزال على تلعتها... (من  
فضلك... يا ابن الخال.. افهمني...)... أشار لها  
بدفعة من ضيق ألم بصدره، فقالت بآلية...  
(زوجي يريد محادثك... تفضل...). تهربت  
بمقلتها وهو يستلم منها الهاتف، يحدثه بهدوء  
ظاهري.... (السلام عليكم...)... طال صمته  
ينصت بتمعن، كما تعبت من تهربها، توضع في  
موقف مماثل لأول مرة في حياتها. تعتبره أخاها  
الذي تربت معه تحت سقف واحد، لكنها أيضا  
كبرت وهي تسمع من جدها ووالدتها من يحل  
لها ومن يحرم عليها.

كان الأمر أسهل مع البروفيسور لأنه كان  
استاذًا لها وبينهما علاقة احترام متبادلة، كما  
هناك مبررات لمكالمتهما، ومع ذلك تشعر به  
يتقبلها على مضض، لكن ابن خالتها، لا تعلم  
كيف سيتقبل مكالمة لها!!، إن كانت هي  
الأخرى غير معتادة على ذلك.

(شكرا لك .... بلغ سلامي للسيد الوالد  
والسيدة الوالدة .... ان شاء القدير ... سنقوم  
بزيارتكم ... ومرحبا بكم أيضا في منزلنا  
... تصبح على خير ... ) بسط يده بهاتفها،  
فتلقفته بصمت ووضعته على المنضدة جوارها،  
وعادت تنتظر حديثه. وكعادته أخذ وقته في  
إغلاق كتابه ووضعها في مكانه، ليقول بهدوء  
... (ابن خالك يرفض تدخلك في أمر مشابه

(... بللت شفيتها ثم قالت تفاجأ بما لم  
ينتظر .... (لقد باغتني حين حدثني من هاتف  
سهام .... أنا آسفة لم أكن لأحدثه دون  
إذنك... وعلى ذكر هذا ...أريد ان أسالك  
حول مكالماتي مع البروفيسور ... هل تضايقتك  
بأي شكل من الأشكال؟؟).... تعلق شبح بسمته  
بجانب ثغره، وهو يقول ببعض من المرح ردت  
عليه بجديته ... (إذا أخبرتك بأن حديثك  
معه يزعجني... ماذا سيكون رد فعلك؟؟)....  
(سأخبره واعتذر منه ... ولن أكلمه أبدا ... )  
تقوس حاجبيه يستفسر بدهشة ... (أووا  
تفعلين؟؟) ... هزت رأسها مؤكدة فانحصر شالها  
الى الخلف يكشف عن مقدمة شعرها، وعنقها  
النحيف والطويل ذو عظمتي ترقوة بارزتين....  
(بالتأكيد ... أعترف أنه إنسان محترم ...

وأقدر له كلما علمني إياه... لكنه يظل  
أستاذي.... وأنت زوجي... لا مقارنة بينكما  
.... أنت تأتي في المرتبة الأولى في كل شيء  
... (يرمقها بسهو معجب، من خلف البلور  
الرقيق يضيف الى مقلتيه رونقا جذابا، وهي  
تردف... (لذا إن طلبت مني ذلك ... سأطيعك  
...))... علت حمرة خديها من بحلقته، فقال  
بلطف... (بالنسبة للبروفيسور أنا احترامه أيضا  
... أعلم أن ما يجمعكما دراسة وعمل وعلاقة  
ودية خالية من أي شوائب... كما أعلم أنك  
إنسانة خلوقه ما كانت لتتجاوز حدودها  
... حتى مع ابن خالتك... او أي أحد آخر...))  
ابتسمت له فاردف بتحذير مبطن يُعبر عن  
دواخله... (لكن أي رجل تحدثينه في الهاتف  
... أتمنى أن يكون في حضوري لا لشيء إلا من

أجل حمايتك أنتِ ....).. أومات موافقت  
.... (بإذن الله... شكرا لك... )... لم يعد  
يستسغ تلك الرسمية بينهما، لا تليق بقربها  
منه هكذا على السرير، فتسطح على شقه  
المقابل لها قائلا بعد أن أزال نظارته الطبية  
... (لنعد الى موضوعنا الرئيسي .... هو لا  
يريدك أن تتدخل في قضية صديقتك ..)..  
فعلت مثله دون ان تطفئ النور بجانبها ترد بأسى  
.... (أنا أدري بالحال في حيننا ... مريم أصبحت  
فضيحت... الجميع يتبرأ منها .... بينما هي  
علكت لا تفارق أفواههم.... لن يسأل أحد عن  
حقيقتة الوضع... ولن يهتم بها أحد ... بل هي  
الآن صيد ثمين... وقع صريعا أمام أنياب شرسته  
...ستنهشه دون رحمة... وأنا لن أسمح بذلك  
... ليس قبل أن أتحرى عن الأمر.... وأفعل كل

تحت رأسه يسأل بفضول....(بمعنى ؟!)... رفعت  
هي الأخرى نفسها، تستند على كفها تفسر  
بعقلانية....(بين حيناً ومكان الشقة هنا في  
المدينة... نصف ساعة بالسيارة أو الدراجة  
نارية.... متى وصلت ومتى اجتمعت بالرجل؟؟  
... ليتعشياً كما قيل في التحقيق من بقايا  
الطعام... ثم ل....).... احمرت بخجل، فشد  
على شفته السفلى كي لا يبتسم، وهي تردف  
بسرعة كي تتجاوز الكلمات المخجلة  
....(وسهام تأكد أنها رأتها في الحادية عشر  
ليلاً لأن شقيقتها حدثها في نفس تلك  
اللحظة.... يحذرهما من التأخر... ووقت القبض  
عليهما في التحقيق هو الساعة الثانية عشر  
.....).... تلكأت تشعر بالإحراج، ثم أردفت  
بجدية... (المهم هناك شيء مريب....)....

ما في استطاعتي... لأثبت براءتها مما نُسب إليها  
... سألها بهدوء يراقب كل طرقها للتعبير  
... (يبدو عليك الاقتناع بإنكارها للتهمة  
... رغم حالة التلبس... )... زفرت بخفوت ثم  
ردت.... (لدي شعور غريب.... إنكارها كان  
صادقاً... الزمن بين وجودها في العرس والقبض  
عليها.... هذا يجعلني أفكر... )... صمت  
منتظراً وهي تسترسل..(أولاً هي لا تذكر سوى  
حين كانت في العرس... لا شيئ آخر إلى أن  
صفدوا رسغيها... ثانياً... أن سهام ووالدتها أكدا  
حضورها في العرس.... ولمدة طويلة... حتى  
أنهما صدمتا بالخبر تتساءلان متى غادرت  
ووصلت إلى المدينة.... وقبض عليها بتلك  
السرعة.....).... لا زال متنبها لكل حركة  
شفتها، ونظرة عين، لا يحيد عنها. دس كفه

ابتسم يقول وهو يهز كتفيه بخفتة....(ممکن  
..... لكن أنا أنصحك بعدم التأمل بشكل  
كامل... )... قطبت وهو يستطرد... (الحياة  
علمتني أن لا أثق بالكامل.... كما لا أتهم  
بالكامل.... دائما ضعي نسبة لدحض ما  
تصدقينه... كي لا تصدمي.... حين تغدر  
بك الحياة .. )... ضمت شفيتها تفكر في  
قوله، فقال بعملية... (قلت بأنها لا تذكر ما  
بين العرس والقبض عليها.... فيما تشكين  
بالضبط؟... حالة استدراج؟... أم حالة  
مرضية؟... )... زممت شفيتها قليلا قبل ان ترد  
بسهو... (كلاهما مطروح... )... اجفلت على يده  
ترفع وجهها من دقنها فارتعد قلبها، وهو يقول  
مفسرا.... (هناك فرق شاسع بين الأمرين....  
)... تجمدت على وضعها وهو لم يزل يده

مستطردا.... (إن كان استدراج... فأول مشتبه  
فيه هو الشاب الذي كانت معه... وذاك عمل  
الشرطية.... أما إن كانت حالة مرضية  
...حينها سيكون تدخلك منطقيا  
...فهمتني؟)... سأل بنبرة هامسة بعثت برعشة  
أخرى أطول وأكثر تأثيرا، فارتخى جسدها على  
السريير، وسحب يده بروية، ثم قالت بنبرة وشت  
بتوترها... (يمكنني استغلال ما حدث لعما  
في اثبات وجود خطب ما... كي يكون تدخل  
كما قلت رسميا... حينها سأستطيع زيارتها على  
الدوام.... ).... يبدو أنها ليست الوحيدة  
المتأثرة إذ ان نبرته ظلت هامسة وهو يستفسر  
... (ماذا حدث له؟)... شقت بين شفيتها تفكر  
وهو يرمقهما لوهلة، قبل أن يعود لمقلتها وهي  
تقول... (شئ نفسه صباح يوم مضى في بيت



الناس أنها ممسوستة....كعاداتهم دائما ما  
يلحقون ما يستعصي عليهم بعالم الجن .....)  
قالت باستهجان ثم أردفت... (تقدم إليها شاب  
من عائلة ميسورة في حيننا... فلم يستطع والدها  
الرفض.... بل وأجبرها... )... صمتت قليلا ثم  
قالت بعدم تصديق متجدد..... (هل تعلم انها  
حاولت الانتحار في بيت أهلها أولا؟).... رفع  
حاجبيه كناية عن الدهشة، فأومات مؤكدة  
... (بلى ..ألقت بنفسها من سطح بيتهم  
..... لكن المنزل الترابي....مكون من طابق  
واحد أرضي.... لم ينالها منه سوى رضوض أضاف  
إليها والدها الكثير حين عاقبها بوصلتة ضرب  
مبرحتة... ).... اقترب منها وقد ارتعشت كفتها،  
وامسكه بين يديه، لا يعلم أنه قد زاد من  
توترها بفعلته.... (ضربها؟!)... استنكر

عائلتهم... )... تجعد ما بين حاجبيه، قبل أن  
يقول مقرا.... (لي علم بكل حالات الانتحار  
التي حدثت في مدينة الجبل.... وللأسف  
حيكم له النصيب الأكبر... بل من هناك  
بدأ الأمر لأول مرة.... )... نسيت أمر توترها وقد  
حل محله شعور بالخوف، ارتسم على ملامحها  
فشعر بها قلبه ولهف عليها.... (بلى.... أنا اذكر  
أول من فعلها.... فتاة اسمها بهيتة... كنت  
حينها في الرابع عشر من عمري تقريبا... )...  
هز رأسه بتمهل يؤكد... (أجل... كانت فتاة  
أجبرها والدها على الزواج.... فقتلت نفسها ليلتة  
عرسها في غرفة زوجها!...)... نظرت إليه  
لاتزال على ملامحها أمارات الرعب، تحكي  
... (أذكر كل التفاصيل... وكأنه الأمس....  
كانت ترفض كل من يتقدم إليها.... فظن

ربطته بعلاقة الستارة الحديدية ..... وألقت  
بنفسها من نافذة الغرفة المطلّة على قاع  
المنزل الكبير لعائلة زوجها ..... ارتعدت  
أكثر فضعها مهدئاً... (شششش... اهدئي...)..  
أخذت أنفاساً متعددة ثم أردفت بألم الذكرى  
.....(علاقة الستارة لم تتحمل وزنها فسقطت من  
الطابق الثاني... ليصطدم رأسها مع بلاط  
الأرضية الصلبة ..... ماتت من فورها ..... وسط  
بركة من الدماء... )... انسابت دمعات صامتة  
على وجنتيها فشد من ضمها، يهمس لها  
بكلمات تمنحها هدوءاً انتزعه منه عطرها  
الهادئ، وملمس بشرتها الناعمة .....(لا بأس  
.....إنه الماضي ..... نحسبها مريضة والله سيغفر  
لها لأنها كانت فاقدة لإدراكها ..... أعراض  
مرضها كانت واضحة ... الناس لا يعترفون

فأكدت... (بلى .... فقد كان العرس قد بدأ  
... ولم يكن ليخاطر بوصول الخبر لأنسابه  
.....) ... ربت على يدها ، يحاول تجاهل كم  
المشاعر المصاحبة لملمس يدها ، وهي تستطرد  
بحزن أترفي قلبه .....(استسلمت لمصيرها .... و  
الناس تُحي والدها على ما فعل ..... فتاة جاحدة  
.... تربت على يد والدها ... وستتزوج من شاب لا  
تحلم به ... )... تنفست بأسى فاقترب أكثر،  
مواسيا لها فاصبح رأسيهما لا يفرق بينهما  
الكثير، وعينيها لا تحيدان عن بعضهما ،  
لتكمل بألم أطاح بما بقي من مقاومة في قلبه  
.....(الشاب شعر بها من أول ما دخل عليها  
غرفتهما ..... فلم يتجرأ على لمسها وبقي مراقب  
لها ..... وفي أول فرصة لها وحدها .... أزال حزام  
سروالها التقليدي ..... ولفته حول عنقها بعد أن

غزل البنات، وخفت الريش ونعومة الحرير. بلع  
ريقه وهو يرمق شفيتها عن قرب، وبشكل  
تلقائي وكأنه مسير لا مخير، أخذهما في رحلة  
استكشاف لأمر يختبرانه كلاهما لأول مرة.  
رحلة طالت الخيال بصدق مشاعرهما، وطالت  
الأحلام برغبة كلاهما الحقة. ولولا صرخة  
من فم الحاجة إيجه، نزعتهما بغتة من  
أحلامهما الواقعية، لكانت طالت إلى أراض  
بعيدة لم يطنأناها بعد.

تقف على باب غرفة الحاجة إيجه لا تستطيع  
التقدم خطوة واحدة، تمسك على صدرها  
تحرس قلبها المرتعد مكانه وكأنه سيفر منها.  
لا تعلم أن الذي يضم والدته الى صدره هو  
الآخر قلبه في سباق متعب، ليس فقط خوف

بالأمراض النفسية.... لكن الله عالم بكل  
شيء.... نحسبها مغفورة لها إن شاء الله...الله  
كريم... مسحت دموعها ونظرت إليه تهز  
رأسها تهمس بإن شاء الله، فقال.... (أهذا  
تريدين مساعدة صديقتك؟.... تريدين  
التأكد من أنها ليست ضحية أخرى للجهل؟)....  
عادت تهز رأسها وهي تجيب بهمس.... (تلك  
الفتاة رحمها الله كانت الأولى.... لكنها أبدا  
لم تكن الأخيرة.....).... حل عليهما الصمت  
ولم يظللها، كل واحد منهما في صخب  
مشاعره يحلق، يتناظران بدهشة اكتنفت  
قلبيهما من عمق أحاسيسهما الجديدة، والوليدة  
بضلع قربيهما من بعضهما. أنفاسهما الدافئة تلمح  
وجهيهما، ولا يجروا أحدهما على كسر سحر  
اللحظة. سحر لفيهما في غمامة زهرية بحلاوة

صدرها، تميل بجذعها على ضفة الباب مجيبة  
ببسمت حل عليها الحزن ضيفا... (لمن ترتبين  
الطعام؟؟)... رمقتها حق ببلاهة ترمش بجفني  
مقلتيها الشافتين، فضحكت طائعت رغما عنها  
تستطرد... (لتغريد أليس كذلك؟؟)...  
ابتسمت حق تومئ وهي تقول بإشفاق.... (الفتاة  
لا تأكل معنا..... أخشى على صحتها...)  
تقدمت طائعت تملئ قنينت زجاجية بالماء،  
وهي تتحدث باستغراب.... (اغلب الأبناء في  
سناها يتمردون.... لكن ما أستغربه هو عدم  
سؤالها عن والدتها حتى في نوباتها!!)...  
تجمدت حق من جديد ترمقها ببلاهة، لاحظتها  
الأخرى فرمقتها مستفسرة... (لم تلاحظي  
ذلك؟؟.... لم تزر والدتها المريضة مرة واحدة  
منذ أتيت.... غريب... يجب أن نتحدث معها

على والدته التي تسوء حالتها.... (اسماعيل....  
هذا الوضع غير محتمل....)... أجفل على همس  
شقيقه القلق... (يجب أن نجد حلا...)... ضم  
شفتيه يربت على راس والدته، يحاول تمالك  
الفوضى في احشائه وعقله، فالتفت ابراهيم الى  
حق وهو يشير الى التي على الباب ولا تجرؤ على  
الدخول... (حق أذهب الى غرفتيكما....  
سأبقى الليلة معهما....)... هزت رأسها غير  
متأكدة، لكنها وقفت وغادرت تقفل الباب من  
خلفها، تهمس لطائعت.... (سيبقيان مع أمي  
....يمكنك العودة الى غرفتك..)... أومأت  
بإحباط مرتبك، فخطت خلف حق التي  
توجهت الى المطبخ. استدارت الأخيرة وهي  
ترتب بعض العلب في المبرد، فسألت بلطف  
.... (هل تريد شيئا؟؟)... ضمت ذراعيها الى

الغمغمة، لكنها وقفت على أول درجة من  
السلم تستدير مناديه بهدوء .... (طائعت  
!!؟).... نظرت إليها بحيرة وهي تحمل قنينة  
الماء، فاستطردت بغموض ... (أكثر ما نراه في  
الحياة لا يكون كما نظنه.... لكنك تعلمين  
ذلك ... أنا متأكدة ... تصبحين على خير  
...)... ابتمت طائعت، تتأكد من حكمة هذه  
الفتاة الصامتة طوال الوقت، ثم ألقت نظرة  
متمعنتة على باب غرفة حماتها، لتتصرف بعد  
برهتها، وهي تلمس شفيتها بسهو حالم.

.....

(....) ... تنحنحت حق تقول بتردد .... (حممم  
.... أمي ليست والدة تغريد ....) ... رفعت وجهها  
مندهشة، فأقفلت حق المبرد، تستطرد ببسمة  
متوترة .... (انتهيت .... سأذهب إلى النوم  
... أصبحت كسولتة مؤخرا ... )... تجاوزت طائعت  
دهشتها ولم تضيف سؤالاً آخر عن الموضوع،  
تعلم ان التي أمامها لها حدود بنتها حولها،  
وحصنت بها نفسها، فسألت بدل ذلك ... (كم  
تجاوز حملك من أسبوع ؟؟) ... شع السرور من  
وجهها وهي تلمس بطنها تجيب بحنو .... (أنهيت  
الأسبوع العاشر ... ).. حركت رأسها بتأثر وقالت  
... (لا زلات في البداية .... يسر الله لك  
حملك وورزقك ذريته صالحته) ... (أمين  
... شكرا لك ... تصبحين على خير) ...  
غمغمت حق بخفوت، ردت عليه طائعت بنفس

## صباح اليوم الثاني ...

### منزل ...أوحدوا

نظر إلى المرأة الطويلة المعلقة على الحائط بجانب الباب الداخلي لبيتهم، يسوي من هندامه الذي لا يتغير عن سروال من خامات الجينز أزرق وما يسمى بال تي شورت أسود.... (خذ بني ارتدي سترك ...لقد أصبح الجو باردا ...).  
ابتسم لوالدته يستسلم لحركاتها وهي تفتح السترة ليرتديها، فقال والده المستعد هو الآخر للمغادرة ... (ابتعدي عنه يا امرأة.... ستشوهين هيبتة أمام الناس ...).  
كتم طارق ضحكته الماكرة، ووالدته ترد بسخط ... (لا عاش ولا كان من يقلل من هيبتة... أفترسه بأسناني من

يتجراً ...).  
ضحكا معا، الوالد وابنه الذي قبل رأس أمه يقول بمرح ... (أنت من ضمن هيبتتي يا أمي .... أقسم أن أغلب من يخشاني ... يفعل بسببك ...).  
رفعت رأسها بفخر فقال زوجها ... (أنا متأكد من ذلك ...).  
اقتربت منه تسوي قلنسوة جلبابه تقول بسخط ... (ماذا تقصد؟؟) ... هم بالرد فحمل طارق معول والده يسحبه قائلا ... (أمي إلى اللقاء ... لا أريد التأخر عن عملي ...هيا أبي كي أوصاك إلى الحقل في طريقي ...).  
شيعتهما بدعوات التوفيق والتيسير، وهو يستطرد هامسا لوالده الباسم بتسلية.... (كنت ستجيبها ونبدأ حلقة الجدل العقيم ....ويذهب نصف اليوم هباء ...).  
ركبا السيارة وهو يجيب بتفكه ... (حرمتني من متعتي الصباحية يا ولد ...لذا أصمت ودعنا



مرارة إدمان أولادهن ...هن من يهجر النوم مقلهن  
والراحة بالهن وهن يركضن خلف فلذات  
أكبادهن..... مهما كان المكان والزمان ....  
فتحيت لكل أم سهرت، ربت، تعبت، وضحت  
بصحتها، بمالها من أجل أولادها ....لكن  
مستمعينا الكرام دعونا نقف وقفة متمعن  
ونغربل الحقائق التي نعيشها... ونرى ماذا  
سيتضح لنا!! ... )... هتف والده بإعجاب ... (ها  
هي ستبدأ .... كل ما سبق كي تستدرج قلوب  
الناس قبل مسامعهم.... )... لم يجبه يكبت  
أنفاسه في انتظار القادم، يدعو ربه أن يكون  
مخطئ.... (هذا النوع من المسكرات ...الجميع  
يعلم أن أماكن صنعه ... تستقر بين الجبال  
المهجورة.... كما تعلمون من يمول تصنيعه  
وبيعه .... سؤالي لأهل مدينة الجبل وحتى

مع خيوط الصباح الأولى... وكما العادة شباب  
أضاعوا حياتهم وعقولهم بسبب المسكرات....  
وبالأخص ما نسميه ب ...\*مشروب المحيا\*...  
آلاف من الشباب... منهم من لم يتعدى عمر  
الصبى بعد ... وآخرين في ريعان شبابهم الضائع  
سدى ... أعلم أنكم لا زلتهم تتسألون ما علاقة  
الأمهات بهذا الموضوع؟ ....) منذ أن ذكر  
اسم \*المحيا\*، وهو متأهب. يشعر باختناق  
أنفاسه، لكنه يشد على المقود يقنع شياطينه  
أنها مجرد صدفة.... (ما أدمى قلبي بالفعل  
...طبعا غير منظرهم وهم يترنحون بين جنبات  
الأزقة .... تائهين ...دون مستقبل واضح المعالم  
...أو حاضر كريم.... هو ملاحقتهم من طرف  
من؟؟... الشرطية؟!... لا ...بل الأمهات.... أجل  
مستمعينا الكرام .... انهن الأمهات من يتجرعن



من هذا ...). ... استسلم والده، يعلم هو عن ابنه  
أمرا جدا مهم، حين يغضب، دعه لشياطينه إلى  
أن يغلبها ويطفئ لهيبها. أنتظر بصبر حتى اخذ  
والده معوله وقبل يده بصمت، ثم انطلق  
بسيارته التي زمجرت معه بهدير مخيف يهمس  
من بين أسنانه ... (يا ويلك مني يا ابنة الرزقي  
.... إن فقط صدق ظني .... يا ويلك مني !!(...)) ...

.....

مصنع المرابط ...

رفعت رأسها ناظرة بإشفاق إلى وجه السيد عمر  
الممتقع، ينتفض من على مكتبه المقابل لمقي  
بسماعات الأذن على سطحه، فهي قد سمعت

لأهل الجبال المجاورة .... أين انتم من كل هذا  
؟؟... إنهم أولادكم فلذات أكبادكم ... ومن  
تعذبوهن في دمائهن هن أمهاتكم .... فكيف  
تسمحون بما يحدث في جبالكم؟  
أرضكم؟... ويدمر أبنائكم؟ ..... مستقبلكم  
وفخركم ؟؟!!.... أنتظر مكالماتكم أراءكم  
تهمنا .... بعد هذا الفاصل القصير .... معكم  
براء الرزقي..... من إذاعة قلب الجبل ...  
انتظرونا ....). ... رفع أوحداً يده يلوح بها بفخر  
... (يا سلام ... سلم لسانك يا صغيرة ... أنت  
...). ... بتر حديثه حين اوقف ابنه السيارة  
بشكل عنيف، والتفت إليه مستفسرا لتتقوس  
حاجبيه من احمرار وجهه ... (ما بك بني  
؟؟).... بلع ريقه يحاول النطق بطبيعية ... (لقد  
وصلنا أبي .... آسف لكن لا أريد التأخر أكثر

البيضاء... (تلك الفتاة... لا تستسلم ..)..  
لظالما سألتها عن هوايتها تنسى فيها نفسها، وهي  
تجيبها دوما بلا تعلم، فوعدها ان تساعدنا  
على إيجاد ما يريح خيالها ويسرح بها في عالم  
الأحلام. يبدووا انها وُفقت هذه المرة، إذ أن  
رائحة الورق والأقلام انعشت روحها، فنسيت أمر  
العمل والتقطت أحد الاقلام وبدأت برسم  
شخصية كرتونية. نفس الشخصية التي  
كانت ترسمها في الأوراق التي توفرها اثناء  
دراسها الابتدائية، فتصور فيها تلك الفتاة  
التي عشقتها، أو رأت فيها معانيتها ولو كانت  
بشكل آخر. لكنها سرعان ما فقدت حتى  
ذلك المتنفس، كما فقدت كل شيء آخر مع  
سعادة الطفولة. توقفت حين وصلت لمقلتيها،

مثله تماما. تنهدت بيأس، براء لن ترتدع حتى  
تؤدي نفسها و عائلتها. نهضت تجاهه وقالت  
بمهادنة... (عمي... هون عليك ... الموضوع  
يظهر كقضية عامة ... )... مسح على وجهه  
يرد بقلق... (أعرف... لكنني أخشى عليها ...  
هناك نفوس مريضة... تسكت أي صوت يشير  
إليهم حتى من بعيد ...).. ضمت تقاسيمها  
بأسى، فاستطرد ... (رجاء حفصة ... سأخرج  
لأحدثها على الهاتف للحظة... لا تغفلي عن  
المكتب... إن طلب ياسين شيئا ما ...). أومأت  
له بتأكيد، فخرج بعصبية ظاهرة. عادت خلف  
مكتبها الصغير، تبحث بين الملفات، فوقعت  
عينها على هدية براء التي دستها بينها. فتحت  
الرزنامة الأنيقة لتبتسم بهجة لمعت لها  
مقلتيها وهي ترى اوراق الرسم الناصعة

(... ..) رفعت يدها تسوي حجابها بحياء، فاقترب  
بعد أن انحنى يجمع الأقلام تحت مراقبتها  
المندهشة. وحط بها على المكتب باستثناء  
واحد، استعمله في رسم الحاجبين وهو يقول ...  
(ملاحظ العينين تظهر في الرسم عبر شكل  
الحاجبين ....) ... أدارت رأسها بفضول رغم  
ارتعاشها، تراقب حركاته المحترفة، لتغمغم  
بعجب ... (كيف علمت أنني أردتها حزينة  
؟ ... ) حمل إليها أنظاره اللامعة، فخلت من  
سؤالها، ليشير إلى الدمعتين تحت إحدى مقلتي  
الرسم، لتلعن غباءها كيف نسيت أمر الدموع.  
وضع القلم على ورقة الرسم قائلاً في رغبته  
للتعرف عليها أو حتى فتح باب إليها ... (يبدو  
أنا نتشارك نفس الهواية ... مع أنني أهملتها  
منذ بدأت العمل ... متى بدأت الرسم ؟؟ ... )

تبحث عن تلك العلامة التي تضيفها كي  
يظفي عليهما الحزن الأخاذ بجماله فيهما.  
... (كل شيء يتعلق بالحاجبين ... .. ما  
بك؟؟) ... انتفضت حفصة برعب فألقت أغلب  
الأقلام على الأرض، ليرفع ياسين يديه  
باستسلام ... (اهدئي له يحصل شيء ..) ... بللت  
شفتيها تمسك على السترة التي تعلو قميصها  
بتوتر تتمتع بهلع ... (أنا ... أنا ... أسفت  
... ..) ... حرك ياسين يده يقول بلطف  
... (لماذا تأسفين ؟؟ .. لم تفعل شيئا ..) ... تلفتت  
حولها ونظرت إلى الأوراق التي تشتت فوق سطح  
المكتب، عليها رسمة الشخصية الكرتونية  
الغير مكتملة، فابتسم بتفهم يقول ... (لا بأس  
... لكن لا تهمل العمل .. فهو أمانة في رقابنا

ولأول مرة، ثم تحدث خشية ان يخيفها فيفقد  
هذا اللقاء النادر... (كنت أتمنى دراسته فن  
الرسم ... ثم أدرسه للناس ... كما كان استاذ  
الفنون في الثانوية يشجعني ... لكن الحياة  
فرضت علي مسؤوليات أهم ... لذا اكتفيت  
بدروس ليلية صقلت فيها موهبتي أثناء دراستي  
الجامعية ... ) .... لاذت بالصمت، فتشجع قائلاً  
... (أستطيع تعليمك بعض الخطوط العريضة  
... تسهل عليك استعمال موهبتك ... )  
تنفست بعمق تعود لتبليبل شفيتها كل حين،  
فاستطرد باسم ... (عند استراحة الغداء  
... سنتخلى عن ربع ساعة من الساعة والنصف  
... هنا ... ) ... شحب وجهها فاسرع يضيف كي لا  
ترفض ... (ونطلب من عمر الحضور كي يحكم  
على خبرتي ... ما رأيك؟؟) ... هدأت كما

فغرت فمها ببلاهة، فحثها بلطف .... (منذ  
الصغر مثلي؟؟ ... ) ... باعت ريقها وقالت بوجود،  
تفرح كفيها ببعضهما ... (في صغري ...  
بالتحديد ... أثناء سنوات الابتدائي ... ) ... هز  
راسه مبتسماً يقول بمرح ... (أنا ايضاً ... منذ ان  
تعلمت امساك القلم بأصابعي الصغيرة ... طبعا  
كبرت وأصبحت ضخمة ... ) ... لاحت البسمة  
على جانب ثغرها باستحياء، فاستطرد ... (وماذا  
كنت ترسمين ... غير ... ) ... تلكاً يشير الى  
الرسم ثم أردف ... (سالي؟؟ .. أليس هذا  
اسمها؟) ... نظرت إلى الورقة، تسترجع الذكرى  
وهي تجيب بخفوت أقرب للهمس ... (لم أرسم  
غيرها ... كنت أتابعها بشغف ... وأرسمها بكل  
حالاتها ... ) ... سكن ينصت إليها مأخوذاً  
بملامح وجهها التي يبصرها جيداً عن قرب

مؤخرا .... رفضه لتدخلها في ما يخص عمله  
(...). هز ياسين كتفيه يقول ... (انه محق ....  
أراكما على الغداء؟؟؟ ...). أوماً عمر بسهو،  
فأردف يبالغه ... (على فكرة .... سألتقي هنا  
بالسيدة حفصة .. ربع ساعة قبل الدوام  
المسائي ... كي أعلمها بعض مبادئ الرسم  
... ونتمنى حضورك كحكم على خبرتي  
....). حول نبرته مع آخر كلماته إلى تهكم  
ساخر، فابتسم عمر يقول بنفس التهكم  
... (سنرى خبرتك يا فنان ...). انحنى بخفت  
وبشكل مسرحي، قبل أن يعود الى مكتبه  
وعمر يقهقه، ثم استدار إلى التي ابتسمت  
بتأثر، فقال بمكر ..... (إذن براء أصابت هذه  
المرّة ...). .... أومات تتسع بسمتها، فقال بانزعاج  
خال من الانفعال وهو يقعد كي يستأنف عمله

توقع، ثم همست وهي تتشغل بجمع ما على  
المكتب بتوتر ظاهر ... (شكرا لك .... حسنا  
...). دخل عمر يهتف في الهاتف قبل أن يغلقه  
.... (جيد .... اعلمي أنني أوافقك ... إلى اللقاء  
...). استدار ياسين قائلاً بمرح شابته بعض  
الجديّة... (أراهن أنها براء .... يا عمر أما أن لك  
ان تضع لها لجاماً؟؟؟ ... لقد سمعت حلقة اليوم  
... إنها تنبش عش الدبابير ...). زفريرد بتعب  
وهو يرخي رابطة عنقه ... (اللجام سيضعه  
ذلك المفتش ... انا متأكد ...). قطب ياسين  
بحيرة، كما فعلت حفصة التي تجمدت  
مكانها تراقبهما بصمت .... (وأنا أحدثها سمعت  
ضجت بعدها هتافها الحانق تعقيباً على دخول  
المفتش طارق العاصف... فعلمت أنه هو ....  
سيمنعها من عرقلة عمله .... فما فهمت منها

....(تلك الفتاة ذكيتة .... لكنه للأسف سيف  
ذو حدين .... اللهم احميها يا رب ...)... تمت  
بأمين فاستطرد بحماس ....(المهم ....استعدي  
... أريدك بيكاسو زمانك ...)... ولدهشته  
ودهشته من عاد ليقفل باب مكتبه، ضحكت  
من قلبها، ضحكات مرحية، صادقة، أنارت  
قسمات وجهها المليح، فلم تلمح من سلبت ليه  
يقف جامدا مكانه بقلته حيلته، إلا أن الآخر  
قد لمحها وابتسم يسر دعاء يتمنى رؤيتها  
استجابته.

.....

بناية الإذاعة ....قبل لحظات...

ألقت بجسدها على المقعد الجلدي خاف  
مكتبها، تتنفس بتفكير، لازال قلبها ينبض

خوفا. تخشى من أن يكون تماديا هذه المرة  
مكاف. رفعت رأسها بأنفرت، وسوت عمودها  
الفقري باستقامة متأهبة تهمس بتصميم ... (أنا  
في صف الحق ... لا تهمني العواقب ...)... علا  
رنين هاتفها فتلاشت الهمة، ترد على والدها  
بترقب خجل، غلظته بمزاح مرح ... (أحبك بابا  
... لقد اخبرتك من فضلك لا تغار ...)....  
ضيقته مقلتيها صامتة على تأنيب والدها، تعذره  
الحبيب خائف عليها ولا تلومه، لكنه عملها  
ويجب أن تتعلم الشجاعة ... (أبي!)... لقد  
طرحت الموضوع بشكل عام ... لا ...)... صمتت  
مجددا تنصت إلى والدها، لتقطب ريبته بالتزامن  
مع أصوات تعلوا، من خارج مكتبها انتهت بعد  
ثانية، بفتح الباب بعنف انتفضت له من على  
مقعدها والهاتف في مكانه بين يديها وجانب

وجهها. اتسعت مقلتيها وهي ترى عصام معلق من  
قفا قميصه الأنيق يرمقها باستجداء مثير  
للشفقة، ليظهر لها طارق في تلك اللحظة حقا  
كعملاق غاضب، يزفر النار من فمه والدخان  
من أذنيه.

... (أخرجني الباقي كي نتحدث ..... أو أقسم  
سأفعل شيئا لن يعجبك اطلاقا ...). فغرت  
فمها صدمتها، وصوت والدها يرن في أذنها  
مستفسرا بقلق، لتجيب بحنق متهكم .... (إنه  
حضرة المفتش أبي ... سيسمعني وصلت تهديده  
المعتادة ...). زمجر طارق يرفع عصام  
المسكين الذي علق بين براثن قبضته القوية،  
ليتنفوس حاجبي براء بعد ما قاله والدها، تنظر  
الى الهاتف بدهشة هل حقا وافق هذا الجلف؟!)

هل حقا سمعت نبرة شماتة في صوت والدها  
العزيز؟! .... (يبدو ان والدك تبرا منك ... أنا  
أحبيه على ذلك ...). نطقها بسخرية  
ممتعضة، فزفرت وهي تطلب من الحشد المتفرج  
الانصراف .... (يا جماعة تفضلوا ..... من  
فضلكم ... كل يعود الى عمله ...). راقب  
خروجهم دون ان يُفلات عصام المستسلم بشكل  
عجيب، لا يريد تأجيل غضب الثور اكثر  
... (اتركه من فضلك ... دعه يذهب لنتحدث  
كما قلت ...). رمقها ببرود وسحب عصام معه  
حتى أقفل الباب، ثم ضم يده تلك إلى الأخرى  
وتبثه بهما علي الجدار خلفه، يقول بنبرة باردة  
مهدة... (من أين حصلتكما على معلومات عن \*  
مشروب المَحيا\*؟؟) ... تشنجت ملامح عصام  
كما أطرافه ونظر الى الأخرى بخوف، فاقتربت

مجنون! .... ارحل هيا!!... اتركه وارحل!! (...)...  
استدار إليها فعاتت إلى الخلف بخطوة، وقد  
تسلل إلى قلبها الخوف من نظراته الحارقة،  
كانت تحمل في لهابها أمرا آخر، غير ما تعودت  
منه، فلاذت بالصمت وهي تنصت من الآخر إلى  
ما فعلاه كي يحصل على المعلومات، غير قادرة  
على التحكم في ارتعاشه قلبها. ارتعاشا كان  
سببه الخوف من غضبه وشيء آخر، شيء أشعل  
من حماسها وترقبها وتأهب جميع حواسها، ولم  
تكن تلك أول مرة، بل منذ أن التقت به،  
تعرفت على احساس غريب يشعها بلذة فريدة،  
تتسلل إلى صدرها فتتعش كيانها. وكل مرة  
تستفزه فيها كانت تنتظر، لتتأكد من  
احساسها فأصبحت تأخذه جرعات متباعدة، إلى  
أن ادمنته. بلعت ريقها تبحث عن وجهه كي

تهتف بغضب... (هل جننت؟... أتركه هيا  
...أو ..)... استدار إليها دون ان يظلت الآخر  
المسكين، يهتز كدجاجة بين يدي جزار  
محترف لن تأخذ في يده ثابته... (أو ماذا؟؟...  
ها؟؟؟... ستطلبين الشرطة!!... افعلي هيا  
.... وحين أخبر رؤسائي بملاحقتك وعرقلة  
عملي .... سأقف ضاحكا عليك وعلى  
برنامجك الذي سيصبح من الماضي...)  
زفرت بغل تضم قبضتها الصغيرتين في وجهه،  
فابتسم لها ببرود وعاد إلى المسكين المعلق،  
وضغط على عنقه يهتف بغل... (أخبرني!!)...  
ابيضت سحنة عصام برعب من هذا الضخم  
المتهور، فأسرع يصيح... (حاضر.... حاضر  
...سيدي ..)... ارخى قبضته على عنقه، وبراء  
تجحظ بعينها فتدخل هاتفه بحمق... (أنت



تري مدى تأثيره بما سمعه، لكنه أدار ظهره لها  
ينزل عصام برويته، ثم عدل قميصه يقول  
بهدوء استغرابه منه.... (جيد .... أحسنت ...هيا  
...غادر ... )... رماها عصام بنظرة معتذرة  
باشفاق، وانسحب هارب، بينما هي متجمدة  
مكانها تضر شفيتها وتتنفس من انفها بتسارع  
شعربه، فالتفت إليها لتشهق من نظراته التي  
تعمد تبديلها بأخرى أرسلت في أحشائها  
قشعريرة قرف، وهو يتقدم منها بخطوات  
متمهلة وابتسامته الذئبية تتسع مع كل  
خطوة نحوها. أسرعت دقات قلبها بخوف حقيقي  
وقد اختفى كل أثر لحس ممتع أو لذيد. حاد  
بنظرة من نظراته الوقحة تعمد ا الى قدميها  
العائدة إلى الخلف، فعلم ان هدفه يتحقق وزاد  
ذلك من تصميمه. لم تستطع الصمت اكثر

تتمتع بتقطع ... (ح...ضرة...الر...قتش....  
ماذا... )... شهقت بقوة تلك المرة وهو يمسكها  
من ذراعيها ملتها المسافة بينهما في لمحة  
بصر. رفعها الى الحائط خلفها كما فعل مع  
عصام قبل قليل إلا أنه يمسكها من أعلى  
ذراعيها متعمدا الضغط عليهما حتى تأوهت من  
الألم. رمقته بعدم تصديق من فعلته وقد  
ارتعشت شفيتها وترقرقت مقلتيها بدموع  
حبيسة، حينها فقط ابتسم ببرود والنظرات  
الوقحة تختفي ليحل محلها نظرات توعده  
خطير، أيقنتها بمدى جدية حديثه القادم  
....(مع كل ثقته بقوتك الزائفة  
...وبكوني شرطي مهما تطاول لن يتجاوز  
الحدود ....وهنا في بؤرة أمانك .... مع كل  
ذلك تشعرين بالخوف مني وها أنا ذا أفعل ما لم

وهتافاتك على الهواء ... وب... قصرك هذا  
... (!).... فتحت عينيها لتجد التهكم قد  
ارتسم على ملامحه، فهتفت تتناسى وضعها  
للحظة بفعل حنقها.... (فليقتلوني إذن.... لا  
أكثرت....) شهقت مجددا حين زمجر من غباثها  
يرفعها أعلى، الى مستوى رأسه وقدميها تتأرجح  
في الهواء، ضاغطا علي ذراعيها أكثر... (كنت  
اظن القصر في طولك فقط.... لكنه امتد  
الى عقلك الذي تتبجحين بذكائه الخارق  
..... وهل كنت اتحدث عن القتل؟! ....لما  
يقتلونك وفي أيدهم ألف طريقة كي  
يسكتوا لسانك السليط هذا؟! ....) ... قطبت  
بريبتة مع الألم الحارق في ذراعيها، وهو  
يسترسل بانفعال صادق... (سيقتلون روحك  
بأبشع الطرق... تضع نهاية لكل عنفوانك

تتوقعيه أبدا... وفي مكان عمالك ....) ...  
فقدت قدرتها على التنفس، فهو محق، لم  
يمنعه أحد ولا حتى هي، ومن سيفعل إن أراد  
التمادي؟!؟! اقترب منها اكثر بوجهه وهي  
متسمة لا تقوى على الحركة، لم تواجه أمرا  
مماثلا في حياتها. مقلتها في اتساع حتى  
نطقت بزرقته لامعة أرعدت قلبه، فهتف كي لا  
يفقد تركيزه، والمعنية عليها تعلم الدرس  
بأقسى الطرق علها تتعظ.... (أغلق عينيك  
!?)... نظرت إليه بعدم فهم فأعاد هتافه مع هزة  
لبدنها جعلتها تطيعه بسرعة، لتشعر بأنفاسه  
الدافته بالتزامن مع كلماته.... (تخيلي أحدا  
ممن تبجثين خلفهم... بل وتدخلين وكرهم...  
هو من يقف مكاني.... هل تظنين انك قادرة  
على مجابته؟!؟! ... بكلماتك المثالية

وقوتك الواهية .... ستصبحين جثة حية  
...هل تسمعينني؟؟... ستتمنين الموت الحقيقي  
ولا تجدينه .... حين يسلبونك كرامتك  
وعزة نفسك ...وتفقدين الأمل في كل شئ  
تعيشين من أجله وبه ....فأنت مهما فعلت تظلين  
فتاة .....هل تعلمين ماذا يعني هذا؟؟...)  
شحب وجهها وقد زحف الإدراك الى عقلها،  
تتفهم كل ما قام به كي يقرب لها الصورة  
المشابهة لما قد يضلون بها بلا تردد، وهو محق  
مهما كانت نفوذها وقوتها فهي فتاة، أبسط  
اعتداء على شرفها وجسدها سيدمرها. هز رأسه  
بتأكيد بعد أن قرأ كل ما فكرت به،  
وأستطرد بحزم .....(على الأقل فكري في  
والديك .... كيف سيدمرهم ذلك ... فكري  
في والدتك التي تحبينها ....كيف ستدمين

قلبا وتموت معك في كل لحظة معاناة ..)...  
أقلقه شحوبها، فانزلها بتمهل ثم ترك ذراعيها  
أخيرا، مراقب لها بعيون الصقر. ضمت ذراعيها  
الى صدرها تمسدا على موضع الألم فأوجعه  
قلبه عليها. تنفس بسخط هذا ما ينقصه،  
واستدار يدير لها ظهره كي تستجمع نفسها.  
تقدمت بخطى تعبئة نحو مكتبها، وارتمت على  
المقعد بصمت ترمق الفراغ بسهولة.  
التفت إليها وجلس على أحد الكرسيين، مع ان  
كل خلية فيه تصرخ أن ارحل الى عمالك،  
لقد فعلت ما اتيت من أجله، لكنه عاند وراوغ  
بما يعلمه قبلا ....(أين هي الصور؟؟)...  
(ها؟؟؟)... أجفلت فاستطرد ... (أين كل ما  
صورته؟؟)... بللت شفيتها، وقالت بتردد

لك بهاتفى .... لقد حذرتنى .... مع انى... ..  
رفعت اصبع سبابتها تهدده ... (لم استسخ أبدا  
الطريقة ... ولن انسى ما فعلته بي ... لكن على  
العموم قمت بواجبك وأنا حرة ... انها حياتى  
وشؤونى ... اتصرف كيف اريد ... ) ... سكن  
يرمقها بغموض احتارت له، ثم قال بهدوء، بعد  
ان زفر هواء من فمه ... (أعطني الهاتف كى  
أرى ما صورته؟ ... أظنه من حقى ... كشرطى  
... ) ... عضت شفتها السفلى بغيض، لكنها  
فتحت خانتة الصور وأعطته الهاتف على مضض.  
تفقد الصور قائلا بتهكم ... (اول ما سيفعلونه  
كى يتحققوا من ظنونهم ... هو البحث فى  
أشياءك الخاصة ... الهاتف أولها لذا ... ) ...  
ارتفعت من على مقعدها تمد يدها كى تخطف  
هاتفها، دون جدوى .. (لا تمسحها ... ماذا تفعل

متلبك ... (فى هاتفى .. ) ... (حمقاء؟!) ...  
اهتزت بفعل صياحه الغاضب، فقالت بنبرة رغم  
علوها إلا أنها ترتعد ... (لا تصرخ ... يا إلهى ...  
أنت ك ..... ) ... تلكأت قليلا، تحت نظاره  
المشتعلت لكنها تابعت بتصميم ... (كتنين  
... لا ينقصك سوى لهيب ينفث من فمك  
... وحش! ) ... ترقبت غضبه، لكنها تفاجأت  
به يضحك واضعا رجلا على أخرى، فجعدت  
أنفها انزعاجا ... (هناك لهيب ... ومشتعل أيضا  
... لكنك لا ترينه بسبب حمقك ... ) ...  
ظلت على ملامحها الساخطة، وهو يبسط يده لها  
... (هات هاتفك ... أسرعى ... بسبب عنادك  
تأخرت عن عملى ... ) ... أخذت هاتفها وضمتها  
الى صدرها بحماية، وقد تماكنت أعصابها  
التي اهلكها التنين ... (لما؟؟ ... لا علاقت

تستطرد... (احذرك انا ايضا... أيها المفتش....  
انت لن تتخلص مني... استدار إليها وعضلات  
وجهه مستنفرة بحدة، ثم قال قبل ان يخرج  
بشكل عاصف .. (أخبرتكم من قبل... انا لا  
أقبل أي تهديد.... وخصوصا من سنفوره...)  
هوت على مقعدها منهكتة القوى، وزفرت بغل  
تهتف بفعل تميز احشائها بالغيض، وقلبها لا  
يساعد اطلاقا..... (سترى السنفورة كيف  
ستفقدك عقاك... وحش!)

.....

(؟؟)... أبعد الهاتف عن متناولها، ومسح آخر  
صورة ثم ألقاه أمامها بعبث يبتسم بتشفي  
....(أنت لا تفهمين الا بهذه الطريقة....)  
تأففت في وجهه، ثم قالت فجأة....(لقد مسحت  
الصور.... هذا يعني... )... اختفت ابتسامته  
المتسلية، وهي تسترسل بعد ان شهقت بخفت  
تشير له بيدها... (أنتم تراقبونه... ولديكم  
كل ما حصلت عليه.... أنت... )... استقام  
واقف يقول بأوداج منتفخة.... (حذرتكم يا  
صغيرة... ابتعدي عن المشاكل... )... وقفت  
هي الأخرى تسأل بحيرة... (لما لا تقبضون  
عليه إذن؟؟)... استدار مشيرا لها بتجاهل  
... (وداعا... )... رفعت راسها وقالت بان دفاع  
....(إن لم تشاركني ما توصلت اليه... لن اكف  
عن ما أفعله.... )... تجمدت خطوته، وهي

## الفصل الرابع

إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في  
كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شك  
لم يتكلم حتى تظهر... الإمام الشافعي ...

مساء .....منزل آل عيسى ...

في الحديقة الأمامية يلتف الجد وحفيديه  
حول المائدة البلاستيكية، يرتشفون الشاي  
ويتبادلون الأحاديث ....(لما تتعب نفسها إن  
كانت المعنية رافضة؟؟؟)... ..سأل ابراهيم  
وهو يرخي ظهره على مسند الكرسي، فرد  
شقيقه يجعد دقنه باستغراب....(لا أعلم سبب

رفضها الزيارة...مع أنها بالأمس فقط كانت  
تتوسلها المساعدة ... )... تدخل الحاج ابراهيم  
قائلا بنفس الحيرة... (أمرها كله غريب .... لم  
يحدث قط في مدينتنا حدث مماثل...لذا  
سيكون وضعها صعب جدا ... )... قطب ابراهيم  
بانزعاج... (أتساءل ما رد فعل زوجها؟؟) ... هز  
إسماعيل رأسه بملامح متجهمة... (أتى صباحا  
برفقتة والدته وشقيقه ... طلبوا منه أكابر  
عائلة زوجته وحيهم ... ان يتنازل عن حقه  
العام ويطلقها...كي يطلقوا سراحها من  
المركز... وافق بداية لكنه غير رأيه قبل  
ساعتين فقط .... ذهب إلى المركز وأخبرهم  
بعدم تنازله ورحل برفقتة عائلته .... ) ... (انا  
اعذره ... )... نطقها ابراهيم بوجوده، فقال جده  
بحكمة... (أجل لكن ...في النهاية يجب

علينا ستر الفتاة...ولو فعل ما طلبوا منه لكان  
من الأفضل لهما معا...هي تخرج من السجن  
...وهو يطلقها ويرحل الى سبيله...والله يتولى  
كلاهما...)... أومئا متفهمين ليتحدث ابراهيم  
بانزعاج... (كان عليهم حبس ذلك الشاب  
ايضا... لكن كونه غير متزوج أسرع في اطلاق  
سراحه بكفالة... قانون جائر...وددت لو  
يغيروه ويعاقبوا كل فاعل زنى إن كان عازب أو  
متزوج... (بل لو طبقوا عقاب الشرع فقط  
لكان خيرا.... تأديب على مرثا من الناس  
بالجلد... لكن طبعا بعد التأكد...لأن  
المتزوجين لهم رجم حتى الموت...)  
أخبرهما الجد فقال اسماعيل... (طائعت  
متأكدة من عدم تورط الفتاة... مع انني لا

أشاركها نفس اليقين...لكن لا يسعني سوى  
مساندتها في الدفاع ضد الظلم إن وُجد...)  
قاطع حديثهم وقوف تغريد المتوتر عليهم، رفع  
اليها الجد يده مشيرا كي تقترب... (ماذا  
هناك بنيتي؟؟)... ترددت للحظة ثم قالت  
... (أريد زيارة أخي... التفت الحاج الى  
حفيديه فقال ابراهيم بجمود... (سأخبره  
تغريد...فهو رافض لأي زيارة...))... مسدت على  
عنقها بتوتر، فسحبها جدها لتجلس بجانبه،  
يربت على ظهرها بحنو... (عسى أن يقبل حين  
يعلم أنك الزائرة...)).. سكنت ترمق أمامها  
بحزن، فقال ابراهيم... (كيف حالك مع  
المدرسة؟؟)... غمغمت بخير، فسألها مجددا  
وباهتمام... (هل يكفيك مصروفك.. لا

تحتاجين لشيء آخر؟) ... أومأت بسلب وداخلها  
يرفض اهتمامهم، يرفض كل ما حظيت به،  
كما كانت ترفض ما قبله. وكأنها تعودت على  
الرفض فأصبح ساكنا لها، أم هو الخوف، من  
الفقد، من الخيبة، من الظلم، لا .. إنه رفض  
لظلم غير الذي لحق بها هي. ... (ترفقي بشمت  
يا بنتي انها سيدة كبيرة ... وهي تحبك ... لذا  
تهتم بك) ... عبست بطفوليتها وهي تقوم  
قائلة بنزق، قبل أن تنصرف ... (اخبروها ان  
تبتعد عني ... لا احتاجها في شيء ...). .. زفر  
ابراهيم بيأس، فأوماً له جده كي يهدئ، وقال  
اسماعيل مهادنا ... (لا زالت تحتاج لوقت ...  
كي تتعود على احتواء عائلتها ... الصبر فقط  
..) ... وضع ابراهيم الكأس على سطح الطاولة،  
وقام ينسحب هو الآخر قائلاً ... (أحسدك على

برودك أخي ... تصبحان على خير ...)  
سكن اسماعيل مكانه مفكرا بتمعن، ليحفل  
على حديث جده الغامض .... (الجميع  
يحسدونك يا طبيب النفوس .... لا أدري هل  
اغبطك أم أحزن من أجلك؟؟) ... ضيق  
اسماعيل مقاتيه مبصرا جده بحيرة، فابتسم له  
بحزن قائلاً بأسى ... (الحال في شئن صاحبه  
حائر .... والصاحب بين من حوله  
غار\* خفي\* ... هل تريد مزيدا من الشاي؟؟) ...  
أوماً سلبا وهو يبلع ريقه، وقام يضر من أمام جده  
ذي النظرة الثاقبة، يقول بهدوء واهم  
... (سأطمئن على أمي ...). ... أوقفه يسأل بنفس  
غموضه ... (هل ستبيت معها الليلة أيضا؟؟) ...  
أجابه دون أن يلتفت إليه ... (اجل ... فهي تنام  
بشكل أفضل ... حين أكون برفقتها ... تصبح



على خير يا جدي ....) ... زفر الحاج ابراهيم  
وحال حفيده لا يسره أبدا، يهمس بوجوده...  
(رزقك الله كل الخير بني .....)

.....

ربت على رأس والدته، وأسند ظهره الى حافت  
السري مرتخيا، يستحضر لحظاته اليتيمة مع  
زوجته، فهدر قلبه داخل صدره. كان يعلم  
بوجود أحاسيس مماثلة تولد من تقارب وإعجاب  
متبادل، لكنه لم يتوقع إرهاقها لأعصابه ومع  
كل ما يحدث، لم يكن في حاجة لتشويش  
أكثر. تذكر توتره حين وجدها في انتظاره  
صباحا باكرا، تسأله عن حال والدته، بينما  
يطفوا على لمعة مقلتيها تساؤلات أخرى، عن  
ماهية ما حدث، عن شعوره هو بعد ما حدث،

فكان يراه واضحا، إنها تبحث عن الأمان، عن  
دفع الاستقرار، وكم يؤرقه افتقادها لذلك  
بجانبه. بل لكم يؤرقه افتقاده هو للأمان،  
للاستقرار، وشبح الفشل لا زال يلوح في الأفق  
بظلمته. لذلك تجاهل ما هو ظاهر في مقلتيها  
البنيتين، واكتفى بالرد على ما نطق به لسانها،  
ثم سريعا ما حول نقاشهما إلى قضية صديقتها.  
زفر بخفت يعلم أن مبيته بالقرب من والدته لم  
يكن فقط لأجلها، بل فرارا من لحظة تقارب  
أخرى مرهقة، لن يستسلم لقلبه قبل أن يزيل  
كل عقبة من على طريقه، حتى يظهر خاليا،  
وواضح المعالم.

لم يعلم أن الأخرى تسأل إليها السهد، تنشد  
النوم ولا تجده، هي و هو اجسها في فلك

صباح اليوم التالي ....

تسلل إلى غرفتهما بهدوء، لينعش نفسه ويغير ثيابه، فينطلق إلى عمله قبل استيقاظها. وكذلك فعل دون ان ينسى تأمل استغراقها في النوم للحظات. تناول فطوره برفقة شقيقه وزوجته التي أوصاها على أن لا تضارق والدته، التي بات متيقن من نوباتها الغائبة في حضور احد جوارها. وكأنها تعاني رهاب الوحدة. ... (إذن ستقدم مشروعك اليوم؟؟؟....) ... سأل شقيقه في طريقهما الى خارج البيت... (أجل ... فالحملة الانتخابية ستبدأ قريبا ...). هز رأسه موافقا يقول بنبرة متوسلة، وهو يسحب هاتفه من جيب سترته ليزيل نظام الصمت

اسماعيل يسبحون. للمرة الثانية يعلو رنين هاتفها، لتكتشف أنها نسيت أمر البروفيسور حين حدثها اثناء انتظارها في قسم الزوار بالسجن، فأرجأت الرد عليه إلى حين حضور زوجها. سكن الهاتف، ليعلو مجددا برنة رسالته، قرأتها فزفرت تهمس ... (أنا آسفة بروفيسور.... لا أستطيع الرد عليك في غيابه... لقد وعدته... ووضعنا لا يحتمل.... لا يحتمل أبدا ..). ... أفضلته ووضعته مكانه، ثم أطفأت النور، وأغمضت عينيها تتنفس برتابة. زفير أطول من شهيق، عشر مرات لتختمها بتلاوة سورة المالك، التي ما إن انتهت حتى راحت في سبات عميق.

.....

رفع يده يمسح على وجنتها من بقايا دموعها،  
وصدرها المكشوف نصفه الأعلى، في صعود  
ونزول بفعل اللهاث. نزلت يده متلمسة طريقها  
من وجنتها الى عنقها فارتجفت ليقول بهدوء  
بعد ان وصلت يده الى اسفل عنقها عند عظمتي  
ترقوتها ....(لا تخرجي من الغرفة هكذا مرة  
أخرى.... غيري ثيابك... سأنتظرک في  
السيارة...)... بلعت ريقها ونظرت الى نفسها  
فانتفضت بتوتر، تائهة من فرط مشاعر قويت  
بين صدمتها مما حدث لصديقتها، ثم مع  
زوجها، الذي أمسك برأسها لتنتبه اليه  
مستطردا بقلق... (أنت تسمعينني؟؟...  
طائعتا!!)... هزت رأسها وانسلت من بين يديه  
مستديرة تركض الى غرفتها، بينما هو تنفس  
بعمق يهدئ من أعصابه الثائرة لكن بطريقتي

... (اعتني بنفسك أخي ... من فضلك احذر  
جيذا ...)... ربت على كتفه مطمئنا له،  
وانصرف... (الله خير حافظا وهو أرحم  
الراحمين ... لا تقلق ... الى اللقاء)... اطاع على  
هاتفه ليجد اسم البروفيسور يزين شاشته، فهم  
بالرد يقطب بحيرة انقلبت الى دهشة حين سمع  
زوجته المهرولت إليه بثياب نومها، تهتف بهلع  
وتلهث ... (اسماعيل ... انتظر ... مريم ... مريم  
!!)... اعاد هاتفه الى جيبه باهمال، واسرع  
إليها يمسكها من ذراعيها يرمقها بلهفة ... (ماذا  
هناك طائعتا ... اهدئي ...).. أخذت نفسا  
واستطردت بنبرة متحشرجة ... (مريم حاولت  
قتل نفسها ... إنها في المشفى المركزي ...)  
تجمدت ملامحه وقد شعر بطعنة خفية أوقعت  
بقلبه في قرار سحيق يعلم أنه لن يخرج منه.

أخرى مغايرة كلياً، لما عهدت من غضب جامد بارد. ثم استأنف خطواته الى سيارته في انتظار من تسللت الى قلبه وأنتهى الأمر.

.....

منزل الرزقي ...

(اجلسي براء ....) ... فعلت على مضض، تنظر إليهم بعبوس طفولي لا يليق إلا بها، وحفصة تكتف بسمتة مرحية، وهي تتناول طعامها كالسيد عمر وزوجته. زفرت بضجر تضم يديها إلى صدرها، كتلميذة معاقبة، فقال والدها بتأنيب....(هل تتأففين على والديك؟؟ .... يبدو أننا دللناك كثيرا يا براء ...). حلت يديها

تهتف وكأنها أخيراً حصلت على الفرصة....(تعلم جيداً ان لا أحد في هذا العالم إطلاقاً... يحب والديه... كما افعل أنا ... لكنني غاضبة منكما هذه المرة...). وضعت يديها على المائدة تردف بتأكيد... (جدا... غاضبة..).. ضحكوا ثلاثتهم بينما هي تزداد حنقا، فقالت والدتها بيأس... (كلي طعامك يا براء... فلا أحد منا يستحق منك كل هذا الحنق...).. رفعت سبابتها وكأنها تناظر... (لم تفعلوا؟؟... لقد خنتموني .... ولصالح من؟؟... ذلك المتوحش... الذي يسمي نفسه المفتش ..). قام والدها يقول بسخط... (ها قد بدأنا من جديد...). قامت هي الأخرى تقول بانفعال... (أليس هذا ما حدث؟؟... محادثة واحدة معك... قلبك

ضدي...وصرتم فجأة كلكم بصفه...وأصبح  
عملي مرفوض ..)... تنفست السيدة أمينتر  
بضجر وهي ترمق حفصة التي أخذت أغراضها  
وأشارت لها بأن وداعا وهي تضحك، بينما السيد  
عمر يجيب مضرا بصبر... (لا هو ولا أنا  
نمنعك من عمالك... فقط احسني اختيار  
القضايا .... وابتعدي عن إفساد عمله... حمدا  
لله انه اكتفى بتحذيرنا دون رسميات... ..)  
ضمت ذراعيها الى صدرها مجددا تزفر بغضب،  
فاستطرد والدها وهو ينسحب، بعد ان قبلها على  
رأسها وقبل زوجته على وجنتها.... (فكري  
جيذا يا ابنتي .... لم أعهدك حمقاء  
.... ومتهورة... إلا ما كنت وثقت بك... حين  
أرسلتك لإتمام دراستك.... وتركتك تعملين  
ما شئت .. ...وداعا... ..) بدأت والدتها في جمع

الأواني، تهمس باستنكار... (أظنها فقدت كل  
تعقلها بسبب المفتش!...) .. (ماذا تقولين أمي  
؟؟)... نظرت إليها ترد بتهكم.... (أبدا... أنا  
أحدث نفسي... هل هذا ممنوع؟! ... )... أو مات  
ثم هتفت بنزق وهي تشير إلى الأواني.... (أنا لم  
أكل بعد.... أخبرتك... لم يعد أمري يهم  
أحدكم.... المتوحش أفقدني عائلتي!...)...  
ألقت السيدة امينتر بما في يديها على المائدة،  
تقول بامتعاض... (كلي حتى تشبعي... ثم  
وضبي المائدة.... يبدو اننا بالفعل سنفقدك  
قريبا... وعليك التعود على أشغال البيت...  
كي لا يباعك المتوحش بحق... ..) راقبت  
انصراف والدتها الساخط، وهي تهمس بصدمته  
... (ما بها أمي؟؟... وما علاقة فقدي ب... وأشغال  
البيت.... يا إلهي لقد جن جنونهم بسببه.... )

نتشت قطعة خبز وقضمت منها بعنف، قضمه  
كبيرة تستطرد بتوعد ... (لن تتخلص مني يا  
تنين .... ستري ...).

.....

المشفى المركزي ....

لمس كفها برقة، فانتزعت مقلتيها من على  
الجسد الراقد والمتصل بأسلاك عدة، دون  
حول منه ولا قوة، ترمق زوجها بحزن وكأنها  
تشكو له ما يدمي قلبها، فضمها إليه يهمس  
باطف ... (تعالى كي نرى الطبيب..) ... رافقته  
تستسلم لضمته ذراعه التي ألفتها، كما ألفت  
كل الأمور القليلة التي صدرت عنه. ليقابلها

طبيباً تذكرته منذ اللحظة التي رمقته فيها  
... (دكتور أمين ...). همست بها سهواً،  
فأجفلت على صوت اسماعيل يقول برسمة...  
(أجل إنه الدكتور أمين .... أخبرنا من فضلك  
كيف حالها؟؟) ... تحدث الطبيب بعملية مع ان  
ملامحه المتشججة تطفو عليها الحيرة  
بوضوح... (الحمد لله لحقنا بها ...وقمنا بإغلاق  
الشرابين التي جرحتها بقصد إنهاء حياتها ....  
لكنها ستبقى هنا تحت الملاحظة لأيام ...  
فهي ضعيفة جداً بسبب فقدانها للدماء ... كما  
يجب علينا تأمين استشارة نفسية ... بسبب...  
تعلمون ...). تدخلت طائفة تقول بلهفة ... (انا  
اتطوع ... لأتولى حالتها ... فانا أعمل هنا في  
القسم النفسي ...). نظر أمين الى اسماعيل  
فأوماً مؤكداً .. (بلى ... بدأت حديثاً ... وهي

أعلم... زوجتي متأكدة من براءة صديقتها... لا  
زلنا نحقق في الأمر...).. أوما أمين ينظر تجاه  
الغرفة، والوجوم ألم بقلبه لا يعلم إن كان  
بسبب زواجها، أم خيانتها، ام حتى محاولتها  
لإنهاء حياتها.

.....

قسم الأمراض الباطنية ....

شد على شفثيه بحدة حتى ارتعشت، يرفض  
الطعام كما يرفض علاجا لا جدوى منه....  
(عزيز!.... من فضلك تناول القليل فقط ...)...  
توسلته بحزن، فرمقها بسخط امتزج بالضعف  
فتم عنه بؤس مثير للشفقة... (أليس لديك

زوجتي طائعة المرابط ...). ابتمسه أمين  
متناسيا صدمته حين استدعي لتولي حالة  
انتحار، لم تكن سوى زائرة أحلامه بمقلتيها  
الواسعتين وخاتمها الفريد اللامع، مع حكايتها  
الأغرب... (مبارك عليكما ... لقد سمعت  
بزواجك من شقيقك ... لكن لم أعلم عن  
التفاصيل ... وطبعا يمكنك تولى حالتها  
... لكن يجب أن تمهليها إلى المساء على الأقل..  
(... ابتمسه له اسماعيل مجاملا، بينما طائعت  
تهز رأسها بتفهم. تركتهما عائدة إلى باب  
غرفتها، وبقيت هنالك تراقبها، فاقترب أمين  
من اسماعيل يسأل بريبتة... (هل ما سمعته عن  
الفتاة صدق؟؟... ام أنها تطاولات السنة الناس  
كما العادة؟؟)... مطط اسماعيل شفثيه بشك  
يرد.... (الظاهر كما يقولون ... لكن الله

تستدرجه للتحدث... (اخبرني إذن... أنا مستعدة  
للسماع.... والتفهّم.. صدقني... موتك على  
غير توبة من ذنوبك التي تعترف بها... لن  
يفيدك بشيء... هل تريد خسارة الآخرة  
والدنيا معا؟... على الأقل اربح آخرتك إن  
يئست من دنياك... )... تشنّجت ملامحه يرفع  
يده المرتعشة قائلاً بألم... (وكيف أفعل ذلك  
؟؟... أنا لا أعرف إليها من طريق... لقد اختفت  
وكانها كانت حلماً... تلاشى وترك المرار من  
خلفه... أنا أستحق... كل ما يحدث معي  
استحققه.. وأكثر... أنا... )... ضمت فمها وقد  
شعرت بتلك الحرقّة في صدرها، فقالت تخبره  
عنه يتحرر من طيفها قليلاً... (لقد تحررت  
منك يا عزيز... لما لا تنساها أنت أيضاً... )...  
نظر إليها بحيرة، يستفسر.. (ماذا تعنين؟؟)

مرضى غيري؟... )... أعادت الملعقة إلى الصحن  
تقول بعتاب... (أكون هذا جزائي لأنني أهتم  
بصحتك؟؟)... زفر بقنوط يهتف بنبرة واهنة،  
يخجل من وضعه، من ضعفه، بل من حاله  
ككل يقول بأسف حائق.... (أعتذر لك  
... لكنني لا أشتهي الطعام... لما آكل وأنا لا  
أشفي... من الأفضل لي لو استعجلت المحتوم  
... كي أريحكم مني... )... شهقت بخفت  
ووضعت الطبق على المنضدة الحديدية  
الجانبية، تهتف باستنكار... (كيف تقول  
ذلك... يا إلهي أتستعجل الموت؟؟).. تحدثت  
بحزن والدموع تترقق في مقلتيه... (لما  
أعيش؟... أنا مريض عاجز مثير للشفقة... على  
ظهره ذنوبا ثقيلة بظلم للذات وللناس.... أنت  
لن تفهمي أبدا.... )... اقتربت منه تقول بلطف



وهي تحرك رأسها ايجابا، ثم قالت... (هل أنت متأكد من موافقتها لتقابلك رغم طلاقها منك؟؟)... عاد الحزن يسكن ملامحه التعبية يرد... (ارجو ذلك... أريد رؤيتها مرة واحدة.... واحدة فقط.... بعدها لا يهمني إن أزهقت روعي...)... رفعت حاجبها بخفة تقول بدهشة... (لهذه الدرجة؟؟)... رمقها بمرار يجيب بشجن... (هي أكثر واحدة ظلمتها ظلما لا يحتمل.... كنت استنزف ضعفها... وكما زادت ضعفا كلما زدت تجبرا عليها.... فأتاني الجزء من عند الجبار على كل متجبر....)... أمسكت صدرها تقول بوجود... (تحبها؟؟)... جعد دقنه وهو يرمق نقطة وهمية، يفكر للحظة قبل أن يقول.... (هل تصدقيني إن أخبرتك أنني لا أعلم؟)... التفتت إليه تلهث

زفرت تميل برأسها جانبا، ثم قالت بتصميم... (لم تعد زوجتك... لقد تطلقت منك غيابيا...)... لاحظت قبضتيه الواهنتين تشدان على طرفي السرير، وقد برزت عروق جبهته يقول... (ك.... كيف ذلك... قلت من قبل أنها تسدد مصاريف المشفى أول بأول....)... هزت رأسها تفسر بيأس... (كما أخبرتك.... هناك شخص يأتي كل شهر يسدد المصاريف... ويعرف عنه نفسه أنه من طرف زو!.... أقصد طليقتك.... لكن حين طلبت من خطيب صديقتي... أن يباغها بأنك تريد رؤيتها.. لأنه مساعد المفتش ويعرف عن قضية إصابتك... أخبرني أنها تطلقت منك... ووعدني بإخبارها عن طلبك...)... اتسعت مقلتيه يقول بلهفة... (حقا فعلت! !....)... أصابها الوجوم

عزیز؟؟)... أخذ من الهواء ما يعبئ به ضيق  
رثييه، ثم رد بجمود....(مناسبة كي أعاند بها  
أمي.... فهي خانعة صامتة...ضعيفة جدا ...  
كانت لتتحمل معي سطوة والدتي وسطوتي....  
وكم كنت محقا...وهي تتحمل....وتتحمل  
..كنت أعلم أن لا فكاك لها مني...فعاملتها  
بحقارة...ضربتها أهنتها.....) ... قطبت سناء  
تقاطعها بانفعال... (كيف صبرت على  
ذلك؟؟... وأين أهلها من كل هذا؟؟)... أصدر  
ضحكة متهكمت، باردة....(أهل؟؟.... والدها  
ألعن.... كنت أظن والدتي مثال سيئ عن  
الآباء.... لكن حماي العزيز أسوء بمراحل....  
وكثيرا ما كنت أشك في كونها ابنته فعلا  
....) ... زفرت سناء بقنوط ثم قالت وهي تبحث  
بين الأدوية، تمنع الألم من التدفق الى قلبها

بأنفاسها، تسأل بأمل... (ما الذي جعلك  
تزوجها إذن؟؟)... ابتسم ساخرا يجيب... (وما  
علاقة الحب بالزواج؟؟)... نظرفي عينيها  
ثم استطرد.... (يبدو انك لست من هذه  
المدينة... )... هزت كتفيها تشرح بتلقائية  
....(أنت محق لست من هنا.... لكن أظن أن  
الرجل في مجتمعنا ككل...يستطيع اختيار  
شريكة نالت إعجابه...على عكس النساء لا  
يستطعن ذلك .. )... عاد يرمق السراب قائلا  
بسهو....(رأيتها أمام المعهد.... تقف بتردد  
...التقطت ضعفها من بعيد وكأنها كانت  
تومض به.... تبعتها وسألت عنها ليرضي ما  
علمته عنها غروري.... فقد كانت مناسبة  
.....جدا مناسبة... )... ضمت ذراعيها الى  
صدرها تسأل باهتمام... (مناسبة لماذا

من ماضٍ أعاده عزيز في لحظة. نظر إليها حين أتاه صمتها فقال ساخرا .... (ما بك ؟ .... هل مللت مني أخيرا ؟؟ بعد ان علمت حقيقتي؟... (.... استدارت اليه تهتف بغضب تمكن منها (كلكم سواء .... تحبون إظهار قوتكم على من هو أضعف منكم .... تجهلون حقيقة أن من يفعل ذلك ليس سوى جبان .....).  
ابتسم بحزن يقول بتأكيد يائس ... (أنت محقة.... أنا جبان يائس ..... أعترف ... وليس ذلك فقط ... بل ومدنّب أستحق كلما أنا فيه وأكثر ..... فدعيني لشأني من فضلك .....).  
تخصرت تراقب نبض عروقه النافرة، واحمرار وجهه الذي نحف كما نحفت أطرافه، ينطق بمرار، فقالت بعد ان تنهدت كي تهدأ .... (لن اتوقف حتى آتي بيها ..... كي تعتذر لها

...وتطلب منها السماح ... غير ذلك .. أنا لن اسمح لك بمقابلتها .....).  
لهف مجددا يقول بتوسل ..... (سأكون شاكرا لك ..... ومدينا لك بما تشائين ...).  
اختفى الغضب لتحل محله البسمة تطالبه بوعده ..... (كل ما أشاء ؟ ... هل أنت متأكد؟! ..... هز رأسه وقد عدته ببسمتها الحنون ... (كلما تشائين ..).  
تأملها بتمهل يستغرب حال هذه المرأة، منذ فتح عينيه من غيبوبته، وجدها أمامه كأنها خرجت له من العدم. اعتنت به في أصعب أوقاته ولا زالت، تحدثت وتحدثت أثناء عجزه هو عن النطق.  
كانت تظنه غائبا عن الوعي، بينما هو ينصت لكل كلمة أخرجتها مع شفيتها. حكى له عن حياتها عن معاناتها، جاهلة بالسكاكين التي تطعن بها أحشائه وهي تقص عن شيطان

.....كي تبدأ حياة جديدة دون رواسب .... يجب  
عليها التخلص من كل اثر للماضي ..... )  
(وكيف تعلمين ذلك؟) ... انتفضت وكأنها  
أجفلت، ثم قالت بتبرم ....(أعرف وكفى ....  
نم قليلا كي ترتاح.... سأعود للاطمئنان  
عليك ....فأنا مناوبة الليلة ....عن اذنك  
.....) ... ابتسم بوجود يراقب ابتعادها ثم  
عودتها تقول بحزم قبل أن تنصرف ....(نسيت  
أمرا مهما ....سأحضر معي مسجلا ...كي نبدأ  
برنامجا للرقية... قرأت عنه ...واستعلمت عنه  
من إمام مسجد الحي الذي أقطن فيه .... قال  
أنه جيد واطاف عليه امورا أخرى....بما ان  
الدواء الكيميائي لم ينفع لحاله ....سنستعين  
بالدواء الروحي ... ).... شيعها بأنظاره المتأثرة،

كانه قبل شهرين فقط. تأثر بالأمها، كما  
كره من تكلمت عنه بكل حرقة، يرى فيه  
نفسه، متهكم على فقدانه لقلب حنون مثلها.  
ويتساءل لو كان عامل حفصة معاملة كريمة،  
هل كان ليحظى منها بنفس الحنان. مع مرور  
الوقت ألفها، وألف حديثها، اهتمامها وتدخلها  
في شؤونها كما إجباره على التشبث بالحياة. لا  
يعلم لما لم يخبرها بمعرفته لكل ما قالته،  
هل يخشى فقدانها؟ وان كان كذلك، لما  
يريد الاحتفاظ بها؟ هل هو على نفس أنانيته؟  
.....(لماذا تساعدينني؟؟) ... أعطته الدواء  
الذي تلقفه على مضض، ثم قالت بجمود  
... (ومن قال انني أساعدك؟؟.... انا أساعد  
الفتاة ...).. قطب فمالت نحوه تقول بتأكيد  
كأنها تقصد نفسها ... (كي تتخطاك نهائيا

أنت مستعدة؟؟)... رفعت رواح راسها بأنفثة تومئ  
بثقة، بينما داخلها يرجف جميعه، لتسحب  
صديقتها من حقيبته يدها زينة تستطرد  
....(هيا بنا الى الحمام ...سنضع اللمسات  
الأخيرة...)... وهكذا خرجتا من الحمام  
بكامل زينتهما وكأنهما في سباق عرض  
للأزياء. تلفتت رواح تبحث عنه لتجده كما  
العادة يقف برفقة نجوى التي من الظاهر عنها  
لا تمنحه فرصة، فأجضت على الأخرى تسألها  
بفضول... (كيف ستتعرفين عليه؟؟)...  
تنفست مرات عدة ثم اعتدلت بعمودها الفقري  
وانطلقت تهتف باستعلاء.... (أنظري بنفسك  
....)... خطت بثقة زائفة تتجاهل انقلاب  
معدتها، كرسالة من بدنها أن ما تفعليه مجهود  
وخاطئ، ثم توقفت أمامها وقالت تقصد نجوى

فلم ينل مثل ذلك الاهتمام من أحد سألها  
حتى من والدته.

.....

الحرم الجامعي .....

تنفست الصعداء أخيرا حين انتهت المحاضرة،  
واستقامت واقفت تمسد على هندامها الأنيق،  
سروال وكنزة سوداء يعلوها معطف بين  
الأسود والرمادي، وطرحت من نفس لون، لتنتهي  
تناسقها بحذاء أسود ذو كعب عالي، تدريب  
عليه جيدا وأصبحت تمشي به كالعارضات.  
نظرت الى صديقتها التي ترمقها ببعض من  
المكر والحسد تقول ببسمة متحمسة....(هل

تقريبا ..... اسمي هيثم ...تشرفت بلقائك  
(...).. نظرت الى يده وبلعت ريقها تحاول درء  
توترها، ونجوى تتفرج على المشهد بوعي لم  
تسترده بعد، فقد سمعت عن تطورات رواح،  
لكن لم تظنها حقا تخلصت من اعاققتها. ضمت  
الأخيرة شفيتها ورمقته ببسمة معتذرة  
....(الشرف لي سيد هيثم ...لكن أنا أسفرت ...أنا  
لا أصافح الرجال ....).. ضم قبضته بخرج  
وبعثر الخصلات خلف عنقه، يرد بإعجاب لم  
يفت نجوى التي صرت على أسنانها غيضا لتقرر  
التدخل في الحوار أخيرا ....(لا بأس  
...أتفهمك ...).. (إذن رواح .... ما يقولونه  
صحيح ...تخلصت من إعاقتك كليا!! ...)  
اتسعت بسمة نجوى الماكرة لبرهته، تلمح فيها  
ارتعاش عضلة خد الأخرى، والشاب بينهما

التي فغرت فمها من مظهر رواح، تشفن إليها..  
\*تشفن؛ النظر بتعجب ممتزج بكره\*  
....(كيف حالك يا نجوى؟؟ ... تصدقين!!؟)  
لقد اشتقت إليك رغم جفائك وجنونك  
(...).. ضغطت على فكيها لا تزال تتفقد  
هندامها وهيئتها الجذابة، وقريبها يتدخل  
قائلا ببسمة مألوفة، فقد شعر بحنق من تجاهل  
تلك الفتاة الجميلة له، هو الذي لم يتعود على  
ذلك... (مرحبا ...ألن تعرفينا يا نجوى؟؟)...  
أجفلت تحمق في قريبها ببلاهة، فاتسعت  
بسمة رواح تستدير إليه وكأنها تلمحه لأول  
مرة ....(مرحبا ....أنا رواح ...صديقتي نجوى  
اللودة ...).. ضحك فمد يده إليها كي  
يصافحها قائلا بمرح ... (لم تخبرني عنك مع  
أنني قريبها ....وعرفتني على كل اصدقائها

...طهري قلبك الأسود وانسي الماضي ... لقد  
كبرنا ولم نعد مراهقات .... إلى اللقاء  
.....صديقتي ..).. أحرصت الدهشة لسان  
نجوى، بينما روح تعود بأنظارها إلى الشاب  
الولهان تردف بنفس الدلال وهي تشير بيدها  
منصرفته ....(تشرفت بمعرفتك سيد هيثم  
...أراكما في الجوار....) ... أوماً لها بشفت  
متدلّية، ثم استدار يقول لنجوى باهتمام ... (لم  
تعرفيني عليها من قبل ....إنها ظريفة ... )  
زفرت بخفوت تجيب بحنق ... (هيثم ...أنا لا  
اطيقها ..فلا تغتر ببراءتها الزائفة ...إنها حية  
رقطاء ... ) ... مطط شفّتيه بعتاب يلومها ... (لا  
أصدق نجوى ....إنها فتاة ضعيفة.... ورقيقة ...  
أتمنى أن تتقربي منها ...فأنا جدا أعجبت بها  
.....واتمنى التعرف إليها.... حان موعد

حائر، لكن ما لا تعرفه نجوى أن روح قد أنتها  
مصممة على هدفها وستحققه مهما أستنزف من  
أعصابها. حركت رأسها تجاه هيثم وابتسمت له  
بإغراء استجاب له متنبها إلى كلماتها التي لم  
تتأخر ....(هذه نجوى لا تتغير أبدا.... أصبت  
في قدمي منذ الصغر ...فلم توفر فرصة لتذلي  
بعرجي ... وحين شفّيت أخيرا ...انتظرت منها  
زيارة اطمئنان ...أو حتى فضول ....لكنها لم  
تسأل عني أبدا ...مع ان ما يجمعنا عداوة  
...أقصد ...علاقة طويلة تمتد لسنين ...لكن  
لا بأس ... )... التفتت الى نجوى المتميزة غضبا،  
بعد أن حققت هدفها باستدراج تعاطف الشاب  
تماما كما كانت تنعتها بفعله قبلا، ثم  
أكملت بغنج أطاح بآخر أبراج الشاب المراقب  
لها ... (بلى صديقتي ....اللودة .... لقد شفّيت

محاضرتي ...أراك لاحقا ..)... انصرف تحت  
أنظار نجوى المصدومته، فتنفست بعنف تزمجر  
وعى تضرب الأرض بخطواتها الغاضبة باحثا  
متوجهة إليها.

.....

مصنع المرابط ....

حماسها حرما من تذوق طعامها، تعد الدقائق  
دون شعور منها، فترمي هاتفها بنظرات متفقدة  
كل ثانية. حدق بها السيد عمر مبتسما بهدوء  
يدعو الله في سره أن تكون من نصيب شاغل  
بالها الذي تأكد منه في التو واللحظة. كما  
تأكد من إعجابه هو الآخر. لمح توترها تفتح

فمها كي تتحدث لكنها تقفله من جديد،  
فتحولت بسمته الى مكر يسأل ....(ما بك  
حفصة؟؟)... رفعت إليه مقلتيها الخجلتين،  
للحظة قبل أن تومئ سلبا بياس. فقرر أن  
يرحمها مستدركا بمرح ... (أه ....نسيت  
موعدك مع ياسين ...يجب أن نذهب حالا  
..كي لا نضيع الوقت أكثر ...)... قامت  
مسرعة وقد استرجعت بسمتها المتحمسة،  
وتقدمته عائدين إلى المكتب.

كبت السيد عمر ضحكة مرحة حين وجدا  
ياسين يفرذ أوراق الرسم على مكتب حفصة  
وأقلام الرسم مرتبة على الجانب. قابلهما بوجه  
بشوش يقول ببهجة وهو يفرح كفيه  
ببعضهما ... (مرحبا بكما ... لقد جهزت العدة



....(بما انك شغوفة برسم شخصيات الكرتون  
...سنبدأ بأساسيات شكل الوجه ... ).. راح  
يحقق أمانيه الصغيرة بأن يمارس هوايته،  
ويعلمها، مستمتعا بالفرحة الطفولية المتمثلة  
في الانبهار بالمجسد على ملامحها المندهشة  
ببهجة خفية تناغش القلوب. والسيد عمر  
متكئ بجذعه على مكتبه يراقبهما بعين  
دافئة تتمنى لهما نعمة الحظوة.

.....

الجامعة ....

تضحك صديقتها وهي تنتظر الأخرى كي  
تتبعها كعادتها وتصب عليها جم غضبها، ثم  
تهدها بما تستطيع وما لا تستطيع، .....(أيتها  
ال .... كيف تتجرتين؟) .... ضحكت ساخرة

...تفضلي على مقعدك ...).. خطت بخجل  
وجالست ترمق سطح مكتبها بفرحة طفلة  
صغيرة، والسيد عمر يقول بمزاح ... (احذر  
ياسين ... سأراقبك وان كنت معلما فاشلا  
...سنضطر لإنهاء خدماتك ونبحث عن  
الأفضل..).. ... كان منشغلا باللمعة في مقلتي  
حفصة والبسمة الذاهلة ببهجة تزين ثغرها  
الزهري، فاقترب منه السيد عمر يلكزه  
بمرفقه مستطردا ... (هل سمعتي؟) ... (ها؟!)..  
نطقها ببلاهة فضحك عمر يومئ بيأس قائلاً  
... (لا تكترث .... هيا إبدأ أول دروسك ... يا  
فنان ...).. ابتسم له بهدوء وخطى إليها وقلبيهما  
على وتيرة واحدة، واتخذ لنفسه مقعداً أمامها  
تفصل بينهما طاولة مكتبها متوسطة الحجم.  
الاقط القلم ثم قال لتنظر اليه بحيائها الجذاب

تجيب وهي مستقيمة بتحد ... (أوه نجوى ... أنت  
لا تتغيرين ... خطواتك معروفة ... وسهل  
التكهن بها ...). تنفست بحدة تقول بتهديد  
خافت لا يسمعه سواهما .. (ماذا تظنين نفسك  
فاعلة؟؟) ... مططت رواح من بسمتها حتى  
شملت كل وجهها وردت بلؤم ... (أظنك  
... تعلمين جيدا .... ما أنا فاعلة ...). عضت  
نجوى شفتها بغل، ثم قالت بدقن يرتعد  
حقدا ... (ألم تكفي بابن آل عيسى؟؟) ...  
كانت مجرد لحظة ولم تدم أجفلت فيها  
ال نظرة العابثة في مقلتي رواح، قبل ان تستعيد  
شخصيتها الجديدة كما تظل تقنع نفسها التي  
تنن تعباً وارهاقاً ... (يغضبك ذلك؟ ... أن  
يتوجه اهتمام الناس دائماً الي؟ ... ماذا كنت  
تقولين؟؟) ... رفعت سبابتها تستطرد

بتهكم عابث ... (آه .... أنني استدرج عطفهم  
وشفتهم ....). ضمت ذراعيها الى صدرها،  
واقتربت منها اكثر تكمل بتحد حاقد  
... (لنرى إن كنت لا زلت أملك الموهبة ...  
بعد ان شفيت قدمي ... ولم أعد معاقتة ...).  
احمر وجه نجوى، ورواح تعود للابتسام بدلال  
متعمد، تربت على جانب شفتها تكمل بتشفي  
... (يا ترى هل سأنال اعجاب قريبك  
الوسيم؟؟) ... ام انني سبق ونلته ... لأنني سمعت  
ذلك بنفسي قبل ان ابتعد عنكما كلياً  
....). زفرت انفاً حارقة تشير اليها بإصبعها،  
مهددة ... (أنت سافلت يا رواح ... وسأفصح  
حقيقتك هذه أمام الناس .... وسترين .... من  
الأفضل لك لو تبتعدين عن دري ... آآه!!) ...  
بترت تهديدها الوقح، حين انقضت رواح على

بحدة وهي تشعر بجسدها يُسحب الى زاوية  
منعزلة، لتجد نفسها مثبتة الى جدار خلفها،  
وعينين سوداوين ترمقها بغضب مظلّم، ينطق  
صاحبهما من بين اسنانه المصتكتة ... (ماذا  
حدث لك رواح؟؟) ... فغرت فمها بصدمته ترمقه  
بمقلتين اتسعتا دهشة، وهو ينفت في وجهها  
انفاسا ساخنة يستطرد بانفعال ... (ما الذي تغير  
فيك؟؟ ... انت لست رواح ... ما بك؟؟) ...  
استعادت نفسها تدفعه عنها، فارتد الى الخلف  
متذكر فعلته السالفة، يخشي إخافتها مجددا.  
يكاد يفقد أعصابه وهو يراقبها بكل تلك  
الجادبية، والفتنة والدلال الغير معهود منها  
تهديه لذلك المتحذلق. اثارت جنونه بفعالها،  
فلاحق بها كي يحدثها لتضيف الى دهشته  
المزيد بتحديها لنجوى، وفرار الأخرى بمقلتين

اصبعها بيدها تجذبه الى الخلف مسببة لها  
الألم ، وتتوعدها بنبرة متكبرة، حافظت على  
خفوتها متجنبتان فضول العيون من حولهما  
.... (سأحرق قلبك يا نجوى .... كما فعلت بي  
على مر السنوات ... لا يهمني قريبك ذاك أو  
غيره .... كلما وضعت عيناك على شاب ما  
... سأكون بينكما حاضرة ... ولن اتوقف حتى  
اكتفي من انتقامي ... فوفري تهديداتك  
الواهية ... لأنني بت اعرفك جيدا ... مجرد فر  
ثرثار .... لا قيمة لما يتفوه به ... فاغربي عن  
وجهي ...) ... نفضت اصبعها بعنف، فأمسكته  
نجوى بكفها الحرة، تمسده عليه تكاد تدمع  
مقلتيها قهرا، فانسحبت رواح تتجه الى الحمامات  
تحتاج للانفراد بنفسها قليلا، فما تحملها من  
طاقة سلبية تضني كاهلها، لكنها شهقت

حينها لا أسألك حبك .... مع ان الفكرة  
مغرية ... لكن ... همت بالفرار فأوقفها  
مجددا يكمل باسم ... (لكنني أسألك الصبح  
... على ما اقترفته في حقك ... ) عبست في  
وجهه تقول تهز كفيه بتجاهل مزعوم ، وتقول  
بتكبر .... (لا شيء اسامحك عليه .... فكل ما  
يتعلق بك ... لا يهمني .... اطلاقا ... ) مرت  
أمامه منسحبة تحبس انفاسها اللاهثة ، فقال  
بمكر .... (تذكري ذلك جيدا .... لقد قلت أن  
خطئي في حقك لا يهكم .... تذكري يا رواح  
... ) اقبلت عليها باب الحمام تطلق سراح  
انفاسها اخيرا ، تضع يدها على صدرها  
المتحرك بسرعة أجهدت عزمها ، ثم خطت  
الى المغسلة تغمر وجهها بمياه باردة ، مرة بعد  
مرة ، لتنظر بعدها الى المرأة تحدث نفسها

دامعتين . رفعت رأسها باستعلاء تهتف بكبر  
... (من تظن نفسك ... كي تحدثني هكذا  
... ابتعد عني ... ) مسح عيسى على وجهه  
كي يحافظ على هدوءه يجيب بنبرة جامدة  
.... (اسمعي .... اعلم انني اخطأت في حقك  
... وأنك كرهتني بسبب ما فعلته في لحظة  
طيش ... وأظل اعتذر لك ... وسأفعل حتى  
تصفحني وتنسي ... لكن .. ) ... أحرصت صراخ  
قلبا وهي تقاطعه باهتياج ... (أنا لا اتذكر أي  
ما تتحدث عنه .... بل لا اذكرك أنت شخصا  
.... ) ... تجمد مستغربا حالها المتغير وكأنها  
ليست هي ، تستدرك بعجرفة .... (أخبرتكم من  
قبل ... أنت لا تهمني في شيء كي أكرهك او  
أحبك ... وداعا !!! ) .... حصارها يبتسم  
للذكرى بحنين يقول بمرح ... (وانا اخبرتك

بغضب....(لا تهمني يا ابن آل عيسى... لا أنت  
ولا غيرك....).

.....

قسم التحقيق الجنائي...

(هل وصلت لنتيجة ما دكتور هادي؟؟)...  
استدار إليه ببشاشته المعتادة، يحمل بين يده  
رزمة أوراق من جانب مختبره، وحط بها على  
طاولة عالية وركز عليها نورا من مصباح على  
جانب الطاولة، يقول مشيرا إلى مجموعة من  
التحليل والصور....(من خلال نتائج الفحص  
المدقق... تأكد لي طرحي الأولي... قتل  
غرقا...). حك طارق جانب فمه يستفسر

بتركيز... (لكن كيف؟؟)... (أنظر... هنا  
...). أشار إلى تحليل ما ثم استدرج يشرح  
... (هذا التحليل يثبت تشبع الرئتين بالماء...  
كمن غرق... وهذه...). أشار إلى إحدى الصور  
المقربة لرأس الضحية، مردفا... (تدل على  
جهاز ما خاص... قد قام القاتل بدس راس  
الضحية فيه إلى حدود العنق....واقضه  
بإحكام ثم ملاه بالماء.... مهما كان الجهاز  
فحافته مكونة من مادة مطاطية.. علمت هذا  
من البقايا التي علقت على أثر الحافة في عنقه  
...). قطب طارق يجادلته... (هذا يعني أنهم  
أكثر من واحد.... فرجل مثل الضحية بجسده  
الممتلئ لن يسيطر عليه واحد....). آمال  
الطبيب راسه جانبا يرد بعملية... (ربما... أو قد  
يكون واثقا من القاتل....جهاز جديد يريد

## مصنع المرابط ....

(هكذا ... جيد .... أحسنت) ... نطقها ياسين بسرور، حين أجادت ما لقنه إياها بعد محاولات معدودة، نظرت إليه بفخر تقول ببسمة انارت قسماتها السمحة ... (شكرا لك...) .. رمقها بافتتان يقول بسهو ... (من دواعي سروري) ... ضمت شفيتها بخفة تطرق بخجل من نظراته التي لا يخطئها عاقل، فتدخل السيد عمر يقول بمرح ... (كانت أمتع ربع ساعة مرت علي...) أنت معلم بارع ... وهي تلميذة نبيهة ... وأنا مشاهد هادئ ... أأست كذلك؟! ... ارتبك ياسين من نظرات السيد عمر ذات معنى، فقام من مكانه مُكرها، يقول .... (اجل ... أنت

تجربته وواقفه دون ان يعلم أنه سلاح قتله... كل شيء ممكن.... إذ لا يوجد دليل بعد (...). هز طارق براسه بتفه ثم تساءل ... (هل لديك رؤية ما لسلاح الجريمة ...) ... ابتسم الدكتور هادي بحماسة، يريه بعض الرسوم .... (في الحقيقة ... رسمت بعضا من تصوراتي ... أمل ان ينفعوك ....) ... تطلع اليهم طارق بتفحص، ثم جمعهم بين يديه يقول بمكر ... (قد نكون محظوظين ... ولا يخفي القاتل سلاحه ... كونه غير معروف ...) ... بادله نفس البسمة يقول باعتداد .... (فقط أحضر لي أي شيء تشك فيه ... وسأثبت تطابقه من عدمه ...) ... صافحه شاكرا يقول بامتنان ... (سأفعل ... بإذن الله سنجده ... إلى اللقاء ....) ...

مساءً ..... المشفى ....

تحرك اصبعها برتابة تدق بخف على  
المذكرة في قبضتها، جالسة على كرسي  
بالقرب من السرير، تنظر إلى الصامتة مكانها  
بتفحص عملي. زفرت بتعب ثم تحدثت من  
جديد... (مريم .... من فضلك تحدثي إلي....  
لماذا هذا اليأس؟) ... حركت رأسها بتمهل  
مخيف وتبثت مقلتيها الواسعتين عليها، ترمقها  
بنظرة بعثت برجفة في دماء طائعت، ثم قالت  
بنبرة جامدة... (لست يائسة... يا طائعت...)  
بلعت ريقها تقول بحذر... (لما آذيت نفسك إذن  
؟؟... من يحاول إنهاء حياته... سوى اليأس منها  
...). راقبتها بصمت حتى ظنت أنها لن ترد، ثم

كذلك (...). التفت إلى حفصة يقول متمنية  
نظرة أخرى منها، يحملها بين جنبات قلبه  
المستسلم لحضورها... (تدربي عليها جيدا...  
كي تعتاد عليها يدك... ثم ننتقل للمرحلة  
الأخرى غدا... بإذن الله...). وبالفضل طارت  
كن دقائقه الكثير وهي ترمقه بتأثر، تومئ  
بحماس، فتنفس بعمق واستأنف خطواته بعد أن  
حي السيد عمر... (سأعود لعملي...). اوما له  
بنفس البسمة الغامضة، ثم عاد يتأمل الأخرى  
تجمع الأوراق بفرحة تشع من نظراتها الحالمة،  
وبسمتها الدافئة. ليهمس لنفسه مداعبا... (يا  
رب... اجمع بين المحبين...).

.....

فاستطردت ... (والدتك كانت هنا وأنت نائمة  
...). .. استحكمت الجمود بملامحها الشاحبة عدا  
وجنتيها المحمرة، لتظهر كلوحة مخيفة من  
القرون الوسطى، بينما طائعت تستفز ردودها ....  
(رغم غضبها ... إلا أنا حزنت كثيرا لمصابك  
.... ولم تذهب إلى أن اطمأنت عليك ... لم  
تخبر والدك ... بسبب مرضه ... فمهما بلغ به  
الغضب هو الآخر. ... لن يتحمل فكرة موتك  
...). (إن كنت تظنين أنك ستستدرجينني  
بحديثك عن أهلي .... فأنت على طريق  
معاكس ... عزيزتي ...). قالت بحقد شع من  
مقلتيها، فاستفسرت طائعت بترقب  
... (المعنى؟؟؟) ... انبثق شبح البسمة الساخرة  
على جانب شفتيها تجيب بتشفي ... (المعنى  
... أنك تضيعين وقتك في الدفاع عن مذنبتي

قالت بغتة تمسد على اصبعي كفها الأيسر...  
(لا اجد خاتمي ... هل تظنين أن احد اولئك  
الشرطين سرقه مني؟؟) ... ضمت طائعت ما بين  
حاجبيها، تسأل بتوجس ... (مريم .... أسألك  
لما حاولت الانتحار... وماذا تقولين ... خاتمه؟...  
فليذهب الخاتم الى الجحيم ...). ..  
(طائعت!!!) ... انتفضت طائعت من صياحها  
الغاضب تشعر بوجنتي مريم ستنفجر من شدة  
تجمع الدماء فيهما، والشال المحاط برأسها من  
نفس اللون يعكس السواد النافر تحت  
عينيهما.... (أنا .... لا أريد التحدث في الأمر... إن  
كنت تريدين مساعدتي بحق ... احضري  
خاتمي ... إنه يساعدني على الهدوء ...). لاذت  
طائعت بالصمت تفكر للحظة تقول بعدها  
... (سأحاول ذلك ...). ... ابتسمت لها ببرود



تبات، فانصرفت طائعتا، تشير الى زوجها  
المنتظر لها في الرواق، برفقة الدكتور أمين،  
تقول بجديتة ... (يجب مراقبتها .... ليست  
طبيعية ... ستؤدي نفسها ... انا متأكدة ...)  
نظرا إليها بقلق، فقال أمين ... (يصعب تأمين  
حارس لها داخل الغرفة ... فالحارس الأمني على  
باب غرفتها .... لا يمكنه الدخول ...). هزت  
رأسها تقول بحزم ... (إذن سأبقى معها ...). رمقها  
زوجها بحيرة، فاستطردت تتوسله ... (من  
فضلك اسماعيل .... لن أستطيع تحمل ذنب ما  
قد تفعله بنفسها ....). أضعفه نطقها لاسمه  
بتلك الرقة، فصمت يفكر، لتقاطعهم نبرة  
نزقة لم يصدق لا اسماعيل ولا طائعتا سماعها  
.... (كلاكما أحقان .... وسأكسر راسيكما  
بعصاي هذه ....).

... أنا خنت زوجي ... مع سلف شقيقتي .... أنا  
مذنبة ... فارحلي ...). شهقت طائعتا بصدمة  
واهتز بدنها تقوم من على كرسيها تستنكر  
... (أخفض صوتك ... يا إلهي مريم ... انا لا  
أصدقك بالأمس انكرت كل شيء ... وطلبت  
مساعدي ...). دَهَدَقَت \*ضحكت بسوء\*،  
تقول بحقد ... (تلك الضعيفة اللعينة ...).  
(ماذا؟!) ... هتفت طائعتا، فقالت لها بغل تجحظ  
بعينها فأصبحت كشبح مخيف ... (قلت ارحلي  
... أنا كذبت عليك ... وتلاعبت بك ...  
ارحلي!!) ... استقامت طائعتا في وقفتها  
ومسدت على هندامها، والتفت إلى الكرسي  
تأخذ حقيبته يدها قائلة بهدوء .... (سأرحل  
لكنني سأعود بإذن الله ... لأنني الطيبية  
المسؤولة عنك ...). عادت تضحك بعدم

منزل آل عيسى ....

تسللت بخضرة من السلم الخلفي لشرفة غرفتها،  
بعد ان قامت بوضع مخدات تحت اللحاف، أطفأت  
الأنوار سوى مصباح خافت، يظهر لمن يتفقد  
الغرفة أنها راقدة تحت اللحاف. أسرع من  
خطواتها تتأفت خلفها كل حين خوفا من أن  
تقبض عليها الخالصة شمة، فتكون نهايتها على  
يديها التين لا تفارقهما حمرة الحناء. لمحت  
صديقتها تنتظرها على ال\*سكوتر\* في آخر  
الشارع فركضت وهي تالقي بقلنسوة سترتها،  
على رأسها.

(ظننتك غيرت رأيك ....) ... هتفت صديقتها  
فقالته تجيبها بعبوس لا يفارقها ... (لا أراجع

عن وعد قطعه ... عودي للخلف ... هيا .....)  
رمقتها الفتاة بعدم يقين، فرفعت يدها محذرة  
... (كان شرطي الوحيدة .... القيادة و  
وافقت....) ... تهدلت كتفاها باستسلام وعادت  
الى الخلف تقول بتوجس ... (احذري....)  
اجابت بضجر وهي تستقل المقدمة ... (تعلمت  
على يدي بارع .... لا تقلقي ....) ... نطقت  
الأخرى بقلق ... (هل انت متأكدة؟؟) ....  
انطلقت تبتمس بحماس وهي تصيح ... (كل  
التأكيد ....).

.....

المشفى ...

استدارا إليه بدهشة، لم تطل حتى انقلبت لدى  
طائعتا الى بسمة حنين وتراخي ملامحها  
وكانها برؤيته استرجعت مصدر أمانها،  
كطفلة تشعر بالهدوء والسكينة في حضرة  
والدها. هل هذا ما تشعر به زوجته تجاه  
البروفيسور؟ تساءل اسماعيل بينما الدكتور  
أمين يستأذن متكفلا بالبقاء مع المريضة حتى  
حين ... (بروفيسور؟؟ ... متى !! ... أقصد ... أنك  
فعلا هنا ...!!؟) ... سألت طائعتا بدهشة مبهجة،  
واسماعيل يراقبهما يتجاهل الحرقرة في قاع  
صدره. تقدم إليهما البروفيسور وقد انطفا  
حنقه منهما من مجرد رؤية تلك النظرة في

مقلتي الفتاة، انها حائرة، غير مستقرة، تبحث  
عن أساس متين تألفه، وهو ذلك الأساس، الذي  
تطلب منه سنتين من المعاملة الحسنة  
والاحترام الصادق كي يقنعها بالثقة في أناس  
غير والدتها وجدها.... (أجل أنا هنا  
...وسأكسر رأسيكما معا ... إن لم تبدأ  
بتفسير عدم ردكما على مكالماتي ...) ...  
صمتا معا كطالبين مذنبين، فاستطرد بنزق  
... (لقد كدتما توقفان قلبي .... احمدا ربكما  
أنني لحقت بالطائرة الوحيدة الى هنا ... لكنت  
أتيت بالسيارة وحينها سأنتقم بسبب ذلك  
الطريق الوعر .... وتلك المنعرجات المخيفت  
... ) ... ضحكت طائعتا وهي تضع كفا على  
فمها بخجل، فتاه اسماعيل في ضحكتها التي  
لم يرها من قبل، إنه حقا رجل بائس أتعس

... (كيف حالك بروفيسور؟) ... صافحه هامسا  
لكن بنبرة أراها ان تصل الى مسامع طائعت  
... (لولا تلك النظرة البلهاء ... لكنت كسرت  
رأسك بالفعل ...). (هل لاحظت انها المرة  
الثالثة التي تهددني فيها بكسر رأسي في ربع  
ساعة؟؟؟ ... بروفيسور مرحبا بك ...). ضم  
شفتيه بتبرم ثم قال ... (لما لا تجيباني على  
مكالماتي ... طوال الليلة الماضية ... وهذا  
اليوم ... ما الذي حدث؟؟) ... نظر اسماعيل الى  
طائعت، يقول باستغراب ... (بالنسبة لي  
هاتفنتي صباحا ... كنت على وشك الرد ...  
لولا طرأت ظروف صعبة ... امتدت طوال اليوم  
ولم تنتهي بعد ...). ... التفت البروفيسور الى  
طائعت يسأل بانفعال ... (وانت لما لم تجيبي  
على مكالماتي ليلة أمس ... إذا افترضنا أنك

زوجته وفي أول أيام زواجهما ... (ما الذي  
يضحكك؟؟) ... هتف مجددا، فقالت تهز  
كتفيها بعدم تصديق ... (انك بالفعل هنا ....  
بروفيسور ..). لم يستطع ازالة مقلتيه من على  
التعابير المتعاقبة على وجهها، حتى أجفل على  
ربتة كتف، ليجد البروفيسور يرفع حاجبا  
واحدا في وجهه يخرجه ... (هل هذا يعني أنك  
متوله في زوجتك؟؟) ... تنحج متهرب  
بكحة، بينما طائعت محمرة تطرق بحياء ... (آه  
... لقد نسيت ... أهل الجبل لا يعترفون  
بالمشاعر ..). ... استرسل بمكر وهو يشير بعصاه  
تجاه اسماعيل، المستسلم يدعي البرود  
... (الحب مجرد هراء ... والزواج يستلزم رجل  
ناضج وامرأة صبورة ... الخ الخ الخ ... ممممم!!) ...  
بسط اسماعيل يده قائلا ببسمة رسمية

عليهم الصمت بثقله الفظيع، بينما البروفيسور  
لا زال ينتظر منه جوابا يظن حقا أنه سيحصل  
عليه، لتتهف طائعتا تنقذ الوضع....(بروفيسور  
هل أكلت شيئا بعد ؟؟)... زم شفتيه الى الأمام  
يضيق مقلتيه، ثم قرر تقبل تهربها....(أكلت  
قبل اقلاع الطائرة .... أشكر لك اهتمامك  
....إذن كيف حالكما ؟؟)... زفر اسماعيل  
بإحراج من الموقف ككل، فتكفل بالرد  
... (شكرا لك بروفيسور...نحن بخير...وجدا  
أسفان ..... لما حدث ....هالا شرفنتني وقبلت  
دعوتي الى منزل عائلتي؟؟ ... )... ابتسمت  
طائعتا بسرور، فقال البروفيسور وهو ينظر الى  
ساعته... (لقد تأخر الوقت ... سناجها الى الغد  
ان شاء الله ... )... قاطعته بعجالتا... (وأين  
ستزل الليلتا ؟؟)... ابتسم أخيرا لها يجيب

تشاركينه الظروف الطارئة اليوم...؟؟)...  
بلعت ريقها بتوتر تناظرهما بتناوب، لا تعلم  
كيف تبرر....(ماذا هناك يا فتاة؟؟)... حثها  
البروفيسور، فقالت بتردد.... (حممم .... أنا  
واسماعيل اتفقنا على عدم ردي على أي رجل  
مهما كان...إلا في حضوره .... أسفتا ...)  
على عكس ما توقعت، ابتسم اسماعيل بحبور  
ينظر إليها بعدم تصديق، والبروفيسور يحدق  
بتفكير الى أن نطق الدرر....(حسنا ...  
ستظلين طائعتا... لكن ما لا أفهمه.... آخر مرة  
هاتفتك فيها...حين استبد بي القلق...كان  
قبيل منتصف الليل بنصف ساعة.... )...  
اختفت بسمت اسماعيل حين التفت إليه  
يستطرد باستفزاز، وطائعتا تفغرفمها ببلاهة  
....(أين كنت في مثل ذلك الوقت ؟؟)... حل

بامتنان ....(حجرت في الفندق قبل المجيئ إلى  
المشفى ....) ... أومات فتحدث اسماعيل باطف  
... (هل انت متأكد؟ ... أعني يمكننا  
استضافتك في المنزل..... هناك غرف نوم  
شاغرة ....) ... عاد الى مكره يرد بغموض  
... (مهمهم!.... لديك غرف نوم شاغرة  
.....) ... تجمد كليهما يعلمان قصده، فضحك  
يعضيهما من الاحراج.... (شكرا لك  
..... سأرتاح في الفندق أكثر ... هل ستغادران  
الآن؟؟) ... التفت اسماعيل الى طائعت، التي  
تذكرت مريم فالتفت تنظر نحو باب غرفتها....  
(لا أستطيع .... يجب ان ابقى مع صديقتي ...)  
قطب البروفيسور بحيرة، فقال اسماعيل  
باقتضاب ... (قصة طويلة.... لكنني لست  
متأكدا من تركها هنا ...). ... حاولت من جديد

تعلل ....(من فضلك اسماعيل.... لن أبارح  
الغرفة .... إنها تحتاج الي ....ولا أحد بجانبها  
....) ... راح في جولته اخرى على ملامحها،  
فتنحج البروفيسور قائلا ... (هلا فسر لي  
أحدكما ... ماذا يحدث؟؟) ... أخبرته طائعت  
عن مريم باختصار، فقال يخاطب اسماعيل  
.... (استطيع البقاء معها.... إذا سمحت طبعاً ....  
قد اساعد في تشخيص المرض إذا وجد  
....ويمكنك الاطمئنان عليها ....) ... ارتبكت  
طائعت تحديق في زوجها انتظارا، ليقول وهو  
يقترب منها ويقبل رأسها مفاجئاً اياها بحركته  
تلك ... (اعتني بنفسك .... سأهاتفك طوال  
الليل ... واتي اليك باكرا بإذن الله .... حاولي  
ان تنالي قسطا من النوم....) ... هزت رأسها بتيه  
تبحلق فيه، وهو يحي البروفيسور، الذي ناداه

قائلا بمهادنته....(اهدئي أنا الطبيب أمين  
....أريد الاطمئنان على جروحك....)... آمالت  
راسها تدقق في وجهه، ليشق ثغرها على بسمته  
لا تناسب ملامح وجهها، بين الشحوب وحمرة  
الخددين والسواد تحت المقلتين، تقول كمن  
وجد ضالته....(أنت.... هو....)... ابتسم لها  
برسميته، وقد أثار فيه تذكرها رغما عنه،  
لكنه قال بتجاهل... (من تقصدين؟؟)...  
تلكأت قليلا دون ان تحيد من على عينيه ثم  
قالت بغموض....(لا شيء.... لا تهتم...)  
بسطت كفيها له وعادت الى تأملها للسراب،  
بوجود حل على ملامحها ساكنا لا ينوي  
المغادرة. تأكد من مؤشراتها الحيوية، ثم اتجه  
نحو الكرسي وجلس عليه. وكذلك ظل  
للحظات طوال، لا هو تحدث ولا هي تحركت

بعد ان بدأ بالابتعاد يقول بخفوت لم يصل  
الأخرى هذه المرة..... (شكرا لثقتك بي  
...)... مطط شفثيه في ابتسامته لم تصل  
لمقلتيه وانصرف يهمس بتصميم....(بل  
اشكرها لثقاتها فيك دون غيرك.... لكن  
هذا سيتغير..... قريبا....)

.....

غرفة مريم.... قبل لحظات ...

فتح الباب ليجدها متسمة في جلستها، تضم  
ذراعيها إلى صدرها، وترمق الفراغ. اقترب منها  
كي يتفقد جروحها، ما إن حاول لمسها حتى  
انتفضت تحدجه بسهامها الحارقة. رفع يديه

من جمودها، إلى أن اكتفى من ضغط الفضول  
يلج على أحشائه فقال بحذر... (لماذا؟؟؟) ... لم  
تتحرك حتى ظن أنها لم تسمعه، لترفع زاوية  
فمها قائلة بجمود.... (لا أدري ما يثير سخريتي  
أكثر.... كونك متوقع مني فهم سؤالك  
.... أو الرد عليه.... في كلا الحالتين... لا أعلم  
... )... قطب بحاجبيه الكثرين، ومال قليلا في  
جلسته إلى الأمام قائلا... (لا أحد ينهي حياته  
بلا سبب... )... (آه... كان ذلك قصدك....  
لدي سبب... وسبب مهم... )... نطقت بنبرة  
خالية من الحياة، فقال مندفاعا... (ما هو.. هذا  
السبب المهم الذي يدفع بالإنسان كي يضع  
نهاية لحياته بنفسه؟؟) ... التفتت إليه تهديه  
تلك النظرة المخيفة، وقد اقشعر بدنه ثم  
قالت.... (لما تحسب أنك تستحق ردا على

سؤالك؟؟) ... لاذ بالصمت يبحث عن رد مقنع  
ليقول بعد لحظة... (لأنني طبيبك.... )...  
عادت تلك البسمة الشاحبة مصاحبة  
لكلماتها... (صدقني لا يهم... على أي حال  
... لن يطول الأمر... حتى ينتهي... )... تمكن  
منه القلق، يقول باهتمام... (ما الذي سينتهي  
؟؟) .. رفعت إصبع سبابتها تحركه في وجهه  
تقول بتحذير ساخر... (الفضول ليس جيدا يا  
دكتور.... ألم تسمع عن المثل الحكيم  
.... الفضول يقتل صاحبه؟؟) ... مسد على  
عنقه، ينظر إليها بتوجس، فدهقت تستلقي  
على ظهرها، ترمق السقف فوقها وقد راحت في  
سهوها من جديد. ظل يراقبها تسبح في عالمها  
الضائع، وشيء ما يجذبه ليساعدها، لا يعلم لما  
لم يصدق ما قيل عنها، وكأن فيها أمرا ما يفند



ليستدرك بمرح ... (يبدو أنها مثيرة للاهتمام  
...وسنستمع بعد كل شيء .....). ... اعتذر  
الطبيب منسحبا، وطائعت ترمقه بعتاب، فرجع  
يديه يدعي البراءة ..... (انا استمتع بعلمي...  
هذا كل ما قصدته .....).

.....

قرب السد الرئيسي للمياه ....

نُصبت الأضواء على طول شاطئ السد،  
ومكبرات الصوت موزعة في الأرجاء تنبعث  
منها أنواع مختلفة من الألحان. ترفه عن حشد  
من الشباب من مختلف الأعمار والألوان  
والأجناس. بينهم بائعون متجولون للعصائر،

كل تلك الأقاويل. انتفض غير مصدق  
لإجفاله من استدارتها المسرعة، تقول بحزم  
متوعد ... (أولئك الأوغاد ..... سرقوا خاتمي  
.... أريد خاتمي!!) ... ( ... ) سرح يفكر في  
قصدها، بينما هي تهز كتفها مستطردة بحزن  
... (أحب ان يكون معي ..... حين ينتهي الأمر....  
لن أدعها تنتصر علي ...). .. زفر بخفوت يرمقها  
بمقلتين حائرتين، مريبتين، متوجستين.  
قام من مكانه حين فتح الباب لتظهر طائعت،  
من خلفها البروفيسور. اقترب منهما يهمس بقلق  
... (بها خطب ما ... انا متأكد ...). ...رماها  
البروفيسور بنظرة خاطفة، ثم عاد للطبيب  
يقول بدعابة ... (هل قامت بإخافتك؟؟) ...  
تنحج محرجا، وطائعت تبسم بخجل،

أفعاله، وتلاقت متفقدا الوجوه من حوله، لينشل  
عنقه في اتجاه معين، ضيق مقلتيه بتركيز  
على مجموعة من الفتيات، بالذات واحدة بشعر  
قصير، وقوام ممتلئ يندس في سروال أسود  
ضيق، وسترة من نفس اللون، لا تكاد تصل إلى  
حزام السروال. ترقص بحركات غير مألوفة،  
وظهرها إليه، كما أنظار الكثير تحوم حولها.  
أهمل صديقه الساهم، يراقب حركتها مع  
اهتزاز خصلاتها القصيرة، يقسم أنها هي لولا  
شكه الذي تسال إليه بسبب رقصها. فهل تلك  
الغضوب العبوس طوال الوقت تعرف الرقص؟  
وماذا تفعل هناك أساسا؟. فتح فمه بصدمته  
وهي تستدير في وجهته دون حقا أن تلمحه،  
تضحك وتقفز بانطلاقة غريبة عليها، فهمس

الحلوى والمكسرات في العن. كما المشروبات  
المسكرة وأنواع من المخدرات في الخفاء.  
(عيسى انت لا تطاق... ما بك اليوم ؟؟)...  
طالبه منصف بضجر وهما واقفين بين الحشود،  
يرتشان الصودا. لم يجبه المعني والعبوس  
عنوان لمحياء الجامد، لا ينفك ينسى رواح  
وابتسامتها لذلك الشاب. شئ ما يحرقه في  
قلبه، إن فكر الشاب فيها وحتما فعل،  
فتحديقه مع بسمته البلاء لا زالت عالقة في  
رأسه. ماذا سيفعل إن استجابا لبعضهما....  
(إيييه !! ....أرخي قبضتك على القنينة ...  
ستنكسر في يدك ...). هتف منصف يشير  
الى قنينة الصودا، فأوما له بضجر يعود الى  
تفكيره المضنى. هز رأسه هو الآخر بيأس من

## الفصل الخامس

ولا حزن يدوم ولا سرور ..... ولا بؤس عليك  
ولا رخاء  
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ..... فأنت ومالك  
الدنيا سواء... الإمام الشافعي..

منزل آل عيسى ...

تنفس الصعداء شاكرا ربه للهدوء الساكن في  
بيتهم، يدل على نوم الجميع. فليس به لا  
خاطر ولا قوى كي يشرح أو يعلل، إلا أن ظنه  
قد خاب وهو يسمع نبرة جده المنخفضة

بدون وعي ..... (إنها هي... بشحمها ولحمها  
.....ابن الزعطوط.....)

متعادلين ...)... رمله اسماعيل بجهل واضح،  
فاستطرد برفض ظهر على ملامح وجهه، قبل أن  
يكمل طريقه الى غرفته ....(فريق الممرضين  
... أعانكما الله على ما بلاكما به .... تصبح  
على خير بني ...)... (جدي!!)... تجاهله فقلب  
شفته السفلى باستغراب، دون ان يكون جاهلا  
لموقف جده ككل. زفر بخضوت ثم قصد  
غرفته، غير ثيابه، واتجه الى غرفة والدته  
حيث حدث شاغلت أفكاره وقلبه في هاتفه.  
كانت مكالمته مقتضبة بكونها بخير، ثم  
استلقى جوار أمه الغارقة في النوم، يتأمل  
شحوب بشرتها وهزالها الملحوظ. مد يده يمسد  
بها على رأسها يشعر بالخوف عليها ممزوجا  
بالرافة، إلى أن راح في نوم غير مريح بالمرّة.

ليستدير إليه يلاحظ خروجه من المطبخ في  
يده إناءه الطيني \*القلّة\* ....(بني .... جئت  
لتوك؟)... ابتسم له بتعب يرد بنفس الخضوت  
...(أجل جدي ...) ... اقترب منه يسأل بقلق  
...(كيف حال الفتاة؟؟)... تنفس بقنوط يرد  
...(سيئتا يا جدي ... سيئتا جدا ...وقد تؤذي  
نفسها في اي وقت ..).. أوما الحاج ابراهيم قائلا  
بتلقائيتها ... (يبدو أن زوجتك محققة ...وهي  
بالفعل ليست طبيعية ...)... وافقه مجيبا وقد  
برقت مقلتيه بذكرها ... (أجل ...أظن ذلك  
...لهذا سألتني أن تبقى معها ...)... ثم هز  
كتفيه مردفا ... (فسمحت لها ... لا أريد ان  
أتحمل ذنب ما قد يصيبها ...)... عقد الحاج  
حاجبيه بتفكير عميق، ثم قال بغموض  
...(جيد ...انضمت الى فريقك ...وصرتما

## منزل المرابط ...

نطقت بتبرم واللؤم يغشى ملامحها ... (كما  
اخبرتك .... كل المدينة ليس لها سيرة سوى  
... تلك الفضيحة ... وكل الناس حتى عائلتها  
تنكرت لها إلا ابنتك ... فضحت اسمنا ....  
بين الناس ... لم تفكر حتى في مقام عائلتي  
زوجها ... عبس زكريا برفض، ووالده يراقب  
بصمت، على عكس كنته التي تزيد من  
الحطب لتأجج النار ما استطاعت ... (ما لها هي  
ومال تلك الساقطة ... (نعيمت!!) ... أجفلت  
على هتاف حماها الذي فاض به الكيل  
يستدرك بسخط ... (لا تتحملي ذنب لست أهلا  
له .... لا تنسي أن لديك فتاة ... والدين يتبع

صاحبه أينما ذهب حتى يقتص منه ....)  
قطبت تهتف بنزق ... (ابنتي أشرف من الشرف  
ذات نفسه ... لا يتجرأ أحدا من أهل الجبل  
أجمعين .... أن يذكرها بأي سوء ... ليست  
كالثي جلبت على اسم المرابط وآل عيسى  
شبهت لا علاقة لهم بها ... سوى بصديقتي من  
حي حقير ... (حي حقير يا بضر ووالده  
يجيب بامتعاض .... (حي السقاة؟؟ ... حي  
حقير؟؟ ... و ماذا نسمي حي المساكين يا  
تري؟؟ ..... الذي سمي على حال أهله ...  
(... ضمت شفيتها في عبوس حائق، بينما شبخ  
ابتسامتي طفى على ثغر زكريا، فقالت  
باستنكار ... (تعايرني بأصل أهلي يا عمي  
؟؟) ... ضحك ببرود يجيب ... (هل  
جرحتك؟؟ ... اتعظي إذن وجنبي الناس جرحا

زوجا... فاحذر من كلماتك قد تزيد من  
الفضوة بينك وبينها.... (تصبح على خير)...  
غمغم من خلفه بالرد، ثم انعزل بتفكيره،  
يناقشه بمنطق، وعقلانية، والكثير من  
المشاعر التي لا يعلم كيف يوصلها لابنته  
ابتعد عنها حتى اصبحت غريبة عليه كما هو  
غريب عليها.

.....

المشفى.... قبل لحظات ...

وقف ينظر الى مريم الراقدة على ظهرها،  
عينيها الجاحظتين الى السقف بسهو عميق،  
فهمست له طائعت بخفوت... (ما رأيك؟؟)...

مماثلا... فحي السقاة كله موظفين  
حكوميين.... والأقلية منهم فقط الذين  
يعانون من العوز.... حتى أنه لم يعد يظهر  
عليهم لأنهم متأزرين فيما بينهم.... وتلك  
نقطته تحسب لهم....) ... نفخت تقوم من  
مكانها وهي تهتف في محاولتها الأخيرة... (أنا  
حذرتكم ... بما هو متداول بين أهل الجبل  
...وقد يؤثر في كل ما سعيتم لأجله... وأنتم  
أحرار...)

شيعاها بنظرات بين السخط والرفض مع بعض  
من التقبل من طرف زكريا، الذي نطق بجمود  
... (سأتحدث معها غدا بإذن الله ...). جعد  
والده دقنه بانزعاج يقول وهو قائم.... (هي  
ابنتك وأنت حر.... لكن لا تنسى ... أن لها

جمع شفتيه الى الأمام ثم حركهما الى الجانب، يضيق عينيه على الفتاة لبرهته قبل أن يخرج عن جموده، قائلا... (إلى الخلف طائعت... ابتعدي قليلا... )... أطاعته بهدوء، وجلست على الكرسي في الزاوية المقابلة من الغرفة. رفع عكازه وضرب رجل السرير بخفته، يقول بحزم... (يا فتاة... أنظري إلي... أجل... هنا... هيا!!)... حدجته بسهام حادة، والحدق يتشكل بسواده على قسمت وجهها، فاستطرد البروفيسور بنفس الحزم... (اوووو... لا... لن تخفيني بمقلتي الزومبي تلك... انا لست ذلك الطبيب الغر الذي خرج من هنا يرتعد... ).. لاحظ اهتزازا في مقلتيها للحظة وجيزة، خاطفة، فاستطرد لغرض في نفسه... (أجل

ذلك الطبيب الذي أنقذ حياتك...!!)... رفع دقنه بتمعن وهو يلمح نفس الاهتزاز، ثم قال يستفز ردودها... (لماذا أذيت نفسك؟؟... أخبريني... )... زمجرت بسخط، فاردف يتعمق في استفزازها... (أخبرتك... أنت لا تخفينني... فإن أردت التخلص مني أجيبني فورا... )... لا زالت تزمجر وهي تهتف بغضب... (خاتمي... أريد خاتمي... الأوغاد سرقوه مني... أريده معي عندما ينتهي كل شيء... ).. رفع البروفيسور يده يربت بها على جانب فمه، ويده الأخرى تحرك عكازه برتابته، ثم امال رأسه يسأل طائعت... (ما قصة الخاتم؟؟)... اقتربت منه تجيب باستغراب... (إنه خاتم على شكل أوراق الشجر... يشمل اصبعي الخنصر والبنصر... أتذكر أول مرة لاحظته على يدها كنا في

هزها حين لاحظ حركة جفنيها، فتحتها  
بوهن تتبين هويتها لتقول بنبرة تغيرت من  
الحدة إلى الارتعاش تماما كمقلتيها التان  
هجرتا جحوظهما....(طائعتي .... ماذا حدث؟؟...  
آآه...يدي توجعاني ... آآه ....ما الذي؟؟)...  
عادت تئن بوجع، فتناظرا البروفيسور وطائعتي  
التي هتفت بريبتة... (مريم ؟... أنت أذيت  
نفسكِ ألا تذكرين؟؟ ... )... رمقتها بعدم  
تصديق ترد برفض وبدنها يهتز مرتعدا ... (لا  
.... لا ... أنا لم ... لماذا؟؟... كيف؟؟ ... متى؟؟...  
)... تدخل البروفيسور يسأل .... (ماذا تذكرين  
بالضبط؟؟)... أنت تحرك يديها بألم، لترد  
بخفوت تعب، يعكس كل الصلابتة التي  
كانت عليها قبل قليل .. (حين زارتني  
طائعتي في الحجز ... آآه يا ربي... إنه وجع

الثانوية ... )... (مهممم!!).. مهمه  
البروفيسور وعينيه على التي ترمقه بتأهب،  
بسط ذراعيه وانحنى بجذعه قليلا تجاهها يسأل  
بغموض ... (هل تريدن خاتمك؟؟)... حركة  
رأسها مرات عدة، فابتسم البروفيسور بمكر  
يستطرد ... (سأحضر خاتمك إن فقط أخبرتني  
لما تريدن الموت؟؟)... تجمدت كمن  
حوصر بأسوار ذكاءه، تتنفس بعنف  
والبروفيسور يبتسم بتمهل ينتظر رد فعلها الذي  
لم يتأخر، حين أطرقت برأسها، ليهتف بحزم  
... (ارفعي رأسك.... أنا احداثك .... مر!!)..  
بتر اسمها حين ارتمت على ظهرها مغمى عليها،  
ليقتريا منها كلاهما، وطائعتي تمسك برأسها  
بين كفيها تناديهما بهلع ... (مريم ... أفيقي  
...مريم !!)... رفع البروفيسور يده لتكف عن



قرب السد ....

شلت أطرافه وهو يبالحق في الفتاة تضحك بلهو  
تهتز بحركات متناغمة مع الألحان الصادحة،  
يهمس بسهو مدهوش ..(تغريد!).... شهق  
بخفوت حين تذكر صديقه فالتفت باحث،  
ليجده بالقرب منه جامدٌ جسده، كيده  
الممسكة بزجاجة الصودا، يرمق نفس  
المشهد بملامح لا تنم عن شيء. ترقب رد فعله  
بصبر يستعد لأي حمق، قد يصدر عنه لتتسع  
مقلتيه، حين ارتشف من القنينة بتمهل، ثم  
ينطق ببرود وهو يشير إليها ....(إليك تربيته  
يونس آل....) ... لم يكمل يبلع ريقه وكأنه  
شوك وليس لعاب، ثم التفت إلى وجهة أخرى

أليم)... تغضنت ملامح طائفة تنظر إلى  
البروفيسور بحيرة، قبل أن تعود إلى مريم تمسح  
دموعها بإشفاق.... (اهدئي مريم ... اهدئي  
...)... استقام في وقفته يقول بجديته  
... (سأحضر الطبيب ... كي يمدّها بمسكن  
للوجع ....)... استدارت إليه طائفة تومئ  
بموافقة، لتستغرب من تجمد البروفيسور  
كأنه ينتظر أمرا ما لم يحصل ....(الطبيب؟؟  
تذكرينه مريم؟؟)... قطبت الأخرى مستغربت  
ريبته حين استدار متوجها إلى الباب كي يطلب  
الطبيب أمين.

.....

بلهو ... (أظنها أخذت جينات الحلاوة منكم ...  
جمالها جاذب ... ملامح انثوية جبليّة ....  
منحنيات .....أوووووف ....انظر إلى الشباب  
كيف يرمقونها ....ك....ك....) ... تلاحقت أنفاس  
عيسى، ومنصف يستدرّك بتعمد يحتد مع  
حركة أحد الشباب الوقحة، وآخر يرفع هاتفه  
بنية تصويرها ....(كوجبة شهية على وشك  
الفتك بها ....بالله عليك يا رجل تحرك من  
مكانك ...إنها عرضك ...). ... زمجر بغضب  
يركض خلف صديقه الذي سبقه، يدفع عنها  
الوقح الذي يحاول الالتصاق بها، بينما هو  
يخطف الهاتف من يد الآخر يهتف بغل ....(ماذا  
تفعل؟؟ ... أليس لديك أخوات؟؟ ...). ... جحظت  
بمقلتيها ترمقهما بصدمة، شلتها في مكانها،  
وعيسى يتنفس بحدة يرمق الذي أوقعه أرضاً

متجاهلاً الأمر كله. تنحج منصف يهتف  
بدهشة ... (هذا كل ما لديك لتقوله؟؟) ...  
لم يجبه فأردف ... (إنها أختك يا ...). .. حدجه  
بنظرة ناريتة، فرجع منصف يديه مستسلماً،  
ليصمتا كلاهما والأخير ينظر إليها بحنق  
يتصعد في صدره.

تجمعت الأنظار عليها، وبعض الشباب قد بدأوا  
بالالتفاف حولها، فمشط على شعره بأصابعه  
يفكر بسرعة. أتته فكرة لا يعلم مدى  
نجاحها لكنه قرر التطبيق على كل حال،  
فأرخی جسده بصعوبة من تشجنه، يقول بنبرة  
حاول إظهار العبث فيها ... (أنت محق .... لكن لا  
يمكن إنكار جمالها ...). ... ابتسم بمكروهو  
يلحظ بطرف عينيه جمود ملامحه، فاسترسل

....(عيسى .....كفى ....عيسى!!)... استجاب له  
أخيرا يلهث بغضب جارف، يزمجر في باقي  
المراقبين.... (من يريد التناول على أختي  
فليظهر شجاعته؟؟ .... الآن هيا !!)... رغم سوء  
الوضع إلا أن منصف قد ارتسمت بسمته خفيفة  
على شفثيه، والأخرى ترمقه جميعا بصدمة  
لم تفارقها بعد.

تفرق الجمع متهامسين في ما بينهم، فربت على  
كتفه بمهادنة، لينفض يده بعنف هتف له  
بأسف... (اهدئ يا صديقي ... كل ما أردته هو  
...)(أعلم.... فقط دعني الآن...)... قاطعه  
بجمود فأوماً منصف متفهما، واقترب الأول منها  
يقول بنبرة هادئة لكن فيها من الحزم ما بعث  
في بشرتها قشعريرة رعب... (تحركي...!!)...

بوحشية. ألقى منصف بالهاتف بعد أن مسح  
الفيديو، والشاب يقوم من مكانه يقول بحقد  
... (كنت أراقصها فقط...ألسنا جميعنا هنا من  
أجل الاستمتاع بوقتنا؟؟؟)... شد عيسى على  
قبضتيه يمنع نفسه من ارتكاب جريمة،  
ومنصف يرد عليه بغضب متهكم... (حقا  
...كنت تراقصها؟؟)... تدخل آخر يقول  
بسخرية....(ألسن تلاك الأخت التي خرجت  
من العدم؟؟ .... كيف حدث ذلك؟؟)..  
عيسى وتغريد صامتين كلاهما بحالة مختلفة،  
ومنصف يجيب بامتعاض... (ماذا؟؟ ألم تسمع عن  
رجل تزوج مرتين أو ثلاث أو حتى أربع؟؟)...  
نطق الشاب بتهكم حاقدا... (ابنة مجرم  
حقير...ماذا ستكون غير سااااا؟؟!...)... أسرع  
منصف بصدمة يحاول جذبها من على الشاب

## المشفي

قطب الدكتور أمين وهو ينهي فحصها بتفقد  
مقلتيها الفاقدتين لحدتهما، يستغرب استسلامها  
الوهن المختلف كلياً عن الصلابة والتشنج  
اللذان جابهتهما به قبل قليل.

(إنها لا تذكره... )... نطق البروفيسور مختار  
بسهو، فردت طائعة بشك... (أظن ذلك... )...  
أجفل الأول وتقدم منها يسأل بجديّة... (مريم  
... هل تذكرين هذا الطبيب؟؟) ... ترفع من  
أهدابها بمشقة تقاوم النوم، تومئ بسلب  
ليتدخل المعني مصدوم ... (كيف ذلك؟؟...  
كنت معك قبل قليل... وتبادلنا الحديث  
... كنت تسألين عن خاتم ما!! )... تساءلت

نظرت إلى منصف وكأنها تستنجد به، لكنه  
تجاهلها عابسا، ليستطرد الآخر بتوعد يؤسف\*  
النظر إلى مقلتيها المظلمة كخاصته.... (أنا  
لست كباقي إخوتك ... كما لست مضطرا  
لتحمل دلالك ... فلا تختبري صبراً لست أملك  
منه ذرة... تنقذك من حمقي ... )... ضغطت  
على شفيتها تباع ريقها بتوجس، وسارت أمامه  
بهدوء، في أثرهما منصف الهامس لنفسه  
بتهكم.... (أتمنى من كل قلبي أن يصل الخبر  
إلى الخالدة شمتة... علنا نرى ابن الزعطوط  
أخيراً... )...

\*\*أسف النظر إليه... نظر إليه بشدة وحدة.

.....

يُصدر القرار بإيداعها في المشفى .... يجب ان  
تجهزي لها غرفة آمنة ....) ثم أشار إلى  
الغرفة حولهم يكمل بتهكم ساخر... (فكل  
ما حولنا أسلحة للقتل... حتى الشال حول رأسها  
... ) اقشع بدن طائعت، بينما الطبيب أمين  
يتدخل بتوجس... (تظنها ساعية إلى قتل  
نفسها؟؟) ضم البروفيسور شفثيه بتفكير،  
يسرد ما توفر له من معلومات ... (التي أخافتك  
وعاملتني بعدائية بالتأكيد تسعى لإنهاء  
حياتها ..الباحثة عن الخاتم والتي تذكرك  
جيذا .... بل وكأنها...مهم) ... همهم كعادته  
فنظر إلى أمين، يسأله بفضول ... (هل تعرفك  
من قبل؟؟؟) ... صمت الطبيب مترددا، فتدخلت  
طائعت تجيب بثقة .. (أجل .... قبل سنوات... ) ..  
اتحدث نظراتهما عليها، فهزت كتفياها

بنبرة تتباعد حتى انقطعت حين غطت في نوم  
عميق بفعل المهدئات ... (الخاتم اللعين .....  
أكرهه ... أنا ألقىت به ...أ....أنا ..) ... حك  
أمين على راسه بحيرة، والبروفيسور يستدير إلى  
طائعت، قائلا بنبرة مهتمة ... (أول ما ستفعلينه  
كتابة تقرير عن اضطراب سلوكها ...حالا  
...ومع أول ساعات الصباح ... تتوجهين به إلى  
وكيل المالك المكلف بقضايا الأدب... كي  
يودعوها في القسم النفسي هنا ...بدل الحجز  
... ) .. انصتت إليه بتمعن، وهو يستطرد بتفسير  
... (بما أن الزوج لم يوقع على التنازل عن حقه  
...فهي ستحاكم من ...مهمم!!) .. لنقل ...ستت  
اشهر الى السنة حسب براءة المحام !!) ..  
أومات بأسف، والطبيب يراقبهما بفضوى من  
المشاعر، بينما هو يستدرك بحزم ... (حين

مستطردة... (أغمي عليها في الفصل ... وكنت  
من رافقتها إلى هنا... وكان هو من فحصها ...)  
هز الطبيب رأسه بحيرة، فحك البروفيسور  
جانب فمه، يقلب الفكر في سراديب عقله،  
ليقول مستفسرا بعد برهته... (وهل كان ذلك  
الخاتم في يدها ؟؟) ... هذا رأسيهما بتأكيد،  
فقطب حاجبيه ريبته، ليقول الطبيب بتلقائية  
.... (إنه خاتم لا سهل نسيانه ... ) همهم  
مجددا، فتأهبت طائعت بكل حواسها، لأن  
البروفيسور لا تكثر همماته إلا حين يقع على  
حالة مستعصية، نادرة، مثيرة للجدل.... (إذن  
التي تسعى لقتل نفسها هي من تعرفك ... ومن  
تريد الخاتم ... ) ... التفت الى طائعت يسأل  
... (أخبرتني أنها طلبت منك المساعدة ...  
مستنكرة لكل ما اتهمت به ؟؟) ... أجابت وهي

تشير إليها ... (بلى ... كانت في حالة صدمت  
وطلبت مني المساعدة ... لإثبات براءتها  
.... لكن ... ) ... شعر الطبيب بوجود يلتفت إليها  
مشفقا، والبروفيسور يحث طائعت التي صمتت  
بتردد طفى على محياها ... (لكن ؟؟؟)  
... زفرت عابسة تكمل ... (تغير موقفها اليوم  
كلها ... ) ... واعترفت بجرمها تسألني الرحيل عنها  
... ( ... رفع الطبيب أمين حاجبيه مستغرب،  
وقال البروفيسور بغموض ... (وهناك التي ... لا  
تذكر شيئا عن الخيانة ... ولا الطبيب  
... وتكره الخاتم ... ) ... تحدثت  
طائعت بهدوء مريب ... (كثرت همماتك يا  
بروفيسور ... فيما تشك ؟؟) ... علا رنين هاتفها  
في نفس تلك اللحظة، فرد عليها ساخرا  
.... (أظنك تعلمين فيما افكريا دكتورة ... )

## منزل آل عيسى ....

حاولوا الحفاظ على هدوء خطواتهم، حتى هي  
الصامتة بحذر، بينما كلا الشابين يتمنيان  
داخليا، ايقاظ جميع أهل الدار كي يريحوهما  
من مسؤوليتي كلاهما يجربان لأول مرة مدى  
صعوبتها... (توقف!!)... تجمدت خطواتها  
تستدير إلى أخيها الذي استطرد ببرود... (إلى  
أين أنت ذاهبة؟؟)... فركت يديها بارتباك  
ترد بتوتر استغريه كلاهما، فالمدللة الحانقة  
ليست سوى جبانة تحتاج لتهديد... (الم...  
المطبخ...)... أخفى منصف بسمته مكر  
يفكر في سره... (الفأر المتسلل الأكل...)...  
رفع عيسى رأسه يقول بتشدد أعاظها... (لا

أجيبني زوجك الدكتور الولهان...)... احمرت  
وردت على اسماعيل بخضوت، وهي تستدير  
عنهما، عادت بعد برهة فضحك مكملا في  
تهكمه.... (ما شاء الله.... مكالمة بين  
المحبين طويلة...)... عبست في وجهه فرفع  
رأسه يزفر بضجر... (حسنا... حسنا... أنا  
عطشان... وحين أعطش أتحمق... حاولي  
كتابة التقرير... وسأطلب من الطبيب هنا  
...)... رماه بنظرة تعنيه، يكمل بمرح... (أن  
يدلني على مقهى المشفى اذا وُجد... وأشك  
في ذلك...)... ابتسما بخرج، فشخر بحنق....  
(سأخرج إذن... أظنني لمحت مقهى مقابلا  
....)... أومات له موافقة، فسألها إن كانت في  
حاجة لشيء ما قبل أن ينصرف برفقة الطبيب.

الليل ساعة تقريبا ...).. مسد خلف رأسه  
يرمقه بتردد، فاستدرك يحثه ..(هيا منصف  
... أنا لا أثق بتلك الفتاة ...قد توقع نفسها في  
مصيبة جديدة ...وابراهيم لا ينقصه مشاكل  
...).. تهذلت كتفاه يومئ باستسلام، فجذبه  
تجاه المطبخ يقول بمرح ماكر ... (تعال لنغير  
على المطبخ.... فأنا متيقن من بحثها عن الطعام  
قريبا ...رغم تهديدي ...).. ضحك منصف  
يقول ... (أنا متأكد ...إنها فأر أكل ...وابن  
زعطوط متهور .... لا أعلم كم من الألقاب بعد  
ستكسب ...).. فتح المبرد، يسحب العلب  
المرتببة كأنها جهزت له يقول بدهشة .. (تعال  
وانظر ... تنتظرنا وليمة يا صاح ...).. ساعده  
في سحب العلب وشرعا بتسخين الطعام وورصه  
على المائدة، فاستطرد عيسى بسخط ...)

طعام من أجلك ... أنت معاقبة ...).. ضربت  
رجلها بالأرض ونبرتها تحتد باستنكار  
... (لكنني جائعة !!) .. ضم ذراعيه إلى  
صدره، يقول بجمود متشفي ... (لا ... تجبريني  
على إيقاظ النائمين .... فأنا أود ذلك بالفعل  
... إلى.... غرفتك ...).. .... ضمت تقاسيم  
وجهها في ضنك، واستدارت لتقف مجددا حين  
استدرك بحزم مهدد... (آخر مرة ألمحك فيها  
بثياب كهذه ... أحذرك ...).. زفرت بغيظ  
حين لاحظت تسليمة الأشقر، وانصرفت تعض  
شفتها السفلى حنقا، وفكرة واحدة تملئ رأسها  
.... (لا طعام الليلة ...).. نفخ عيسى بضجر،  
فقال منصف يهم بالخروج ... (ماذا ستفعل ؟؟)..  
أوقف خطواته يجيب بهم ... (دعنا نبيت ليلتنا  
هنا ... لا داعي للخروج .. لقد مر على منتصف



... (عناد البغال ؟؟) ... هز منصف راسه بشكل  
مسرحي يتشدد ... (أي نعم .... وأكثر بقليل  
...) ... رفع يديه يحمي وجهه من هجوم المعالق،  
يتأسف بمرح .... (أسف ..... أسف .... توقف  
... ستوقف النيام ....) ... توقف عيسى ثم شمل  
الصحون الفارغة بنظرة مستهزئة، يقول  
.... (فليريني الفأر الأكل .... من أين سيأتي  
بالطعام ؟؟) .... جمعا الأواني ووظبا المائدة  
كما كانت، وتوجها الى غرفتيهما ليوقفه  
منصف بخفتة يقول بجديتة غريبتة عليه  
... (اسمعي عيسى .... الفتاة ليس لها أي ذنب  
فيما اقترفه والد...) ... تشنجت ملامح عيسى  
فاستدرك بأسى .... (والدها .... هي ضحيتة له  
.... فلا تحملها أعظم مما تحملت ... حاول أن  
تتقرب منها .... وثحسها بحب أخ صادق ...)

سامحك الله يا منصف ... حرمتنا من الطعام  
اليومي الطيب ... عاجله بعتاب مزح وهو  
يدعي الحزن ... (ألا يعجبك طعامي يا صديقي  
؟؟) .. مطط شفتيه قائلا بامتعاض .... (كل!  
... كل يا منصف .... هداك لله ... يحسب ما  
يعده طعاما ...) ... ضحك منصف وهما يأكلان  
بنهم ولبرهتة قبل أن يستأنف عيسى حديثه  
بتأثر صادق .... (شكرا لك ...) ... رفع منصف  
وجهه إليه مستفسرا، فتذكر حين استطرد  
قائلا ... (أعلم أنني عنيد ... في بعض  
الأحيان .... وأغمض عينايا عن الحقيقة بشكل  
غبي .... أنا محظوظ بك ...) ... لم يكن منصف  
إن هو تحدث بجديتة، يرد بمزاح ... (أنت محق ...  
حتى انك تتفوق على البغال في عنادهم  
....) ... تقوسا حاجبي عيسى يهتف بصدمتة

أطرق عيسى، فأكمل يهز كتفيه... (أنت محظوظ بعائلتك الكبيرة.... فاحمد ربك وحافظ على النعمة.... تصبح على خير....) ...  
غمغم هو الآخر بالتحية وراقبه إلى أن أقفل الباب، فعاد أدراجه الى المطبخ.

غيرت ثيابها تحدث صديقتها في الهاتف بانزعاج واضح... (حرمني من عشاءي.... أكاد أجن....) ... قلبت عينيها سخطا، تهتف بغيبض... (ركزي يا غبية.... وكفّ عن مغاللة أخي...)  
... شهقت بخفوت تكتم على فمها بصدمتها، لا تصدق أنها نادته بأخي، لتجفل على حديث صديقتها لتقول منهية المكالمته.... (وداعا....) ... ألقى بالهاتف على السرير، وطوقت

خصرها تنن بألم.... (أنا جائعة.... يا إلهي كيف سأصبر...)  
... تركت خصرها لتطوق رأسها تردف بحنق... (يجب أن ابحت عن حل....)  
... تسمرت حين سمعت دقتين سريعتين على الباب، حماقت بجزع لبرهتها، ثم قررت فتحه. لم تجد أحدا، فاستغربت لتندهش حين لمحت صينية على الأرض، فيها بعض الجبن والمربي مع خبز ولبن دافئ. تجاوزت الصينية وأسرعت تلحق بمن وضعها، لتلمح طيف أحدهم في آخر الرواق أسفل الدرج. عادت أدراجها الى غرفتها، وشرعت بالأكل بشره تفكر بسهولة، لتتهتز على نغمة الرسائل في هاتفها. تلقفته وقرأت الرسالة التي لم تكن سوى تغزلا في أخيها، لتعبس وتكتب لها زاجرة.... (كفّ عن مغاللة أخي.... إلا سأكسر رأسك...)  
... رمت

بالحاتف على السرير، تعود لطعامها، وهي تهمس  
بشبح بسمتة خجول....(أخي.....عيسى).

.....

المشفى....قرب الباب الخلفى ...

ناولته الطبيب أمين الكرسي، ليرتمي عليه  
بتعب واضعا عكازه الى جانبه، ينطق بتذمر  
... (صاحب ذلك المقهى أحمرق.... لا يعرف  
حتى كيف يعامل زبائنه....) ضم أمين  
شفتيه بمرح، بينما هو يكمل بانزعاج  
... (وكأنني أطلب منه صدقة... وذللك الشاي  
الغالي الثمن ... فاقد النكهة ... أصفر باهت  
... ليس فيه لا شاي... ولا نعناع....) ... التفت

إليه يرفع يده بتهكم... (لكن الحق يقال ...  
وضع فيه قالب السكر بكامله ... أحمرق  
!...!)... أوما له بحرج يقول قبل أن يستأذن  
... (أتأسف لك بروفيسور ... سأحضر لك  
الشاي من المطبخ الخاص لطاقتك العمل ....  
سأعده بنفسي.... بعد أن أنهى جولته المراقبة  
... )... لوح له بيده مغمغا بشكر خافت، ولم  
يحد بعينيه عن الحديقتة الخلفية للمشفى،  
يأخذ أنفاسا متتابعة من رائحة أشجار الزيتون  
والتين. راح باله الى مريم، يفكر في الأعراض  
الظاهرة والواضحة له دون غيره، وأخرى بنفس  
حالتها تعود بطيفها ليسدل على صدره بغيمة  
الوجوم. زفر بقنوط، فتنبه لضجيج خافت.  
تتبع مكانه فلاحظ خشخشة أوراق بين  
الأشجار. مال على كرسيه مضيقا عينيه على

يتبين من في وسط عتمة تخللتها بعض الأنوار الخافتة هنا وهناك، ظاناً منه أنها قطرة أو شيئاً من الدواب، إلا أن حاجبيه انضما لمقلتيه في التكوم حين لمح فتاة تحاول فك طرف شالها من الأغصان المتشبثة به، تئتمت بشيء يبدو أنه سباب، اتسعت له مقلتيه التان كانتا ضائقتين قبل لحظة بسبب لذاغته. جمع بين شفتيه الى الأمام يعيد ظهره الى الاسترخاء على الكرسي، يراقب حركاتها العصبية بتسليته، وابتسامتها الظافرة لفلاحها في تحرير شالها، والتي تجمدت حين وجدته يسد مدخل الباب الخلفي. لمح ببديته العملية توترها، كما ضياعها في لحظة وجيزة قبل أن تستجمع نفسها وتستقيم بظهرها، وتستأنف خطواتها إلى المدخل بثقة واهية. علا حاجبه الأيسر حين

وقفت أمامه عابسة كونها توقعت تحركه تلقائياً. صمتت فصمت وكلاهما ينظر إلى الآخر بتحدي لم يكن في صالحها إذ قررت التحدث تقول بنبرة خافتة لكن جامدة....(أريد الدخول...).. هز كتفيه قائلاً بتسليته... (وما شأني أنا؟؟)... يعلم ان هناك ما تخفيه وفضوله الشهير لا يسمح له بتجاوز الأمر، انتقل نظره الى كفها المرتعشة، ليعود الى وجهها حين قالت بنفاذ صبر....(أنت تسد المدخل...).. (مهممم!!).. همهم بتجاهل، ثم استطرد... (من أنت؟؟... وماذا تفعلين هنا في هذه الساعة؟؟).. تخصصت فلفت نظره لباسها لأول مرة، سروال عليه قميص إلى الركبتين، تهتف بغضب يتصاعد....(وأنت ما شأنك؟؟)... رفع حاجبيه يقول ببراءة... (حارس البوابة...)

حارسا ... )... اتسعت بسمته المتسلية يقول  
بذكاء ... )... (لست من يتسلل الى المشفى بعد  
منتصف الليل ... ومن الباب الخلفي .... لا زالت  
البيادق في صفي ..... فمن أنت إن أردت  
الدخول؟؟ ..... ولا تتهربي ... )... زفرت بغضب  
تحرك رأسها في كل اتجاه، فاستشف  
تفكيرها في ردها الذي جاء بغتة .... )... أنا  
ممرضته ..... وأنت محق .... تساللت كي أقضي  
عملا مهما ..... ووعدت بسرعة ... وأنت تؤخرني ...  
(... همهم البروفيسور ثم قال بتشدد  
... )... (مهممم ..... أنت كاذبة ... ).. نفخت تهتز  
كلها فابتسم يسأل باستمتاع .... )... (أي قسم  
؟؟ )... (ها؟!) ..... ردت ببلاهة، فاستدرك  
.... )... (في أي قسم تعملين؟؟) ... كفها المرتعشة  
الى جبينها تمسد عليها، تجيب بحرص

وكل متسلل من الباب الخلفي يجب أن آخذ  
بياناته ... )... لاذت بالصمت ترمقه بعبوس،  
وقدمها تهتز بدل كفها، فقال بتسلية أخفاها  
.... )... (من الأفضل لك ... ان تردي بسرعة....  
فالدكتور أمين من المناوبين الليلة ... سيحظر  
لي شاي بعد قليل ..... )... شعر بزهو حين  
احتدت أنفاسها، يتأكد له وقوعها في ورطة  
ما، تغمغم بسخط ... )... (ما هذه المصيبة؟؟ ... له  
يكن هناك حارس للبوابة الخلفية من قبل  
.... )... عادت تتأمل هندامه فقالت بريبة  
... )... (لكنك لا تشبه الحراس ..... )... أصدر  
ضحكة تهكم، يسأل ساخرا .... )... (وكيف هو  
شكل الحراس ... يا متسللت .. )... حكت  
جبهتها ترد بتوتر ... )... (يكونون شباب ضخام  
الجثث ... يرتدون لباسا أزرق موحد .... أنت لست

للأنظار، يهمس ساخرا ..... (فجر....ممرضت

فجر....)

.....

بعد الفجر بقليل ....

أمالت عنقها على كلا الجانبان بتعب، ترفع  
يديها إلى الأعلى بعد أن أنهت صلاتها تسأل ربها  
التوفيق والشفاء لصديقتها. تحركت وجمعت  
السجادة ووضعتها على السرير الجانبي، ثم  
أخذت التقرير تراجعته وهي تهوي على  
الكرسي، تنتظر أول ساعات الصباح كي تسرع  
به إلى المركز الأمني. فُتح الباب ودخل منه  
الدكتور أمين برفقة البروفيسور، فاعتدلت في

....(القسم .....الن .....النفسي ...)... أوماً بعدم  
تصديق ثم قال ... (آخر سؤال ... ما اسمك؟  
....وسأدعك تدخلين...).. تأهبت تجيب بتيه  
.... (.....)..... (هل نسيت اسمك؟؟) ...  
نطق بتهكم، فقالت بنزق ....(اسمي .....ف  
.....جر ... أجل .....فجر)... تناظرا هي بتزعزع  
وهو بتفرض، ليقوم أخيرا يبتعد بكرسيه دون  
ان يقارقه فعليا، فهمت بالهرولت حين مد  
عكازه يسد الباب، التفتت إليه بدهشة وهو  
يقول بسخرية تعلمها بعدم تصديقها  
... (اسمك جميل .....يا .....فجر....ممرضت  
فجر ...)... أومات بارتباك وسحب عكازه، لتفر  
من أمامه في لمح البصر. رفع رأسه إلى السماء  
الصافية والخالية من أي ضبابة مطر أو تلوث،  
تتألاً النجوم الساطعات فيها بجمال خاطف

الشخصي .... كل صغيرة وكبيرة عن حياتها منذ ان وُلدت الى اللحظة .....) ... وقفت تقول بوجوده ... (سأفعل كل شيء لأساعدها ... لكن ... ( ... تلكأت فحتها بنظرته المستفسرة لتجيب ... (من سيراقبها الى أن أجهز لها غرفة؟؟) ... جعد أنفه بامتعاض يقول ... (سأفعل ... كفاً عن تلك الملامح .... كالقط المثير للشفقة ... سيكون عليك تأمين تصريح خطي من رئيس القسم الذي هو زوجك! .....) ... ابتسمت بخجل، فهي تعلم مدى تأثيره بتوسلها اليائس، فاستدرك ... (على العموم .... سأستغل الوضع كي ألاحظ سلوكها ..... لكن أولاً يجب أن أحظى بساعات نوم قليلةت ..... إن لم أفعل ... سترتفع نسبة النزق في دمي إلى أقصى الحدود ... وقد أساعدها في قتل نفسها بدل

جلوسها حياءً ..... (كيف الحال؟؟) .... سأل البروفيسور بينما الطبيب يفحص مريم .... (لم تتحرك ... وكأنها في غيبوبة .....) ... نظر إليها يقول بحزم ... (أقصدك أنت ..... أما هي فقد تناولت مهدئ يجعلها تغط في النوم .... لما لم تستغلي السرير هناك؟؟) .... رمت السرير الجانبي بنظرة خاطفة، ثم ردت بخفوت ... (لا أستطيع ... الطبيب يتفقددها كل حين ... (أوما يرد بنفس الخفوت ... (أظنه مهتما بها ... ( ... عقدت طائعتة جبينها تنظر إلى الطبيب المستغرق في تفقد الجراح، لترجع الى محدثها الذي استطرد ... (كتبت التقرير؟؟) .. هزت رأسها ترفعه إليه، كي يقرأه ففعل، ثم أقر ... (جيد .... ينتظر عمل كثير ..) ... لم تفهم ففسر ... (يجب ان تبدئي تحقيقك

متأكدا...).. راقبته بريبتة فهو عادة لا  
يستقبل مكالمات باكرة، فذكر اسما جعل  
أيديهن تتوقف عما كانت تفعل... (حاضريا  
مفتش طارق... سأخبرها..... لا بأس.. شكرا  
لك..).. أنهى المكالمات وجلس يرتشف من  
فنجان قهوته بجمود، فتخصرت ابنته المتأهبة  
منذ التقطت أذنيها اسمه لينطلق قلبها في سباق  
حار... (ماذا يريد ذلك ال...).. بترت إهانتها  
حين رفع يده يقول بضجر ساخط.... (الموضوع  
لا يخصك... أريح نفسك وإيانا من نزقك...  
إنه أول الصباح بحق الله...).. قطبت صامتة  
تستغرب مزاج والدها العكر على غير عادته،  
ولم تكن الوحيدة إذ تحدثت والدتها تسأله  
بلطف... (ما بك عمر؟... هل هو خبر  
سيئ؟).. ربت على يدها ونظر الى حفصة التي

علاجها...).. ضحكت بخفوت تومئ بياس،  
وسرعان ما بدأ في اقتراح معطيات تساعد في  
تجميع كل المعلومات التي تهمهم، وهي تنصت  
له باهتمام مدونة كل كلمة، حتى حانت  
الساعة السابعة، فاستأذنت كي تذهب الى  
المنزل وتستعد ليومها الشاق، تفكر في زوجها  
حين تخبره ماذا سيكون موقفه؟!.. لتتفاجأ  
بعاصفة كانت قد حلت بين أفراد عائلتها قبل  
أن تصل....

.....

منزل... عمر الرزقي...

يتناولن الإفطار في صمت، قطعه صوت السيد  
عمر الجدي والقادم من غرفته بعد أن جهز  
نفسه للعمل.... (افهمك.... لكنني لست



احدهم أذيتها سألقنه درسا لن ينساه طوال  
حياته...ولو كان والدها....أنا ذاهبت...)  
حركا والديها رأسيهما يأسا وحفصة تبتسم لها  
بتأثر حزين. تحدث السيد عمر قائلا بلطف  
... (اسمعي بنيتي .... أنا لن أتدخل في قرارك  
مهما كان .... لكن يجب أن تعلمي انه مريض  
...ضعيف لن يستطيع إلحاق أي اذى بك ... وما  
فهمته من المفتش أنه على فراش الموت  
....ويطلب رؤيتك .... ولا تنسي أننا معك نحن  
عائلتك ..وقبلنا معك الله ... فكري جيدا  
... )... أومات بصمت والوجوم يستولي على  
صدرها بعباءة كآبة ظنت أنها نسيت أمرها.

ترمقه هي الأخرى بحيرة... (ليس سيئ... فقط  
مزعج ... )... تلكأ وهن مترقيات فاستطرد  
... (زوء... أقصد من كان زوج حفصة... يطلب  
رؤيتها ... ).. جحظت مقلتيها بفرع هجم عليها  
بغتها، فالتفتوا إليها وبراء تمسك ذراعها  
المرتعشة برقة، تهتف بدفاع عنن اصبحت  
اختها وفرد من عائلتها... (لا تفعلي... لا أحد  
يستطيع اجبارك ... )... (براء!!)... نادتها  
والدتها بعتاب فنظرت إليها تستنكر... (ماذا  
!!...ألست محقة؟؟... لما يريد رؤيتها؟؟)...  
بللت شفثيها تشعر بهما جافتان كما حلقتها،  
فقالت السيدة أمينة... (الأمر يخصها وحدها ...  
لا دخل لك فيه...هي تقرر لقاءه من عدمه  
.... )... تركت براء ذراع حفصة، وقامت تسحب  
حقيبتة يدها قائلة بانفعال... (أقسم إن حاول

على صفيح ساخن، تنفض ملابسها بخوف  
وقرف، حتى بعد ان تأكدت من خلوها.  
تذكرت هاتفها فسحبته من جيب بنطالها  
تحمد الله على عدم إلقائه في حقيبتها  
كالعادة، ثم هتفت بنزق....(يا صباح يبدأ  
بذكر اسمك....) ... لم تمهله تصيح بغضب  
وبنبرة على وشك البكاء... (احمل نفسك  
وتعال هنا حالا... )... صمتت تنصت لرده  
المتهم، ثم قالت بنفس تهكمه ... (لا أعلم  
إذا كان الأمر يهمك.... لكنك شرطي ومن  
واجبك حماية المواطنين... )... تكومت  
ملامح وجهها من ثرثرته المتسليمة، فقاطعته  
تصيح بنفاد صبر....(طارق....أحدهم سرق  
حقيبة يدي ومأ سيارتي بالعقارب والثعابين

خرجت براء تتجه الى مكان ركن سيارتها،  
تغمغم بسخط....(اللهم احفظنا...سيرته  
كأخباره...أعوذ بالله... )... فتحت باب  
سيارتها لتشهق بفزع حين خُطفت حقيبة يدها  
في لحظة وجيزة، فلم تمنح نفسها فرصة  
للصدمة واستدارت تعدو خلف السارق، لكن  
هيات فقد طار بدراجته النارية واختفى مع  
نهاية الشارع. عادت أدراجها تمسد على كتفها  
ألما، تهتف بغضب جارف... (مباركة سيرتك  
يا مفتش... كيف سيكون يوم ابتداء بذكر  
اسمك!...)... استقلت سيارتها وأقفلتها عليها  
تسند رأسها ويديها على المقود تريح قلبها من  
الصدمة، لتشعر بوجود شئ ما معها، رفعت  
رأسها وأدارته إلى الجانب متفقدة المقعد الآخر  
لتهتز صارخة بهلع، وخرجت تقفز كقط وُضع

....) ... أقفلت الهاتف حين هتف بكلمة واحدة  
حازمة .... (قادم ...)..

.....

منزل آل عيسى ...

وضعت له كأس الشاي أمامه فابتسم لها وهي  
تقول برقته .. (الخالته شمتة على وصول مع خبز  
التنور ....).. أوما لها ابراهيم فتجاوزته إلى جده  
تصب له الشاي ثم اسماعيل والشابين اللذان  
استيقظا على مضمض بسبب محاضرات لا  
يمكنهما تفويتها. دس اسماعيل هاتفه في  
جيب سترته، فسأله جده .... (كيف هي  
زوجتك؟؟) ... تهرب من مقلتيه يرد بهدوء

... (إنها على وصول بإذن الله ...).. ارتشف من  
الشاي دون رد يذكر، فالتفت إلى حق يسألها  
... (تغريد؟؟ ... لا أراها !!) ... تناظر الشابان  
فيما بينهما وحق ترد بحيرة ... (لم تنزل بعد  
.... آه ...ها هي ..) ... دخلت إلى قاعة الجلوس  
التي لم تعتبا يوما بتردد ملحوظ، فهتف جدها  
باسما، والجميع حيارى من قرارها .... (تعالى  
بنيتي .... شمتة على وصول بالخبز الساخن  
...).. نزع حذاءها الرياضي وخطت تجاههم  
وهي ترمي عيسى بنظرات ظننها هو توجسا فضم  
شفتيه يكبت بسمته مكر، بينما صديقه  
يبتسم بصدق يستبشرب  
خيرا طار أدراج الرياح، حين أجهلوا على صياح  
الخالته شمتة، تلج الغرفة كعاصفة وهي تحط

تغريد بسهام ناريتا... (تأخرت اليوم فحضرت  
العجين في بيتي... وممرت به عند فرن \*شطو\*  
تعرفها يا حاج؟؟)... أوما في امتعاض شملهم،  
فمال منصف على عيسى مستفسرا ليرد الآخر  
بنفس الهمس.... (أهم وكالة أنباء في مدينتنا  
.... أخبار ساخنة... ولا الجزيرة أو رويترز....)..  
تنبه للخالدة التي أكملت بحنق... (لم أدري  
حتى كيف خبزت وأنا اجادل هذه وأخاصم  
تلك... لأن الأخبار المتصدرة كانت من  
نصيبيكم....).. لا زالوا جامدين ينتظرونها  
لتكمل، فرفعت يدها بتظلم للحاج... (تصور يا  
حاج... ابنته \*أخردان\* بكل فضائحها تتجرا  
وتثرثر على عائلة آل عيسى... صمتت تلهث  
فقال الحاج بهدوء... (ستر الله عليها يا شمته  
... أنت لم تخبرينا بعد ما الذي فعلته تغريد

بالخبز على المائدة بعنف.... (أين عديمت  
الحياء تلك؟؟.... تغريد!!)... تكومت تغريد  
على نفسها تمسك ذراع جدها تستنجد به  
والخالدة كانت قد قبضت على أذنها تشده  
بجدة.... (ألا تملين من المصائب؟؟... تقسمين  
على تدمير سمعتك... وسمعت عائلتك....)..  
فغروا أفواههم يقفون بتأهب، والجدة يقول بقلق  
... (ماذا هناك يا شمته؟؟)... تذكرت نفسها  
وهي ترى الحاج إبراهيم أمامها، فتراجعت  
بجسدها المكتنز واختلط عليها الخجل  
بالغضب تقول... (سامحني يا حاج... الغضب  
أعمى بصري ولم ألحظ وجودك...).. عبست  
تغريد تلمس أذنها، بينما الحاج يقول بصدق  
... (لك كل الحق في هذا البيت وأهله يا شمته  
... تحدثي ماذا هناك؟؟)... قالت وهي تحدج

؟؟).... وكان اسمها يؤجج من نيرانها فتطقت  
لاهثة بغل... (ذهبت إلى احدى تلك الحفلات  
الماجنتة قرب السد... وفي منتصف الليل  
...عديمتة الحياء... )... تجمدت تغريد تبلع  
ريقها خوفا من بحاقتة أخويها الكبيرين وجدها  
كما حق المنزوية قرب ابراهيم  
....(تغريد؟؟).... سأل ابراهيم بنظرة باردة،  
فقالتم شمة بتعمد لأن الوضع خطر ولم يعد  
يتحمل مدارة... (اسأل الشحط الأصغر... لقد  
كان هناك أيضا... ).. التفتوا الى عيسى الذي  
هز كتفيه يهتف بدفاع... )أنا رجل... اذهب  
حيث أشاء... )... في لحظة كانت الخالتم قربه  
تمسك أذنه هو الآخر تقول بحدة... (كونك  
رجل يحتم عليك التصرف برجولتم... واخراج  
أختك من هناك دون فضائح ومشاجرات

....).... نطق منصف بسهو مندهش... (يا  
إلهي؟؟.... أراهن أن الحاضرين هناك لم يعلموا  
بتلك التفاصيل الدقيقة... )... زجرته شمة  
بنظرة فيها من العتب والغضب الكثير  
....(وأنت أيضا... خيبت أملي فيك... )... انسل  
عيسى من قبضتها يقول بانفعال... (وجدتها  
هناك بالصدفة... ودافعت عنها... وأخرجتها  
....ماذا سأفعل بعد؟؟).... كانت ستتحدث  
حين ولجت طائعتة تلقي التحية بحذر، وجلتم  
من الأصوات الغاضبة... (يا مرحب بالعروس  
... )... نطقتم شمة بتهكم، وقد نسيت أمر  
تغريد، تستطرد وهي تلتفت إليهم تلوح بيدها  
في الهواء.... (نسيت اخباركم أن حرب الخبيز  
هذا الصباح.... انتهت بضربة من حمالتم الخبز  
تلقتها ابنة أحردان على رأسها مني.... حين لم

؟؟)... زفرت شمة تغمغر برفض.... (طبعاً من  
تأتي بمثل تلك الفضيحة لا تكون إلا مريضة  
.....) رفعت وجهها حين تحدثت طائعة بلطف  
.....(إنها مريضة جداً يا خالته... وقد تكون  
بريئة من كل تلك التهم.... إن تخلينا عنها  
جميعنا.... من سيثبت ذلك؟؟....ومن  
يعالجها؟؟... الله يأمر بالستر يا خالته  
.....والجميع معرض للظلم.... وللمرض... حل  
عليهم الصمت فنظرت إلى زوجها بحب تبتسم  
له بتأثر، فبادلها بسمتها بأخرى مساندة،  
ليبتسم الحاج ابراهيم بغموض استغريته  
تغريد.....(ستفطرين... أم تغيرين ثيابك  
أولاً؟؟.... أنت تعبتي... )... همس لها اسماعيل  
فردت برقة... (لم يغمض لي جفن طوال الليل  
....وأمامي عمل كثير... لا اعلم حتى من أين

يكفها زعطوط العائلة وتجاوزتها الى العروس  
الجديد....).... تجمد الجميع متوجسين، وشمة  
تعود الى طائعة بأنظارها الغاضبة تسأل بسخط  
....(بالله عليك كيف تلقين بنفسك في نار  
الجميع هرول منها بهلع؟؟... )... فتحت فمها  
بعدم فهم، والجميع ذاهلين من الموقف  
برمته.... (تلك الفتاة أتت بفضيحة لم يسبق  
لها مثيل في مدينتنا.... أعلم أنها ربما صديقتك  
لك.... لكن أنت تلوثين اسم عائلتك وعائلة  
زوجك... كلما ذكر اسمك مع فضائحها  
.....).. بلعت طائعة ريقها وهي ثابتة في  
مكانها، فخطى إليها اسماعيل الذي فاجأها  
يربت على ذراعها مؤازرة، يجيب الخالته شمة  
بهدهوء ظاهري.....(الفتاة كما قلت صديقتها  
....وهي مريضة... فهل من المنصف التخلي عنها

... (والمدرسة؟؟) ... ابتسم بتهكم يرد ... (لا  
أظنك تهتمين على أي حال ....) ... عبست فمد  
الحاج ابراهيم يده يسحبها ويجلسها بالقرب منه  
يقول بمهادنة مع أنه يرمقها بجديّة ... (افطري  
.... ثم عودي الى غرفتك ... اسمعي كلام  
أخوك ... تعلمي قليلا من الطاعة يا حفيدتي  
... ستغني عنك مجموعة من المشاكل ....) ...  
وهكذا شرعوا في الأكل كل يفكر بما  
يشغل باله.

عاود همسه لها وقد لفت شحوب وجهها انتباهه  
كلها ... (ما هو برنامجك؟؟) ... بلعت اللقمة  
بتروي ثم ردت ... (يجب أن أسلم التقرير الطبي  
لحالتها النفسية لوكيل الملك المكلف  
بقضيتها .. كي يأذن بحجزها في القسم

أبدأ !!) ... امسك يدها وسحبها الى المائدة  
يقول بهدوء .... (ستبدئين بالطعام .... وبعدها  
ننظّم كل شيء بإذن الله ...). أشار لهم الحاج  
كي يجلسوا حول المائدة، فقالت شمتة بجفاء  
تهم بالانسحاب .... (سأكون في المطبخ ...)  
ضمها عيسى يقول بمرح وهو يجلسها بجانبه  
.... (أبدأ يا خالتي ..... لن أكل إن لم تشاركينا  
....). .. جلست تمصمص شفيتها على مضض  
... (لم انسى فعلتك .... ولنا حديث خاص  
لاحقا ...). ضحك بمرح فاستدارت تغريد  
تهم بالتسلل من الجو العائلي الذي تظن نفسها  
لا تنتمي اليه، ليمنعها ابراهيم بحزم يقول  
.... (اجلسي تغريد .... هيا!! ..... لا تظني أن ما  
فعلته سيمر من دون عقاب .... لا خروج من  
البيت منذ الآن .....). ... شهقت تهتف

....وأنا.....) ... رفق الملف على المنضدة  
يستطرد ....(سأتولى أمر الوكيل .... لا تقلقي  
سأحصل على موافقته لإيداعها في المشفى  
....) ... مالت تضع الملابس على السرير وهي  
تنظر إليه لتفاجأ من نفسها ترتمي بين ذراعيه  
الذين تلقاها بنفس المفاجأة. ضمت نفسها إليه  
كما لم تفعل منذ أن توفت والدتها، تبحث عنه  
فيه، عن الأمان، الاستقرار، تبحث عن أب  
وجدت فيه الشيء اليسير في جدها وخالها  
وحتى البروفيسور، لكن الفراغ لم يمتلئ بعد،  
فكيف يشعر العطشى بالارتواء إن لم يذوقوا  
طعم الماء قبلا. طوقها يدس وجهه في تجويف  
عنقها، يبثها ما شعر بها تحتاجه، لكن لا تعلم  
أنه يحتاجه هو الآخر. فتحت عينيها تبعد  
نفسها بتمهل فأرخی ذراعيه عنها، لتهمس

النفسي بدل السجن ...). ... أوماً بتفهم  
فاستطردت ....(بعدها سأوجه إلى عائلتها  
لأجمع معلومات عنها .... في خضم ذلك  
...البروفيسور عرض مساعدته .... طبعا إذا  
صرحت له بذلك ....) ... كانت تعني أكثر  
من مجرد تصريح ورقي، يقف هو عاجز أمام  
تلك المقلتين الصادقتين وملامحها الشفافة  
فلا يكون منه سوى التفهم والاستجابة.....  
(حسنا .... لا مشكلت ...).

رافقها إلى الغرفة حيث سحبت ملابس من  
الخزانة تقول وهي في طريقها إلى الحمام...  
(سأغير ثيابي بسرعة كي ألحق بدوام  
الوكيل .....). ... وقف في طريقها يومئ برفض  
.....(لا ..... أنت ستناين قسطا من النوم



يهمس بتوتر.... (أكيد ليست مخطوفة...)  
تصلبت أذنيه تلتقط هسيسا ما ، فاستدار يبحث  
عن مصدره.... (سسس!)... اييبيه!... أنا... هنا  
..) ... قطب جبينه يلمح اشاراتها على ناصيته  
الشارع، فخطى إليها بتوجس من تصرفاتها،  
تحدث وهي تنظر خلفه مستفسرا.... (ماذا  
تفعلين هنا؟؟) ... أجابت وهي تتلفت هنا وهناك  
وكأنها تختبئ.... (لا أريد لأهلي أن يعلموا شيئاً  
عما حدث لي ... أبي وحفصة غادرا.... لكن  
أمي قد تخرج لتبضع في أي لحظة... لما تأخرت  
؟؟).... هتفت بسخط، فرد بتهكم بارد... (في  
المرّة القادمة سأتيك على البراق.... إنها عشر  
دقائق لا غير..) ... عبست فاستطرد مشيراً  
للسيارة... (تفضلي افتحيها.... كي نرى العقارب  
والثعابين... )... أعطته المفتاح تقول بقرف

بخفوت خجل.... (شكرا لك....).. ابتم  
يرفع دقنها بيده يجيبها باطف.... (لا شكر  
بين الأزواج.... كما لا مكان للرسميات....  
اذهبي للنوم... وسأكلمك حين ينتهي  
الأمري... )... أوامت باسمته وقد تسالت الحمرة  
لتطغى على الشحوب.

.....

الشارع أمام بيت عمر الرزقي ...

أوقف سيارته جانبا، وأسرع مترجلا تجاه  
سيارتها. تفقدها ليجدها مقفولة، فتلفت حوله  
يبحث عن أثر لها، فكر للحظة أنها قد تكون  
عادت إلى بيت أهلها، ليفرض خوف آخر نفسه

فراره بالدراجة النارية ...)... تغضنت ملامحه  
يقول بحنق ... (طبعاً ... كي يطعنك ويتخلص  
منك بالمرّة ... أرزقني الصبر يا من ترزق ...)...  
لم تجبه تنظر إليه ببرود ترفض الاعتراف  
بالخطأ. فتح الباب بروية يظنها كالفتيات  
تبالغ في رد الفعل، ولن يكون سوى عقرب أو  
ثعبان سيتعب حتى يجدهما ويخرجهما، إلا أنه  
عاد إلى الخلف وأقلب الباب، واستقام في وقفته  
صامتاً. انتظرت به بصبر لكن صمته تواصل حتى  
نفد صبرها القليل، تهتف بحيرة ... (ماذا  
وجدت؟؟) ... قلب شفته السفلى وهز كتفيه،  
ثم أجاب ببرود ... (هل أنت في حاجة إلى هذه  
السيارة؟؟) ... قطبت بجهل تسأل ... (ماذا؟؟) ...  
حك على جبهته يقول ... (حمممم ... أقصد  
... أنصحك بالتخلص منها نهائياً ...)... قفز

... (اذهب واقتحها أنت .... إنه شيء مقزز ...)...  
مطط شفثيه يرد ساخراً ... (مقزز ام مخيف ... يا  
جبانة ... أولست من عرض عضلات السوبر  
مان؟) ... أشارت له بسبابتها محذرة تقول بحزم  
... (سوبر وامان لو سمحت ... أنا لست خائفة ...  
بل قارفت ...)... نتش المفتاح من يدها بحنق،  
واستدار عائدا وهي في أثره تقول بتوتر  
... (أسرع من فضلك ... لا أريد لأمي أن تجدنا  
هنا ...)... استدار بجسده حين وصل عند  
السيارة فاصطدمت به وأمسكت بكتفها  
وتشنجت ملامحها ألما أبت إظهاره، فتهكم  
بريبته ... (أنا لا دخل لي ... أنت من التصق بي  
... يا هشته ...)... عبست مجددا تستنكر ... (على  
فكرة ... ذلك السارق من ضرب كتفي حين  
سحب الحقيبة ... ولم أكن لأتركها له ... لولا

يتعاملون معها ...)... عبست تصيح بغضب  
... (سيارتي لن أخسرها ... بعد أن تنظفوها  
سأبيعها ... وأشتري أخرى...)... قطب يقول ببرود  
يشير إليها بيده .... (حسنا ... دون صراخ ... انا  
حذرتك من قبل.... ولم تهتمي ... احمدي  
ريك ... أنهم اکتفوا بإرسال هديّة ...)  
صمتت على مضض، ثم نطقت بغل  
... (الأوغاد..... اليوم سيارتي ... وإن لم أتعظ....  
غدا أنا أو أحد أفراد عائلتي ...)... صفق لها  
بنفس تهكمه البارد .... (وأخيرا بعض المنطق  
.... لو كنت أعلم أن الثعابين والعقارب ستعيد  
عقلك إلى مكانه ... كنت جلبته لـك  
هدية منذ أول لقاء بيننا ...)... تنفست بجدّة  
ثم ما فتئت أن قالت بريبة ... (طارق ... هل أنت  
صاحب هذا المقلب؟؟...)... تفاعاً من اسمه

حاجبها دهشة تهتف ... (كيف؟؟... ألهذا  
أتيت بك !!)... أليس هذا من ضمن عمالك  
؟؟...)... شد على فكّيه يقول بجفاء ... (عملي  
يقتضي القبض على من سرق حقيبتك ... ووَضع  
جميع ثعابين وعقارب الجبل والجبال المجاورة  
في سيارتك ..... وليس تنظيفها ... عملي  
حمایتك...)... أخذت نفساً عميقاً وزفرته، ثم  
قالت وكأنها تفسر لطفل صغير ... (هذه هي  
... تحميني .... حين تخلص سيارتي مما فيها  
... لن أتأذى وأنا أستقلها...)... رمى طارق السيارة  
بنظرة مقززة يقول بقرف ... (وهل ستفعلين؟؟...  
حتى لو أمنا من ينظفها؟! ...)... ارتخت أطرافها  
باستسلام مُقرة ... (أنت محق .... لا أريدها بعد  
اليوم ....) ... ابتسم بظفر يهتف ببهجة ساخرة  
.... (لنرسلها إلى مستودع الخردوات ... وهناك

شارع \*..\*....واسحب السيارة التي سأبعت لك  
بياناتها...خذها الى القسم العلمي .... وأبلغهم  
بإفراغها من الثعابين والعقارب...أريد معرفت  
الجبل الذي ألتقوا منها .....أسرع فوجودها هنا  
خطر (...)... بسط يده يدعوها ببرود... (هلا  
ذهبنا إلى المشفى الآن؟؟)... هزت رأسها  
وتقدمته على مضمض.

.....

الزوال.....مصنع المرابط ...

أمال رأسه يحدثها بحيرة، بعد أن نظر نحو  
السيد عمر المطرق برأسه، يعلم أن هناك أمرا  
جلل، فحماسها انطفى، بين ليلته وضحاها،

مجردا، لتاني مرة من فمها، يبدو أنها تنطقه  
حين تكون في حالة صدمة. ابتسم يستفزها،  
فاستطردت بتهديد....(أقسم لك برب العزة  
...لو كان مقلبا منك....)... رفع حاجبه بتحدٍ  
يقول... (ماذا ستفعلين؟؟....ها أنا ذا أمامك  
...)... ضمت ذراعيها إلى صدرها بعنف فأنت  
بألم وقد نسيت أمر كتفها. اقترب منها يتأملها  
بقلق، يقول... (هيا لنذهب إلى المشفى... يجب  
أن تفحصيه...)... عادت خطوة إلى الخلف ترد  
بنبرة محتقنه... (لا شأن لك بي... هذا ما  
تريده في النهاية...).. مطط شفثيه برفض،  
يسحب هاتفه قائلا.... (أنت مجنوننة.... أنت  
بالفعل في مازق كبير...ستكونين دائما تحت  
مراقبتهم...)... وجمت تنظر إليه، وهو يستطرد  
محدث في الهاتف... (ابعت شاحنة قاطرة إلى

يا ربي؟؟ ... لما؟؟؟ ... أستغفرك اللهم ربي وأتوب  
إليك ...)

نحبت بنشيج مكتوم، فأسرعت دقات قلبه  
وضاقت أنفاسه، ورفع رأسه على اثر ربتة من  
كف السيد عمر الذي اقترب منها  
مفسرا... (زوجها أرسل في طلبها ...). ليس  
زوجها !! (...). هتف ياسين بحدة وهو ينتفض  
واقفا، فأسدل عمر جفنيه بأسى يقول ... (أجل  
... طليقها على فراش الموت .. ويريد لقاءها  
...). اشتدت العروق في دقنه يرد بانفعال  
جعلها تتنبه لحوارهما ... (كذب .... إنه على  
وضعه ...). اتسعت مقلتيها ريبته، والسيد عمر  
يشير له أن يصمت، ليزفر ياسين بحدة قبل ان  
يستطرد بتصميم ... (يجب أن تعلم كل

والقلم يرتعش في قبضتها... (أنت لست مركزة  
... كما أن حماسك بالأمس كان أفضل... ما  
بك؟)... رفعت رأسها فطعنت قلبه بمقلتيها ذات  
بريق دمعات محبوسة، فقطب مستطردا بقلق  
... (ما الذي يحزنك لهذه الدرجة؟؟)... زفرت  
بخفوت تلقي بالقلم، لتمسك رأسها بكلتا  
يديها بصمت. اقترب قليلا رغم الطاولة التي  
تفرق بينهما، يحثها لتتحدث عن سبب الهم  
المزروع بين قسماات وجهها السمحة  
... (أخبريني من فضلك ... لما كل هذا الغم  
؟؟)... ظلت على وضعها حتى يئس من  
استجابتها، وقرر سؤال السيد عمر، ليتجمد  
مكانه وهي تهمس بحزن ونبرة أشبه بحشرجة  
أنفاس ... (ماذا يريد مني؟؟.... ألم يكفيه ما  
فعله؟؟... ألا فكاك لي من الأمر؟؟.... لماذا أنا

شيئ... (ماذا يجب ان أعلم به؟؟) ... نطقت  
بتوسل وجل وهي تقف بدورها ، فلتفت إليها  
يقول بحزم ... (قررنا أنا وعمر دفع تكاليف  
علاجه.... لذا أنا أتابع حالته بشكل دوري  
...وأخر مرة تفقدت أمره ...كان على حالته....  
مريض لكنه لا يحتضر....فماذا بحق الله  
يريد منك؟ ...بل كيف استطاع إيصال  
الرسالة لك؟؟) ... تشنجت أطرافها تضم نفسها  
في محاولة لتمالك شتاتها، فتولى السيد عمر  
الرد على ذلك الغاضب يتأكد له مشاعره  
الصادقة تجاهها ... (المفتش من أخبرني ....)  
لمح تكومها على نفسها فاقترب منها يقول  
برقة... (لا تخافي ... لا أحد يستطيع أذيتك  
...لن تقابليه ...وسأحرص على ذلك ...)  
رمقته بدهشة، قلبها يرفرف بمشاعر قوية

احتلت كامل كيائها ، ترى كلما تمنته يوما ،  
الحماية، الأمان، الدفاع، التقدير... قتالات  
مقلتيها تأثرا به. تدخل السيد عمر يفسر وجهة  
نظره، التي لطالما تناقشها مع زوجته وتوصلا  
فيها الى اتفاق ... (اسمعي ياسين ...اهدي كي  
تفهم رأي في الأمر ...).. مسح على وجهه  
يتنفس برتابة، ثم نظر اليه يستجلب الصبر،  
من أجل أعصابه المهددة بالانفلات، وكأن  
القدر يعانده في تحقيق سعادته .... (من  
الأفضل لحفصة طبعاً بعد إذنها ...أن تقابله  
...وتقابل ايضاً أهلها ...). تدحرجت الدموع  
على وجنتيها فاحتد تنفسه من جديد، واقترب  
منها السيد عمر يستطرد بلطف ... (أحذرك من  
أن تفكري في اتجاه خاطئ ... يا بنتي أنا  
أكبر منك... بل في عمر والدك ...لذا أملك

قوية قادرة على تنفيذ عباءة الضعف  
والاستسلام ... (أنت لست في حاجة لأحد...)...  
نظرت إليه تود منه كل كلمة ينطقها، لا  
تعلم لما تصدقها، تنفذ الى قلبها رأسا، ربما  
بسبب تلك الثقة التي يحملها في كل نبذة  
يطلقها، مصاحبة للصدق في نظراته الثابتة  
... (إمراه حرة... متعلمة... تعرف واجباتها  
قبل حقوقها ..محترمة بأخلاقها ...وملتزمة  
بدينها ...بمبادئها .....ومستقلة بعملها....  
كوني قوية ...أنت تستحقين الأفضل في كل  
شيء .....إن كانت عائلته ...أو شريك حياة ...أو  
حتى عمل ....لا ترضي بأقل من العيش  
بكرامة ...). .... تنفست بهجة تسالت إلى  
صدرها، إنه محق، لم تعد تلك الطفلة التي  
تخشى ظلها، تلك التي تربت على تحميل

من الحكمة ما لا تفهمينه بعد ... باطنك لن  
يسمح لك ببناء مستقبل ما دمت لم تودعي  
الماضي بعد ...). لعقت شفتيها تقول بشجن  
... (لكن الماضي يأبى توديعي يا عمي ...).  
شد ياسين على قبضتيه والسيد عمر يقول  
بإشفاق ... (الوداع يا ابنتي لن يكون دون  
مواجهة ... مهما كان حجم رفضك ... الرجل  
الذي أنجبك سيظل والدك .... و الآخر كان  
زوجك في يوم من الأيام.... وفراقكما حدث  
بشكل لم يسمح لكليهما بتوديع الآخر  
....لذا أنا أنصحك بأن تتحلي بالقوة  
...وتواجهي ماضيك كي تتخاضي منه نهائيا  
...بعدها ستجدين في نفسك الدافع لتبني  
مستقبلا مشرق ....). ... مسحت على وجنتيها  
تفكر بعمق، فقال ياسين يقصدها، يريد

أنت محق يا عمي ....لقد حان وقت وداع الماضي

...(...

.....

منزل آل عيسى ...

تململت تشعر باهتزاز ما ، ففتحت مقلتيها تتفقد  
الغرفة من حولها ، لتنتفض حين انساب الوعي  
إلى عقلها ، تلتقط الهاتف مجيبة ... (اسماعيل  
...يا إلهي ..لقد استغرقت في النوم ....فاتتني  
صلاة الظهر... ) ... صمتت تمسد جبهتها ، وهو  
يحدثها ، ثم قالت ... (الحمد لله ...شكرا لك  
...لن أتأخر بإذن الله ...سأرتدي ثيابي وأصلي  
... ) ... انصتت بتمعن ثم قالت تنهي

نفسها ذنوبا لم تقترفها فقط لكونها فتاة ،  
تلك التي تتحمل من والدها الإهانة يوميا ،  
ومن والدتها الخنوع ، ومن زوجها الذل . هي لم  
تخطئ في شيء ، علاقتها مع خالقها صادقة ، فما  
الذي تخشاه!! . لما لا تقابل رجلا ووالدا لم  
يحبها يوما ، فتخبرهما وبشكل مباشر وصريح ،  
أنا لن أكون لكما ، لأنكما وببساطة  
تكرهانني ، فلست مجبرة على تحمل من  
يكرهني . نطقت بسهولة لم تعلم أنه تفجر  
وانسابت كلماته خارج جوفها ... (أنا لن أعيش  
في الذل مرة أخرى ...أنا لن أقبل بالضعف  
والخنوع ...أنا لن أقبل سوى بالعيش بكرامة  
... ) ... رفعت وجهها الى المراقبين لها ببسمة  
مشجعة ، تستطرد بتصميم ... (سأقابلهما .....



تقول باعتذار... (آسفة حبيبتي لكنني  
مضطرة لتوديعك ... لدي مشاغل كثيرة  
... سأحدثك لاحقا .. إن شاء الله ..... في أمان  
الله ..) ... تروضأت وصلت فرضها ، ثم خرجت من  
غرفتها بعد أن استعدت. صادفت في الرواق  
تغريد الحانقة تزفر بضجر، فأوقفتها تغامر  
لأول مرة في سؤالها ... (ما بك عزيزتي؟؟) ...  
ابتسمت حين لاحظت ترددها فحشتها وهي تربت  
على كتفها بحنو .... (لما أنت غاضبة؟؟) ...  
عبست تضم شفيتها وهي تجيب بتبرم ... (إنها  
تلك الخالدة مصيبة ... تراقبني كالصقر  
... إبراهيم منعني من الخروج ولم يمنعني عن  
الحديقة ... فما دخلها هي؟؟) ... رمقتها بعتاب  
تمسكها من كلا كتفيها تقول برقة  
... (حبيبتي ... الخالدة شممة امرأة كبيرة في

المكالمات... (حاضر ... حسنا ... إلى اللقاء  
...)) ... تنفست تبتسم بسرور خفي، ثم ركبت  
رقما عندما تذكرت، وهي تقوم من على  
سريرها ... (سهام ... كيف حالك  
حبيبتي؟؟) ... أنا بخير ... الحمد لله ...  
ضحكت من استرسال ابنة خالها المعتاد ،  
تخبرها عن مدى سخط أهلها من تدخلها في شان  
مريم ، فقاطعتها تسأل بعجالت ... (اسمعي سهام  
... كيف الأحوال في بيت مريم؟؟) ... أنا  
واسماعيل نفكر في زيارتهم ... هل ..  
عقدت جبينها تنصت لها ، فقالت باسمت  
... (حقا؟؟) ... جيد جدا ..) ... تراجعت تستطرد  
بذنب ... (لا اقصد طبعا مرض والدها ... لكن  
بقاءه في المشفى سيوفر علي مشقات كثيرة  
... شكرا لك سهومتي ...)) .. عضت شفيتها ،

حدسها، حين وجدت والدها يضحك الحاج  
إبراهيم.

.....

بيت آل طالب ....

حاقات تصنعها بإصبعي سبابتها وإبهامها على  
جانبي جبهتها، تغمض عينيها، مستلقية على  
ظهرها، بعد أن لطخت وجهها بخليط الطين  
الأخضر وماء الورد، تحاول استجلاب الهدوء  
النفسي. شعرها منثور حولها دو خصلات لا هي  
حريرية بالكامل ولا مجمدة بالكامل، لكن  
قطعا سوداء فحم كمعظم قاطني الجبل.  
شهيق، زفير، صورته لا تريد فراق خيالها،

السن...وعلينا مراعاة ذلك ... وهي صاحبة  
قلب كبير تحب الجميع .... صدقيني إن  
اخبرتك ...لولا أنها تعتبرك ابنة لها ...ما  
تدخلت في شؤونك ....وما كانت لتهتم بما  
يصيبك مثقال ذرة ...)( حررت كتفيها  
تستطرد بلطف، والأخرى تتمعن في حديثها  
...)(كنت شاهدة على تعنيفها لي أيضا ....

لكنني لم أغضب ...لأنني على يقين من خوفها  
علي... أحب جدا التحدث معك اكثر...لكن  
مشاغل كثيرة في انتظاري ...)( هزت رأسها  
بتفهم، فأضافت قبل أن تنسحب .... ( حاولي  
المذاكرة مستغلة فراغك ...وسنتحدث فيما  
بعد بإذن الله ....اعتني بنفسك ...)( كانت  
على وشك المغادرة، حين سمعت نبرة جعلتها  
تعود إلى غرفة الضيوف لتتأكد، وقد صدق

كلما طردته بشهيق عميق، عاد بعد الزفير  
بقليل، حتى نفخت بضجر، ليافت انتباهها صوت  
خبط باب البيت، فعلمت أن والدتها عادت من  
اجتماع نسوي، وجهزت نفسها لثرثرة والدتها عن  
آخر الأخبار، فلم يكن في حساباتها، بهجت  
والدتها وهي تسرع إليها صاحبة إياها من  
كتفها تهتف بلهفة.... (لن تصدقي ماذا  
حصل؟؟) ... فتحت رواح عينيها ترد بانزعاج  
... (أرعبتني أمي.... يا إلهي!!) ... هزتها تقول  
بحبور... (الخبر يستحق... )... انسلت من بين  
يديها بخفتة، تقول بفتور... (وما هو هذا الخبر  
الذي يستحق... ذبحت صدريته كدت أصاب بها  
؟؟).... مططت شفيتها بضجر ثم سرعان ما  
ابتسمت مجددا، تقول... (جاؤوك خطاب... )  
... تسمرت ملامح رواح والطين قد جف على

بشرتها، فأصبحت كتمثال أثري نُحِت على  
الذهول. ضحكت والدتها تستدرك بمرح  
... (أخبرتكم أنه يستحق... ).. تنحنحت رواح  
تسأل بهدوء لم تعي والدتها أنه ذلك الخطر  
قبل العاصفة... (ومن هو الخاطب يا أمي؟؟) ...  
ردت بعجالت... (ابن صفيته... أشرف... أنت  
تعرفينه... ها ما رأيك؟؟) ... رفعت حاجبها  
تسأل بامتعاض ويدها تسند أسفل دقتها ... (وما  
الذي تغير حتى أصبحت السيدة صفيته تراني  
مناسبة لابنها؟؟... فكل مرة كانت تقابلني  
فيها تسمعي نغمة الشفقة والتحسر على  
مستقبلي الضائع بسبب اعاقتي!!).... زفرت امها  
برفض تهتف بانفعال... (انسي رواح.... انسي  
الناس هكذا لا ولن تتغير... وأنت الآن ما شاء  
الله لا يعيبك شيء....) ... تخصرت رواح تنطق

(أقسم يا أمي .... إن أخبرتِ والدي كي تضعيني  
أمام الأمر الواقع .... سأجلب لك فضيحتي  
... تجعلك عاكته في أفواه صديقاتك لسنوات  
قادمة .... فكما قلتِ الناس لا تتغير  
... وستبيعك كما باعت غيرك ...)  
انصرفت تدعو ربها أن تستجيب والدتها  
لتهديدها، فهي أعلم بمدى اهتمامها بالمظاهر  
ومكانتها بين النساء. بينما المعنوية تباع ريقها  
مقطبة بخوف تهمس بذهول ..... (من هذه  
الفتاة؟؟)....

.....

من جرح أحشائها ... (ولم أكن من قبل أمي  
... اسمعي مني الخلاصة ...). استولى الجمود  
على ملامح ميمونته وابنتها تستطرد بحقد ... (أنا  
لن أتزوج لا أشرف ولا غيره ... كل ما في بالي  
دراستي كي أنهي الجامعة وأعمل مع أخي فقد  
وعدني بذلك .....). اقتربت منها محاولته  
استدراج موافقتها، كما اعتادت الفعل ... (يا  
ابنتي إنه رجل بنى منزله الخاص ... ووظيفته  
مرموقته ...). قامت من مكانها تقول بجفاء  
.... (من أشرف هذا!! ..... أنا لا أحسبه حتى  
رجلا.. فانسي الأمر كلياً ...). وقفت هي  
الأخرى تقول بعبوس ... (سنرى بعد أن يعلم  
والدك وأخيك ...). شهقت رواح وعادت حتى  
وقفت بوجهها، تقول بتواعد أردد قلب والدتها  
وكم كان قناع الطين الأخضر مساعدا ...

المشفى .... غرفة مريم..

دخل البروفيسور ليجد اسماعيل يُحدّث ممرضة  
ما أومات له بتحيةة وانصرفت. صافحه يقول  
بمجاملة ... (كيف حالك بروفيسور؟؟)..  
أجابه بنفس الرسمية قبل أن يستدير إلى  
المريضة ... (الحمد لله ... أفضل بكثير بعد  
النوم ... ألم تستيقظ بعد؟؟) ... جعد اسماعيل  
دقنه باستغراب يومئ بسلب ... (لا ... مع أن  
مفعول المهدئ قد انتهى منذ مدة ... أظن أنه  
تهرب من الواقع ..) ... هز راسه يقول بجديّة  
لضت انتباهه كطبيب ... (حالتها تفوق التهرب  
يا دكتور ... وإن لم تتصرف بسرعة سنخسرها  
حتما ...). ... تأمله بصمت، فسأل ... (أين هي

زوجتك؟) ... دس احدى يديه في جيب  
سرواله، يقول بهدوء ... (قادمة ... قد تصل بعد  
قليل ... بإذن الله ... فقد كان عليها النوم  
لتسترجع تركيزها ....).. هز رأسه بتفهم،  
واسماعيل يستدرک ... (قدمت التقرير لوكيل  
الملك ... وحصلت على تصريح لإيداعها في  
القسم النفسي هنا ... والغرفة جاهزة ... انتظر  
فقط استيقاظها ...). ... رفع دقنه وكلتا يديه  
على رأس عكازه، يقول بعد هممته الشهيرة  
... (مهمم!!) ... كنت قد بدأت أغير رأي فيك  
...). .. (عفوا!!) ... استفسر اسماعيل، فهز  
البروفيسور كتفيه يقول بغموض ... (ابقى على  
نفس المنوال ... وستكون صديقي المفضل  
... وأعدك بأن لا تتلقى ضربات من رأس  
عكازي الحبيب ...). ... ابتسم اسماعيل برزانه،

يسأل متفاداي الموضوع بمجمله.... (أرى انك وصلت لتشخيص سابق...ماذا تظنه قد أصابها؟؟)... ضم شفثيه بوجوم يرمق الراقدة بنظرات عميقة عبرت أسوار المشفى بل وأسوار الحاضر إلى البعيد، إن كان في المكان أو الزمان، يقول بنبرة حملت من الهم الكثير، ليؤمن بتصاريف القدر التي جمعته بطائفة ليأتي الى مسقط رأسها وليقابل تلك الفتاة بالذات بحالتها تلك، والله أعلم بحكم أقداره القادمة....(أنا على يقين بأنك وقباك طائفة قد فكرتما في نفس التشخيص ... لكننا سننتظر نتائج تحقيق زوجتك....ولنرى بعدها الى مستوى وصل الأمر... وافقه بإيماءة فاستدارا كلاهما إلى التي تحركت مكانها، ليقترب منها البروفيسور يسأل بتمعن... (كيف

حالك يا مريم؟؟)... نظرت إليه بوهن، تجيب بتعب... (متعبتة...أشعر بألم في كل أطرافي... (نظر الى اسماعيل يقول ببسمة متهكمتة... (أقدم لك من تدعي البراءة...وتكره الخاتم ولا تذكر الطبيب... (تقوس حاجبي اسماعيل بريبتة، فاستدرك بمكر.... (انتظر وراقب... (عاد يرمق مريم قائلاً بسخرية متعمدة... (لما ألقىت بالخاتم؟؟... لقد كان جميلاً... من الصعب إيجاده الآن... (أغمضت عينيها تقول بتوسل... (من فضلك لا تذكر ذلك الخاتم المشؤوم..... انه لعنته... (ضحك البروفيسور يسترسل في استفزازه، واسماعيل يراقب بانتباه طالب علم... (أنت محقة... إنه خاتم لعين... لا يرتديه سوى الضعفاء....والجبناء....والخانعين... (في

## قسم المستعجلات ...

بسط يده بالحامل فنظرت إليه ثم أومأت بامتنان  
سريع، وهي تستلمه منه... (من الأفضل لك لو  
طلبت إجازة... كي ترتاحي... وكي يظنوا  
أنك خائفة منهم... )... لمعت مقلتيها ببريق  
متوحش، فمطط شفتيه يفسر بتهكم... (قبل  
أن تهتفي بشعاراتك... كلما قصدته تمويههم  
... لينسوا أمرك... )... زفرت بسخط، تغمغم  
... (متكبر.. )... (ماذا قلت؟؟) ... رفعت صوتها  
بحنق تقول.. (لا شيء... سأحصل على عطلة...  
فأنا متعبتة على كل حال... كما ان حفصتة  
ستحتاج دفعة قوية الى الأمام... )... قطب  
يرمقها بنفاذ صبر، فاستدركت بانفعال

لحظة واحدة، جحظت بمقلتيها وهي تشهق  
بحدة، تهتف بقوة دبت في عروقها من العدم...  
(من تنعتها بالضعف؟... هي الضعيفة الخائفة  
... وأنا أريد خاتمي... تلك البائسة أضاعته  
... لن أسمح لها بالنصر أبدا... احضر خاتمي  
أريده معي في النهاية... )... أسرع اسماعيل  
يحقن كيس السيروم بمهدئ، والبروفيسور  
يقول بنبرة ذات معنى... (وأقدم لك ...  
صاحبة الخاتم... وصاحبة المصائب... والتي  
تذكر الطبيب... )

تصميم من ريمي الاعرفاء

يستطيع ... سأعيده الى غيبوبته إن حاول  
 ....) قفز حاجبيه بدهشة يقول بتهكم  
 ... (احترميني يا فتاة ... أنت تهديدين بالاعتداء  
 أمام رجل أمن ...). هزت كتفها ترفع دقنها  
 بأنفرت، تقول وهي تقوم من على سرير الفحص  
 ... (سيكون دفاعا عن النفس ... ولن تستطيع  
 محاسبتني ... حفصة أختي ..... أحبها بشدة ولن  
 أتوانى عن الدفاع عنها ...). ابتسم لها بإعجاب  
 متوحش شع من مقلتيه، فتهربت بأنظارها،  
 تتسلل الحمرة بوجل من صاحبها الى أعلى  
 خديها، فاتسعت مقلتيه يبتسم بمكر، وتجاهل  
 الأمر يشير لها قائلاً .... (تفضلي يا سوبر.....)  
 قاطعته وهي وتتقدمه متشدقه ... (وامان ...)  
 أوماً بيأس ثم قال بسخرية مبطنه بمرح  
 ....) (سوبر سنفوره ...). توقفت على غلظة منه

... (رسالتك الصباحية ... كدرت على الجميع  
 يومهم ... وهذا دليل على ذلك ...). أشارت  
 الى ذراعها العالقة في الحامل، فرفع حاجبه  
 بخطورة يرد وهو يضم ذراعيه الى صدره ... (هل  
 تقصدين أنني شؤم عليك؟؟) ... ابتسمت بلؤم  
 تهز رأسها وهي تجيب ... (تماما...) .. ضحك  
 فعبست من بروده وهو يرد بلؤم أكبر ... (إذا  
 انتظري مني مكالمتة ... كل صباح  
 هديتة...) ... جعدت ملامحها تقلده بسخط  
 طفولي، فاستغرق في الضحك. راقبت قسماته  
 الصارمة كيف سترخي في ضحكات حازمة لا  
 تشبه سوى التنين، فتنحج حين لاحظ  
 مراقبتها ليقول بجديتة .... (ذلك الرجل مريض  
 ... لن يستطيع أذيتها .. هو فقط يريد  
 رؤيتها...) ... تحفرت تهتف بان دفاع ... (ولن



فيك...)(... ألقى بالهاتف يهمس بحقد... (لقد  
أصبح الأمر شخصي .....)

.....

تستدير، فاصطدمت به مجدداً، ليرفع ذراعيه  
قائلاً ببراءة زائفة.... (لم أفعل شيئاً...)  
ابتعدت تزفر بسخط، وعادت تستأنف طريقها و  
قد نسيت أمر اللقب، بسبب عطره الرجولي  
وصلابة عضلات صدره القوية، تخفي ارتباك  
طاغيا يطيح بدفاعاتها كلما اقتربت منه.  
ارتباكاً كان السبب في صمتها وهما في  
سيارته يوصلها الى بيت أهلها، لتترجل هامسة  
بكلمة شكر ساهمة، غمغره بمثلها وهو يراقب  
ابتعادها بغموض. استل الهاتف من جيب سترته  
وقال بتوعد برق في مقلتيه بوحشية تتأجج مع  
اشتعال مشاعره القوية... (أريدها مراقبتة كل  
دقيقة... وتقرير يصلني كل لحظة... إن  
حدث لها أي شيء... ستكون المسؤول أمامي....  
لقد اخترتك لأنك الأفضل... فلا تخيب ظني

## الفصل السادس

طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة... الإمام  
الشافعي ...

منزل آل عيسى ....

(السلام عليكم ....) ... استدار الرجلان  
يرمقانه ببشاشته، فبسط والدها يده إليها،  
واستجابت له في الحين. أمسكت بيده تهم  
بتقبيلها، فمنعها يقبل هو جبهتها، ثم أقعدها  
بجانبه. قام الحاج ابراهيم يقول بتفهم  
....(البيت بيتك يا زكريا ... استأذنك عليّ  
التجهز لصلاة العصر ...). أوماً له باحترام يرد

... (تقبل الله يا حاج ....). ظلت تنظر إليه  
بلهفة لا تنضب، تبتسم له بعطش لم يروى، مع  
أنها تُسرّ في قلبها خوفاً ما، يقاتل في أحشائها  
ليظهر مستنداً بشواهد تكدست على مر الزمن.  
لكنها تعاند نفسها تجرّ كل تبرير تلمح له  
ذيل يلوح، وهو مختبئ كالجرذ في ركن زوي،  
خجلاً من ضعف شهادته لصالح والدها.  
....(كيف حالك طائعتة؟؟؟؟) ... تحدثت  
بهدهوء لا يظهر الحماس في جوفها... (بخير  
الحمد لله .... وأنت؟؟؟؟ وجدتي؟؟؟؟) .. (بخير  
....كلنا على خير ...). حل التوتر بصمته  
المحرج، فتنحج والدها يسأل بشيء من  
التردد... (وماذا عنك واسماعيل !!) ... اقصد  
كيف علاقتكما ... انتما على وفاق أم هناك  
مشاكل؟؟) ... عقدت جبينها تبحث عن معنى

بتوتر... (ما !!... أي أحداث؟؟) ... نظر إليها  
يقول .... (حادث الفتاة .... صديقتك) ... انطلق  
الاحباط يدك حصون الأمل الزائف وسط  
أحشائها، وهي تقول بنبرة فاترة ... (ولما سيؤثر  
ذلك على علاقتي بزوجي؟؟ ... فالموضوع  
يخصها ... وأنا فقط أقوم بواجبي ...) ... (على  
عكس من يتنصل من واجباته...) ... لم ينطق  
لسانها بالشق الأخير، إلا أنه قد نفذ بطعنة الى  
صدره تحملها نظرة منها شعت بالخيبة، فقال  
باندفاع .... (لكل إنسان سمعة يحاول الحفاظ  
عليها ... وأنت بالتصاقك بتلك الفتاة  
... تسيئين إلى نفسك والى ...) ... قاطعته بحزن  
... (إليك؟؟) ... تنفس بوجوده يرد ... (إلى  
زوجك ... وشقيق زوجك الذي يحتاج لكل  
مساندة من أجل المنصب ...) ... ضمت شفثيها

يدحض الإحباط في قلبها، فاستدرك ... (أعني  
هل كل شيء بينكما طبيعي؟؟) ... للحظة  
لامس ظنُّ فكرها بأن يكون الحاج ابراهيم  
قد أوحى بشيء ما عن علاقتهما، فمهما كان  
حرصهما على إخفاء أمرهما لا تظن أن رجلا  
بمثل عمر وحكمة الحاج، قد يكون غفل  
عنهما ..... (لماذا؟ ... أبي؟؟ ... ما الذي ... أقصد  
... ماذا سيكون؟؟) ... تلبكت فأمسك كفها،  
يقول بلطف يشوبه التردد رغما عنه ... (أنه  
سؤال طبيعي ..... أعني ... أنتما في بدايته  
حياتكما معا ... لذا أسأل إن كنتما على  
وفاق؟؟) ... تنفست بارتياح، اختفى حين أضاف  
بنبرة ذات معنى .... (ومع الأحداث الأخيرة..  
أخشى أن يدخل الجفاء بينكما ...) ... سحبت  
يدها بخفة، تتعلل بحك أعلى وجنتها، تسأل

معدن أصيل ... سليل الشرفاء ... دمك ينبض  
بالعدل والحكمة .... مهما نال منك الزمن  
بفتنه (...). فغرزكريا فمه بصدمة، وهي  
تستدرك قائلة بقرقة... (اسمعي أبي ... أنا لن  
أذكر زوجي بيننا ... وسأطلب منك أمرا واحدا  
.... ومهما كان جوابك بعدها ... سأفعله  
... وليعني الله على ذلك ...). بلع ريقه، و أوما  
لها بسهو، فقامت تقول قبل أن تقبل رأسه  
وتنصرف إلى مشاغلها .... (الفتاة ... مريضة جدا  
.... وقد تقتل نفسها في أي وقت .... كما قد  
تكون بريئة أنا لا أعلم ... لكن الشق الأول  
ما يهمني ويجعلني أغض النظر عن أي شئ آخر  
..... فكر جيدا في الموضوع وان وجدت أنني  
يجب علي تركها .... بلغني وسأطيعك .... إلى  
اللقاء أبي (...). شيعها بنظرات عميقة، يهمس

ترمقه بمقلتين لمعتا بحزن عميق، لكنها قالت  
بهدوء .... (ماذا تريد يا أبي؟؟ ... أخبرني .... هل  
أترك فتاة ضعيفة تمر بأزمة أضحت فيها  
فريسة لكل الوحوش الضارئة؟؟ ... أم أحنت  
بقسمي الذي أديته أمام ربي أن لا ادير ظهري  
لمن يحتاج لعلاج مهما كانت ظروفه او هويته  
؟؟ ... أخبرني يا أبي ... فأنا حقا لا أعرف عنك  
.... سوى ما سمعته من أمي وجدي رحمهما الله  
... ومن جدي احمد أطل الله في عمره  
....). رفع رأسه يكبت أثر الدهشة، ثم قال  
ببرود ... (و ماذا يا ترى أخبروك عني؟؟) ...  
اقتربت منه ترمق تفاصيل وجهه، تبحث بين  
حنايا بشرته وتجعيداتها الخفيفة، عن حب  
وانتماء فقدتهما، ولم تياس من السعي إلي  
ايجاده ... (أخبروني أنك رجل طيب القلب ... ذو

استضمت بعامود كهرباء ...).. شهقت تمسك  
على صدرها، فاستدركت وهي تستغفر  
سرا... (تعطلت مكابح السيارة فلم اسيطر عليها  
جيدا.... لكن لا شيء خطير.... كما ترين  
مجرد رضوض في الكتف ...). سحبتها بروية  
واجلاستها على الأريكة تقول بقلق ... (يجب أن  
أخبر والدك ... وأين سيارتك؟؟) ... أسرعت  
براء تمنعها .. (لا أمي .... ستخيفينه وقد يترك  
عمله أو يقود سيارته بسرعة خوفا علي ....  
سيارتي بعثها للإصلاح وطلبت منهم بيعها بالمرّة  
... لم أعد أثق بقوتها ...). هزت والدتها رأسها  
بتفهم، وهي ترمقها بتمعن تستشف مدى  
تصديقها، فربتت عليها تكمل بتوسل .... (أنا  
جائعت أمي ... سأسطح قليلا ... لأرتاح...)..  
(اجل ... في الحال بنيتي ... انهضي هيا ... الي

لنفسه بقنوط.... (تعديني بالطاعة كأي  
ابنة محبة قريبة.... فلما اشعر بالبحار السبع  
تفرق بيننا؟؟؟ ...)

.....

منزل الرزقي .....

فتحت باب بيتهم ترجو الله أن تكون والدتها  
خارجا، لكنها زفرت بياس حين سمعت نبرة  
والدتها المتلهفة قبل طلثها القلقة، تهتف  
.... (حبيبتي ما بك؟؟ ... قلبي شعر بخطب ما  
خاف غيابك عن عمالك .... ما بها  
يدك؟؟) ... ابتسمت لها ترد بمهادنة ... (اهدئي  
أمي.... أنا بخير ... كل ما في الأمر أنني

جيذا للأمر... لنقل بعد يومين... بإذن الله  
....إلى اللقاء... رمت الهاتف باستخفاف،  
تهمس بتوعد... (يضع سره في أضعف خلقه  
....يا أصحاب الثعابين والعقارب...)

.....

أمام مقر البلدية ....

تحركت حدقتي ابراهيم باحثاً عن هدفها،  
منذ ان حط برجله خارج أسوار البلدية. صافح  
المندوبين من وزارة \*الطاقة\* والمعادن والماء  
والبيئة\* ثم ودعها بكلمات مجاملة، وأكمل  
خطواته الى وجهته، يحاول تبين ما ينطق  
بشفتيه المزمومتين بغضب، كوجهه المحمر

غرفتك) ... حثتها بحنو، ففرت منها تحمد لله  
، وتساله ان يصدقها والدها هو الآخر. استاقت  
على ظهرها دون حتى أن تغير ملابسها، تتأمل  
السقف بسهولة، تسترجع ضحكات جافتة على  
ملامح منحوتة بصلابته. نفخت بخضوت ترفع  
هاتفها، تحديق فيه فحركت أصابعها تهر  
بتركيب رقم ما، لكنها تراجعت وركبت رقما  
آخر تقول بعزم... (كيف حالك عصام؟؟...  
تعبت قليلا وقررت اخذ إجازة... )... ابتسمت  
ببرود تردف... (إجازة من البث على الهواء  
.... لكن البحث مستمر.. فما رأيك في مغامرة  
صغيرة؟؟... )... ضحكت ساخرة وقالت... (لا  
ليست خطيرة.... بل مجرد لعبة.... ستعجبك  
... أنا أكيدة... )... هزت رأسها وكأنه يراها  
تتهي المكالمات.... (سأهاتفك حين أخطط

حنقا....(سيد العربي.... أتمنى ان كل شئ  
بخير...)... تحولت ملامحه من حال الى حال في  
لحظة خاطفة، يدس هاتفه في جيب سترته،  
ويضحك بسماجة أثقلت على قلب ابراهيم  
الذي يجبر نفسه على تحمله... (كل شئ  
بخير... سيد ابراهيم... شكرا على سؤالك ..  
أهنئك على طريقة طرحك للمشروع....)...  
مد ابراهيم شفتيه في ما يشبه البسمت، يجيبه  
بسخرية بطنها بجديته أجاد إتقانها... (الفضل  
بعد الله لكم سيد العربي ... دائما مساندين  
للحق... أمامنا عمل مهم... كي نبني المشروع  
على ارض الواقع... بإذن الله...)... حدجه  
بنظرة حاسدة يشوبها الحقد قائلا بنفاق  
....(حقا... لقد انتزعتها من فم الأسد.... لا  
يستهان بك سيد ابراهيم ....)... اقترب منه

يستقيم بقامته، فظهر رئيس البلدية كقزم لا  
يكاد يصل إلى كتفيه، يقول بحزم ظهر جليا  
على قسماات وجهه المشدودة... (أنا من آل عيسى  
.... فكيف لا انتزعها من فوهة بركان حتى  
.... فأنا ابن جبل بعد كل شئ... أم أنك  
نسيت يا سيد العربي؟....)... حك دقنه  
يرمقه بتوجس وهو يرد بتوتر... (و كيف أنسى  
يا سيد ابراهيم؟؟... فأنتم أول من عمر الجبل  
والتحم بوتده الى أعماق نقطة تحت  
الأرض....)... ابتمس ابراهيم حقا تلك المرة،  
وقال قبل أن ينسحب.... (أنت محق... ومن  
التحم بوتده لا يخونه أبدا.... يا سيد العربي  
...أبدا.... إلى اللقاء...)... شيعه بنظرات  
أطلقت العنان لحقيقتها الشنيعة، وسحب هاتفه  
يزمجر بغل من بين دروصه المطبقة على بعضها

جبل ... لا تخيفنا الدبابير... تَنْفَعِصُ\* أسفل  
أقدامنا هكذا (...). ... دعك أسفل حذائه  
الميري بسطح الإسفلت، فعلت ضحكت ابراهيم  
يهز رأسه موافقا، ثم قال.... (هل أكلت شيئا  
بعد؟؟... أم أدعوك الى الغداء على شرف  
المناسبة؟؟؟ (...). ... ابتسم يرد بتهكم... (لا  
تخبرني ان الوليمة على حساب نفقات الدولة  
بمناسبة أو دون مناسبة.... لم تكن في  
مستوى ذوقك...). ... سحبه ابراهيم يرد بنفس  
التهكم.... (لا بل كانت تفوق ذوقي بكثير  
.... فلم استطع تذوقها ... هيا شاركني... يبدو  
انك لم تتغدى بعد...). ... (سيارتي هنا....).  
أوقفه يخبره، فاستمر في سحبه مجيب  
... (سأعيدك إن شاء الله.... هيا بنا....). ...

... (لا أشغل سوى البغال.... بل حاشى للبغال أن  
تصل الى مستواكم....). ... بينما ابراهيم قد  
انشرح صدره، محافظا على بسمته المتأملت،  
فقد وضع رجله على أول الطريق، بحصوله على  
الموافقة بتخصيص ميزانية للمشروع، وهكذا  
يحقق هدفين مهمين، خدمته لأهل مدينته  
بوفائه لوعده، وإحساسه بفوزه بالمنصب عن  
جدارة واستحقاق، وليس فقط كونه المرشح  
الوحيد بعد تراجع زكريا المرابط عن  
ترشيحه.... (هذا الوجه الباسم... يعني أنك  
انتصرت...). ... رفع ابراهيم وجهه الى صاحب  
النبرة القوية، الواقف جوار سيارته فبسط يده  
مصافحا يرد ببشاشة... (قمنا بهد عش الدبابير  
.... سترنا الله من القادم...). ... ضحك طارق،  
يقول بمقلتين تشعان بالتحدي.... (نحن أبناء



\*انفصص تعني انفتق.

.....

المشقى ...

استعلمت عن مكان زوجها بعد أن اطمأنت على مريم، وتأكدت من انتقالها الى غرفة مجهزة لمن يشكلون خطورة على أنفسهم، وعلمت أن اسماعيل قد خصص لها ممرضة تراقبها طوال غيابها أو غياب البروفيسور. دقت الباب ثم فتحت باب مكتبه لتجده برفقة البروفيسور يتناولان غذاء متأخر. مططت شفيتها في ابتسامته زائفة أرهقت العروق حول فمها، فقام إليها حين لمحها، يستقبلها ببسمته الرسمية

الواثقة، التي ما لبثت أن تحولت إلى أخرى جامدة يسأل باهتمام... (أنت بخير؟؟).. أومأت له متجاهلة ترد بلطف... (بلى شكرا لك ....) .. نظر إليها بتشكك، ثم اشار لها لتنضم إليهما... (بدأنا لتونا ...). التفتت إلى البروفيسور الذي لاحظ المشهد من أوله يتدخل بتهكمه الشهير... (ضيافتكم عالية يا أهل الجبل .... بت دون عشاء وأفطرت في فندق ....وها أنا ذا أتعدى في مشقى ...). ردت عليه بنبرة لائمة، واسماعيل يراقب مقلتيها الناطقتين بخيبة وحزن يستغرب مصدرهما، .... (عيب عليك بروفيسور ... أنت من أخبرنا بلسانك أنك أكلت قبل الرحلة .... ورفضت الدعوة للمبيت في بيت العائلة....). شخر بسخرية، فأكملت تدير ظهرها للنار في

....(علمت ان والد مريم لا زال هنا في القسم  
القلب والاعوية الدموية .... سأحاول جمع  
معلومات تفيدنا ...)(سأرافقك ...)(... قالها  
اسماعيل فابتسم البروفيسور بغموض، وهي  
تقول ...)(اتمنى ان يقبلوا بمساعدتنا ...)(... أوماً  
زوجها، والآخريقول بامتعاض ...)(قومنا جدا  
غريبون ... يتجاهلون الحل الواضح أمامهم بعلت  
الخجل والخوف من الخزي ....بينما ينساقون  
خلف الخزعبلات والهراء فقط لأنه معروف بين  
عاداتهم ....فلا تستغربي أي رد فعل منهم ...)(...

صدرها ...)(بعد إذن زوجي ... سنستقبلك في  
بيت العائلة ...على العشاء ...ما رأيك؟؟...  
ستأكل طعاما لن تنسى مذاقه ما حييت ...من  
بين يدي سيدة جبلية قحة ..)(... رفع حاجبه  
بتمعن يخبرها، أنه أبدا لم يخض عنه ما تحمله  
في مقلتيها، ثم قال بنبرة مازحة ...)(طبعا  
أوافق ... بعد إذن زوجك طبعا ...)(... تحدث  
المعني بعد ان ربت على كفها بلطف ..)(أنت  
مرحب بك في بيتنا ...بروفيسور ...إنه لشرف  
لي ...)(... عادا للأكل فقالت بنبرة فقدت  
رونقها المعتاد رغما عنها، فأضحت واضحة لهما،  
وآثرا التريث في السؤال، بيد أن أحدهما يعلم  
جيذا علتها، فقد صادف حالتها مرات عدة في  
الماضي، وكم حاول ترميم الخراب لكن  
كيف تبني على نهر جارف باستمرار.

في مطعم ما ....

يلوك الطعام بفكيه ناظرا إليه بتركيز، ثم هتف بقلق... (ثعابين في سيارتها؟... هل هي بخير؟)... هز راسه بوجوده يرد... (بلى... أصيبت قليلا في كتفها... لكنها بخير لا تقلق...)... بلع ابراهيم اللقمة في فمه يقول بجديته... (أوقعت نفسها في مأزق... يجب عليك مراقبتها إلى حين انتهاء الأمر...)... وافقه يجيب بتواعد... (سبق ووضعت لها حراسته... حذرتها قبلا ولم تنصت... تتشدد بقوتها... لكنني أظنها فهمت مقدار الخطورة... أخيرا...)... ابتسم ابراهيم بغموض، فقال مغيرا الموضوع... (أخبرني طارق... لما لم

تتزوج بعد؟؟)... توقفت الملعقة أمام شفتيه، يحدق فيه بغرابته، فاستدرك يهز كتفيه بخفتة... (أعني... أستغرب تأخر أغلب أبناء جيلنا في الزواج... بالنسبة لي المسؤولية كانت جدا كبيرة فلم اجد لا الوقت ولا الدفعة القوية للزواج... فما الذي أخرجك أنت وياسين وأمين... والباقي من دفعتنا؟؟)... كان طارق قد بلع طعامه في هذه اللحظات، ليقول بهدوء... (لا أعلم... على ما أظن ظروف عملي لها الفضل الأكبر...)... جمع ابراهيم بين قبضتيه وأسند عليهما دقنه ينصت إليه باهتمام، بينما هو يسترسل... (كبرت وأنا أسمع من والداي لقب الشرطي... فأصبح حلما ثم هدفا يجب علي تحقيقه مهما كلفني... فأنا وحيدهما الذي حظي بكل اهتمامهما... ولم

يبخلا علي بشيئ أبدا ... لكن ما رأيتة في  
الساك الأمني منذ أن أصبحت فردا منهم ...  
زعزع إيماني بكل المثاليات التي ظننتهم  
يتحلون بها.... وبدأ إيماني بالمهنة والبقاء فيها  
ما حييت يتردد داخلي ... إلى أن قررت يوما  
الانسحاب والعودة الى حقل أبي ومعو له أشرف  
بكثير وأريح لقلبي وضميري ... كنت حينها  
قد كشفت زملاء لي في قضية رشوة لأتفاجأ  
بتأنيب من رئيسي المباشر .... لم أفهم من الأمر  
شيئا... فتحقت وبحثت إلى أن وصلت للحقيقة  
المرّة.... واكتشفت تورط الرئيس الأعلى من  
رئيسي المباشر... هو من كان ينظم عمليات  
الرشوة.... عوقبت حينها بإعفاء من العمل لمدة  
شهر... كافت نظر.... لكنني رفضت العودة...  
وأخبرت أبي بذلك (...). تناول الكأس أمامه،

وارتشف منه، وابراهيم يسأل بتأثر... (وكيف  
كان رد فعله؟؟) ... ابتسم بمرح وهو يجيب  
... (والدي رجل فريد من نوعه ... أقنعني  
بوجوب خوض المغامرة ... فكيف يكون  
العمل إن خلا من التحدي؟؟ ... كيف سيبرز  
الصالحين والبارعين؟؟ ... أولم يقل الله  
سبحانه في كتابه العزيز..... أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ  
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ....  
العنكبوت الاية٢.... فكيف سأثبت جدارتي  
وايماني بمبادئي إن كانت الطريق سهل منبسط  
من غير عقبات؟؟...). ضحك ابراهيم يهتف  
بمرح... (وكانت تلك نقطة ضعفك... او  
لنقل قوتك... يكفي أن ألقى بالتحدي في  
وجهك لتنتفض كثور هائج...). ضرب على  
كفه موافقا يضحكه، فاستدرك ابراهيم

بعد أن تمالك ضحكاته....(لكنه محق ....  
كل مجال تجد فيه الصالح والطالح .... ليس  
فقط الأمن.... بل التدريس ...الطب ...المعادن  
... التجارة.... كل مجال ...بل كل مكان على  
هذه البسيطة...فيه الساعي الى الحق والعمل  
بضمير وكسب لقمة عيشه بالحلال .... وفيه  
الساعي إلى الكسب السهل بالطرق الملتوية  
والحرام .... وإذا انسحب كل ذي ضمير....فعلى  
خلافة الله على أرضه السلام يا صديقي.... بل  
نستمر فيما نفعه متوكلين على الجبار الذي  
يفوق مكره كل مكر ... )... هز راسه موافقا،  
يرد ببهجة....(لقد تعودت .... واصبحت افضل  
...خصوصا بعد ان عدت إلى مدينتي .... فهنا  
الناس تحترمني لنفسي قبل مهنتي ....) ... اعاد  
البسمة الماكرة الى فمه يعيد سؤاله الأول

... (إذن لداعي للتأخر اكثر..... )... قطب  
بجهل، فاردف يضرر... (اقصد الزواج ... )... رفع  
دقنه يفكر، ثم أجاب بجداًل ....(لا اعلم  
....حين أجد من تدفعني لخطبتها سأفعل....  
لأنني لا اتخيل نفسي اطلب من أمي إيجاد فتاة  
لي ...أبدا ....) ... انتهت عبارته بتهكم، فقال  
ابراهيم ....(الحافز ضروري... إن كانت من  
اختيار اهلك أو اختيارك .... المهم أن تجد  
في نفسك حافزا يدفعك تجاهها دون عن  
غيرها ... )... أوماً موافقا ثم قال وهو ينظر إليه  
بحيرة... (لن اخفي عليك .... لطالما تساءلت  
....ما الذي جعلك تتراجع عن ابنة المرابط  
؟... وتختار شقيقتة ياسين ....مع أنها ذات أخلاق  
عالية....كانت والدتي دائما تنوه لندرة  
صنفها بين الفتيات... وترفض لقب النساء

بأنها.....) ... تلكأ بتردد، فابتسم ابراهيم  
يعضيه من الحرج.... (بلهاء؟؟) ... رفع يديه  
متأسفاً، يستدرك ... (كنت سأقول مختلفاً  
... لكنك محق ... للأسف هناك من الناس  
... لا يستحون ... ) (سأخبرك ما اخبرت به  
جدي يوماً.... لو كانت البلاهة تعني الإعراض  
عن التطفل والثرثرة الفارغة.... فأتمنى لكل  
افراد مجتمعنا البلاهة ... ) ضحك طارق،  
فاردف ببسمة حانية علم الأول انها من حق  
زوجته.... (كان لي معها لقاء في الماضي  
...بقي مدفوناً داخلي.... وحين نويت الزواج  
وكنت على وشك الاقتران بأخرى.... فجأة  
تغيرت الظروف وقضت أمام وجهي وكان الله  
قد بعثها لي .... ووجدت فيها من الخصال ما  
كان لي محفزاً لاختارها شريكة حياتي

.....طبعاً بعد استخارة لله ... ) ... ضم طارق  
شفتيه يراقبه للحظرة، ثم قال بثقتة.... (حين  
التقي بمن تحرك في الحافز تجاهها ... سأطلبها  
للزواج بإذن الله .... ) ... قام ابراهيم من  
مكانه، يقول بغموض مرح.... (انظر حولك  
جيداً .... ستجد من تقفز في وجهك طوال  
الوقت ... ) ... جعد جبينه بحيرة، انقلبت  
لدهشة حين فهم مقصد صديقه، ليصيح وهما  
يستقلان سيارته .... (هل تعني  
السنفورة؟؟).... اقصد ابنة الرزقي.... جلابتة  
المشاكل؟؟).... تسمر ابراهيم على مقوده  
متكئاً، يقول بتهكم.... (وماذا بعد؟.... هل  
هناك اسم آخر او لقب لا أعرفه؟.... بالله  
عليك طارق .. اذكر لي فتاة واحدة.... تعرف  
اسمها الشخصي أو حتى العائلي فقط.... ) ...

تختنق، فقالت بخفوت متوسل... (ليس الآن من  
فضاك ... )... شد على ذراعها بتردد، فكررت  
... (من فضلك ... )... هز رأسه ثم اشار لها  
للتقدمه، فقابلتها على باب الغرفة الشقيقة  
الكبرى لمريم، التي توجهت ما إن لمحتها  
تقفل الباب خلفها، وتهتف بغضب.... (ما الذي  
اتي بك طائعتا؟؟؟؟.... هل جئت مرسلت من  
طرف تلك الساقطة؟... التي فضحتني وسط  
عائلة زوجي.... وهددت حياتي الزوجية  
بالخراب!!?)... هم اسماعيل بالتدخل، يرفض  
العنف المشع من تلك المرأة، لكن طائعتا  
منعته ترد بهدوء يشبه هدوء زوجها البارد الى  
حد كبير.... (عائلة زوجك لديها ما تخجله  
منه.... أم أن الشاب الذي قبض عليه معها ليس  
ابنهم؟....) ... احتدت ملامحها ترد بغل... (انت

مطط شفثيه بامتعاض، فضحك صديقه  
مردف.... (تجاهل الأمر قدر ما شئت .... إن  
كانت هي قدرك فستظل تقفز في وجهك إلى  
ان تستسلم ... ).... انطلق ابراهيم بسيارته،  
وصديقه قد ارخى ستائر في جوفه، لينظر إلى  
الأمر من زاوية أخرى مختلفة كلياً.

.....

المشفى .... قسم القلب والعروق الدموية....

امسك اعلى ذراعها باطف، يهمس برقة قبل ان  
ينعظا الى الرواق حيث غرفة والد مريم.... (ما  
بك؟؟... ولا تنكري لأنك لست على  
طبيعتك....) ... نظرت إليه تشعر بأنفاسها

ترمق اسماعيل، وكأنها لتوها تلاحظه، ثم  
قالت بتحذير....(تفضلا.... لكن أحذرك من  
ذكر اسمها أمامه ... حالته الصحية لا تسمح  
...).. تناظرت وزوجها، ثم أومات لها بتفهم،  
ودخلا.

.....

القسم النفسي ....

استدار بجسده الى الممرضة يسأل بعملية ..  
(لم تستيقظ أبدا منذ ان انتقلت هنا؟)..  
أجابت بأدب مستقيمة في وقفنها ... (لا لم  
تتحرك أبدا ...). ضم شفته السفلى يتأمل  
الفتاة الراقدة كالأومات، فتذكر شيئا ما

تعليمين المجتمع ... لا يهين ولا يحاسب سوى  
الفتاة ... وهي باعت نفسها بالرخيص ... لطالما  
علمت أنها متمرده جاحدة منذ الصغر.... لم  
تقنعي أبدا بتلك الشخصية الخنوعة التي  
اصبحت عليها منذ مدة .... وها هي تظهر على  
حقيقتها ... الفاسقة ..). رفعت طائعتي يدها  
تقاطعها.... (من فضلك سميت ... لا تخطئي في  
حق شقيقتك .... قد تكون بريئة ...).  
ضحكت بسخرية ترد بامتعاض .... (أخبري من  
رأى صورها وهي تخرج على مرآهم من شقتي  
مقبوض عليها وبملايس خليعة ...). زفرت  
طائعتي بوجوم، وسجلت شيئا ما في مذكرتها،  
قبل ان تقول بتجاهل .... (لا علينا من كل هذا  
.... جنئت برفقتي زوجي ... كي نزور عمي عبد  
السلام ....). عادت إلى الخلف بخطوة، وهي



اتقانك لعملك ... إلى درجة حفظك لكل  
نزيل هنا في القسم ... (أومات له بحماس،  
وهي تدس المال في جيبها تهتف ببهجة  
... (أجل سيدي ... وسأحضر لك قائمة  
بأسمائهن إن أردت؟ ... فالدكتور اسماعيل قد  
أوصى كل العاملين في القسم ... كي يوفروا  
لك كل ما تطلبه دون أسئلة ... ضحك  
بهدوء يقول ... (أحسن صنعا ... سأنتظر تاك  
القائمة ... يمكنك الانصراف ... شيعها  
بنظرة ساخرة، يهمس لنفسه ... (سنرى من  
تكونين يا ممرضة فجر ... استدار زافرا  
يظن نفسه سيقع في ساعات الملل، حتى  
تستيقظ إلا أنه ابتسامته الساخرة أحدثت صوت  
معبرا، ينحني لها بشكل مسرحي، ويقول تحت  
أنظارها المرتعبة ... (مرحبا ... بالسيدة البريئة

وأولى كل اهتمامه إلى الممرضة ... (متى يبدأ  
دوام الممرضة فجر؟) ... قطبت جبينها تسأل  
بعدم فهم ... (عفوا؟) ... رفع وجهه مضيقا  
عينيه، يسأل بشكل صريح ... (لا توجد هنا  
ممرضة اسمها فجر أليس كذلك؟) ... جعلت  
دقنها باستغراب ثم ردت بنفي قاطع ... (أعرف  
كل الممرضات في المشفى بأكمله ... ولا  
واحدة منهن تحمل اسم فجر ... قد يكون  
اختلط عليك الأمر!) ... اقترب يقف أمامها  
قائلا بمزاح ... (آه دعك مني ... بدأت أكبر  
وأنسى كثيرا ... قد تكون مريضة هنا وليست  
ممرضة!) ... (لا زالت تجعد في ملامح وجهها  
تذكيرا، فسحب أوراق ماليتها، يمدها لها، ويحثها  
حين خجلت أن تمسكها ... (خذي ... لا تخجلي  
... كان الله في عونك .. فأنا متأكد من

...ويتوجعون ...)... نطق آخر جمالته بشيء من  
الوجوم، سريعا ما ألقى به خلف ظهره وهو يعيد  
حدقتيه إليها، قائلا بسخريته المعهودة  
....(لكن طبعا نحن بارعون في علاج بعضها  
...واخفاء ما فشلنا في علاجه ...)... هز كتفيه  
بخفة يقرب حافته عكازه من عينيها، يحركه  
برتابته متمهلة فتتبعه بتركيز على الشكل  
المنحوت عليه.... (نقضي سنوات طوال في  
الدراسة ...حتى نتعلم فعل ذلك ... وفي بعض  
الأحيان نفلح في علاج الغير أبرع من أنفسنا  
....)... رفع عكازه بشكل مستقيم، فرفعت  
وجهها مع حركته، وسألها يدعي التلقائية  
....(هل حقا خنت زوجك؟؟)... (لا أعلم....)...  
ردت بصدق، جعله يبتسم وهو يستأنف تحقيق  
عملي مبطن بحوار تلقائي... (هل تحبين

....شكرا لأنك استيقظت .... لأنني لا أحب  
الجلوس بصمت .... الهدوء يثير جنوني ...)...  
مسحت على مقلتيها بضعف، فتشجبت ملامحها  
بألم لترفع قبضتيها مصدره تتفقدهما، وهو  
يسترسل بنبرة ممتعضة، ويرفع نفسه على  
السريير بالقرب من رجليها المدثرة بغطاء،  
لتصحب النبرة الممتعضة آهت وجع من رجله  
.... (انه طبع في منذ الصغر... آه... او  
يمكنك القول عقدة ...)... نظر إليها  
يستدرك بتهكم، وهي ترمقه ببلاهة... (أعلم  
ماذا ستقولين؟ كيف لطبيب نفسي أن يعاني من  
عقد؟؟)... .. حرك عكازه يلهو بحافته  
مكملا في ثرثرته، وهي تنصت إليه بصبر لا  
تمالك غيره... (دعيني أخبرك إذن.... أن  
الأطباء النفسيين بشر.... يعانون ويتألمون

زوجك؟) ... (جدا.... إنه رجل حنون ...)  
(بل حقير خائن !!) ... أجد البروفيسور  
وعكازه يطير من يده، بعد أن ضربته بيدها،  
تنطق بحقد يشع مع جحوظ مقلتيها الواسعتين،  
فقال وهو يرفع حاجبيه باستهزاء .... (أهلا ...  
ببطلت ... \*exorciste\* ..) .... استقام على  
رجليه بروية، مرتكزا على الصحيحة يستطرد  
بنفس التهكم .... (كنت مستمتعا بثرثرتي  
مع جانبك.... ال.... بريء ....) ... زمجرت  
بغضب، تهتف بامتعاض .... (بل انت من كان  
يثرثر .... تلك الضعيفة رغم خنوعها إلا انها  
لم تتحملك ...). ضحك البروفيسور بصخب  
وهو يدنو منها قائلا بسخرية، انسلت منها  
الضحكة ليحل محلها الحزم ... (يبدو انك  
أصبحت تراقبينها ... لماذا يا ترى؟؟ .... إن

كنت تريد الظهور لما تختبئين خلفها؟؟....  
هل هناك من يشعرك بتهديد؟؟) .... ارتد إلى  
الخلف بخفة وهي تصيح باهتياج .... (أنا لا  
أخاف أحد .... لست هي .... هل تسمعي .... لست  
هي!! ...) ... تمنعني في استفزازها وهو يشير بيده  
في الهواء قائلا باستخفاف متعمد .... (من ينهي  
حياته بنفسه سوى جبان بائس !!).... خائف من  
المواجهة!! ...) .... أومات مندفعته تهتف  
بهستيرية، علم أنها قد تسبب لها بمضاعفات  
هي بغنى عنها ولا تتحملها صحتها الواهنة،  
فأسرع ليحقن الكيس بمهدئ... (أنت لا تفهم  
.... كلكم لا تفهمون .... أنا عاقبتهم  
.... كلهم .... بقيت هي فقط ... يجب أن تعاقب  
.... كلهم عاقبتهم واحدا واحدا .... أنت لا  
تفهم!! ...) .... التقط عكازه، بعد أن تأكد

قسم القلب والأوعية الدموية ....

لم يفارقها وهو يشعر بالعدائية في الأجواء،  
منذ دخولهما، يستثني والداي الفتاة. يكاد  
يجزم بالأسئلة الناطقة بها مقلتي والدها  
المنكمشتين من الوجد على ابنته ، أكثر منه  
غضبا. مال على أذنها يهمس بخفوت ... (عليك  
بوالدها .... أظنه سيستجيب لك ... ) ... أموات  
تجيبه وهي تتهرب من النظر إليه .... (أعلم  
... لكن كيف؟؟ ... مع كل هؤلاء الجنود  
المحاصرة ... ) ... ابتسم بخفتة يخبرها بنفس  
الهمس ... ( الهجوم أفضل وسيلة ... وهذه فرصة  
لبث الشكوك بخصوص التهمة الموجهة  
إليها ... وزعزعة اليقين المترسخ في مقلهم

من استغراقها في النوم، واتكأ عليه يقول  
بسهو حزين غريب على وجهه، يخلو من اي  
لمحة للسخرية أو التهكم.... (سنفهم يا مريم  
..... أعلم أن كل ما تفعلينه فقط لبعث رسالت  
تَظَلُّمٍ .... لا غير ..... لكن يجب علينا فهمها  
جيذا .... كي نستطيع مساعدتك ... ).  
\*\*exorciste.... فيلم عن فتاة يسكنها  
الشیطان.

.....

تصنيف من رمي الاعتراف

تدخلت شقيقتها تقول بحقد ... (فلتدعوها تفلح  
 في قتل نفسها ... الموت أفضل لها من الفضيحة  
 التي جلبتها على نفسها !)... شهقت طائعت  
 من هول العبارة، لتكتشف انها لم تكن  
 الوحيدة فقد سبقتها والدة مريم، ترمق ابنتها  
 الأخرى بعتاب وهي تذرف دموع الحسرة  
 والحزن، لتستدرك باستنكار ... (ماذا أمي؟؟...  
 هل سيضعف قلبك امام ذكر اسمها مجددا  
 ؟؟... ها؟؟؟... هل ستقنعكم بتمثيلها البريء...  
 وتصدقونها بعد كل ما اقترفته عليكم  
 وعلي؟؟؟)... أجهشت والدتها بالبكاء تخبئ  
 وجهها بكفيها، ووالدها يرمقهم بجمود،  
 فسحبت ابنها ذي الثلاث أعوام تنهي حديثها  
 بتوعد وهي تغادر بهرولت ... (أقسم إن فعلتم  
 ... لن أخطو بيت العائلة بعدها ... ولتنسوا بأن

... حذقت به فأسدل جفنيه مؤكدا،  
 لتلتفت قائلة بجديتة ... (عمي عبد السلام  
 ... مريم مريضة جدا .... وقد يكون كل ما  
 اتهمت به زورا ... كانت مجرد ثانية تلك  
 التي حل فيها صمت بفعل الصدمة، تلاته  
 صيحات استنكار، من شقيقتيها وحتى شقيقها  
 الأصغر، وبعض ممن حضروا ينتمون للعائلة. رفع  
 اسماعيل يده ببرود جعلهم يباعون ألسنتهم من  
 هيبة حضوره التي يفرضها بنفسه قبل اسم  
 عائلته ... (دعوها تكمل من فضلكم ... فلم  
 نكن لنحتجزها هنا في القسم النفسي ... لو لم  
 تكن مريضة ... )... نظرت طائعت الى والدها  
 الذي تغضنت قسماته بتجعيداتها، تقول بتوسل  
 ... (من فضلك عمي ... أنا احتاج لكل معلومت  
 قد احصل عليها منكم ... كي نساعدنا ... )...

بجواره تكفكف دموعها.... (اسألني ...)...  
 نطقها بجمود، فاقتربت منه طائعتا تسحب  
 مسجلا صغيرا.... (كيف كانت مريم في  
 صغرها؟؟).... غامت مقلتيه إلى البعيد حيث  
 الصراع حُسم لحنين أضناه الزمن ببلاياها، يقول  
 بحزن غائر... (لا أستطيع أن انكر اختلافها....  
 ذكيتها... متمردة منذ صغرها... تأخذ حقها  
 بنفسها... وكل الجيران يشكونها إلينا... حتى  
 إن لم تقدر على عدوها بالمواجهته.... تغلبه  
 بالحيلته... (لا يدري كيف تسلل شبح  
 البسمة ليتسلق التجعيدات على جانبي فمه،  
 يسابق تلك اللعنة في حدقتيه كأثر لفخر لا  
 تزال أطلاله شامخة، لمن أراد النحيب بين  
 جدرانها... (ولن انكر فخري بها.... دائما ما  
 كانت مريحة لي من كل مشاكل اخوتها...)

لكم ابنته اسمها سمية... (تحركت  
 شقيقتها الأخرى تقول بتردد وهي تنسحب  
 خلفها... (إنها محقة.... إذا كانت مذنبته  
 ... فيجب ان تعاقب... لا اقصد الموت... لكنها  
 يجب ان تعاقب...).. منح إسماعيل نظرة ذات  
 معنى لزوجته، فابتسمت بحزن قبل أن تستأنف  
 حديثها... (أريد اجوبته لبعض الأسئلة وسأغادر  
 ... وأعدكم بعدم ازعاجكم بعد ذلك...)  
 انزعجت هي من الغمغمات الساخطة، فتنفست  
 تستجلب لنفسها الهدوء، لتستدير الى العم حين  
 تحدث بحزم وإن شابه بعض الوهن... (عودوا إلى  
 منازلكم.... ساعة الزيارة انتهت.... هيا ارحلوا  
 قبل أن يطردوكم... شكرا على سؤالكم  
 ... سالمكم الله من كل شر... (غادر الجميع  
 باستثناء زوجته، التي جلست على المقعد

لم تكن تطلب ثيابا جديدة...ولا أدوات  
مدرسية كل أسبوع...كما أنها متفوقة في  
دراستها...حتى دراجتاً هوائية لم تطلبها  
كشقيقتها...حين نجحت الى الاعدادية...  
مع أنها تساعدهما في إصلاح خاصتهما  
...وكانت تسير المسافة على قدميها...دون  
اعتراض يذكر...قوية...تعترض على ما لا  
يعجبها...وتدافع عن ما تؤمن به....)... تدخلت  
زوجته، تقول بحزن اشتبك ببسمة متسلية  
فقدمت لوحته غريبة، على وجهها الدائري ذو  
الوجنتين الممتلئتين كابنتها.... (كانت  
تقضي حوائجها بالحيلة.... فملابسها دائما  
نظيفة وشعرها مصفف بأناقة قبل أن ترتدي  
الحجاب....وقليلا ما كانت تكمل الطريق على  
قدميها الى الاعدادية وحتى الثانوية والمعهد

بعدها....).... ابتسمت طائعتة تقول مؤكدة  
... (أنا فعلا اذكر ذلك..... دائما ما تستقل  
دراجتة هوائية مع إحدانا بالتناوب....تجلس في  
الأمام وتمسك بالمقود... وتقترض الملابس ..)  
....هزت كتفيها تكمل بحنين لأيام يجهل  
المرء بمدى قيمتها، حتى يتجاوزها وتصبح  
ماضيا غابرا.... (لكنها كانت عادة بين جميع  
الفتيات حينها....يتبادلن الملابس فيما بينهن  
....).... نظرت إلى زوجها، لتجده يرمقها بتمعن  
ساهر فاحمرت تفر إلى السيد عبد السلام  
تستدرك بحيرة.... (هل لاحظتم في وقت ما  
أنها تغيرت؟....ربما...سلوكها!!...طريقتة  
حديثها!!....أي شيء؟....).... صمنا بتردد  
لاحظاه كلاهما، فقالت مجددا لتحثهم... (عن  
نفسي...حين راجعت ذكرياتي معها....

اكتشفت أمورا محيرة .... تناقض في شخصيتها  
...وموافق غريبة .... خصوصا ...الثلث سنوات  
في الثانوية ....على سبيل المثال علاماتها  
الدراسية .... تكون في تسلسل متفوق  
لتفاجأنا بعلامته متدنية جدا ..... مرات أجدها  
تناقش في الدرس كأستاذة محترفة ....وأحيانا  
أخرى تحديق ببلاهة كأنها لم يسبق لها أن  
درست ....) ... تناظرا السيد عبد السلام وزوجته  
بتوتر، فقال الأول بوجود ... (بدأ الأمر بعد موت  
عمها .....سنة قبل الوقت الذي ذكرته.....)  
رمت زوجها بنظرة خاطفة، قبل أن تسأل بريئة  
... (السيد عبد الحي رحمه الله ؟؟) ... أوماً  
بحزن، فنطقت زوجته باكية .... (هي من  
وجدته بعد ان شقق نفسه في إحدى غرفتيه  
التي اتخذهما سكنا له ....وعزلهما عن بيت

العائلة .... منذ ذلك اليوم ...وأنا أشعر بها على  
غير عاداتها .....) ... نحبت ترمق زوجها بلوم  
تستدرك بلوعة ... (أخبرتكم ان ما في عمها  
قد انتقل إليها ... ولم تصدقني ....أردت أخذها  
الى شيخ ....ورفضت ذلك بشكل قاطع ...)  
مطط زوجها فمه بامتعاض يرد بجفاء ..... (من  
أين تأتي بالمال يا امرأة.... ونحن بالكاد نوفر  
قوتنا .... ثم أنا لم ارى منها ما يدل على مس أو  
تلبس .... كل ما لاحظناه ... بعض النسيان  
والتردد في المواقف .....) ... أوقفته طائعتاً،  
تسأل بجديتة .... (على مهلك عمي ..... ماذا  
تعني بالتردد؟؟؟؟) ... لوح بيده في الهواء  
يرد بانزعاج .... (كانت ترفض بشدة أن تساعد  
والدتها في العمل لدى النساء الميسورات .....  
فزوجتي لطالما ساعدتني ولا زالت .... بعملها



التفتوا إليه فاستدرك بثبات....(أقصد هل  
كان لها نفس الموقف؟؟)... تولى السيد عبد  
السلام الرد بحسرة ظاهرة على وجهه....(حدث  
نفس الشيء....في قرار الدراسة الجامعية  
....والخطوبة الأولى...كان قلبي يشعر بقدوم  
مصيبة....لكنني تجاهلت ذلك.... لقد  
كنت مرتاحا لتخاصي من المسؤولية... فلم  
يبقى سوى شقيقهن الأصغر..... أنايتي منعتني  
من رؤية ما هو محتوم....فلقد رأيت من قبل  
....وأغمضنا عليه أعيننا....وصمنا عليه آذاننا  
....حتى فجعنا بمصيبة هزت عائلتنا كلها...  
ولم نتعظ....).... صمت حين اختنقت أنفاسه،  
يمسد على موضع قلبه، فقام إليه اسماعيل  
يجس نبضه، ويفحصه قائلاً بقلق....(هل أطلب  
الطبيب كي يطمئن عليك؟؟).... رفض بهزة

كعاملة نظافة المنازل بشكل دوري...)  
أومات طائعتة تقول باحترام....(اعرف ذلك  
عمي... أعانها الله.... واذكر ان مريم  
تصاحبها.... لقد رأيتها مرات عدة...)  
السيد عبد السلام مفسرا... (هذا ما أقصده  
....فاجأتنا يوما بموافقته على مساعدتها  
...لكنها في اوقات كثيرة كانت تصيح  
بغضب.... أن لا تطلب والدتها منها المساعدة  
مهما حصل....).... هزت زوجته رأسها بتأكيد  
تكمل عنه....(حتى أنها جعلتني أحلف يوما  
على ذلك.... فأخبرتها أنها هي من تتبعني  
....فتوسلتني ان أمنعها حتى لو كانت هي من  
طلبت....).... عضت طائعتة شفتها تجعد  
جبينها، لتجفل على نبرة من لم يخفى عليها  
حضوره المهييب....(ماذا عن زوجها؟....)

(....) ... ضربت والدة مريم على صدرها تهتف  
بجزع ....(هل هي مصرة على قتل نفسها؟؟؟.....  
يا ربي ارحمني ...كيف تقولون أن ما بها ليس  
مسا؟؟؟...فما كان بعمها قطعاً جن سكنه  
وكان يتلبسه فيتكلم بلسانه ويتصرف حسب  
أوامره .....) ... زفرت طائعتاً تقترب منها وهي  
تطلب التفاصيل، فأقناعها بما لم يتوصلوا فيه  
إلى نتيجة نهائية، مجرد ضياع للوقت  
.....(أنسى ذلك الآن يا خالتي ....واخبريني عن  
الجامعة..... والخطيب الأول .....) ... استقام  
اسماعيل في وقفته، بعد ان تأكد له استقرار  
حالة الرجل، والسيدة تفسر ....(انت تعلمين  
أنها من المتفوقين .....وكان حلمها الطب ....  
أقنعت والدها بضرورة اكمال تعليمها حتى لو  
كافها الأمر عملاً كعملي كي تصرف على

من راسه ونظر إليه متوسلاً يسأله بوجع من  
يتأذى في ناره، يشتاق لنسمة ربيع  
منعشت.....(أخبرني بالله عليك أنها لم تفعل  
الرديلة؟؟؟.... أنا ربيتها على الأخلاق والخوف من  
ربها ...أقسم لك .... أتوسل إليك.... اخبرني  
أنها ممسوسة او حتى مجنونة فقدت عقلها  
.....أهون علي من ان تكون زانية ....منحلت  
.....) ... أمسكه اسماعيل على كلا كتفيه،  
يرد بما تأكد له من خلال فحصه الأولي  
.....(ابنتك مريضة يا سيد عبد السلام  
....هذا أمر أكيد ....وما بها لا علاقة له بالجن  
او المس ...بل هو نفسه ما كان بشقيقك  
رحمه الله ....ونحن الآن في صدد التحقيق  
للتوصل الى علتها بشكل أدق.... كي نستطيع  
معالجتها ....قبل ان تفلح في انهاء حياتها

حالتها في الغد الى نحيب وبكاء على فقدان  
خطيب تحبه .....). ... حل عليهم صمت مريبك،  
فقال اسماعيل ببرود .....(أظن أننا اكتفينا بما  
سمعناه ..... كما يجب عليك النوم سيد عبد  
السلام ..... لكنني سأقول أمرا أخيرا .....). ...  
حذق به وقد علت ملامحه بعض الخجل، ينصت  
الى نبرة فيها من اللوم ما هو متوار خلف الهدوء  
الصقيعي .....(أنت لم تمنح شقيقك فرصة  
كي تعرف ما به ..... لكنك ابنتك ولحسن  
حظك لا زالت على قيد الحياة ..... فلك الخيار  
يا سيد عبد السلام .....). ... أشار لطائعتي كي  
يفادرا، فهتفت حين تذكرت .....(آخر سؤال  
..... الخاتم! (...). ... قطبا جبينيهما بحيرة،  
فاستطردت .....(إنه خاتم على شكل أوراق  
الشجر ..... يشغل اصبعي .....). ... قاطعها السيد

دراستها .... لكن بين ليلته وضحاها .... غيرت  
رأيها واكتفت بالمعهد ..... ولازلت اذكر اليوم  
الذي استيقظت فيه غاضبة ترفض التحدث لأي  
احد ..... وحين ألححت عليها بالسؤال ....  
اجابتنى بمرارة أن جميع أحلامها ضاعت وراحت  
أدراج الرياح ..... أما الخطوبة ..... فالشاب  
المسكين كان متيما بها ..... مرات توافق عليه  
وأخرى تسب أسلاف أسلافه ..... إلى أن اتفقا  
أخيرا ولم تسع الفرحة الشاب الذي أقام حفلا  
لإعلان الخطوبة ..... وتكاف هدايا كثيرة .....  
لنصدم يوما بشجار عنيف بينهما ... بسبب شاب  
آخر يدعي أنها تصاحبه ..... طبعا نحن صدقنا  
دفاعها عن نفسها وكذبنا الشاب وطردناه  
..... تلك الليلة اقسم انني لمحت سرورها  
وضحكها كأنها انتصرت في حرب ..... لينقلب

عبدالسلام يرد بنفس حيرته....(السبابة  
والابهام .... لا أعلم....أذكر أنني سألتها  
وأخبرتني أنها اشترته من بائع خردة متجول  
...بدراهم معدودة....)... أومات بخيبت،  
فتدخلت زوجته قائلة بانزعاج....(أكره ذلك  
الخاتم... لأنه دائما ما ترتديه حين تحصل  
المصائب....)... أمسك اسماعيل يدها، فشقت  
بين شفتيها لتدخل الهواء الذي انعدم من  
صدرها بغتة، وهو يقول باظف... (شافاك الله  
وعافاك....اعتني بنفسك سيد عبد السلام  
...سيدتي...)... أوما للسيدة، فقالت تحاول  
تضادي التأثر من لمسة يده الدافئة، ورقي  
معاملته....(شفاك الله يا عمي...إلى اللقاء يا  
خالتي...)... أغلق الباب من خلفها تسأله  
بخفوت، ويدها لا تزال رهينة قبضته... (ما

رايك؟؟)... ابتمس بخفتا، يرد بهمس بعث  
بقشعريرة الى صدرها....(أظنك قد حققت  
مبتغاك يا دكتور...)... بادلته البسمة  
بصدق، فاستدرك بمكر....(على الأقل...  
مقلتيك استعادتا توهجهما...)... بللت شفتيها  
تفر من حصار بنيتيه، وهو مسترسل في همسه  
....(لكن هذا لا يعني أنني سأستسلم...بل  
سأح عليك حتى تخبريني بعلتك هذا  
الصباح....)... التفتت إليه تقول بخجل، بعد  
ان رمت ساعة يدها بنظرة متفقدة... (لا وقت  
لدينا الآن.... يجب ان أسرع في العودة إلى البيت  
كي أطمئن على تجهيز الخالتي شمة للعشاء...  
(...هز رأسه دون أن يتخلى عن بسمته الودودة،  
وقال وهو يضغط على كفها برقته....(إذن سأمر  
على مريم لأتفقدتها وأوصي الممرضة على

مراقبتها.... ثم ألحق بك برفقة البروفيسور  
...).

.....

مصنع المرابط ...

لاحت منه نظرة الى جليسه المرتبك، فقال  
بحيرة.... (هل لديك عمل ما أوخرك عنه  
ياسين؟.... أعلم أنني أتيت على حين بفته  
...). ابتم برسمية يجيب برزانتة... (أبدا يا  
حاج ... لك كل الحق بالقدوم متى شئت  
... فهذا مالك وما لك ... أسأل الله أن يقدرني  
على حسن حمل الأمانة ...). ربت على يده  
يقول بوجوم ... (أنت رجل أمين يا بني ....

والدك محظوظ بك ... وأنا صدقا أحبك...  
واحمد لله الذي رزقني بك سندا .....). تجعد  
ما بين حاجبي ياسين، يلحظ الكآبة على  
ملامح الحاج، فقد كان مشغولا بالتفكير في  
حفصة وتمنى ان يراها قبل ان تنصرف، لكن  
قدوم الأول حال بينه وذلك. .... (ما بك يا  
حاج؟... الحزن على وجهك باد ...). حدق به  
للحظات وفكره ساهم في ما اقترفه في حق  
ابنته، يتساءل هل حقا كان الأمر يستحق زيادة  
الفضوة بينه وبينها، لطالما كانت نعيمة فتنته  
الأكبر، وجال فكره على كلمات آية  
عظيمة، قليلا من يعلم معناها الحقيقي ..... :  
(يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم  
عدواً لكم فاحذروهم وإن تعصوا وتصفحوا  
وتغفروا فإن الله غفور رحيم \* إنما أموالكم

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ  
 [التغابن:١٥]. .... فمن أجلها ترك زوجته هي من  
 دفعته دفعا كي يتزوجها، لا شأن لها ولا ذنب  
 سوى أنها وافقت عليه بسبب فقرهم، خصوصا  
 حين قابلت زوجته وعلمت انها من اختارتها.  
 تعمق في فكره اكثر يسترجع ذكرياته مع  
 تلك الفتاة التي اخذت ابنته منها الكثير،  
 طاعة عمياء وطيبة قلب نادرة. عاملته بحنان  
 حين عاشرها، وحتى بعد أن انجبت ابنته،  
 واثارت نعيمة تحذره أن نسله لم يكتب له سوى  
 الإناث مهما تزوج وأنجب، وأصبحت تمنعه من  
 زيارته لها التي قلت مع الوقت الى أن انعدمت  
 كليا، كانت تستقبله بود في المرات  
 الشحيحة التي رآها فيها، حتى علمت نعيمة  
 وأصرت عليه بالانفصال عنها بشكل نهائي. لا

ينكر ضميره الصارخ بين الفينة والأخرى  
 تجاهها وابنتها، لكن مشاغله ومسؤولياته أثقلت  
 كاهله بالفعل، فكان يستجيب لتبريرات  
 نعيمة، ويقنع بها نفسه بحزم. زفر بقنوط يتهم  
 نفسه بقسوة أنه مجرد أناني لعين، ظلم امرأة  
 ماتت قبل أن يحصل على غفرانها، وها هي أخرى  
 سيظل يبعدها عنه بغبائه الى أن يجيئ يوما  
 يستحيل فيه تحصيل غفرانها هي الأخرى.  
 فحسن أخلاقها، وقلبها الطيب أبدا لا ينفي  
 تلك النظرات اللامعة بلهفة كلما قابلته،  
 كفتاة صغيرة تتوق الى معانقة من والدها،  
 وكلمات دلال مع سكاكر مخبأة في جيب  
 سترته، لتعي على الواقع المرأنا قد كبرت  
 وفات الأوان على ذلك، فتنضح الخيبة بلآلئها  
 العتمة تسبح على سطح بحريها البنيين، مع

هو أكثر من حقهم بكثير...)... تلكاً  
يحرك كفه مستدركا، والآخر ينصت  
باهتمام ... (أتمنى أن لا يضيع مجهودي وأسلافي  
في بناء هذا المصنع... ويبقى شامخا باسمه  
المرباط ... فمجيد لا اثق به كما لا اثق بباقي  
الشباب من أبناء ابناء عمومتي .... لأن لا احد  
منهم كبر هنا... ولا تعلم معنى الانتماء إلى  
الجبل والصبر على قسوته وصلابته.... لذا  
فكرت في ترتيبات قد تحل مشاكل عدة  
... فالعمر غير مضمون وأريد القليل من الراحة  
لقلبي ... مع أنني أشك في حظوتي بأي راحة  
بعد كل ما اقترفته على نفسي .....) ... لاذ  
بالصمت يلتقط أنفاسه، فقال ياسين وهو يقوم  
من على مقعده ليجاوره على طاولة  
الاجتماعات، يمده بكاس الماء.... (هون

قبس نور خجل يومض بأمل لا ينطفئ. أمل فيه  
هو، ان يصبح يوما رجلا بما فيه الكفاية  
ليأخذها في حضنه، كفتاة صغيرة لن تكبر  
إلا بعد أن تنال عطف والدها.

... (حاج...!!؟؟) ... نداء مجددا، يستغرب سهوه  
الواجم، فنظر إليه يمطط شفثيه كبسمت لم  
تصل إلى أبعد من شفثيه، يقول بهدوء ... (لا  
عليك بني ... إنها فقط هموم تزداد مع مرور  
السنوات... كنت قد اتخذت قرار وأريد  
استشارتك فيه ... )... أوماً له بخفت ينتظر،  
فاستدرك ممهدا قبل ان يصل لهدفه ... (أنت  
تعلم أن لدي ابنتان كلاهما ... لا تهتمان بعمل  
المعادن ... وفي نفس الوقت هناك في عائلتنا  
طامعين ينتظرون الفرصة كي يستولوا على ما

كل الأراضي التي ضمنتها إلى مواقع عملنا  
...أنا لم أفعل شيئاً سوى الحفاظ عليك من أجل  
المصنع ....فمثل خبرتك وجدارتك لن يصعب  
عليه فتح مكتب للبحث عن المواقع المناسبة  
للتنقيب ....وكنت لتنجح في ذلك ....  
فاعتبرها عمولة مناسبة لتقبل احتكاري لك  
.... )... هدا ياسين يمنح لنفسه المجال ليفكر  
بعقلانية في اقتراحه المنطقي، فأردف الحاج  
بجدية ... (لكن لي طلب يا بني .... أتمنى أن  
لا تخذلني ...). رفع راسه يرمقه بوعده من  
عينيه الحازمتين قبل لسانه الصادق ... (اعوذ  
بالله أن اخذل ثقتك يا حاج ....). ابتسم له  
يقول بلطف ... (أمين يا بني ..... كل هذه  
الترتيبات يجب ان تبقى طي الكتمان ....حتى  
يتوفاني الله ...). (أطال الله في عمرك يا

عليك يا حاج ....لما كل هذا اليأس؟؟)...  
ارتشف ما بالكأس كي يطفئ الحرارة في  
أحشائه، يجيب بحزن .... (ليس مهما بني ...افتح  
ذلك الملف واسمعي جيداً ....). أخذ الملف  
ليتفقد، دون ان يفقد تركيزه على حديث  
الحاج زكريا المسترسل... (قمت بتقسيم  
الأسهل بين ابنتاي ونعيمته وأبي حسب الشرع  
.... ثم كتبت حصراً من الأسهل الباقية  
باسمك أنت... بحيث تشكلون أكبر نسبة  
...من أجل الهيمنة في اتخاذ القرارات ...).  
تقوس حاجبي ياسين بشدة يهتف بصدمته  
... (أسهل باسمي أنا؟؟.... لكن ....يا حاج ..).  
هم بالاعتراض، فأمسك يده يدلي بحجته  
.... (اسمع ياسين ....العمل الذي قمت به في  
السنين الأخيرة ... يؤولك لتكون شريكا في



مساء ... منزل الرزقي ..

مال بجذعه مسندا دقنه بكفه التي يرتكز  
بمرفقها على حافتة الأريكة، يرمقها بشك  
وهو يقول رافعا حاجبه الأيمن.... (لما لا أصدق  
قصة عامود الكهرباء تلك؟؟) ... ارتمت  
حفصة جوارها على الأريكة المقابلة تهتف  
بتأكيد... (وأنا أيضا ... لا أصدق ...). زفرت  
براء تبعد قليلا وهي ترد بحنق تدفع به  
توترها... (هذا ما حدث ... ألم تطلبوا مني مرارا  
... اخذ عطلة ... ها أنا ذا... عشرة أيام كاملة  
فوق رؤوسكم ... ولنرى إلى متى ... ستتحملون!!)  
..) ... ضحك والدها بسخرية يقول  
... (تتحملك؟! ... لما تشعريني بأنني والد

حاج ... لا مانع عندي إطلاقا.... حتى لكي  
تعيد التفكير جيدا ...). ... أمسك يده يشد  
عليها بحزم وهو يقول .... (لن اندم على ثقتي  
التي وضعتها فيك يا بني ... فقط عدني ان  
تصون مال ابنتاي وحقبيهما .... وتحافظ على  
اسم المرابط يحملة المصنع حتى بعد وفاتي  
...). ... ربت على يده التي يمسك بها كفه  
الأخرى، يعده بيقين.... (الله أعلم بالأعمار يا  
حاج ... لكنني أعدك بكل ما طلبته مني  
... لن اتوانى في الوفاء به ... ما حييت ...). زفر  
الحاج زكريا، يفكر أن حملا واحدا قد انزاح  
من على كهله، وينتظره الكثير بعد، داعيا  
الله ان يمد في عمره لأجل ما بقي من أثقاله.

.....

سيئ؟)... انتفضت تلقى نفسا على صدره،  
فضمها إليه مبتسما بحنو، يتخلله القلق. فقد  
تفاجأ حين أطلت عليه بذراع مربوطة، وسحنت  
شاحبتة، كما توتر نبرتها الواثقة دائما وهي  
تقص عليه أمر الحادث الذي لا يصدقه إلى  
الحين.... (أحبك أبي... أدامك الله فوق رأسي  
...). ... ضحك عاليا، ووالدتها تدخل عليهم  
بالشاي، تلفت انتباههما إلى حفصة بطرف  
عينها، وهي تقول بمزاح... (يا سلام... ما كل  
هذا الحب؟؟)... انسلت براء بخفتة، تبتسم  
بتردد، وهي تلمح نظرات حفصة الساهمة مع  
بسمتها المتأثرة بما حرمت منه مدى حياتها،  
ليهمس عمر لنفسه بحسرة... (أود يا ابنتي لو  
استطيع معاملتك كبراء... والله شاهد على ما  
في صدري... لكنه قانون شرعه الله... ولا يحل

لي حتى لمسك... كما أصبحت أخشى عليك  
من أسنّة الناس الحاقدة.. لا تعرف الرحمة...  
يا ليتني استطعت تلين عقل والدك...)..  
أجفل على ربتة من يد ابنته، تناوله الشاي،  
وهي تسأل حفصة... (هل فكرت في أمر ذلك  
الرجل؟؟)... عاد الوجوم يستوطن ملامح وجهها،  
وهي ترد... (سأقابله.. بإذن الله سأفعل.. وأهلي  
أيضا...).. ... حركة براء كتفها بتمهل، تعادل  
في جلوسها وهي تقول بامتعاض... (فكرت في  
الأمر ووجدت أنه من الأفضل لو قابلتهم...  
أفضل وسيلة للفوز هو الهجوم المباشر...)..  
التفتت بسرعة على إثر ضربتها خفيفة على  
رأسها، تبعها حديث والدها المرح... (إذن  
تعترفين برجاحة حكمتي في النهاية...)..  
اتسعت بسمتها تخطف قبلة من على وجنته

الآن براء تستمتع بدلال والديها كطفلة  
صغيرة، مع أنها تكبرها بأربع سنوات. فتظن أن  
كل التفاتة شفقة أو احترام من السيد عمر  
والسيدة أمينة تجاهها، حبا لها كابنتهما براء،  
وهذا شيء لن يحصل أبدا، مهما مداها بالحنان  
والاحترام، فهي ليست ابنتهما ولن تكون  
فأهلها على قيد الحياة وإن عاشت يتيمة  
... (هيبييه!! انا احدثك يا فتاة...)... تنبتهت  
حفصة من سهوها، ترمقها باستفسار  
فاستدركت... (لقد أصدر قرار جماعي... نحن  
سنذهب معك...).. تقوست حاجبيها بدهشة  
تحقق بهم، فتدخلت السيدة أمينة وهي تقوم  
إلى جوارها، وتضمها برقة... (نحن أهلك يا  
ابنتي... وأنا لن أفارقك... يجب ان أتأكد من  
أن أحدا لن يؤذيك...).. دمعت مقلتي حفصة،

تقول بمشاكسة... (وهل هناك في الوجود  
من يفوقك حكمتا؟... ووسامتا يا عمريا ابن  
الرزقي!!)... أوما بيأس، ووالدتها تضحك  
ببهجة، بينما حفصة تبتسم بتأثر وهي تتساءل  
في سرها لما لم تحظى بوالدين مماثلين.  
تنضت بعمق وارتشفت من الشاي تفكر أن  
الوالدين لا يستبدلان وقد نالت حظها من  
الدنيا، لكن الزوج، أسرع دقات قلبها ورجل  
وسيم بقصة شعر خفيفة كالحيته المشذبة،  
يغزو خيالها برزائته حتى في أشد حالات  
غضبه، وينبرته الأجشة الهادئة، تداعب  
أذنيها. فهل يحق لها التفكير فيه، ام انها  
أساءت تفسير إشاراته، وما تشعر به ليس سوى  
بسبب رغبتها الحارقة لقطرة حنان في  
صحراءها المليئة بالجفاء، تماما كما تراقب

عائلته كل ساهم في عالمه، فحاد بعينيه عن  
بكريه الغائمتين مقلتيه في تفكير عميق،  
يشعره بحدوث أمر غير الذي جد عليه منذ أن  
نسي أمر ابنة المرابط، إلى زوجته التي تنتفض  
كفار علق بمصيدة، يعلمها جيدا هناك  
حديث على طرف لسانها لا تستطيع نطقه في  
سابقة لم يعهدا فيها، تطرف بنظراتها  
الساخطة بتردد إلى رواح كل حين، فما علاقة  
رواح بما تكتمه من حديث ولما سخطها محير  
فيه بعض التردد. التفت إلى الأخيرة يرمق  
سهوها هي الأخرى وقلبه أصابه تغير نحوها،  
تلك النظرة المتعالية، وذلك الأنف الرفيع  
الذي أصبحت تحرص على رفعه بأنفة، يورقه  
ولا يستسيغه في شخص ابنته. لم يعهد فيها  
سوى الطيبة والتواضع، فهل سيضطر لكسر

وأحشائها تكذب ظنها الذي صرخت به لتو،  
بينما السيد عمر يضيف مؤكدا ... (لن  
نتركك أبدا ....حتى لو تصالحت مع أهلك  
...هذا بيتك ونحن أيضا أهلك ...). ابتمت  
من بين دموعها والسيدة أمينة تضمها أقرب،  
فنظرت إلى براء التي رفعت كلا إبهاميهما إلى  
أعلى كعلامة انتصار تغمز لها بتشجيع.

.....

منزل آل طالب ....

التفوا حول المائدة يتناولون طعامهم في صمت  
لا يقطعه سوى صوت مذياع نشرة الأخبار على  
القناة الوطنية. تأمل الحاج عبد الله أفراد



الانفراد بنفسه كي يفكر في طريقة يقترب  
فيها من حبيبته بشكل أسرع، وكل ما يخشاه  
أن تعود لزوجها أو اي شئ آخر يحول بينهما.  
متلافيا خلفه نظرات متبادلة بين الريبة  
والتهديد والسخط.

.....

منزل آل عيسى ...

(شرفتنا بزيارتك يا بروفيسور مختار...)  
نطق الحاج إبراهيم بترحيب، فأوما له  
البروفيسور يجيب بمجاملتة... (الشرف لي يا  
حاج ابراهيم... إنه منزل آل عيسى... من أعرق  
السلالات وأولاها التي قطنت جبال الجنوب

ذلك الأنف مع قناعها الجديد كي تعود كما  
كانت، زفر بقنوط يعود الى ملامحه زوجته  
المتشججة يحملها كل الذنب، يعترف بسوء  
اختياره لكنه القدر وما كان ليطلقها فهي  
رغم كل شئ تخشاه ولا تستطيع التقليل من  
شأنه أو احترامه. هز رأسه برفض وقال . ....(ماذا  
هناك يا ميمونتا؟؟)... رفعوا رؤوسهم مجذلين  
فضحك ساخرا يستدرك.... (بسم الله  
عليكم !)... تمتت ميمونتا وهي ترد  
... (ا...ا... لا شئ يا حاج...ماذا سيكون؟)...  
تأكد من ظنه يضيق مقلتيه متجاهلا كعاداته  
حتى يكتشف كل شئ بفراسته، ورواح ترمق  
والدتها ببرود مهدد... (أنت أعلم...والله من  
فوقكم عليهم خبير...)... قطب ياسين بعدم  
فهم، ثم قام يستأذن متعللا بالتعب، ينشد

(... تبسم الحاج بفخر، فتدخل ابراهيم قائلاً  
بأدب... (كم نتمنى لو نحتفظ بك يا  
بروفيسور... طبيب بمكانتك مكسب  
كبير للمشفى المركزي لمدينة الجبل...)  
ضحك البروفيسور بتسلية يرمق اسماعيل  
القاعد جوار شقيقه على الأريكة المقابلة  
مترقبا، فهو أعلم بشطحات أستاذه... (حينها  
سأنتزع رئاسة القسم من تلميذي... فهو صغير  
على المنصب... (حرك المعني رأسه بياس،  
يجيب بتواضع... (سيكون من حقك أستاذي  
العزيز.. فأنا ما حصلت عليه إلا بسبب فرار كل  
الأطباء المؤهلين لذلك المنصب... (ضم  
شفتيه يرمقه بمرح، وابراهيم يكمل مفسرا  
بحسرة... (كل المتخرجين حديثا المبعوثين  
هنا... لا يكادون ينهون المدة القانونية حتى

يسارعون في الهروب الى كبرى المدن... فقط  
أبناء الجبل من يودون الاستقرار فيها من يبقون  
... وكذلك يحدث في التعليم أيضا...)  
(للأسف... لكن لا تنكروا بُعد المدينة...  
كما طرقها الوعرة... يجب عليهم إيجاد حل  
لتلك المنعرجات الخطرة... (وافقوه يهزون  
رؤوسهم، وابراهيم يجيب بامتعاض... (قصة  
اصلاح تلك الطرق من بين سلسلة فساد كبيرة  
... (تنبه إليه البروفيسور، فاستدرك يضمر  
بخيبة... (بدل أن يجلبوا مهندسين بارعين  
ليضعوا حلا جذري... كحفر نفق يقطع الجبل  
... يقومون باستخراج ميزانيات لطرق يعلمون  
أنها أبدا لن تنصلح... بسبب الأمطار والثلوج...  
فكيف يقفلون على أنفسهم مخزن مال لا  
ينضب؟؟) ... وقف اسماعيل حين لمح طائعتا

..أتوق لمعرفة ما توصلت به ... فحالتها من سيئ  
لأسوء ... وكما أسرعنا في تحديد التشخيص  
... (كان افضل ...). صمتا ابراهيم وجده  
ينصتون بفضول، واسماعيل يقول بهدوء  
... (الحالة وراثية مع توفر الظروف ...). آمال  
البروفيسور رأسه بريبة يقاطعه ... (أحد في  
العائلة ... سبق وحمل نفس العوارض؟؟) ... هذا  
رأسيهما معا وقالت طائعة بحزن ... (أنا اذكر  
وفاة عمها السيد عبد الحي ... كان ثاني  
شخص يقتل نفسه في حيي ... وحسب حديث  
والدة مريم ... فهو كان مسكون بجن يجعله  
ينطق بحديث ويتصرف بتصرفات ليست له  
.... وهي تؤمن بأن ما كان فيه قد انتقل إلى  
ابنتها .... لكونها أول من وجدته حين شق  
نفسه ...). مال البروفيسور إلى الأمام على

على مدخل الصالون تحمل بين يديها صينية  
عليها الماء والعصير، ساعدها في تحضير  
المائدة ثم انصرفت تتركهم لتناول الطعام.  
بعد ساعة تقريبا جهزت طائعة الشاي وطلبت  
من الخالدة شمة وحق ان تنصرف كل واحدة  
منهما لترتاح، خصوصا الأخيرة التي لاحظت  
تعبها من وحمل الحمل وتكرار نوبات الاستفراغ.  
اتجهت إلى الحديقة، حيث نقلوا جلستهم  
وحطت بصينية الشاي على المائدة، فهمت  
بالانصراف حياء من الانضمام إليهم، لكنها  
جلست جوار زوجها، حين سألت البروفيسور  
... (كيف كان لقاءك بالأهل طائعة؟؟) ...  
(كما توقعت تماما ... لكننا لم نستسلم  
...). ردت، فجعد دقنه ثم قال ... (جيد جدا

مقعده مركزا كل حواسه مع حديثها، ينطق  
بجدية... (هي من اكتشفت جثته؟؟).. أومات،  
فتدخل الجد قائلا بوجوده... (هل تظنون أنه  
مس؟؟)... ابتسم البروفيسور كما الطبيين،  
يقول مستديرا الى الحاج... (في حالة مريم  
...اللبس أو التلبس أقرب لحالتها... فهي لا تعاني  
من مجرد اكتئاب مزمن مع وجع رأس أو أرق... أو  
العديد من عوارض أخرى... التي بالمناسبة في  
اغلب الحالات تكون عوارض علل نفسية... لأن  
كل شيء له علاقة بعالم الجن يزول بفضل  
الله مع القرآن... لكن العلل النفسية كالعلل  
العضوية فيها ما يستوجب تدخل طبي... وطبعا  
بإذن الله يساهم في شفاءه...). تحدث الحاج  
باستغراب... (إذا هل ما بتلك الفتاة لبس؟؟)..  
أراح ظهره على مسند الكرسي، يفسر (لقد

قرأت كثيرا في الأمر... وتتبع حالات جزم  
أهل الرقية بإصابتهم بالمس أو اللبس... لكن  
الصراحة نادرا ما تكون الحالة بالفعل... مس  
أو لبس... بل عقد ومعاناة نفسية بسبب البعد  
عن الدين... مع ضغوط المجتمع... حالة مريم  
قد يظن الكثير أنها لبس... فهي تظهر وجودا  
للشخصيتين متناقضتين تماما... احدهما...)  
تلكأ يهز كتفيه بخفة ثم أكمل، والجميع  
منصتين إليه بتركيز... (تصرف بوحشية  
تجعلك فعلا تظنها قوى خارقة... لكن  
...مهمم لا... ليس حتى أشد أنواع اللبس  
...حين يحتل جني بدن الانسان ويتحدث بلسانه  
لكن بنبرته هو.... ويفعل أمورا خارقة كحمل  
ثقل لم يكن ليحمله الإنسان المتلبس... أو  
يقفز بطريقة تفوق قوة الشخص المتلبس... الخ



... وحتى بوجود فقدان الذاكرة... إلا أن حالة مريم... نفسية... وعلى الأغلب وراثية... (لكن هز إسماعيل رأسه مت دخلا باستفسار... (لكن بروفيسور... لما لم يصب سوى عمها... ثم هي بالذات... لما ليس أكثر من شخص؟؟)... هم بفتح فمه فسبقته طائعة تقول بثقة... (قد يكونون كلهم مصابون... لكن في حالة ركود.... لعدم توفر الظروف المناسبة... فهناك أمراض تبقى راکدة... إلى حين توفر ظروف محفزة ينشط فيها المرض...)... ابتسما لها بإعجاب، فقال إبراهيم المنسجم معهم في الموضوع... (هل تكون الصدمة هي المحفز لديها؟... أعني حين وجدت عمها مشنوق؟)... أشار إليه البروفيسور قائلاً... (أظنه السبب الرئيسي لكن ليس الوحيد....)... التفت إلى

طائعة وزوجها يخبرهم شارحا... (إذا قلنا أنها ازدواجية الشخصية... فسنكون مستهينين بالأمر.... لماذا يا طالباي العزيزان؟؟)... تأهبا بحماس، وقد استرجعا مرحلة الدراسة وحس المنافسة.... (لأن الازدواجية تعني فعلا وجود أكثر من شخصية قد تصل لعدم معرفة صاحبه بتوفرها فيه... وذلك أشبه بنفاق اجتماعي غير أنه ليس بنفاق حقيقي... كأن تكون معاملة الشخص وتصرفاته تختلف من مكان إلى آخر... ومن أشخاص إلى آخرين.... فتجده يعامل أهل بيته بأريحية أو سلطوية على حسب... ثم يعامل الغرب باحترام شديد.... وقد يكون الشخص غير مدرك لتقلبات طبع نفسه... من شخصية إلى نقيضها تماما....)... نطقت طائعة بحبور، فاطسعت بسماتهم،

بل يظنونهم تلبس جن او شيطان...ويدخلون في  
متهاتات المشايخ ومن بعدهم الدجالين....إلى أن  
ينتهي المريض للأسف بقتل نفسه....) ... قطب  
ابراهيم وجده الذي نطق بقلق....(يا شافي يا  
عافي..... وهل الفتاة المسكينة مصابة بما  
تحكون عنه الآن؟....) ... لاذا الطالبين بالصمت  
يرمقان البروفيسور الذي سحب العكاز يلهو  
بحافته، قائلاً بوجوم... (عوارض حالتها إلى  
الآن كلها تصب في تلك الخانة.... هناك  
شخصيتين...أولاهما هادئة ضعيفة ومسالمة  
...والثانية متمردة قوية وجريئة حد التهور  
....) ... صمت فاكمل إسماعيل.... (وكلتاها  
لا تذكر الأحداث أثناء وجود الأخرى....) ...  
نظر إليه البروفيسور يقول وهو يعتدل في  
جلوسه... (هذا كان في البداية....) ...

ليسأل البروفيسور بعملية... (إذن مع ماذا  
يتركنا هذا؟؟) ... استحت طائعت بعد  
ملاحظة مراقبتهم، فتركت المجال لزوجها  
الذي قال محافظا على دفتي بسمته التي يخصها  
بها... (الازدواجية الشخصية تعتبر أحد درجات  
... .. ما يسمى الاضطرابات  
الانشقاقية.... أو الهوية الانشطاري....  
كما هناك نوع تكون فيه الشخصية  
المستحدثة او اكثر يعيشها المريض اثناء  
نومه... فتعتبر هالوس وأوهام.... وأشد مراحلها  
وأخطرها.... اضطراب الهوية الفصامي.... حيث  
تكون الشخصيات واضحة المعالم وكل منها  
لها رغبات وذكريات وصفات خاصة بها  
..... وهو حالة نادرة بسبب صعوبة تشخيصه او  
حتى الاعتراف به من طرف الناس كمرض....

تجمعت حوله الأنظار بتركيز فاستدرك  
....(الشخصية المتمرد اصبحت تراقب  
المسالمة ... كشفت نفسها قبل ساعات ...)  
شهقت طائعة تقرر مفاجأة لم يتوقعوها، أو لنقل  
باستثناء اسماعيل الذي لم يكن مندهشا  
....(هل تعني أن الشخصية المتمردة هي  
الأصل؟؟) ... هز البروفيسور راسه بملامح غادرها  
المرح، فتدخل اسماعيل مؤكدا ....(طبعا هي  
المتمردة .... ألم تلاحظي ذلك من المعلومات  
التي حصلنا عليها؟؟ ...فغرت فمها ترمقه  
بدهشة، فابتسم لها يردف ... (كلا والديها  
أخبرانا أنها قوية منذ الصغر ... لا تطالب  
بالكثير كباقي اخوتها ...متدبرة أمرها  
باستمرار .... والحالة لا تظهر إلا في سن  
المراهقة فما فوق ....وهذا يعني أن الحالة

المستجدة ....هي الضعيفة المسالمة ....)  
استدارت إلى البروفيسور تقول بيأس ... (هذا  
يعني أن الأصلية هي من تريد قتل نفسها  
....لماذا؟؟... لقد كان لدي أمل كبير في  
شفاءها ....على أساس اندثار رغبة الموت مع  
الشخصية الوهمية ....) ... ربت اسماعيل على  
يدها، وحل الصمت للحظة قبل ان يعود  
البروفيسور إلى تحليله ... (قد نصل لشيء ما ...  
إذا قمنا بتحليل ما جمعتموه من معلومات مع ما  
تفوهت به حين كنت معها ....فأنا أعلم لما  
تريد قتل نفسها ...). ظل يحرك عكازه،  
وهو يحدقون فيه بفضول قاتل، فاستطرد  
بجمود ....(كل ما فعلته.... من أجل الانتقام  
....وقد انتقمتم من الجميع حسب قولها ...ولم  
يبقى سوى شخصيتها المحتملة ....وهذا هدفها

من خلف قتل نفسها ...) (هي قالت ذلك؟  
...سألت طائعت بدهشت، فأوماً يضيف وهو  
يعلم أين سيأخذهما تحليلهما ... (كما أنها دعت  
زوجها بحقير خائن ... فيما اعترفت المحتلة أنه  
حنون وتحبه ....) ... تهدل كتفي طائعت تقرر  
بحزن ورجاء خائب .... (إذن هي بالفعل خائته  
...كي تنتقم ....) ... ضم اسماعيل شفتيه  
يرمقها بإشفاق، فعاد يربت على يدها، ينطق  
بمواساة .... (لا تنسي انها فعلت نفس الأمر مع  
خطيبها الأول ....) ... (ماذا؟؟) ... تدخل  
البروفيسور بريبت، فقالت طائعت .... (اخبرونا  
أن شاب أحبها وظل يطاردها بالحاح .... وظلت هي  
ترفضه .... إلى ان فاجأتهم يوماً بموافقتها  
.... وليصدموا بعدها بالشاب يتهمها بالخيانة  
...) حل الصمت بينهم فقطعه ابراهيم، يقول

بدهشت من كل ما سمعه ... (كان الله في  
عونكم .... هذا بالفعل ... عالم غريب ...)  
ابتسم البروفيسور بسمت باردة لم تتعدى  
شفتيه، ثم اسند دقنه على ظهر كفيه  
الممسكين برأس عكازه يقول وهو يضيق  
مقلتيه على ملامح طائعت الخائبة .... (ما هي  
أهم أعراض الاضطرابات الانشقاقية؟؟) ... هز  
اسماعيل كتفيه يجيب بتلقائية .... (كثيرة  
جدا ... حيث يصعب احصاءها ... ولا تجتمع في  
شخص واحد ....) ... (لا بل ... هناك واحدة  
.... تكون دائماً حاضرة ..) ... قطبا عاجزين  
فقال بعد زفرة طويلة .... (الذكاء .... والدهاء  
في المكر ....) ... ظلوا على صمتهم، وهو  
يستقيم في جلسته مكملًا بغموض ... (لا  
اخفيكم سرا .... انا أظنها تراقب الشخصية

لاحقا .... في غرفة طائعتة واسماعيل ...

اندست تحت الغطاء لا تعلم لما تنتظره!! فهو حتى إن عاد من توصيل البروفيسور قد يذهب للمبيت برفقة والدته، زفرت بقنوط من حالها مع حماتها التي لم تقابلها إلى الآن سوى مرة واحدة، تتمنى السماح لها بلقائها مرات عدة وستكفل بتحسين علاقتهما. انسل فكرها هاربا إلى والدها رغما عنها كما فرت منها نظرة إلى الهاتف، تشعر بإحباط كبير من عدم مهافتته لها للاطمئنان عليها، أو حتى ليتحجج بما طلبته من رد على اقتراحها. حطت برأسها على سطح كفها مستديرة إلى جانب زوجها، الذي تتمنى لو ترتمي بين ذراعيه كما فعلت

المحتلته... قبل اليوم.... او على الأقل في بعض المرات.... وهذا ما يجب ان تتأكد منه...ومن سببه....) ... عض شفته السفلى مفكرا، فهتفت طائعتة بنفاذ صبر... (بماذا تفكريا بروفيسور؟).... تلاكأ قليلا بعد غير متأكد مما سيقوله لكنه قاله على كل حال.... (أريد فحصا شاملا لها... فالجسد يخبرنا عن صاحبه الكثير....) ... مسدت طائعتة على جبينها بتعب من التفكير، وقال إسماعيل بنفس غموض البروفيسور.... (عن ماذا تبحث بالضبط بروفيسور؟... أخبرنا حتى لو كان احتمالا ضعيفا... )... حدقا ببعضهما للحظات، فابتسم اسماعيل بتفهم عكس من حولهما حين أفصح أخيرا وبجزم..... (كشف العذريته )....

صباحا حيث تسترجع شعورا بالاحتواء  
والدفيء.

فتح الباب فنظرت نحوه مستغربة من سرعت  
عودته، فنطق يجيب استفسارها... (البروفيسور  
قرر العودة إلى الفندق ماشيا.... فنقاء الجو  
يعجبه على حسب قوله... وحدات المنازل في  
حيينا تساعد على الاسترخاء... )... ابتسمت  
له وعادت تستلقي، وهي تراقب حركاته  
المنظمة بين اخذ منامته واختفائه في الحمام  
لبرهته، ثم ترتيب باقي ملابسه في مكانها.  
اتجه نحوها يهر بالاستلقاء جانبا، فقالت  
بحيرة تخللها التوتر... (ألن تمضي الليلة برفقة  
والدتك؟) ... تجمد للحظة قبل أن يستأنف  
استلقاءه، يجيب بهدوء .. (مررت عليها .... وهي

نائمتا بسلام ... )... فعل مثلها راقدا على شقه  
المقابل لها يتأمل منامتها الحريية المكونة  
من قميص يتمنى رؤيته كاملا بلا مئزره الذي  
تُحكم إغلاقه حول خصرها النحيف، لتقطع  
هي تحديقه فيها وقد علا الاحمرار وجنتيها،  
قائلة... (هل تظنه محق فيما يتوقعه بالنسبة  
لمريم؟؟... )... تحركت أنامله بغير وعي منه  
تتلمس بأطرافها على أسفل عنقها، عند عظمتي  
ترقوتها، يقول بنبرة هامسة.... (اللله أعلم  
... لكنني أعترف له بتجربة محنكتة... وان  
صدق.. فذلك سيقرب كل موازين قضيتها  
... )... باعت ريقها تفغر شفثيها بلهات، وهي تسأل  
بنبرة ملئتها التأتأة، حتى ابتسم بمكري تعمق  
في لمسائه التي أصبحت تهبط وتنزل على طول  
عنقها إلى أعلى صدرها... (ل... كن.....

حين لاحظ الحزن يغزوا قساماتها، يضم وجهها  
بكلتا يديه مستدركا ... (أخبرني جدي بزيارة  
والدك ... هل أغضبك؟) ... اتسعت مقلتيه  
قلقا حين تدحرجت دموعها على وجنتيها،  
تهمس بألم ... (لماذا اسماعيل؟؟ ... لماذا يهملني  
لوحدي؟؟ ... فهو رجل طيب ... بشهادة الجميع  
.. لماذا أنا إذن؟؟ ... ماذا كان ذنبي؟؟) ... سحبها  
بين ذراعيه فاندست فيه بشدة، تمرغ وجهها في  
صدره ... (شششششش ... مهما كان ظاهر  
معاملته معك ... فكوني على يقين بحبه لك  
... إنه يحبك ... لكنه يظن الألوان قد فات  
... ..) رفعت وجهها تهمس بتوسل خفي ... (هل  
تظن ذلك؟؟) ... أمسك بجانبها وجهها،  
يتبادلان أنفاسهما الدافئة، قائلا بثقة ... (أنا لا  
أظن ... بل أكيد ... لا أحد يستطيع كرهك

كي ... ف ... أع ... أعني ... زو ... زوجها ...  
ك ... يف ... سيف ... سيفوته ... أمر ..  
ك ... ك ... ك ... ضم كفه الحرة إلى الأخرى  
يحضن بها خدها ممررا بهامه على شفتيها،  
مسحورا بملمس بشرتها ودفئها ، غير مستوعب  
لكم المشاعر العاصفة بصدرة، راغبا في  
اقتحام أسوارها، ما تفكر به، أدق تفاصيلها، ما  
يحزنها، ما يغضبها، ما يسعدها. يريد ثقته،  
حبها، يريد بها بكاملها. قال وهو يندهش من  
رغباته المتملكت ... (في الحقيقة لا أعلم  
... كيف كان شكل علاقتها بزوجها ... ولا  
طاقة لي الآن في تحليل شيء ... سوى ...)  
صمت يرفع مقلتيه من على شفتيها، الى عينيها  
المترقبتين بتوجس، ثم أردف مغيرا الكلمات  
... (لما كنت حزينة صباحا؟) ... اقترب منها

ببثها فيه من يقين ورغبة قوية منه في كل ما  
يخصها، ليبعد عنها فجأة بخفة يهمس بجديته  
اختلطت بأنفاسه المتلاحقة... (أنت زوجتي  
....وما بيننا لن يقوم على اساس تجريرة أو حظ  
....بل لأنني أريدك وأنت تريدني ....أليس  
كذلك زوجتي؟؟)... لمعت مقلتيه بحزم  
غريب دك حصون قلبها الهشتر، فأومات مبهورة  
بنظراته مهلا عليها بجسده، فهمست بنفس  
سهوها... (ووالدتك؟؟)... بلع ريقه تكاد  
شفتيه تلمس شفتيها وهو يجيب بنفاذ صبر قبل  
أن يستأنف تقبيلها بشغف... (سيكون علينا  
التقريب بينكما ....فلقد آن أوان ذلك ....يا  
عروسي ...).. طارت كل مخاوفها وسائر  
أفكارها أدراج الرياح، وقد تركزت حواسها مع  
زوجها، ترافقه في رحلة اكتشافهما لبعضهما،

طائعة ...).. تنفست بسرعة تحاول اللحاق  
بدقات قلبها الهادرة، وهو يقترب بروية إلى أن  
التقط شفتيها في قبلة استكشاف طالت حتى  
انقطعت انفاسهما فابتعدا قليلا، لتقول بغباء  
حل عليها، تطرق السمع... (هل أنت متأكد من  
نوم والدتك؟؟)... ضحك بصخب وهو يسحبها  
إليه، فاستكانت على صدره تستمع إلى هدير  
قلبه تحت هزات صدره بفعل ضحكه، ليقول  
بعد برهة ينظر في مقلتيها الساهمتين فيه  
... (لنجرّب حظنا إذن؟؟)... لم تستوعب نبرة  
المرح في نبرته، فأوقفت نيته بتقبيلها مجددا،  
وهي تهمس برقة حزينت أذابت قلبه... (لا أريد  
تجريرة ولا حظ...اسماعيل...أريد لحياتنا  
أساسا متين ... لا أريد فقدانك ..لا أريد ..)...  
بتر كلماتها بقبلة جمع فيها من الشغف ما



حبا صادقا عميقا يتجاوز حد الشهوات  
السطحية.

.....

في نفس اللحظات .....

دس يده الحرة في جيب بنطاله، يتخذ طريقا  
يلتف حول منزل آل عيسى يوصله إلى الشارع  
الكبير، مستمتعا برائحة الأزهار وأشجار  
الزيتون والتين التي لا تخلوا منها لا الحدائق  
ولا الطرقات بين المنازل. انشغلت خلايا عقله  
بحالة مريم بين تحليل للمعلومات عن حياتها  
وبين حالة مشابهة تعود بظلالها من الماضي.  
كما يومض في قاع كل تلك الفوضى وجه

ملغيان لمسافات امتدت بالجفاء والبرود الذي  
تحول الى حمم انصهرت فيه الفروقات  
والاختلافات، ليعترف طبيب النفوس لنفسه أن  
كل ما مر عليه من ثقافة ونظريات لا تصف  
روعة ما يشعر به مع تلك الفتاة بين يديه،  
والتي رغم كل رصيدها الدراسي والمهني، تثير  
جنونه الجامح باستجابتها المستحقة تثبت له  
مدى احساسها به ومدى رغبتها في انجاح  
علاقتها بلا حظ أو تجربة، بل بإصرار ويقين،  
يستمدانه كلاهما من نيتهما بتأسيس علاقة  
مقدسة من فوق سبع سموات، قائمة على أساس  
متين مبني على الثقة والوضوح خالية من أي  
مطامع دنيوية، سوى بغية رضوان واطاعة الله،  
أملا في رفقة تحفها الرحمة والمودة، ينتج عنه

طائفة وعلاقتها بزوجها، متأكد هو من وجود  
خطب ما، فالتوتر بينهما واضح وكأنهما لا زالا  
في أي مرحلة سوى الزواج. تحركت أنظاره  
بخفة، متتبعا صوت ما لتتسع مقلتيه وهو يرمق  
جسدا يعرفه جيدا يحاول تسلق سور منزل عبر  
أغصان النبات المتسلق أو ما يسمى باللبلاب،  
لتنزلق بعد كل محاولة بسبب ضعف أغصان  
النبات.

نادت منه ضحكة مأكرة، فاستدارت اليه  
برأسها لتشهق بشدة وهي تفقد توازنها لتسقط  
على سطح الرصيف، رفعت وجهها بملامحه  
المتشججة بالهر، حين اقترب منها يرمقها  
ساخرا يقول... (كيف حالك ممرضة  
....فجر؟؟).. تجمدت مكانها تبجلق فيه

بدهشة، فاستدرك وهو يمد لها بطرف عكازه  
....(هل تريدن مساعدة؟؟)... نظرت إلى العصا،  
ثم انتفضت تقف على رجليها برشاقة، فابتسم  
بتهكم يقول... (أرى أنك محبة للتسلل عبر  
الأبواب الخلفية و....) أشار إلى السور  
وأكمل.... (و تسلق الجدران... هل هي هوايتك  
؟؟.... أم أنك لصتة؟؟)... ضمت حاجبيها  
بعبوس تنفض ملابسها وهي ترد باستعلاء  
... (راقب أفضاظك يا سيد... ) انحنى لها  
بشكل مسرحي، يقول بأدب مزعوم... (السيد  
مختار في خدمتك... ممرضة فجر)... ضمت  
ذراعيها إلى صدرها تقف بتجلج واضح لعينه،  
فاستدرك يسأل وهو يشير بعكازه إلى المنزل  
... (إذن... ماذا كنت تفعلين؟؟ .... بما أنك  
لست لصتة!...) ... حكمت جبينها بأطراف

على تركه.... (لا... سأذهب الى عملي.... فقد  
تسللت لساعة فقط... )... ابتسم مسرعا يلحق  
بها ..(تمهلي يا متسللة... سأوصلك إلى المشفى  
...إنه في طريقي إلى الفندق... )... نظرت إليه  
مستهجنتة تقول بجمود.... (لست من هنا؟؟)...  
رد بسرعة وهو يحاول مواكبة خطواتها  
... (مجرد زائر... )... هزت رأسها تزفر بما لاحظته  
راحة بدت على ملامحها الحادة... (لديك  
مريض في المشفى؟... كنت تزوره؟؟)... أجاب  
بثقة يخفي حماسا برق في مقلتيه الماكرتين  
... (أجل.... لذا سأبقى لمدة حتى يشفى... بإذن  
الله... )... ثرثر في محاولة لا استدراجها لكنها  
كانت جدا حذرة، تجيب باقتضاب وعلى مضض  
إلى ان هتفت وهي تقف بغتة... (لقد وصلنا  
...إلى اللقاء... )... تلفت البروفيسور حوله ليجد

أصابعها، تجيب بهدوء واهي... (إنه منزلنا... )...  
نظر إلى السور، يعض شفته السفلى مفكرا، ثم  
قال بتجاهل... (ولما لست تدخلينه من بابه  
؟؟)... هزت كتفها ترد بجمود... (أهله لا  
يقبلون بي... )... (ماذا؟؟)... استنصر البروفيسور  
بريبتة، فاستدركت كلماتها... (أقصد لا  
يقبلون بوظيفتي.... لهذا أعمل من خلف  
ظهورهم.... )... (مهممم!!)... مهمه يرمقها  
بمقلتين ضيقتين يساير حديثها... (لا حق لهم  
... التمريض مهنة راقية... )... أوامات تمسد  
على عنقها من أسفل طرحتها، فقال بلؤم  
... (وماذا الآن؟؟)... (ماذا؟)... نطقت بتوجس،  
فهز كتفيه يستطرد... (هل ستكملين  
التسلق؟... أم أن لديك دوام ليلي؟؟... )...  
نظرت الى السور بامتعاض، ثم قالت وهي تهتم

صباح اليوم التالي .....

طرفت بجفنيها مرات عدة قبل أن تقرر فتحهما،  
لتجد جانبها خاليا من الرجل الذي أصبح زوجها  
بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فتحركت  
من مكانها تبتسم بشوق، وهي تذكر كيف  
همس لها بعد صلاة الفجر بمدى انزعاجه  
لاضطراره للمغادرة، بسبب دوامه المبكر،  
وأوصاها باللاحاق به قبل الغداء كي يتناولته  
برفقتها. اخرجت نفسا حارا وهي تستلقي على  
ظهرها تفكر في كل ما حصل بينها من مشاعر  
متبادلة، تحملها على بساط سحري، إلى عالم  
لم تشهد له من مثيل. قامت من مكانها فلمحت  
ورقة مطوية بأناقته موضوعة على المنضدة

السور الخلفي للمشفى، فاستعجل قائلا  
بسخرية، وهي تتسلق الجدار بحرفية من داوم  
على ذلك... (صدفت سعيدة... اتمنى  
تكرارها... )... تشبثت بأعلى الحائط ترد  
عليه بنفس تهكمه، قبل ان تقفز... (وأنا اسعد  
...وداعا... )... أوماً يحرك رأسه وهو مغادر  
يهمس لنفسه... (يبدو أن آل عيسى لديهم  
متطفل فاقد لعقله.... لكن لن أنكر مدى  
استمتاعي في هذه المدينة... سنرى ماذا تحمل  
الأيام.... ام لنقل الليالي .....)...

قصص من ركني الاعضاء

للحظة قبل أن تثبت مكانها بتحد، فلم يجبه  
سوى نجوى تنطق بسخط ساخر... (كيف  
حالك عيسى؟؟؟...) ... شد على أضراسه يرد  
بنفس بروده... (على خير حال يا نجوى... ماذا  
عنك؟) ... حاد بظلمتيه إلى الغافل جوارهم  
عن كل الشحنات الكهربائية السلبية، فردت  
تعرّفهما... (هذا هيثم... ابن عمي... وهذا  
عيسى آل عيسى... )... قدم له يده مصافحا  
فبادله عيسى المصافحة بحزم، والأول يقول  
بابتسامته رسمية... (طبعاً أعرف عائلة آل  
عيسى فمن لا يعرفهم؟... العائلة الأصلية في  
الجبل وأحد قطبي المعادن... تشرفت  
بمعرفتك... )... أوماً له فقال منصف الذي  
صافحه بدوره... (أنا منصف... صديقه اللدود  
... )... ضحك هيثم يقول بمرح .. (كنجوى

جوارها، فتحتها بلهفة فاتسعت بسمتها وهي  
تقرأها... (صباح الخير يا عروس .... ما بيننا  
أعمق من أين يتدخل فيه الحظ أو التجربة  
... ما بيننا قدر حُط بقلم الخالق... لا تتأخري  
أنا... أنتظر ك... )... ضمت الرسالة إلى صدرها،  
تبتسم بحب، ثم ما لبثت أن انتفضت تسرع  
لتجهز نفسها ..

.....

الجامعة.....

أسرع يحث الخطى ورفيقه من خلفه، يهمس له  
بالتحلي بالهدوء، يقسم بتغيير حال تلك الفتاة  
التي سلبت لب صديقه تكاد تفقده عقله  
... (السلام عليكم... )... ألقاها عيسى ببرود  
صقيعي فاستداروا إليه ليلحظ ارتعاد مقلتيها

ورواح (!...)... رفع منصف حاجبه بريبتة، وقال  
عيسى بسخرية، تحت أنظار رواح الجامدة  
ونجوى الحاقدة... (هل هذا ما أخبرتك به  
ابنت عمك؟؟)... هز راسه ومال به تجاه رواح،  
يهدبها ابتسامته ساحرة ظهرت لعيسى ومنصف  
وحتى المعنية سمجة.. (لا... بل رواح.... اسمها  
جميل كروحها...)... شد عيسى على فكيه،  
تماما كنجوى فاحمرت رواح من ضغط إخفائها  
للتوتر والخجل، بينما منصف يهمس بدهشة  
... (يا حبيبي... نجوى ورواح صديقتان... من  
قال ان كيدهن عظيم!!)... التفت إلى صديقه  
الذي يزفر من أنفه دخان الغل، فربت على  
كتفه يقول لرواح بمرح... (كيف حالك  
رواح؟؟... متى محاضرتك؟؟)... تأمل الفهم  
عليه وتجنب الصدام، لكن المحاربة قد

شحذت أسلحتها تقول بنبرة اتسعت لها مقلتيه  
الزرقاء، يطرف برموشه الشقراء، غير مصدق  
لمدى رققتها المتعمدة... (أمامي ساعة شاغرة  
... لا أعرف كيف سأقضيها؟؟... ما رأيك  
هيثم؟؟)... ارتعدت تعود إلى الخلف بخطوة  
وهمية، حين شعرت بتشنج أطراف عيسى  
وصديقه يمسكه من على كتفه. والغافل يرد  
بإعجاب لا يخفيه... (محاضرتي القادمة غير  
مهمة... سأدعوك لاحتساء عصير في المقهى  
أمام الجامعة....).. ثم استدار اليهم يكمل  
باطف... (يمكنكم الانضمام إلينا...)... باللت  
رواح شفيتها، لم تفكر في الأمر كعادتها  
مؤخرا، تلقي بالفعل دون أن تحسب حسابا  
للنتائج، فنطقت نجوى من بين فكيها تتميز  
غيظا... (كيف ذلك هيثم؟؟... قوانين

تخصصك صارمة ... )... هز كتفيه يقول  
 باسمه وهو ينظر إلى رواح ... (كل القوانين  
 تُخرق ... من أجل رواح ... أليس كذلك؟؟) ...  
 اندفع عيسى فأمسكه منصف بكتا يديه،  
 يهمس له بالهدوء و تجنب الفضائح، والأخرى  
 تكاد تنهار كأحشائها الذائبة من الخوف.  
 عض عيسى شفتيه غلا فقال بتهكم متوعد  
 ... (أخبريه يا رواح ....) .. نظروا إليه بترقب،  
 فاستدرك... (أخبريه أن قوانين الجامعة  
 ... ليست بأهمية وخطورة قوانين الحاج عبد  
 الله آل طالب ..) ... قطب هيثم بينما نجوى  
 تبتسم بلؤم، ورواح تفغر فمها محذقة به وهو  
 يكمل بتسلية ... (كم اود رؤية الحاج حين  
 يلمحك في إحدى المقاهي .... و برفقتي ...)  
 استدار إلى هيثم المقطب بجهل، فhez له

بحاجبيه ضاحكا وهو يفسر .... (الحاج عبد  
 الله يكون والدها ... .ويا له من والد .... اسأل  
 عنه ابنت عمك ...). أشار إلى نجوى  
 فضحكت بدلال استرجعته تلعب على أوتاره  
 .... (أوووه ... إنه فيلق عسكري لحاله ... جميع  
 أبناء المدينة ... يخشونه ... ويضرون من الشارع  
 إن فقط لمحوه ....). ... تخصصت رواح تهتف  
 بغضب ... (لما يا حبيبة أمك ... هل هو آكل  
 للبشر؟؟) ... دق قلبه كما لم يفعل قبل أن  
 يلتقي بها،،،، رواح، واتسعت بسمته مراقب  
 لتأهبها الذي أعاد له جزءا من أصلها ... (مهلا  
 ... مهلا ... رواح لا تغضبي ..) .. وها هو الحماس  
 انطفئ بتدخل ذلك السمج، يشد على قبضتيه  
 عن وجهه الوسيم. زفرت رواح والتفتت إلى هيثم  
 تقول برقة علم عيسى تماما مدى التكلف

الذي تحملته لتمثيلها... (أسفت يا هيثم  
....فوالدي بالفعل لا يسمح لي برفقة الشباب  
....ولا يمكن لي مقابلتك خارج الجامعة  
....أراك لاحقا... )... همت بالانصراف فقال  
هيثم يوقفها.... (لا بأس....استطيع الجلوس  
معك أينما تجلسين...).. زمجر عيسى بخفوت،  
لم ينكشف لأن زمجرة نجوى كانت أعلى وهي  
تهتف بسخط... (عن اذنكم !!.....) ... لاحت  
بسمته نصر على ثغر رواح لمحها الصديقان،  
اللذان اندهشا من اتصالها الماكر.... (شكرا  
لك هيثم ... لكن لن اسمح لك بالغياب عن  
محاضراتك... إنه مستقبالك... أراك لاحقا  
... )... أجزلا من مراقبة انصرافها الرشيق، على  
ابتسامته الحالمة كنبرته الولهته.... (أليست  
رائعة؟؟) ... شد عيسى في شعره والولهان يبتعد،

فقال منصف مجعدا دقنه بإعجاب مستهزئ  
... (الحق يقال... تلك ليست رواح بالمرّة....) ...  
حدجه بنظرة حادة، فهز كتفيه يربت على  
ذراعه مستدركا... (لك الله يا صديقي  
... )... تأفف وهو يمسد على لحيته السوداء  
المشذبة، فسحبه منصف يقول أمرا.... (هيا إلى  
محاضرتك... )... أمسك يده يجيبه بغموض  
مرح.... (أي محاضرة؟؟) ... تقوس حاجبيه  
الأشقرين، يكبت بسمته، قائلا وهو يقلد رواح  
ويحرك يديه كالفتيات... (لن أسمح لك  
....إنه مستقبالك.. )... ضحك عاليا ودفعه  
يجيبه بتسليته... (وهي أيضا من ضمن مستقبلي  
... )... (حقا!!) ... هتف منصف بضحك، فحثه  
كي يغادر قبل أن يستدير باحثا عنها  
.... (اذهب يا صاح.... هيا!!).....



منزل آل عيسى ....

تتبع صوت السيدة شمتة، القادم من المطبخ لتجدها برفقة حق الجالسة الى الطاولة تقوم بتقشير الخضر، بينما هي تحضر أساس المرق لطعام الكسكس... (السلام عليكم...)  
ألقته طائفة بابتسامته مشرقة، فردتا عليها السلام بنفس البسمة... (يبدو أن أحدا صباحه مبارك اليوم...)  
احمرت طائفة بخجل تتساءل إن كانت الأمور بينها وزوجها مفضوحة لهم... (اجلسي... سأحضر لك الفطور...)  
هزت رأسها تلمس ذراعها بامتنان... (أريد حليبا دافئا فقط... سأحضره بنفسي من فضلك عودي لما كنت تفعلينه...)  
استدارت مستسلمة فرن



هاتفها وأخذته بدل إكمال ما تقوم به... (أختي كيف حالك؟؟... شكرا لك... ماذا؟؟... هل أنت صادقة؟؟)... تناظرت طائفة وحق تستغريان بهجة شمتة المختلطة بالصدمة... (ألف مبارك عليك يا حبيبتي... أنا لا أصدق... سأتي حالا... يا إلهي... مبارك عليك حبيبتي... إلى اللقاء...)  
أغلقت الهاتف وغسلت يديها تهرع إلى جلبابها قائلة بفرح... (حق بنيتي... هل تكملين تحضير الغداء عني؟؟).. هزت رأسها موافقة، فقبلتها بحب تفسر بلهات... (شقيقتي \*فاطمة\*... تزوجت قبل ثمانيه عشر سنة... ولم يرزقها الله بذريته... فسلمت وزوجها أمرهما لله بعد أن استنفذا كل الأسباب... وسلمنا نحن أيضا بعدم قدرتها على الإنجاب... والحق يقال زوجها



بارك الله فيه من ساعدنا على تحمل الأمر....  
فقد كان نعم السند لها...واليوم.... لا أصدق  
...الحمد لله...الحمد لله....ثمانية عشر سنت  
...أخبرتني الآن انهما تأكدا من حملها...وهما  
مصدومين تماما (...)... غطت فمها بكفيها  
تبكي، فاقتربتا منها كل منهما تضمها من  
جانبها وحق تقول بحنو... (الحمد لله على  
كرمه... ملاكه عظيم ورزقه واسع...)... (أجل  
...الحمد لله...)... ابتعدت قليلا تمسح دموعات  
الفرح بطرف شالها، فلمحت طيفا مختبئا على  
جانب باب المطبخ، فنادتها بسخط متعمد  
... (هل تتنصتين علينا يا ابن الزعطوط  
؟؟... تعالي هنا هيا...)... ظهرت تبلع ريقها وهي  
ترمقهن بتردد، فهرولت إليها شمة تأخذها في  
أحضانها.... (آه منك يا فتاة... لو تسمعين

النصيحة...)... استكانت تغريد في حضن  
شمة، لأول مرة يضمها أحد، تستغرب وضعها  
فتجمدت مكانها لا تتحرك، بينما الخالته  
شمة تسترسل في حديثها عن شقيقتها  
... (أتعلمان؟... بعد ان وافقت شقيقتي بتولي أمر  
شقيق زوجها المسكين.... شاب أصيب في رأسه  
ففقد قدرته على التذكر او حتى التصرف  
بنزوج... ليمسي كطفل صغير تائه... ساندت  
زوجها في الاهتمام به وبشؤونه لسنوات كثيرة  
.... الى ان توفاه الله العام الماضي.... وكم  
بكيت على فراقه المسكينتة.... قلبها طيب  
ومليء بالرحمة.... كان يقيني يزداد كل  
يوم في ايماني بكرم الله.... لكنني ظننت  
خير جزاءها يكمن في الزوج الصالح الذي  
رزقها به.... ولم اكن اعلم أن الله يدخر لها

النعمة التي لطالما تمننتها .... الحمد لله ...)  
صمتت تطرق برأسها، كي تتأكد مما شعرت  
به، فاكتشفت تغريد تبكي في حضنها.  
حاولت ابعادها لكنها تشبثت بها تنتحب  
بحرقة، فنظرت بحيرة إلى حق وطائعتي، التي  
تقدمت تقول برقة.... (تغريد حبيبتي ... ما  
بك؟؟) ... طوقت الخالتي شمة بكل قوتها ترد  
بنبرة أليمة، ووجها مندس في صدرها .... (لأول  
مرة يحضني شخص ما ...). قفزت حواجبهن  
تكاد تلمس مقدمة رؤوسهن، فضمتها شمة  
بنفس القوة تقول ببكاء .... (ولما لم تخبريني  
منذ أول مرة التقينا فيها؟؟؟ ... كنت  
لأحضنك كل لحظة .... هل والدتك توفاهما  
الله باكرا؟؟) ... انتفضت تبتعد وكأنها  
لُدغت، تمسح دموعها وهي تومئ بخفتة.

أمسكت طائعتي بيدها وسحبتهما تجلسها على  
كرسي إلى المائدة، ثم التفتت إلى الخالتي  
شمة تحثها على الإسراع إلى شقيقتيها  
.... (اذهبي يا خالتي .... شقيقتك في حاجة  
إليك ... لا تقلقي عليها ...). تقدمت إليها  
ترمقها بتردد، فأومأت لها تغريد مؤكدة،  
لتنقض عليها شمة مجددا تضم رأسها إلى  
بطنها، تقبل أعلاه .... (اهتمي بنفسك ... لن  
تأخر بإذن الله .... في أمان الله ....). انصرفت  
الخالتي، فعادت حق إلى تجهيز الغداء، وطائعتي  
تحضر لبنا دافئا وبعض الكعك تضعه أمام  
تغريد قبل ان تجلس جوارها، وتشير لها كي  
تأخذه وتسالها برقة .... (أنت بخير حبيبتي  
؟؟) ... هزت رأسها، فقالت طائعتي تريد اكتشاف  
دواخلها وسر العبوس والتمرد الدائم ... (لا

يد تغريد كي تهذا.... (اهدائي.... حبيبتي  
... )... ضربت على صدرها تعود للبكاء، تهتف  
بحرقته... (أريد ان اتحدث لشخص ما.... يجب أن  
يسمعني أحد... أشعر بنفسي سأنفجر... )...  
قالت طائعتا، تقول بمهادنتا... (سنسمعك  
حبيبتي... فالجميع هنا عائلتك.... ويحبونك  
... )... رفعت رأسها مستنكرة... (بل جلبوني..  
شهامتا فقط.... أمانتا تحملوا عبئها بسبب جميل  
طوق به أخي رقابهم.... وبسبب الحق الشرعي  
الذي لنا لديهم... إنما حب.... لا أظن احدا في  
هذا الكون احبني سوى أخي... وحرمت منه  
أيضا... )... جلست حق تنصت إليها، وقد لاح  
الرفض على ملامحها لما تنطق به... (بهذوء  
واشرحي لي حبيبتي... )... همست طائعتا،  
فنظرت إليها ومسحت على مقلتيها، تقول بوجود

تذكرين والدتك؟؟) ... أموات بسلب، فربتت  
على يدها مواسيتا، لتقول بعدها بجمود  
... (كبرت لدى والدة أخي.... )... نظرت إليها  
بجهل، ففسرت... (لدينا اخ آخر... هو في  
السجن... )... اتسعت مقلتي طائعتا، والتفتت الى  
حق التي فرت منها إلى قصعة الكسكس  
تتلهى بها، والأخرى تسرد عن أحب شخص إلى  
قلبها... (نشأت انا وهو على يدي والدهم او  
بشكل أدق... على يدي الساقطة التي رمانى  
إليها... فقط لكون امي ماتت... واهلها لا  
يقبلون بي.... )... شهقت طائعتا تغطي فمها  
بكفها فأسرعت حق، تقول بقلق... (تغريد  
... أليس من الأفضل لو... )... قاطعتها تهتف  
بغضب... (من الأفضل لو ماذا؟؟ ها؟؟... )...  
انكمشت حق على نفسها، فربتت طائعتا على

الذي فضح أمره... لكن وبطريقة ما افلحت في جعله يعقد عليها.... بعد ان حملت بي.... هل تسمعين؟؟.... انا ثمرة اغتصاب... ابنته زنا (...)... أمسكت كلتاها ذراعها كي يُسكتها، لم تتحملا قسوة العبارة، فقالت طائعت بإشفاق.... (اهدئي حبيبتي.... من فضلك لا تعيدي ما قلته... أمام أحد آخر... مهما كان... اتفقنا؟؟)... بلعت ريقها تمسح دموعها، فقالت طائعت.... (ولما تظنين أن اخوتك لا يحبونك؟.... وماذا عن الجميل الذي ذكرته!!)... (المجرم كان سيقتل ابراهيم.... ذلك الوحش لم يحن على أبنائه... حتى الحيوانات ترحم أولادها.... لكن أخي حال دون ذلك.... ونصب له فخا مع الشرطة كي ينقذوا ابراهيم.... وبالمقابل طلب منه

....(والدي اغتصب والدي...)... حبست طائعت أنفاسها، وحق تفغر شفثيها بهلع، لتعلم الأولى أن ليس لها علم بالتفاصيل.... (هذا ما أخبرتني به والدة أخي... التي هي بالمناسبة عاهرة... ولم يتزوجها ذلك الوحش... الذي لم يكلف نفسه نفي جريمته الشنعاء....)... صمت أصاب كلتاها والفتاة تنطق بحقد يتشكل على ملامحها الفتية كلما ذكرت من أنجبها.... (كان خالي شريك وصديق المجرم.... الذي خانته وهتك عرضه.... حين اغتصب أخته في احدى لياليهما الجامحة.... فانتقم منه خالي بكشف جرائمه غير مباليا بتورطه في الأمر....)... رفعت وجهها الباكي الى طائعت، تكمل بلوعتها.... (أخبرتني أن الوحش اغتصبها مرات عدة.... كي ينتقم من خالي

يخشون الله... على عكس ذلك الوحش)...  
 هتفت حق بصراحتها التي لا تتغير فيها (ابن  
 الزنا لا حق شرعي له....) ... حل الصمت  
 كالصاعقة، فاستدركت بتوتر... (هي من  
 قالت وتصر... لست انا... سامحني يا الله....) ...  
 تدخلت طائعتاً تقول بهدوء... (حق لديها كل  
 الحق.... إذا اتبعنا المنطق الذي تفكرين به  
 .... فأنت وأخوك.... حسب قولك أنت ليس  
 لكما اي حق شرعي... )... قطبت تغريد  
 تتنفس بحدة، وتسال بنفاذ صبر... (لكننا من  
 لحمهم ودمهم....) ... نطق حق تفسر....  
 الفتوى في "اللجنة الدائمة" ( ٢٠ / ٢٨٧ )  
 " الصحيح من أقوال العلماء أن الولد لا يثبت  
 نسبه للواطئ إلا إذا كان الوطاء مستنداً إلى

الاعتناء بي....) ... لم تسمح طائعتاً لنفسها  
 بإظهار الصدمة ولا تحليل أي من المعلومات  
 المتدفقة تباعاً، فهي كانت بعيدة، كل ما  
 فهمته من ثرثرة سهام ابنة خالها، أن والدهم  
 ألقى القبض عليه بعد فرار دام لسنوات، لكن  
 لماذا او كيف لم تعلم، وخجلت من سؤال  
 اسماعيل. لاح الحزن على وجه حق تسترجع  
 ذلك اليوم البائس، وقالت بخفوت تنفي ظن  
 الفتاة، فإبراهيم يحبها جدا ويجب ان تعلم  
 بذلك... (لكن ابراهيم وجدي وحتى  
 اسماعيل... لا يهتمون بك... كرد للجميل....  
 بل لأنك من لحمهم ودمهم....) ... هزت رأسها  
 برفض تقول.... (لا.... إنها فقط شهادتهم... ما  
 يجعلهم يفعلون كل شيء من أجلي... وحتى من  
 اجل أخي... وفاء للحق الشرعي.... لأنهم

نكاح صحيح أو فاسد أو نكاح شبهة أو ملك  
يمين أو شبهة ملك يمين ، فيثبت نسبه إلى  
الواطئ ويتوارثان ، أما إن كان الوطاء زنا فلا  
يلحق الولد الزاني ، ولا يثبت نسبه إليه ، وعلى  
ذلك لا يرثه "

وجاء - أيضاً - في " فتاوى اللجنة الدائمة " ( ٢٢ /  
٢٤ ) :

" أما ولد الزنا فيلحق نسبا بأمه ، وحكمه  
حكم سائر المسلمين إذا كانت أمه مسلمة ،  
ولا يؤاخذ ولا يعاب بجرم أمه ، ولا بجرم من زنا  
بها ، لقوله سبحانه : ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى  
) ..... يمكنك البحث عن الفتاوى وستجد بينها  
فهي متوفرة على النت ... وفي الكتب الفقهية  
( ..... ) أممات طائفة لحق ممتنة ، ثم قالت كي

تقنعها ... ( هذا يعني أمر واحد .... ان أهلك  
يحبونك تغريد .... لا لشيء آخر سوى انك  
اختهم .... يجب أن تفرقي بين والدك وبين  
باقي عائلتك ..... فأنت تُضَيِّعِين عليك  
الاستمتاع بأهل .... غيرك من اليتامى يتمنون  
فردا واحدا ... لا أربع أخوة وجد ... وأعمار ... ما  
شاء الله .... ) ...

قامت حق وربتت على رأسها بحنو تقول  
.... ( انسي الماضي حبيبتني .... الله يحب الستر  
وأمر به ... فدعي الأمر كما أصاحوه اخوتك  
.... ولا تخبري أحدا كي لا تجرحيهم  
.... بادليهم حبههم ... واستجيبني لاهتمامهم .... ولا  
تنسي أنني أيضا أحبك .... بلا أي سبب سوى  
انك تغريد ... ) ... ابتسمت لها من بين دموعها ،

## الفصل السابع

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد...  
الإمام الشافعي...

### الجامعة....

رفعت الورقة كي تقرا الصفحة الموالية من  
الكتاب بين يديها، ولم تكن غافلة عن الذي  
جلس غير بعيد عنها، تتجاهل وجوده كما  
تتجاهل دقات قلبها النافرة. تخشى التفكير في  
معنى لما يحدث معها ليس مؤخرا فقط، بل قبل  
حتى أن تلتقي به بصفة شخصية. حين كانت  
تسمع عنه من الفتيات ينصبه ضمن  
المتصدرين للأحداث العزاب المرغوبين فيهم،

فقال طائعة بمرح... (و أنا أيضا أحبك يا  
صغيرة...)... عبت ترد بحنق طفولي.... (لست  
صغيرة...)... ضحكت تقبلها على وجنتها، ولم  
تصدها، فقالت وهي تقوم... (لا تستعجلي... فو  
الله.... نحن البشر لا نعلم بقيمة العمر حتى  
يتسرب من بين أيدينا كالماء... يجب علي  
المغادرة... لقد تأخرت كثيرا...).. هزت تغريد  
رأسها تبتسم كما لم تفعل من قبل، فخرجت  
طائعة تمسك على قلبها الذي يدق حزنا من  
اجل زوجها، فإن كانت تحمل من الألم الكثير  
بسبب والد لم يهتم بها، فكيف بوالد مجرم  
بل وحش على قول ابنته .

.....



تقلباتها وزفراتها، فقال بنبرة حاول اصباغها  
بالمرح ....

(أنت من يحمل نفسك ما لا تطيقه ....)  
أجفت على حديثه كأنه يعلم دواخلها،  
فالتفتت إليه تحدجه بنظراتها الحادة. رفع  
يديه باستسلام مزعوم يستدرك...

(لا تنظري إلي هكذا ... انها فقط كلمات لن  
تلمسك ...فليس لها أيد ولا أرجل ...)  
تتأمل إلى الكتاب بين يديها، فراقبها بإحباط  
اختفى حين غمغمت بأسى ممزوج بغل ...

(ليس لديها أيد وأرجل ... لكن لديها  
سكاكين حادة .... تنغرس بغدر في لحمك  
وتنشر فيه السم ببطء مميت .... حتى  
يمتص منك الحياة بكل مباحها ...)

وكان ذلك كفاية لتخرجه من حساباتها.  
ابتسم لها شيطانها بسخرية سوداء هامسا لها  
بازدراء فمن ذا الذي كان في حسابك يا  
معاقة؟! انتفضت تتنفس بحدة وهي تستنكر  
عليه بتوحش، لم تعد معاقة، لم تعد!! فمتى  
ستنسى؟! تهدلت كتفاها وشق آخر يدافع  
للظهور جالبا معه بعض من التعقل، وإن كان  
همسه الوهن يواسي كبرياءها المجروح أنها لم  
تكن معاقة، ولم تكن ناقصة كما كانوا  
يعاملونها، فما كانت الإعاقرة إلا من نصيب  
كل ناقص انسانية ورحمة.

زفرت ترفع رأسها كي تتنفس براحة، وقد  
نسيت بالفعل وجوده جوارها، يراقب كل

(الثقة بالنفس يبنيها المرء بينما يكبر  
...وليس بعدما يَشِبُّ على الأثر من أقرب الناس  
إليه...)... طعنته دون أن تعلم، واهتز قلبه بألم  
دفين ليرد ببرود ...

(وماذا تعرفين أنت عن الألم؟... ومن أقرب  
الناس إليك؟؟)... التفتت إليه أخيرا، فلمحت  
كيف شع الحقد من ظلمتيه، وكيف اختفى  
بغته ليحل محله القلق، لتعي على كشفها  
لضعفها، وتهتف بنزق ...

(أليس لديك محاضرة؟؟... أم أن الرسوب نال  
إعجاب حضرتك؟؟)... رفعت حاجبها بتهكم  
بارد، وقد افلحت في تجميد دموعها، ليرد  
ببسمته هددت حصونها الواهية بالخراب ...

حركت مقلتيها كي تتحكم في الدموع التي  
لمعت وضربت الرؤية حتى تمازجت الكلمات  
المكتوبة فيما بينها، فقال عيسى بعبوس  
غادره المرح ....

(لكن الأفعال أقوى وأشد .. لذا تعلمت عدم  
الاكتراث لمجرد كلمات لا تقدم ولا تؤخر  
)... ظلت مطرقة على كتابها لا تريد لأحد  
أن يلمح ضعفها، وهو يسترسل بجديته مستغلا  
الظرف عله يجد منفذا إليها...

(يتعذب الانسان حتى يتعلم الثقة بالنفس...  
لكن بعدها.. يكون محصنا ضد من حوله  
)... نطقت بسهو وهي تحارب دموعها متحدية  
ببسالت سقوطها ....

(لكن الصف سينتهي عندي .... لا احد بعدي  
... )... تقوس حاجبيها بادراك، فانتفضت  
واقفت تهتف بنزق وهي تبتعد...  
(أنت....منحل... )... عاد للضحك يراقب  
خطواتها المهرولت بحنق، ثم همس بمرح....  
(لا بأس... تطور طفيف ... )

.....

مصنع المرابط ...

لاح الاسترخاء على ملامحه وهو يرمق بسمتها  
الهادئة، يشعر بارتياحها ولمعة السرور في  
مقلتيها تلمع وهي تقلد خطواته في الرسم.  
التفت الى عمر ونظر إليه بتساؤل خفي، رد

(ربما ... أريد أن نتخرج معا ... )... قصف قلبها  
في صدرها تتعمق في عبوسها، وتهتف بحنق ...  
(ربما سأشكوك لأخي ابراهيم .... لنسمع  
رأيه في الأمر... )... ضحك بصخب فزاد الطينته  
بلته، فوسامته تزداد في كل حالاته، يرد  
بتسليته ...

(على الأقل تحول الأمر من ياسين إلى ابراهيم  
.... )... قطبت وهو يتلأ قبل أن يردف بنفس  
البسمة الخطرة ..

(سأكمل في نفس الطريق إلى أن يحين دوري  
.... )... لازالت تراقبه بجهل، فأكمل بتسليته ...

(محمد... هل .... أقصد ... ستقابلين؟؟...  
محمد)... (أجل ... سأفعل بإذن الله ... آخر  
الأسبوع..)... قاطعت ارتباكك، فسأل مقطبا  
بحيرة ...

(لما آخر الأسبوع؟).. تهربت بحدقتيها  
الخاليتين من اي زينته، كباقي وجهها، سوى من  
جمال رباني زادت لمعته بحيائها، ترد بخجل ...

(لا أريد الغياب عن العمل ... إذا ما حدث أمر  
يربكني ...).. أوأ يرد بثقتة ... (يمكنك  
أخذ يوم إجازة ... لكن لا تتأثري برد فعلهم  
مهما كان ... أنت لست وحدك .. كما لست  
ضعيفتة .. ولا خاطئته ... ) ... رغما عنها أخذت  
بحديثه اللبق، وأثرفيها بشدة، فتاهت في  
تفاصيل وجهه تتساءل إن كان بالفعل كما

عليه بهزة كتف تعني ليس متأكدا قبل ان  
يدعي انشغاله بما ف ما على مكتبه.

عاد إليها فوجدها في انتظاره تضيق عينيها  
بخفتة، فابتسم قائلا بإحراج ...

(أرى أنك أفضل من أمس...).. هزت رأسها  
وهي تتوسل قلبها التمثل في لهفته، ترد بخفوت  
...

(الحمد لله ...).. ضم جانب شفته وهو يهز  
رأسه، غير متأكد مما يريد قوله بعدها،  
لكنه نطق وهو يتني ذراعه مسندا مرفقها الى  
المكتب بينهما، بينما يحط بذقنه على  
كفه...

يظهر لها، تكره الشك اللعين في أحشائها.  
لحظت بسمته الرائقة فشهقت بخضوت تكتشف  
بلاهة شرودها فيه، وتهربت مجددا ترد بتوتر

...

(لا... شكرا لك .... كما قلت... لم اخطئ  
بشيئ... لذا لن اهتم بأي سوء منهم ..) ... تشجع  
فقال بلطف ...

(حفصة؟؟) ... التفتت إليه بدهشة، فهو لم  
ينادي عليها يوما باسمها مجردا، فارتعد قلبها  
تشعر به سيتوقف، وهو يسترسل قبل أن تخبو  
شجاعته ...

(إذا.. حدث.. واعتذر منك.. وتوسل غفرانك  
والعودة إليه... هل ...) ... لم يستطع أن يكمل،  
فترك المهمة لمقلتيه التان رمقتها برجاء

خفي يطفى عليهما الترقب، فأجابت بثقة  
والعبوس يهجم على قسماتها المليحة ..

(لا استطيع ... إن كنت في بعده أعاني من  
مرارة تذكر العذاب الذي عشته .... فكيف  
وهو أمامي ... لن يحصل أبدا.. لا أريد .... بل لو  
استطعت عدم رؤيته في المستقبل ... لفعلت  
اللازم .... لذلك ..) ... انشرح صدره لكن  
الخوف اللعين أبي الفراق عن باله، فقال  
بتوجس ...

(يقولون أن الحب والكره وجهان لعملت واحدة  
...)... (عفوا... لم أفهم قصدك ...)  
استفسرت بجهل، فرد ...

(رؤيته تذكرني بالذل الذي عشته وصبرت  
عليه ... هل فهمتني ...؟) ... رد بأسى، وهو  
يرخي جسده على المقعد..

(أجل ... أنا آسف ... لكنني أتمنى لك حياة  
سعيدة ... مع رجل بحق ... وليس حيوانا يدعي  
الرجولة ..) ... أطرقت بحياء تتمتم بشكر،  
فأردف برقة ..

(لا تحسبي كل الرجال مثله ... لولا عمر .. ما  
كنت وافقت على دفع تكاليف علاجه  
.. لكنه أقنعني بوجود ذلك ... من  
أجلك ...) ... رفعت رأسها، ترمي السيد عمر  
بنظرة ممتنة، حنوناً، قبل ان تحيد اليه  
بنظراتها الممتنة تهمس بلطف ..

(أقصد أن المرء ينسى أمر من لا يهمه ... لا  
بكره ولا بحب ...) ... وضعت القلم وشبكت  
كفيها، تجيب بجدية ..

(لكنني لست أكرهه ...) ... اسود وجهه فجأة،  
وهي تستدرك دون أن تغفل تغير ملامحه ..

(أنا أكره ما عشت معه ... أما هو فلا يهمني أبدا  
... والدليل على ذلك هو عدم اهتمامي

بخياناته حتى وهو يخبرني بها ....) .. علا  
الاحمرار وجنتيها مما أفصحت عنه، والمشاعر  
تتعاقب على ملامحه التي انصدمت وهو يهتف

...  
(وهل فعل ؟؟) ... أومات بخزي، تردف بامتعاض  
...

(شكرا لك ... وله طبعاً ... لولا رحمة الله بي  
من خلالكم ... لا اعلم ماذا كنت سأفعل  
...). ... أمال رأسه قليلا يبتسم لها، وهو يرد ...  
(ألا يقولون أن القدر يلاحق صاحبه حتى  
يصيبه؟؟ ... وقدرك كان سيلاحقك حتى  
يصيبك ...). .. توترت من نظراته التي فهمت  
معناها، فجمعت الأوراق تقول بنبرة تقصدت  
علوها قليلا كي يسمع السيد عمر ..  
(أظن الوقت قد انتهى اليوم .....) ... قام من  
مكانه وقد تلقى اشارتها، يقول بخرج ...  
(بلى ... إلى الغد إذن؟؟) ... لا تعلم لما شعرت  
بسؤاله يتعدى الرسم، وهي تومئ بتأكيد  
تغمغم بمشيئة الله.

استدار ياسين فوجد السيد عمر في وجهه  
يبتسم له بتسليته كما يهمس ... (تحدث يا  
رجل ... واتخذ خطوة إلى الأمام..) ... مسد  
ياسين خلف عنقه، يرد بنفس الهمس وهو  
يسرق نظرات لا تنتهي إليها ...  
(عدتها لم تنتهي بعد ... أليس ذلك عيباً؟؟ او  
شيئاً ما نحو ذلك؟؟) ... ضم عمر شفثيه كابتا  
ضحكته، ثم قال ...  
(بل اظنك خائف من الرفض ... كم تبقى على  
عدتها؟! ... ليس كثيراً ... فقط تشجع ... ودع  
خوفك على الله .. ثم بعده علي أنا وجيشي  
المتواضع .....) ... رمقه بامتنان يربت على اعلى  
ذراعه قائلاً بلطف .....

## المشفى .... القسم الباطني

(كيف حالك الآن؟؟) ... أفضل كتاب الله ذو  
الحجم الصغير، ووضعه جواره يبتسم لها بهدوء،  
وهو يرد ...

(أفضل والحمد لله ... أظنك على حق ... ولن  
يكون علاجي سوى القرآن ... كلما انصت له  
... أو قرأته ... أجد في نفسي التحسن ...)  
أومات بسرور تقول وهي تتفحص مؤشراته  
الحيوية ..

(الطبيب متفائل بعد زيارته لك هذا  
الصباح .... يجب أن نواضب على الرقية .... وأنت  
لا تفارق كتاب الله والطهارة .... وستتحسن

(أشكرك عمر ... لو طلبت من براء ... التقصي  
عن رأيها ... سأكون ممتنا لك .. وإن وافقت  
بعد انتهاء العدة بيوم واحد ... سأطلب منها  
الزواج دون تردد ... بإذن الله ..) ... ربت على  
كتفه يقول بسرور ..

(توكل على الله .... وكل شيء سيكون بخير  
... فقط أمهلني حتى ينتهي لقاءها المرتقب ....  
يسر الله أمرك ...) ... تمته ياسين قبل أن  
ينسحب الى مكتبه وهو ينظر إليها بشوق ...  
(أمين ... أمين ...) ...

.....



بإذن الله ... )... أمن خلفها ثم سكت يرمقها  
بتردد، فقالت ....

(ليس هناك خبر بعد ... سألت صديقتي  
خطيبها ... وأخبرها أن الرسالة وصلتها ... فليس  
عليك سوى الانتظار ...).. أسدل جفنيه بأسى  
يريح رأسه على المخدة خلفه، فأطلقت سراح  
رسغه بعد أن أنهت جس نبضه، تقول بهدوء  
يخفي حرقة وسط صدرها ...

(الصبر يا عزيز... موقفها صعب... يلزمها بعض  
الوقت)... لا تنكر رغبتها في قدوم حفصتا،  
كي ترى من عانت مثلها يوما ما، وكي تتيقن  
من عدم حبها للرجل الذي دخل قلبها لا تعلم  
حتى لما، تريد حمد نيران ضميرها. ألا يكفي  
أنها تحب رجلا أصغر منها؟! وقد لا ينظر إليها

أبدا، لتضيف فوق ذلك حبه لفتاة مناسبة  
والأهم أنها زوجته؟! كانت زوجته!! كانت!!..  
زفرت فتأمل تغير ملامحها وتفكيرها الساهم،  
ليسألها بفضول (...ماذا ستفعلين لو كنت  
مكانها؟؟).. حدقت به فجأة بصدمتها، فباع  
ريقه يستدرك...

(أقصد .... أنت امرأة مثلها ... كيف ستصرف  
برأيك؟؟)... تنفست بعمق، تسيطر على دقائق  
قلبها، وقد ظنت لبرهتها أنه يعلم عنها كل  
شيء، وأن صديقتها لم تكن محقة حين  
أخبرتها كونه في غيبوبة ولا يسمعها. تحدثت  
بما تعلمه يقينا ولرغبة خفية في نفسها ....  
(ما أعلمه أن قدومها حين يحدث سيكون له  
معنيين ... إما أنها تريد رؤيتك على وضعك

وتشمت فيك ....أو لتشفق عليك  
وتسامحك...)(... تلاكأت تميل نحوه قليلا وهي  
تردف بجديتة...)(وفي كلا الحالتين ...قد  
تكون تجاوزتك إلى الأبد عزيز ... فلا تتوقع  
خلاف ذلك ...)(... طرف بجفنيه يجيب بوجوم

...

(قد تكونين على حق ... لكن لو رأيت ما  
رأيتة في حياتي هنا .... لما كنت يقينا  
مثلك)... قطبت وهي تستقيم في وقتها،  
تستفسر بحيرة ...

(ماذا تقصد؟؟)... رفع يده ووضعها على جبينه،  
وهو يجيب ...

(أقصد أن النساء هنا ..يصبرن على ازواجهن ....  
مهما ساءت معاملتهم .... وقليل جدا من يتخذ

موقفا ...بل هناك من يلجأ لحلول ملتوية ....  
دون أن تقوم بحل صارم ظاهر ..... )(.. لم تسأله  
التفسير اكثر، وهي تسأل سؤال أهمها ...  
(وما رايك أنت؟... هل ستطلب منها ردها  
إليك... إن سامحتك؟؟).. نظر إليها بغموض،  
ثم قال بملامح خاليتة من التعبير ...

(الأهم عندي الآن هو الحصول على غفرانها ....  
ولكل حديث بعده حادث .....)(... احتدت  
أنفاسها فأثرت الابتعاد نفاذا بكرامتها، لكنها  
هتفت بحنق قبل أن تنصرف ...

(لا تنسى أنها تطلقت منك ...وأنت على فراش  
الموت ...وهذا معناه واحد لا غير ....أنها لا  
تريدك .... سأذهب لعملي ...حاول أن تنام  
.....)(... أقفلت الباب خلفها بشيئ من الحدة،

غامضت، وهو يطوي الورقة ويدسها في جيبه،  
يقول ...

(شكرا لك ... يمكنك الانصراف ...)

برقت عينيها بطمع وهي ترد بحماس ...

(عفوا سيدي ... أنا في الخدمة ..) ... عاد

يهمهم قبل ان يقول بملامح متهكمت لكن  
دون أدنى لمحة للمرح ...

(مهممم ... انتبه يا ..... أنست؟؟) ... سأل،

فأومات مؤكدة ببسمة اختفت حين أكمل

بنبرة كان فيها من المرارة ما أقنعها بصدقه....

(اسمعي من رجل لا يفصله عن الخمسين سوى

أربع سنوات لا غير... ورأى من الحياة ما هو

متأكد أنك لن تريه ولو عشت الى المئة ....

فابتسم لأول مرة بعد أن استيقظ من غيبوبته،  
بل لأول مرة بعد سنين طويلة، لم يعد حتى  
يذكركم عددها.

.....

القسم النفسي .....

همهم كعادته وهو يطالع على محتوى الورقة،  
ثم رفع راسه قائلا بتبرم ...

(مهممم ... إذن لا فجر حتى بين المرضى!!) ... ..

هزت الممرضة رأسها بخفتة، تراقب تمعنه في

قراءة اللائحة، ليقف على اسم معين لفت

انتباهه بدهشة لم تطل حتى انقلبت إلى بسمة

(... ففرت ففها ترمقه بتوجس، وهو يردف  
بوجوم ...

(كل ما نعيشه على أرض هذه الدنيا من حياة  
... لا تستحق كل ما نفعله من اجل كسب  
الدرهم مهما كثرت ...).. تحرك من مكانه  
مقتربا منها يكمل بحزم ...

(فما بالك بالحرام !!... )... تمتت بتوتر  
فقاطعها بنفس الحزم ينهي حديثه ....

(كنت استطيع الحصول على اللائحة بشكل  
عملي ...ومن رئيس القسم بنفسه .... فلا  
تخلطي بين الهدية والرشوة...ولا تسمحى  
لنفسك بتقديم عمل على آخر من اجل المال  
.... يمكنك الانصراف ...وشكرا لك)...

ابتعدت مهرولتا، في نفس اللحظة التي لمح  
فيها الطبيب أمين يبحث عنه ...

(انهيتم الفحص؟؟).. هز رأسه سلبا يرد برسمة  
...

(بدأت الطبيبة النسائية عملها للتو...فقد  
قاومتها بشدة ...حتى اضطرنا لحقنها بمهدئ  
... لا أعلم لما هذه الطبيبة بالذات؟؟...فقد  
كانت مستسلمة لي ولزميلي في قسم الأشعة  
...). ابتم بظفر، يسأل بتجاهل ...

(ما نتيجة فحصك؟؟).. جعد دقنه مجيبا ...  
(لا شئ أكثر من ذي قبل ... فقر الدم ...  
ونقص في الفيتامين دال تلاته ...وجسم منهك  
... يحتاج للراحة والكثير من التغذية  
الصحيحة ...). صمت البروفيسور وهو يضم

الطبيب لحالة قريب له (...). ضحك

البروفيسور يرد ساخرا ...

(في حين نحن نقصد الطبيب القريب...ونفتخر

أيضا بأننا قصدناه ..... غير متفهمين لمدى

خطورة اضطراب المشاعر بسبب القرابة .... لا

عليك ... شكرا لك ...)... تمته وهو يرمقه

بريبتة...

(العضو.... هذه نتائج التحليل.... يمكنك

مراجعتها إلى أن تنتهي الطبيبة من عملها...)

هز رأسه وهو يتسلمهم منه.

.....

شفتة السفلى، يفكر بعمق والطبيب يراقبه

بحيرة ليجفل على سؤاله الغريب ...

(الى أي مستوى قد تتماذى لمساعدة إنسان

يعاني يا دكتور؟).. (ها؟؟)... رد ببلاهة

فابتسم البروفيسور يعيد تشكيل سؤاله ...

(أقصد .... هل يمكنك تعدي بعض مبادئك

..أو لنقل بعض قناعاتك ...لتساعد مريضا

يتأذى في عذاب أليم؟!....) .. فكر قليلا قبل

ان يجيب بنبرة لم تخلو من الحيرة....

(هذا يختلف حسب الشخص .... يعني...قد

اساعد مريضا غريب عني بكل ما استطيع ...

لكن هناك اشخاصا قد تصل محبتي لهم في

ان اتجاوز بعض الحدود ....وأظن لذلك بالذات

هناك قانون في الغرب يفرض عدم تولي



مكتب اسماعيل ....

دقتين خفيفتين على الباب وتلاه دخولها،  
ليبتسم لها بدفء شابه بعض الحيرة، فبسط  
لها يده واستجابت تتقدم نحوه، وتستسلم  
لضمته وقبلته على وجنتها....

(هل أنت بخير؟؟) .. سأل دون ان يطلق سراحها،  
فأسرت لنفسها.. (بل...هل انت بخير؟؟) ...  
لكنها نطقت بتبسم بحياء... (على خير  
حال... الحمد لله ... كيف كان  
صباحك؟؟) ... تفهم حالتها الغريبة حياء مما  
حدث بينهما، فرد مستعيدا الدفء في بسمته  
مع بعض المرح ...

(مختلف ... رغم رويته المعتاد ...).. بللت  
شفتيها بارتباك فمال يقبلها بخفتة، لتحمر  
بشدة، وتتوتر أنفاسها تقول متهربة من مشاعرها  
الجياشة ...

(هل مررت على مريم؟) ... لا زال يمسد على  
ذراعها وهو ينظر الى عينيها، يشعر برغبة في  
ضمها والنظر إليها لفترة أطول ....

(البروفيسور يتابع حالتها ... إنها تخضع لفحص  
شامل ... أنهيت جولتي ... وجولتك ...  
وانتظرتك كي نلحق به ...). أمالت رأسها  
تقول بنبرة ممتنة ...

(لم يكن عليك فعل ذلك ... أشكرك  
...). رفع يده يلمس وجنتها برقة فراحت

تبحلق في عينيها ذات اللون البني الغامق، تلمع

## المركز الأمني....

(سيدي ...هناك آنستة تريد رؤيتك)... رفع رأسه من على الحاسوب أمامه، يسأل بريبت ..

(من؟؟)... (أنا!!)... التفت المساعد الى الوالجتة تهتف بفخر لم يخفى على كليهما، فنظر الى رئيسه الذي أشار له لينصرف ففعل. ارتخى على مقعده يحدق بها للحظة قبل أن يقول بحاجب مرفوع ....

(لمن أدين بالشرف؟؟)... تخصصت براء بيدها الحرة، ترد بامتعاض ..

## ببريق جديد لم يفلح البلور الرقيق لنظارتته في إخفائه...

(لا تتعودي على ذلك .... أردت لك الراحة صباحا ...بعدهما حدث بيننا ...).. جف حلقها فتلفتت تبلع ريقها وهي تغمغم تحت أنظاره المتسلية برزانة لا تليق سوى به ...

(هل ...ناحق بالبروفيسور؟؟)... سحبها مرة أخرى يقبلها بعمق، قبل أن يبعدها وينظر في عينيها هامس بهدوء..

(يمكننا الذهاب الآن)...

.....

(وما الذي يجبرك على مقابلة التنين  
المتوحش؟؟ ... ..) ... قلبت عينيها تقول بيأس  
..

(يا إلهي ... وبارد أيضا ... ) .. (انظري هنا!!) ...  
التفتت إليه، فأشار إلى الباب يقول بتجاهل ...  
(البارد يطلب منك الانصراف ... قبل أن يتحول  
الى طرد ... لن يكون غريب عليه ... فهو في  
النهاية قليل ذوق ... ) .. صمتت ترمقه، فصمت  
يبادلها نظراتها الغريبة، ليتحول الأمر الى تحدُّ  
كسبه بجدارة حين فرت تتعلل بتفحص  
الغرفة، ليقول بتسليّة انعشت قلبه ...  
(الطلاء قديم قليلا .... لكنهم وعدونا  
بتجديدات قريبة بإذن الله ... ) ... رمته بنظرة

(هل هكذا تستقبل ضيوفك من المواطنين  
الذين أنت في خدمتهم يا حضرة المفتش؟؟) ...  
زفر بخفوت يرد بنفس امتعاضها ...

(حضرة المفتش غارق في قضايا المواطنين  
الذين هو في خدمتهم ... ولا ينقصه ازعاجا من  
مواطنة تشعر بالملل لأنها في عطلة مرضية  
(... ..) .. نفخت بحنق طفولي وجلست على أحد  
المقعدين أمام مكتبه، فاستدرك  
مستنكرا ...

(من سمح لك بالجلوس؟؟ ... انا مشغول ...  
أنصحك بالانصراف ... ) ... قالت بغيظ تحاول  
السيطرة على فوضى مشاعرها ...  
(أنت قليل ذوق ... وتنين متوحش ... ) ... ابتسم  
لها بسماجة متعمدة يرد بتهكم ...



(لكنني المهددة هنا... من حقي ...) ... قاطعها  
بنفس سخطها ..

(لا حقوق لك... لأنك من تطلعت على أمر لا  
يخصك ..) ... (كيف لا يخصني!!) .... إنه  
عملي كشف المجرمين للعامة!!) ... (بل عملي  
أنا يا حضرة الاعلامية .... وبعدها يأتي دورك  
لإعلام الناس ... أما ما تفعليه ... فهو منح  
فرصة جيدة لهم كي يأخذوا حرصهم أو  
يضررون من العقاب ... ) ....

تجمدت تحدجه بنظراتها المشتعلة، وصدورها  
يلهث بأنفاسها المتلاحقة، يدها الحرة على  
سطح مكتبه، والأخرى معلقة إلى صدرها.  
توقف به الزمن هذا ما شعر به، أو لم يشعر من  
الأساس يراقبها بتلك المقلتين الأقرب للسواد

ضجرة، فابتسم لها ببراءة مزعومة، يطرف  
برموشه السوداء، ثم قال بجديته ...

(ماذا تريدون براء ؟؟) .. لم يغفل ذلك التوسع  
الطفيف في مقلتيها لبرهته قبل ان تستجمع  
نفسها، قائلة بنفس جديته ...

(أريد سيارتي ... وآخر التطورات ) ... تنفس  
بصخب وهو يميل إلى الأمام، يرد بنبرة باردة  
متعمدة...

(طبعاً كنت سأعلمك حين ننتهي من السيارة  
... أما التطورات فأنت أعلم .... بأنني لن أخبرك  
بشيء .... ) ...

عبست تلوح بيدها الحرة، وهي تهتف بسخط ...

من الزرقة بسبب حماس غضبها، يجهل السبب  
في اشتعال صدره في حضرتها، بطريقتة لا تشبه  
غضبه المعتاد ولا حماسه لعمله.

تنحنت بخفوت وهي تقف على قدميها، قائلة  
...

(أريد سيارتي بأقرب فرصة... كي لا يشك  
أبي في الأمر... فهو لا يصدقني... )... هز رأسه  
لاعنا سهوه اللحظي، يرد بجمود ...

(لا مشكلتة... غدا بإذن الله... سأبعثها لمن  
يتكاف ببيعها... وأرسل لك عنوانه... )...  
استدارت منصرفتة، فقال يوقفها ...

(براء !!)... توقفت والتفتت تنظر إليه، ليقول  
بهدوء باطنه تحذير ...

(استمتعي بعطلتك... وارتاحي كي تُشفي ...  
يمكن للعمل ان ينتظر ... ولا تقلقي بشأنهم  
... أنا بارع في عملي.. )...

مططات شفيتها بسخط، واستأنفت طريقها تقول  
بنبرة تعمدت علوها كي يسمعها ...

(مغرور !!)... ضحك بخفتة يومئ بيأس، وهو  
يسحب هاتفه. وضعه على أذنه ليقول بجديتة ..  
(إياك وان تغفل عنها... إنها تخطط لشيء ما  
... أنا متأكد... سلام ... )...

.....

المشفى ... القسم النفسي ...

فتح الباب وأشار لها بالدخول وليترك كفها  
أخيرا، استدارا إليهما فضيق البروفيسور مقلتيه  
ليبتسم قليلا بإدراك، ويلتفت إلى الأوراق بين  
يديه يقول بمرح ..

(مرحبا بزوج الأظبة .... انضما إلي في حفلاتي  
الخاصة من فضلكما...) .. تفقدت طائعة مريم  
النائمة، واسماعيل يقف جوار البروفيسور  
وأمين.

(لما لا تزال نائمة؟؟) ... سألت بتوجس، فرد  
البروفيسور بتهكم ...

(لأنها تصرفت كفرسة جامحة ... وقاومت  
الطبيبة النسائية... فمدوها بمهدئ ... لا تقلقي  
ستفيق قريبا ان شاء الله .... ويجب ان نكون  
على استعداد ... لنضع خطة علاج ...)  
اقتربت منهم مقطبة، وهو يشير بالأوراق في  
يده ويلقي بخبره الذي تأكد منه...

(إنها عذراء ...) .. (ماذا؟؟) .. تلقفت الأوراق  
تطالعها مع اسماعيل الذي لا يختلف عنها  
دهشة، بينما يقول أمين بصدمته لم يفق منها  
بعد ...

(اعذركما ... إن كنت لا أصدق إلى الآن  
...) ... حرك البروفيسور عكازه، يقول بجديته  
...

(وهناك المزيد... أنا متأكد... لكن هناك  
تقرير جديد يجب ان يكتب ويبحث حالا إلى  
وكيل الملك... كي يفرجوا عنها...)  
أومات طائعت تبتسم بسرور شعت له قسماتها  
تهتف بهجت ...

(يا إلهي الرحيم... سأكتبه حالا واخبر أيضا  
أهلها...)  
مطط البروفيسور شفتيه يقول  
بتهكم ساخط ...

(أجل... أسرع... كي تعود الراية البيضاء  
لترفرف فوق بيتهم... سحقا!...)... أنهى جملته  
بهمس غاضب، فربت على كتفه إسماعيل الذي  
قال بمهادنة ...

(مهما أنكرنا بسبب وعينا... فهذه الفتاة في  
مأزق أكبر من مرضها... إن لم نخبر أهلها

(ونفشي الخبر...)  
... وفي حالات تعتبر نادرة  
لدى البروفيسور نطق بنبرة مجادلت تشوبها  
الجدية والحزم مع لمحة حزن ...

(لكن مرضها أهم وأخطر... يجب ان تفهموا ان  
خالقها... ومنذ أن مرضت قد رفع عنها القلم  
... فمن نحن كي نحاسبها حتى لو أخطأت؟؟...  
شغلوا عقولكم ..) ... لمس جانب جبهته  
بسبابته وهو يكمل بوجوم...

(أذكر حديثا تعلمناه في المستوى الثالث  
ابتدائي... تغيرت المقررات الدراسية عبر  
الزمن ولم يحدفوه... إلى الآن...  
قال رسول الله صل الله عليه وسلم

"رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ،  
وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى  
يعقل"

(رواه الإمام أحمد في مسنده) \*\*.... المعتل في  
عقله لا يؤخذ حتى في القتل... ويحاكم  
كالقاتل بالخطأ... فكيف نحاسبه نحن على  
باقي الأخطاء؟؟)... تنفس بحدّة وكأهم  
يومئذون بأسف، لظلم مجتمع يترك دائما  
الأمر المهمّة والعظيمّة، ويمسك في التوافه  
ويلوحون بها فرحين بفسخ. تحدث أمين وهو  
يلمح العرق النابض في عنقه بارزا بشكل نافر،  
يقول بهدوء ...

(اهدئ بروفيسور... الله اعلم بنا ... نحاول  
التوعية على قدر المستطاع... لكن السنين

الغابرة أثقلت في النفوس ... تحتاج لسنين  
توازيها كي نمحو ما خطت في العقول ...)  
شخر البروفيسور يعود لتهمه وهو يجيب  
بجفاء ...

( بالله عليك.... الحديث قيل بلسان الرسول  
عليه الصلاة والسلام ... يعني قبل قرون  
مضت.... تناقلته الأجيال بمعناه البين والواضح  
... لكن الجهل دائما ما يُتخذ منفاذا لأنانية  
البشر ...). تقدمت طائعت ووقفت أمامه ترفع  
كلا كفيها وتبسطنهما، بعد أن سلمت الملف  
لزوجها تقول بغموض حير الأخير وأمين ...  
(هلا هدا أنا ... كي نفهم الحالة بين  
أيدينا؟؟)... تنفس برتابة وهو يرمق كلا

(أجل ... فالوضع جدا خطير .. يتعلق برجولته  
العظيمة... كيف له أن يقضي سنتا معها في  
الزواج دون أن يلمسها؟!... هذا أمر شائك أليس  
كذلك يا دكتور؟!...).. نظر إلى اسماعيل  
الذي تجمد يرمقه ببلاهة، قبل ان يرمي زوجته  
بنظرة من طرف مقلتيه للحظة وجيزة جدا،  
لكنها لم تكن لتفوت البروفيسور الذي لمح  
احمرار المعنيتة، لتتسع بسمته يتأكد له  
شكه.

نطق أمين بغضب زاد من اتساع بسمته  
البروفيسور، يستدير إليه اخيرا يعضي اسماعيل  
وزوجته من الإحراج الذي ألم بهما ....

كفيها بالتناوب للحظة، ثم رفع رأسه قائلا  
باستسلام ساخر...

(حسنا ... اجلسي واكتبي التقرير... ونحن  
نتناقش ... وبعد ان ننهي يمكنك زيارة أهلها  
قبل مغادرتك وابلاغهم بالأمر... لكن  
احذرك ...مما قد يفعله زوجها العتيد إذا علم  
بالأمر .....).. أنزلت كفيها إلى جانبيها  
مقطبة بحيرة، تقول بوجوم...

(آخر ما علمت عنه ...شروعه في معاملات  
الطلاق ..).. رفعت سبابتها تربت على دقنها  
بتفكير، واسماعيل يقر بوجوم ..  
(قد يكون رده عنيفا ...).. أصدر البروفيسور  
ضحكة خالية من المرح وهو يتشدد ...

(لو لم تكن شخصيتها الأساسية... من نعتته  
بالخائن... ما كنت قررت ان من مصلحتها  
التخلص من الزوج بشكل نهائي....) ... التفت  
إلى طائعت واسماعيل قائلاً بجذل، يبتسم  
بحماس....

(ينتظرنا عمل كثير... وأسأل الله التوفيق  
... لأنني لست مستعد لفقدان هذه المريضة  
مهما كلفني الأمر....) ... رفعت ورقة التقرير  
تمدها له، فتدخل اسماعيل قائلاً....

(أظنك ستعمل على شخصيتها الأساسية!!) ...  
أوماً وهو يعيد الورقة إلى طائعت، بينما أمين  
يراقبهم بتمعن ...

(سأنتظر استيقاظها... وابدأ في استجوابها  
.... يجب أن أعلم من انتقلت منهم؟؟

(سمنعه من رؤيتها... بسبب مرضها.. سيكون  
من حقنا ذلك....) ... ضم شفتيه إلى الأمام  
بتسليّة يقول بتفكه ..

(حقك بأي صفة بالضبط؟؟ ... فمهمتك  
انتهت حين قررت خلوها من الأمراض العضوية  
... سوى نقصان في بعض الفيتامينات!!) ...  
ارتبك أمين يرد بتوتر، وكعادة الأطباء بدءاً  
في التحليل السريع ليكبت كلاهما بسمت  
مرحت، والبروفيسور يرفع حاجبه منتظراً ما  
سيقوله...

(أقصد أنتم.... ستمنعونه... ألن تفعلوا؟؟...  
.. حل صمت مريبك لأمين، جميعهم ينظرون  
إليه، ليقرر البروفيسور الحديث أخيراً وبشكل  
قاطع..

....وكيف؟؟ ... من الأفضل إن لم يحضر أيُّ  
منكم في بدايته الأمر....).. استنكرت طائعت  
...

(لكن برو...).. قاطعها يفسر .....

(خصوصا أنت ...أو حتى الدكتور هنا .. )...

أشار الى أمين وهو يكمل ...

(يجب أن أحدد موقفها منكم ...بل من كل  
معارفها ....حينها سأقرر من تقابل ومتى تقابله  
...).. هزوا رؤوسهم بتفهم ، وهو يسترسل

بعملية ...

(أنتِ وزوجك ...ستهتمون بأمر التقرير....

وإعلام أهلها ... لكن قبلا يا اسماعيل ...أصدر

أمرًا بمنع الزيارة عن مريم ... مهما كانت

أهمية السبب أو الشخص ...سوى بإذن منك  
شخصيا ... كما أريدك ان تبعت لي بعض  
الأدوية حالا ...سأكتبها لك ...).. قارن  
قوله بفعله يدون بعض أسماء الأدوية، ثم طلب  
من أمين الرحيل. ما إن اقبل الباب حتى استدار  
يسأل ببرود مفاجئ ....

(لم تخبراني ... بأن أختك نزيلت في القسم  
هنا ...).. شهقت بخفوت، ونظرت إلى اسماعيل  
الذي اكتسى وجهه بجمود ، يرد بجفاء غير  
متعمد ...

(لم تحدث مناسبة ... ك... كيف

علمت؟؟).. رفع عكازه يشير إليه قائلا ...

(علمت بطريقتي ... يا دكتور ...فأنا أعمل هنا

الآن.. بتصريح منك شخصيا ... ها انا ذا



(مع احترامي بروفيسور ... لا أسمح لك ..)...  
لم يتحرك من مكانه يضيق من مقلتيه، وهو  
يقول بنبرة حازمة ...

(على الأقل أنا شجاع بما يكفي لأكون  
صريحا ... ولأقول لك ... ولها ... وضعكما لا  
يعجبني إطلاقا.... فأنا يا دكاترة الطب النفسي  
... لا أختبئ خلف قناع الجمود والبرود أو ادعاء  
الضعف ... ..) ... تسمر كلاهما مكانه، وهو  
يكمل بنفس حزمه ...

(أثرثر حد الضجر...وقد أكسر ما حولي من  
أمتعت... أسخر...أتهكم ... أناقش ...أجادل ...  
لكن أبدا ... لا أدعي ما لست عليه!...)... نظر  
اليه في عينيه بتحد ان يستنكر عليه ما قاله،  
فتنحج إسماعيل يقول ...

أجبت... مع ان هذا لم يكن موضوعنا ...)... لا  
زالت طائعتي على جمودها، واسماعيل قد اقترب  
منها يسأل البروفيسور بحذر ...

(وما هو موضوعنا بالضبط؟؟)... زم شفتيه إلى  
الأمام ثم مال بهما جانبا، وهو يتأملهما بتسليته  
يرد بتهكم...

(يعجبني مدى توافقكما الظاهري هذا  
...حقا!)... كل مرة تسرع لتقف بجانبها وهي  
تمتل دور المستنجدة بك ...)... عضت شفتها  
تضم حاجبيها بعتاب، واسماعيل تشتعل مقلتيه  
مقتربا من البروفيسور يقول بنبرة تشي بمدى  
قرب نفاذ صبره ...

(أظن ... أننا قادرين على حل مشاكلنا ...)  
نادت منه ضحكتة ساخرة أشبه بشهقة عالية،  
يرد وهو يميل بجذعه إلى الخلف قليلا ثم إلى  
الأمام...

(وما هي المشاكل التي تنشأ في الشهر الأول من  
الزواج؟؟... حقا اضحكتني دكتور.... كان  
يجب ان تعلم افضل من هذا ...)  
... زفر اسماعيل  
بقنوط، وطائعتا كتمثال يراقبهما لا تعلم  
كيف تتصرف!، تشعر بنفسها في حفرة  
مفخخة الجوانب...

(إذن دعاني اعطيكما خيطا ... تمسكانه من  
أي مكان تريدان ... .. أنت لست بالبرود الذي  
تظهر به .. وهي ليست بالضعف الذي تظهره لك  
... .. انصرفا ... ولا تنسى الدواء ... معه ملف

عن حالة أختها.... سأطلع عليه الى أن تفيق  
مريم ...)  
... رفع رأسه الي طائعتا ينهي حديثه  
قبل أن يستدير موليا لهما ظهره...

(حين تكونين جاهزة ... سأنتظر جانبك من  
القصة ... عن اخت لم تذكرها من قبل ...)  
انسحبت تفر، واسماعيل يقول رغما عنه بنبرة  
رسمية ....

(هل أبعث لك بالعشاء هنا؟ ... جدي أوصاني  
بإحضارك لبيتنا طوال فترة إقامتك في  
مدينتنا ...)  
... استدار يبتسم كأنه لم يكن  
حائقا، قبل قليل يقول بسخرية تميل للأسى ...  
(هل أعتبر هذا طردا مؤدبا من تلميذي العزيز؟  
...)  
... أسدل المعني جفنيه بيأس، ثم قال  
بنبرة معاتبة ...

وكذلك لو ارتكبوا شيئاً فيه اعتداء على  
الآخرين كإتلاف المال وإتلاف شيء من الأنفس  
فإنهم يغرمون المال الذي أتلّفوه وكذلك لو  
قتلوا نفساً في هذه الحالة فإنه يعتبر هذا من  
قتل الخطأ فتجب عليهم الكفارة والدية على  
العاقلة لأن حقوق الأدميين لا تسقط بذلك  
لأن مبنائها على المشاحة، وأما حقوق الله  
سبحانه وتعالى فمبنائها على المسامحة.

.....

منزل ..... آل عيسى ...

قبل رأس والدته وقام بخفّة، ثم سحب الغطاء  
إلى حدود صدرها، وعاد يقبل أعلى رأسها قبل

(بروفيسور... من فضلك... تعلم ان ذلك لم  
يكن قصدي... )... أبتسم بغموض يقول ...  
(إذن سأقبل بالعشاء هنا ... وعصير برتقال  
منزلي ... لو أمكن شكرا لك .....).... أوماً له  
باسما، يستأذن منصرفاً، والبروفيسور يهمس  
بمرح ...  
(الاستفزاز العاطفي .... داااااااااا ما ينجح  
.....).....

\*\*معنى الحديث رفع الإثم عن هؤلاء الثلاثة  
فلا يؤخذون ما داموا في هذه الحالة لأنهم غير  
مكلفين، لكن النائب يقضي الصلاة إذا  
استيقظ كما جاء في الحديث الآخر.

ماذا لو تأذيت؟؟...ماذا لو كان أحدا ما ضربك  
أو تعدى عليك؟؟... (....) ... شهقت بخوف، وهي  
تبحلق فيه برعب أرعد صدرها، تتساءل كيف  
ستشعر لو انتهى بها الحال مثل والدتها؟! أجفلت  
عليه يربت على يدها بحنو، يستطرد ...

(فكري تغريد ... قبل ان تتصرفي ... أنت لست  
طفلة ... كي لا توازني الأمور... هل تستطيع  
الاعتماد عليك؟؟).... أومات بارتباك وخجل،  
فابتسم لها وقام يقبل جبينها يهمس، قبل ان  
يقترب من زوجته ...

(يمكنك العودة إلى المدرسة منذ الغد  
... اعطني بنفسك ... من أجلي...).. ابتمت  
بتأثر، تلمع مقلتيها بدموع وشيكة، فالتفتت  
إلى التلاز تتهلى بها حتى تتحرك في نفسها.

ان ينسحب بهدوء كما أفضل الباب خلفه. توجه  
إلى غرفة الجلوس حيث وجد تغريد تتفرج على  
التلفاز، وحق مستغرقة في رؤية شيء ما على  
هاتفها الذكي الذي أهدها لها حديثا. جلس  
بالقرب من أخته يربت على أعلى كتفها قائلا  
بلطف ...

(كيف حالك مع العقاب؟؟) ... تفاعا من  
بسمتها الخجلة، المتردد، تجيب بهدوء ...  
(لولا قلقي على الحصص ... لكنت أجبتك  
بأنني لا اكثرت ...).. (يا شقيطة!..).. دفع  
كتفها بمرح، ثم قال بجديته ...

(ما فعلته خطأ في حقك... قبل حق عائلتك  
يا تغريد ... لم يكن غضبي من أجل العائلة أو  
لأجلي... بالقدر الذي كان خوفا عليك ...

(لا يجب عليك اتباع نفسك ... وأنت حامل  
...هي محقة .... هناك خادمة تساعدنا ...وان  
أرادت أخرى... أحضرناها ... لكن إن أردت  
الذهاب الى الجامعة ففعلي ...).. احمرت من  
امساكه ليدها، ترمي تغريد بنظرات متوترة،  
ثم قالت بإشفاق ...

(قد لا تفهم الخادمت عليها ... لذا لا تستطيع  
تركها لهن ... في الوقت الحالي لا ينقصني  
شيئ ...الشرح يصلني الى قعر بيتي .... الله  
أعلم..... قد تشفى أمي قريبا ...).. رمقها بتأثر،  
وحبه لها يزيد كل يوم عن الذي قبله، يهمس  
بحب ...

(كما تريدن ... ما فحوى المحاضرة التي  
تنصتين إليها؟) ... تركزت حواسها بحماس

(ماذا تفعلين؟) ... سأل وهو يقعد جوارها،  
فنظرت إليه تنزع السماعات من على أذنيها،  
وتريه شاشة الهاتف قائمة ببهجة ...  
(أنصت إلى محاضرة ...فبعض الطلاب يصورونها  
وينشرونها في الصفحات الخاصة بالتخصص  
على الفيس بوك...) ... هز رأسه باسم لها  
بتشجيع، يقول ...

(يمكنك الذهاب إلى الجامعة ...إذا أردت حق  
.....) .. وضعت الهاتف أمامها تفسر بخفوت نبرتها  
وهدوءها المعتاد ..

(في الحقيقية ... لا أريد ترك أمي لحالها  
...الخالت شمتة تقوم بما يكفي من أشغال البيت  
... وتمنعني من مساعدتها بسبب الحمل ...)  
... امسك بيدها بين كفيه يقول بتحذير ..

سفينة واحدة...هي الدنيا...)(...أوما بتفهم،  
ثم قال ....

(أظن السبب الرئيسي في الازمة المالية  
...كانت المصارف الأمريكية؟؟)(... ردت  
عليه موافقةً وأضافت...

(بلى ... وبالذات القروض الع ق ا رية ... فقد  
كثرت القروض بسبب سهولة الشروط والقوانين  
للحصول عليها ...حتى تكدست على  
المواطنين فلم يستطع أغلبهم تسديدها ...إلى  
أن أعلنت البنوك افلاسها ...مما سبب بدنو  
خطير في البورصات... التي أساسها يرتكز  
على الأخبار إن كانت صحيحة أم خاطئة ...  
كله بالمجمل مؤسسة خاطئة ...)(... تلكأت  
قليلا ثم استرسلت وهي ترمقه بجديته ....

اجتمع في مقلتيها التان تلمعان ببريق لا يشبه  
الهدوء على ملامح وجهها السمحة، مع تلك  
اليد التي تتحرك بروية تصاحب الكلمات من  
ثغرها الباسم، يجعل ابراهيم مأخوذا بها ولا  
يستطيع أن يحيد عنها بعينيه المراقبتين لكل  
خلجة صادرة عنها ....

(يتحدث عن الازمة الاقتصادية في  
العالم...والتي كان سببها المباشر الازمة  
المالية الأمريكية سنة ٢٠٠٧.. ...ومدى تأثير  
اقتصاد الدول بها ..خصوصا من تعتمد على  
الاقتصاد الأمريكي.. بخلاف...مثلا الصين  
وروسيا وإيران في البداية فقط ..... لكن رغما  
عنهم اعلنوا الركود بعدها ....لأن الجميع في

(هل تعلم لما المدن الصغرى في بلدنا لم تتأثر  
بالأزمة كثيرا .... باستثناء المدن الكبرى  
والشركات الكبرى؟ ....) كانت لديه  
فكرة، لكنه يستمتع بالحوار معها، فأوما لها  
بتفسير لتردف ...

(لأن الناس ... هنا مثلا في مدينتنا ... يختزلون  
من تعاملاتهم مع البنوك .... بل هناك من  
الموظفين من يسحبون مداخلهم ... ما إن تدخل  
حساباتهم ... ومنهم من يتعامل مع حسابات  
البريد بدل البنوك ... ويستبدلون القروض  
الربوية بالجمعيات التضامنية بينهم ...)  
ابتسم لها بدفء يقول ..

(أنت محقة ... فجلي بنفسه ... علمني ان لا  
أعتمد على البنوك في السيولة... فكنت

استثمر ما ربحناه في العمليات قبلها .... أما  
الأراضي التي نملكها فهي موروث عائلي عبر  
الأجيال.... كما أن عائلتنا لا تعيش بالبذخ  
الذين يعيشون به من هم في مثل ثرائنا ...)  
أشار إلى الغرفة حولهما يكمل ...

(انت رأيت بنفسك ..منزلنا عادي ...مثل أغلب  
منازل العوائل الميسورة باعتدال في المدينة  
....) أومات له تبتسم بتأثر، وهي تقول ...  
(زادكم الله من نعيمه .... فلا ربح مع الحرام  
..مهما غيروا من الاسماء ...واتخذوا طرقا  
ملتوية كي يتوهوا الناس ....يبقى حراما ... لا  
يجلب سوى الخراب ... ) ... هز رأسه قائلا بسهو

...

(ادعو الله ان يعينني على مساعدة اهل الجبل  
....فالمسؤولية صعبة ... لا اعلم ان كان  
كاهلي سيتحمل ...). أجزل على دفئ كفها،  
تشد عليه هامسة بمؤازرة ...  
(سيكون الله في عونك بإذنه سبحانه ....  
فنيتهك صالحته .... فقط اهتم بالشباب ...حاول  
ان تساعدهم على فتح البيوت... هم نبض  
الأمة... إن كانوا بخير ... كانت الأمة بخير  
..). تحولت بسمته الى مكر وهو يقترب منها،  
يهمس بحرص كي لا تسمعها تغريد ...  
(منذ متى لم أسمع منك كلمة احبك؟؟)...  
ابتعدت منه بخفة، تجعد أنفها فقطب بحيرة،  
فهي لم تفر منه بسبب حياءها كعادتها...

(ما بك؟؟) ... بلعت ريقها ترمقه بتوجس،  
فرفع حاجبه يستدرك بتحذير ...  
(حق أخبريني حالا ...). تكمشت ملامحها في  
أسف مسبق تقول باستعطاف ...  
(أنا آسف ابراهيم... لكن رائحتك ... أقسم  
..ليس بيدي ... أنت لم تستحم بعد ..). مع  
كل كلمة يرتفع حاجبي ابراهيم دهشة،  
حتى أنهت حديثها بتردد...  
(أنا متحسسته من الروائح .... وخصوصا ثيابك  
... لا أعلم لما؟؟ ... لكنني بحثت وقرأت أن  
ذلك طبيعي ...مع الحمل ...أسفتم ..من فضلك  
لا تغضب ...). رفع رأسه يحدق بها، فقرر اللهو  
معها لينعش صدره من جفاء يومه، ليقول  
بعبوس متصنع وهو يقوم ...



(ح.... حب.... حبيبي ... )... سحبها بقوة

يضمها، ويقول بتسليّة ....

(لا أريد ان أسمع منك غيرها بعد اليوم ...هل

سمعتني؟؟)... أومأت وهي تنسل من بين

ذراعيه، وهي تكمر فمها براحتة كفها،

مهرولة الى الحمام. أسرع من خلفها وانتظرها

إلى ان استفرغت وغسلت وجهها وهي لاهثة،

فقال بنبرة أسفة ...

(سامحيني حبيبتي ...لقد نسيت ...سأحرص

على الاستحمام كل ما عدت من العمل

...ويمكنك تعطير ملابسي المنزلية ...بعطر

يريحك ...)... ابتسمت له بوهن وهي تخرج من

الحمام، فابتعد عنها يدخل هو مستدركا ...

(لا بأس ... سأذهب للاستحمام ... وتغيير

ملابسي ... )... انصرف باسمها بسعادة، وهي في

أثره تقول محاولة الحفاظ على خفوت نبرتها...

(أرجوك لا تعبس ...هكذا ... إنه شيء عادي

... ابراهيم ... حبيبي !!)... تجمدت خطوته

على عتبة غرفتهما، واستدار إليها يسأل بدهشة

حقيقية وهو يسحبها كي تدخل ويقفل الباب

...

(ماذا قلت؟؟)... فتحت مقلتيها تبثق فيه

وتطرف برموشها مرات عدة، فابتسم قائلاً بمرح

...

(آخر كلمة في الجملة ...بعد إبراهيم مباشرة

؟؟)... قاومت بسمتها وهي تقول بتردد خجل

...

(كما سمعت يا سميتة ... الفحص الطبي الشامل  
....كشفت عن عذريتها ... هل تحتاجين لتفسير  
أدق؟؟...)... استقام السيد عبد السلام جالسا  
وكان الحياة دبت في عروقه، يقول بتوسل مثير  
للشفقة ....

(أقسمي بالله يا ابنتي ..... )... رفعت طائعتة  
الأوراق بيدها، تقول بيأس ...

(بدون قسم يا عمي ...هذه نسخة من التقرير  
الذي سلمناه لوكيل الملك ...قبل أن تأتي هنا  
.... ومع أول ساعات العمل بالغد بإذن الله ....  
سيصدر قرار الإفراج عنها ...).. حل صمت  
رهيب، واسماعيل يقف جوارها مراقب بتركيز  
على كل ردة فعل منهم. فكان أول من قطع  
الصمت، والدة مريم التي قامت تهتف ببهجة

(أحضري لي ملابس أخرى من فضلك ....و...  
أنظري لي ...حق!!)... استدارت إليه بلهفة،  
فقابلها ببسمة واسعة، يغمز لأول مرة بلهو  
فاجأها، ودفع بالدم في عروقه ...  
(حين أنتهي من الحمام ...أريد سماع تلك  
الكلمة مرات ومرات ...)  
.....

المشفى .... قسم القلب والأوعية الدموية....  
(ماذا تقولين أنت؟؟)... انتفضت سميتة تصيح  
بصدمة، لا تعلم طائعتة أي حظ هذا الذي جعل  
أهل زوج سميتة يحضرون لزيارة السيد عبد  
السلام، حتى زوجها ...

تنظر إلى زوجها الذي يبادلها البسمة بأمل يلوح  
في الأفق، لاستعادة كرامتهم بين الناس...  
(الحمد لله ... ابنتي لم تفعل الفاحشة  
....الحمد لله ...)

(لكن ... هذا مستحيل!)... نطقت سميت  
بصدمة لم تفق منها بعد، فقالت طائعت بحنق  
حاولت السيطرة عليه، لكن جزءا منه انسل  
منها رغما عنها ...

(ما هو المستحيل يا سميت؟؟ ... براءة شقيقتك  
أم خطأك الفادح تجاهها؟).... صمتت تتميز  
من الغل، فقالت حماتها بحقد لم ينطفئ.  
فحسب تفكيرها العقيم، بسبب مريم أصبحوا  
علكة بأفواه الناس، غير العلاقة التي توترت  
بين ولديها حد الشجار والمقاطعة.

(تلك الفتاة ماكرة ..... غررت بابني  
واستدرجته ...).. اندهشت طائعت من استسلام  
الجميع بخزي، فسبقت زوجها الذي شعر بنفس  
الدهشة التي اضافت إليها الكثير بقوة ردها،  
يتذكر قول البروفيسور ...

(أظن يا سيدتي ... أن الضحيتة هنا ليست ابنك  
أبدا ... صدقيني ... ما توصلنا إليه من ثوابت ...  
تكفي لسجن ابنك بتهمة استغلال مريم ...  
والتعدي عليها ...)... شهقت النساء، وتراجعت  
تلك المرأة بخوف، فنطق الصبي شقيق مريم  
الذي لم يتعدى الرابع عشر من عمره بغضب ....  
(هل هذا صحيح؟؟ ...)... ربت زوج سميت  
الصامتة والحقد يقطر من نظارتها، على كتف  
الصبي يقول بمهانة ودهشة أصابته بحيرة ...

تكون ضعيفته قربه، ام هو بالفعل ادعاء  
بالضعف؟!..

(مريم لديها مجموعة من التعقيدات النفسيت  
.... وقد أصدر رئيس القسم النفسي بنفسه ....  
قرار منع الزيارة عنها ... وسنقوم باستدعاء كل  
من يكون في مصالحتها رؤيته... ومن يفعل أي  
شيئ قد يحول بينها وبين علاجها .... سأحرص  
بنفسي على الشكوى عليه لدى الشرطة ....  
عن اذنكم ...)

خرجت من الغرفة، وتركت يده لتسحب  
هاتفها. راقبها بصبر وهي تحدث ابنته خالتها  
بعبوس أقرب للغضب ...

(أجل سهام... هي بريئة ... كما اخبرتك ...  
أريد لهذا الخبر أن يذيع كالنار في الهشيم ....

(اهدئ يا نعيم ... حتى نفهم ...). ثم التفت  
إلى طائعتة يكمل بهدوء ظاهري ...

(هلا فسرتم لنا ... حالت مريم ... ولما تحتجزونها  
في المشفى؟؟) ... ابتسمت طائعتة بقسوة،  
أرعدت قلب اسماعيل ليتأكد من صحة قول  
البروفيسور، وبوجوب حديث صريح بينهما،  
لكن السؤال الملح على صدره بشدة، هل هو  
مستعد لحوار صريح؟!..

(الآن تريدون معرفة حالة مريم؟؟) ... ..  
أومات بيأس ساخط، ثم قالت بنفس النبرة  
القاسية، قبل أن تتسحب برفقة زوجها الذي  
أمسكت بكفه تشد عليها وكأنها تستمد منه  
تلك القوة، ليعود متسائلا في سره؟!، هل

(أنا موافق ... لكن غدا بإذن الله ... سنتحدث

...)

القسم النفسي ...

نهض من على كرسيه ثم أمسك أعلى مسنده،  
وجره بتعمد كي يصدر صريحا مزعجا. أوقفه  
بالقرب من السرير، وجلس عليه واضعا رجله  
المعتلة فوق الصحيحة، وأراح عليهما كفيه  
يبتسم لها ببراءة مزعومة وهو يقول ...  
(يمكنني الانتظار الى آخر أنفاسي ... فأنت  
الحالة الوحيد التي أتابعها هنا ....أول لنقل

وقرار الافراج عنها سيصدر غدا بإذن الله ...  
تعلمين ماذا ستفعلين .... لنستغل مصادر الإعلام  
المحلية لشيء مفيد ... وللستر بدل الفضائح  
المعتادة ... إلى اللقاء حبيبتي ... سأحدثك  
لاحقا ....)

نظرت الى زوجها الذي اقترب منها يمسك  
كفها، قائلا بحزم هادئ ...

(يجب أن نتحدث ...). زفرت بتعب، ثم قالت  
وهي ترمقه بتوسل ...

(هل يمكننا تأجيل المحتوم قليلا.... من  
أجلك انت اسماعيل ....). زم شفثيه يتمعن  
في التحديق بها لوهلة كاملة، ثم أوما يرد  
باستسلام ...

(... تلكاً يهز كتفيه بخفته، ثم أردف تحت  
أنظارها الساخطة ....

(الحالة الرسمية الوحيدة ... أمل ذلك ...إلا  
ستكون كل حساباتي خاطئة...وهذا لا  
يحدث إلا نادرا ... المهم!)... ..) .. ابتسم لها  
بحبور مدعى، يسأل بتسليته ...

(ما قصة عذريتك؟؟) ... احتدت أنفاسها وهي  
تعدل القبعتة الصوفية الكبيرة الساترة لرأسها  
بالكامل حتى نصف جبينها، وهو يسترسل  
بتعمد مثير للجنون ...

(طبعاً لن تجيبي وأنا سأضع فرضيات .... كنت  
سأتهم زوجك بالعجز... لو لم تنعته بالحقير  
الخائن .... وهذا يتركني مع فرضيتين أخريين  
.... أنه لم يلمسك باتفاق بينكما ...وذلك

قد يبرر غضبه الجارف...و عدم تنازله عن  
حقه .... أو.... أنه مغفل أبله ... وهنا ... )... نظر  
إليها بجديته يستدرك .....

(يكاد الفضول يأكل أحشائي ... أريد أن أعلم  
كيف فعلتها؟؟... كيف نجحت في خداعه؟...  
(... ضيق من مقلتيه يثبتهما عليها بتركيز،  
وهي صامتة تشد على طرفي السرير بقبضتيها،  
جاحظة عينيها السوداوين ترميه بسهام حادة.  
لحظة وأخرى مرت دون ان يتحرك أحد منهما،  
ليقول أخيرا ...

(دعيني أساعدك يا مريم ... أعلم ان لا أحد  
تفهمك من قبل ... لكنني أعدك بالوقوف  
بجانبك ... فقط أعطيني أجوبة شافية  
...وسأساعدك على استعادتك السيطرة على

(أنت طبعا... وهل أرى غيرك؟... كنت تسألني  
عن زوجي... واخبرتك أنه حنون... رفع  
حاجبيه وبسمته تتسع في مكر أظهر نابيه  
بتسليته، يقول ...

(اخبريني يا مريم عن علاقتك بزوجك  
...كيف هي؟؟)... قطبت بحيرة، فاستدرك..

(أقصد... كيف يعاملك؟؟... ما الذي  
يجمعكما من نقاط مشتركة؟؟)... ابتسمت  
بحزن ترد ...

(التقيت به عن طريق زوج شقيقتي سميتة...  
هو من أصدقائه.. ... أعلن اعجابه بي وطلبني  
من أبي... حتى دون ان يسألني رأي... وحين  
تحدثت معه... اكتشفت مدى روعته... محدث  
لبق... وبعد الزواج دللني... وقضيت معه شهورا

حياتك....)... تدحرجت دمعة تناقض قساوة  
نظراتها، تلاها إسدال لجفنيها وهدوء مريب...  
(مريم افتحي عينيك.... مريم... يجب ان  
نتحدث...كف عن الهروب..)... رفرفت  
برموشها ثم فتحت مقلتيها بوهن، ونظرت إلى  
البروفيسور تقول بتعب ...

(ألم تتعب من الحديث بعد؟... أنت تتحدث  
كثيرا...)... مطط شفثيه يقول بضجر..

(ليس وقتك أبدا يا مريم...)...(عفوا!!)...  
نطقها بجهل وهي تتفقد رسغيها، فقال وهو  
يمسد على جبينه ...

(ما آخر شيء تذكرينه؟؟)... تنفست بوجع  
وهي تضم يديها الى صدرها، تجيب بتلقائية...

(مهمم... جن... وماذا يفعل هذا الجن حين  
يتلبسك؟؟)... تكومت ملامح وجهها في رعب،  
تجيب بنبرة متهدجة...)

(يفقدني السيطرة على جسدي... حتى عقلي لا  
يدرك الوقت ولا المكان... كأنني غائبة عن  
الوعي... قد أكون معك الآن... ثم بعد برهة  
اجد نفسي في اليوم التالي.. أو بعد أسبوع  
...). فر التهكم وحتى نظرة التسلية من على  
ملامحه، وذاكرته تنهال عليه بمشاهدة مؤلمة،  
لحالة مشابهة إلا أنها كانت أكثر قربا منه،  
واكثر تأثيرا على حياته...)

(سأطرح عليك سؤالا محرجا... لكنني أحتاج  
لرد عليه... حتى لو بإماعة رأس... اتفقنا؟؟)...  
أومات له بريبتة، فاستدرك...

(جميلتة...)... رفع احدي كفيه يسند بها  
دقنه، يستجلب انتباهها.....)

(مريم؟؟)... نظرت إليه فسأل مجددا...

(ألم تلاحظي... وجود فجوات... في ذكرياتك  
مع زوجك... أقصد... كم من شهر تذكرين  
انك عشتها معه؟؟)... جعلت دقنها تجيب  
بحزن...

(أعلم أن بي خطب ما... أمي اخبرتني أن جنا  
سكن عمي... وانتقل إلي... لأنني أول من  
اكتشف جثته...). قرر مسيرتها فهي  
بالنهاية جانب منها جد مهم...



كذلك؟؟)... حدقت إليه وهي تباع ريقها

بخوف تمكن من ضلوعها، تقول ....

م..... ماذا... يعني ذلك ؟)... (تلك

الماكرة!!)... .. نطقها بهمس، يكمل بنبرة

مسموعة ...

(يعني أنك عذراء يا مريم ....ولا تفسير آخر

لها ... لكن أخبريني ... ما هي أول ذكرى لك

على الإطلاق؟؟)... أراد التأكد من التشخيص،

وفي نفس الوقت تحديد تاريخ بداية المرض،

لكنها لم تفهمه فاستدرك مضرا ...

(مثلا أنا ... أول ذكرى لي عن حياتي

الماضية... كنت في سن الثالثة)... بلع

غصت استحكمت بحلقه، وتجاهل المشاهد

مجددا، ينتظردها الذي تأخر لبرهته ...

(هل حدث وعاشرت زوجك؟؟)... تهربت

بمقلتها حياء، فحثها .. ...

(مريم!!)... لازالت متهربة وهي تومئ بإيجاب،

فقال بتربق لرد فعلها ....

(لكن الفحص الطبي ... أثبت أنك عذراء

...)... نظرت إليه بصدمة لا يخطئها أحد،

فسألها بجديته ....

(فكري مريم ...هل تذكرين مشاهدة واضحة

...لك مع زوجك؟؟ ... )... منحها كل الوقت

وهي تجعد جبينها، في تفكير مضني، ليزفر

البروفيسور بيأس يقول ....

(كل ما تذكرينه... افاقتك بجانبه....أو

حتى على صدره ... لا غير...أليس



(أجل.... لكن الزوج العتيد سيبحث عن جواب  
للمعضلة... فهل لديك واحد؟؟)... أومات  
بقلق، فقال وهو يرخي ظهره على المقعد ...  
(مهم... إذن دعينا نكمل موضوعنا ... ماذا  
تعرفين عن الخاتم؟؟)... تجعدت ملامحها برفض  
تجيب ...

(كلما استيقظت من تلك الفجوات.... وجدته  
في يدي ... أشعروك أن ذلك الجن من يضعه  
في إصبعي... كي يستحوذ علي... )...  
ضحك البروفيسور بهدوء قبل أن يخبرها ....  
(هل تظنين ما بك ... جن عاشق كما يقولون  
؟؟)... عبست بحنق تزم شفيتها ....

(لا أعلم.... كل شيء مشوش... لكن لدي  
واحدة قديمة... وواضحة ... في سن الخامس  
عشر أظن .... كان أبي وأمي يتناقشان بخصوص  
المال ... لم يكن لديهم ما يكفي لشراء  
مستلزمات المدرسة... فقد كنت انا في السنة  
الأولى ثانوية... وأختي سما في السنة الثالثة  
ثانوية ... وسميت أول سنة في المعهد ...)  
رفع عكازه من على الأرض، يحركه برتابة  
يهمهم قبل ان يسأل، لكنها قاطعته ببعض من  
البهجة المترددة .....

(ما قلته قبل قليل ... يعني أنني بريئة من  
الخيانتة؟؟)... مال تجاهها يقول بتحذير ...

(لا تسخر مني ....فهو السبب في فسخ خطوبتي  
الأولى ... )... تذكر فقال بفضول ..  
(على فكرة الخطوبة الأولى..... ماذا حدث  
حتى اتهمك هو أيضا بالخيانة؟؟ ... ) لا زالت  
على عبوسها تجيب حانقة ...  
(كنت مغيبة كما العادة ..و حين استيقظت  
...سمعت حديث شقيقتاي عن مدى حسدهما لي  
على الشاب الوسيم الذي فعل كل شيء كي  
يخطبني .... وانا ارفضه بشدة ...متعللت  
بإكمال دراستي ...في كلية الطب ...)  
أصدرت ضحكة ساخرة وهي تردف بتهكم ...  
(عائلتي لا تجد ما تكمل به الشهر من المال ...  
وهو يريد أخذي الى كلية الطب .... لا اعلم

حتى كيف اقنع أبي ....) ... (من هو؟؟) ...سأل  
البروفيسور بدهشة، فقالت بثقة ...  
(الجن ... هو من كان يحقق كل تلك  
العلامات الدراسية...فأنا لا اذكر حتى  
الدروس.....).... (حقا!!).. سايرها في قناعتها،  
فاسترسلت تؤكد بجديته ...  
(أقسم لك .... لذا حاربته ... وافشلت كل  
خططه ... وافقت على ذلك الشاب .... وأخبرت  
أهلي انني سأدرس في المعهد... وكم أسعدني  
رؤية الراحة على وجه أبي ... فهو يحبنا كثيرا  
...ويكره إرغامنا على شيء لا نريده ...)  
خلايا دماغ البروفيسور في عمل صاخب، يجمع  
بين الخيوط ، ثم قال بوجوم ....

(وماذا كان رد فعل الجن؟؟) ... عادت للعبوس  
بحزن تجيب بتحسر ....

(أفقت على شجار عنيف ... بين اهلي والشاب ...  
يتهمني بخيانتة مع صديق له .... يقسم انه  
رآني وسمعني أخبر صديقه ... أنني ... لا أحبه  
واتخذة خطيبا طمعا فيه ...)

صمتت تذرف الدموع، فقال بإشفاق غريب عليه  
وهو يقوم ...

(اهدئي يا مريم ... اهدئي ... خذي هذا ...)  
مد لها بحبته دواء، فنظرت إليه ليستدرک ...  
(أنا طبيب يا مريم ... إنه دواء سينفعک  
... تفضلي ...). فتحت فمها باستسلام، فدسه  
وأمد لها بكأس ماء بلاستيكي. راقبها يتأكد

من بلعها للدواء، ثم عاد إلى كرسیه وفتح ملفا  
ما يقرأه بتمعن بعد ان قال لها ....

(حاولي ان تنامي مريم ... أنت تعبته ... ويجب ان  
ترتاحي ...). ... أومأت بوهن، وسكنت ترمقه وهو  
غارق في ما يقرأه، حتى راحت في سبات عميق.

.....  
منزل آل عيسى ....

استدار إليه بعد أن لاحظ صمته، فقال يلفت  
انتباهه ...

(إسماعيل هل تسمعني؟) ... (ها!!) ... ابتسم  
ابراهيم يقول لجده مزاح ...

يُبقي ذكائه لنفسه مرات على سبيل

التغيير،،،

(أجل جدي...صدق توقعه...).. (عجبا .... إنها

بالفعل فوضى كبيرة....أصلح الله شؤونهم

...). أمنا خلفه، فسحب ابراهيم الهاتف يقول

باسما بتسليته ليظهر مزاجه الرائق واضحا

للعيان ...

(سأتصل بذلك الشقي...الذي نسي أمرامه

اليوم...). ... ابتسما له، الجد بدفيء، واسماعيل

ببرود يعكس مزاجه المتوتر...

(أينك يا عيسى؟....قبلا كنا نعذر بعدك

...لكن الآن... ما هو عذرك لكي لا تزور

أمك يوميا؟)... أنصت إليه ثم قال بحنو ...

(يبدو أن العروس استولت على عقل طبيب

النفوس....). ... ضحك الجد بهجة حقيقية،

وقد بدأ قلبه يرتاح تجاه حفيده الثاني، بينما

ابراهيم يكمل بمرح ...

(سألتك كيف هي حالة لفتاة؟؟).. رد عليه

وهو يحرك عويناته من مكانها بتلقائية،

ينفض رأسه من فوضاها التي لا تبرح مكانها

لأي سبب كان ...

(الحمد لله...ارتحنا من تهمة الخيانة...لكن

حالتها لازالت خطيرة...). ... قاطعه جده يسأل

بصدمة ...

(ما قاله البروفيسور أمس صحيح؟؟)... فكر

اسماعيل قبل ان يجيب ...،،،أتمنى فقط لو

(ليس بعد ... لكنه في طريقه .... ليكون  
مثلك ...رائقا هكذا ...أدام الله عليكم نعمه  
يا ولدي ... سأنسحب انا الآخر كي أصلي نافلت  
لله ... قبل أن أنام ...تصبح على خير...)

.....

غرفت اسماعيل وطائعت ...

لمحها فوق السرير جالسة تحت الغطاء إلى  
حدود خصرها، تقرا في كتاب بتركيز شديد،  
فألقي التحية. رفعت رأسها لتهديه ابتسامته  
رغما عنه نشرت الدفئ في أنحاء صدره، وابتسم  
لها تلقائيا. قام بطقوسه اليومية قبل النوم، من  
وضوء وتغيير ثياب ثم اندس جوارها، وتطلع الى

(أخي ... أمي مريضة وتحتاج وجودنا حولها ...  
فلا تغب عنها ... مرّ لتراها خمس دقائق واذهب  
...الأم لا تعوض يا أخي... وتذكر أنها لم  
تتركك يوما لا صحيحا ولا مريضا ...فلا تدع  
الدنيا تلهيك عنها ....) ... ابتسم يهز رأسه  
كأنه يراه ثم قال ينهي الاتصال ...

(جيد أراك غدا بإذن الله ... تصبح على خير  
...)(... قام اسماعيل معذرا لينسحب ...

(تصبحان على خير... أنا جدا تعب ...سأوي  
للغراش ....بعد أن أرى أمي ...)(... شيعاه بنظرات  
مترقبة، ثم قال ابراهيم يوجه الحديث لجده  
...

(إنه..... لا أعلم ...مختلف؟!) ... ضحك الحاج  
وهو يقوم من مكانه يربت على رأسه قائلا ...

هاتفه قبل أن يضعه على المنضدة قربه نظارته  
الطبيية. التفت إليها ليجدها قد فعلت مثله.  
تخلصت من الكتاب، واستدارت مستلقية على  
شقها المواجه له. أطفأ النور واستلقى.

كلاهما فعلا ينظر إلى الآخر دون أن يلمحه في  
الظلمة، يظللها الصمت بسكونه المبطن  
بصخبه، حتى قال هو ..

(لم أضع اي إضاءة خفيفة ... لأن النوم في  
الضوء يفسد كيمياء المخ ... مما ينتج عنه  
فساد باقي التوازنات ... كضغط الدم ودرجة  
الجلوكوز ... ودرجة حرارة الجسم ....)  
ردت عليه بنبرة علم أنها تصحبها بسمت ....

(أتعلم حين أخبرت جدي وامي رحمهما الله  
...بذلك ماذا قالاً؟؟) ... (ماذا؟!)... همس بها  
فردت بنبرة ارتعدت قليلا، ليدرك اهمية  
الشخصين في حياتها ...

(تسلية على حسابي .... أن بعد كل التعب  
والدراسة ... أتيتهما بما يعرفانه مسبقا ... ومنذ  
الصغر .... عبست متفاجئة بعد ان كنت اشرح  
الدراسة بكل فخر وحبور ... فاخبرتني أمي  
بحديث واحد من احاديث النبي عليه الصلاة  
والسلام ... فأخرس الخجل لساني ....)  
صمتت فقال هو بنفس الهمس ...

(أنا أيضاً لم أكن أعلم عن الحديث .... حتى  
قرأت في المجال ... وتفاجأت بأحد المعلقين  
يكتبه .... قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا  
الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ  
وَالشَّرَابَ،، قَالَ هَمَامٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَكُوْ بَعُوْدِ  
يَعْرِضُهُ) رواه البخاري.

تحدثت بحنين للذكرى، تقول ...

(لكن جدي ضمني بعدها ...وشيد بضرورة  
العلم ...كي نبرهن لأصحاب العقول المنطقية  
صدق رسالت الإسلام... فكم من عالم على غير  
ديننا أسلم ...بسبب نظريات علمية أتبثت ...  
صدق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية  
الصحيحة ... لم يكن ليستخف بمجهودي أبدا  
...ولا ان يحبطني ... رحمه الله ... )..

نطق بتردد وهو محافظ على وضعهما ...  
(كيف ماتت والدتك؟؟).... وصله عطر  
أنفاسها العميقة قبل أن تجيب بحزن ...

(فشل كلوي ... بعد ولادتي بسنتين ... ظلت  
تتعالج لسنوات ... لكن الأجل قد حل في أوانه  
...ووافتها المنية بعد تخرجي من الثانوية...  
...)

تمتم أن رحمها الله فأمنت خلفه، ثم نادته  
برقة ....

(اسماعيل؟؟) ... (أجل؟)..... سأل بخفوت  
فاستدركت ..

(ما قاله البروفيسور صحيح ... لكن كل  
صحيح له طرق عدة للفهم ..).... انتظرت الرد



(أعطيتها الدواء.... ستنام إلى حدود العشر  
ساعات تقريبا ... حين تفيق... تفادي الحديث  
معها... وامنحها قدرا من الحرية... ان أرادت  
التحرك... لكن أقضي الباب بالمفتاح ...  
وراقبها جيدا ... وان لاحظت اي خطر وأي شيء  
يقاللك ... اطلبيني في الهاتف حالا... واتصلي  
بممرض رجل.. كي يساعدك على حقنها  
بمهدئ ... هل فهتمت؟؟).. أومات له بتفهم، ثم  
سأل بغموض ...

(من يشرف على توزيع مهام الحراسة الليلية ...  
في القسم النفسي؟؟).. أجابته برسمة ...  
(السيدة رقية ... إنها رئيسة الممرضين للقسم  
النفسي ... (مهممم... وهل هناك تغير  
ظاهر في الحراسة الليلية ... أم ان هناك

حتى يئست، لتتفاجأ به يسحبها بروية، حتى  
التقط شفيتها في عناق متمهل، تحول إلى  
مطالبة بحق متبادل، فمنحته على قدر ما  
أخذت منه. واتخذ الحوار منحني آخر لا يحتاج  
لكلمات واضحة، على قدر ما يحتاج لمشاعر  
جياشة صادقة، كي تصل بهما إلى بر أمان  
يمهد لهما بقاء يكمل على روحيهما الانسجام  
التام الذي ينشده كالأهمل.

المشفي ..... القسم النفسي ....

نظر إلى الممرضة بعملية يقول ...

متطوع .... يبادر بالخير لمساعدة زملائه (...).  
ضيق مقلتيه منتظرا، بينما هي ترد ببعض  
الحيرة ...

(في الحقيقة منذ اكثر من شهرين ... تقريبا ...  
هناك واحدة ... دائما حاضرة في الدوام الليلي  
مهما تغير باقي الطاقم .. ... لكنني أعلم لما  
(... أوما باسمها بمكر ينتظر، فاستدركت ... ...

(لأنها من معارف مريضة هنا ... وأظنها تأخذ  
اكرامية كبيرة من والدتها ... كي تعتني بها  
جيذا في غيابها ... ) ... هز رأسه يرمي ساعته  
بنظرة، قبل ان يقترب من بعض الأكياس،  
يلتقط قنينة العصير، وكأس، يقول وهو مغادر

....

(شكرا لك يا سيدتي .... يمكنك الأكل  
من هذا الطعام إذا شئت ... إنه لذيذ ... من صنع  
منزلي ... منزل آل عيسى بالذات ... لكنني لن  
اترك لك العصير ... فأنا احتاجه ... انتبهي  
لعمالك ... عن اذنك ...)..

خرج من الغرفة فتوجه الى احد الحراس  
الأمنيين على الباب الأمامي للقسم النفسي، ثم  
سأل ...

(عذرا ... لما ليس هناك حراس على البوابة  
الخلفية للمشفى؟؟) ... اقترب منه يرد باحترام  
...  
قمت من الاعضاء

(لأنها مقفولة سيدي .... ولا تفتح إلا تحت  
الطلب ... وبموافقة من رئيس إدارة المشفى  
بنفسه ...). ... هز رأسه شاكرا ثم عاد أدراجه

يهمس في سره قبل ان يقدمه لها...،،، فهو من  
المنزل الذي تحبينه وأهله يرفضونك...،،،  
(تفضلي... تسعدني رؤيتك... ممرضتة... فجر  
...)(...)

.....

بعد أسبوعين .....

مصنع المرباط .....

رفع ياسين يده يمررها على رأسه بحدة، يهتف  
بجدية فاجأتها وفي نفس الوقت أسعدتها...  
(حفصتة... تزوجيني...!)...)

.....

حاملا معه كرسيًا، وضعه أمام البوابة  
الداخلية الخلفية ثم جلس عليه يتأمل  
الحديقة منتظرا. تفقد ساعته مرة أخرى  
متسائلا عن مدى صحة فرضياته، ليجفل عليها  
تفتح الباب بخفتة، تتسحب.

رسم على ثغره بسمتة واسعة، وحمل قنينتة  
العصير الى أعلى، يقول بسخرية مرحة ...  
(لقد تأخرت .....)... انتفضت ترمقه برعب،  
فأشار الى القنينتة يستدرك ...

(ما رايك بكأس عصير برتقال طازج...  
سيعجبك... أنا متأكد ...)... تماكنت أنفاسها  
واقتربت منه بحذر، وهو يصب العصير في  
الكأس الذي سبق وألقى به حبة دواء صغيرة،

في نفس اللحظات ....منزل آل طلب ...

لم تستطع كبح لسانها تنطق بسخط ...

(كيف تسمح له يا حاج ....إنها مطلقت

...و...)( اصمتي يا امرأة!! ...)(... اهتزت

مكانها ترمقه بخوف يطفى عليه الحنق، وهو

يقول بغضب ...

(زواجه من عدمه ... لا يخصك يا ميمونته .....

ولا شأن لك به ...)(... ردت بانفعال ...

(لكنه كابن لي ...ربيبته كرواح تماما ...

حتى إن لم أنجبه من صلبي ...)(... حرك رأسه

في دوائر يقول بتهكم محذر ...

(ميمونته!! ... دعي الطابق مستور...وقومي

لأشغالك ... ولا تتدخلي في هذا الأمر مجددا

...)(... عبت بسخط تهه بالوقوف على مضض،

فعلا رنين هاتف الحاج الذي رد وانتفض من

مكانه يهتف بقلق ....

(أنا قادم ... حالا!! ...)(... تبعته تسأل بفضول

قاتل، فاستدار إليها يقول وهو يلقى بالسألام\*

حول كتفيه ويرتدي البلغة في رجليه.....

(اللهم سلم ...اللهم سلم .... وقع حادث لرواح

في الجامعة... ادع الله ان لا تدفعي ثمن

ظلمك ....من خلال ابنتك ...)(... ففرت فمها

بصدمته، لتهتز على وقع صفعه للباب، فرفعت

كفيها تصك وجهها وتضرب على فخديها،

تصيح بهستيرية أصابتها...



نظرت إليها حق بسهو، ثم ردت بمقلتين تلمعان  
بدموع لم تستحي وانطلقت تعدوا على وجنتيها

...

(أنا أحسن الظن بالله....وله الحمد لم يخيبني  
أبدا ... وابراهيم سيعود سالما بإذنه سبحانه....  
أنا متأكدة...أنا فقط...).. قامت من مكانها  
تستدرك قبل ان تنسحب إلى غرفتها ...

(سأصلي ل لله ... كي أتمالك نفسي...الله لن  
يخيبني...الله لن يخيبني!)(.... لمحت قيام  
اسماعيل من جانب جده الواجم، والهاتف لا  
يفارق يده، فاقتربت منه تربت على يده قائلة  
بمؤازرة....

(كل شيء سيكون بخير...إن شاء الله...)  
هز رأسه ببرود ظنت انه تخلص منه مؤخرًا،

(يا ويلى!...يا ويلى!)... ابنتي ... يا ويلى  
(...!)

.....

في نفس اللحظات....منزل آل عيسى ...

زفرت طائعة بقلق، وجلست أمام حق الساكنة  
مكانها، تعلم يقينا ان سكونها ليس سوى  
واجهته لرعب تمكن من كيانها. أمسكت  
بكفيها بين يديها تقول برقة ...

(حق...حبيبتي...أنت انسانة مؤمنة ... تمالك  
نفسك...إنه بلاء ألم بنا..وسيزول بإذن الله  
...البلاء لا يطول كالرخاء حبيبتي...)

اتسعت مقلتيه بصدمة يلهث، لكنه استدرك  
نفسه يرمق المتسطرة على الأرض قرب سلم  
الدرج، بعد أن انزلت عليه وسقطت على رجلها  
التي التوت لتنتهي على ظهرها.

(لا استطيع القدوم الآن اسماعيل ... ليس قبل  
ان اوصل رواح الى المشفى ... انزلت على الدرج  
وسط المبنى الجامعي ... سأتصل بك ...)  
تلكاً ثم أكمل يقنع نفسه قبل شقيقه ...  
(إنه قوي إسماعيل.... وهو في رعاية الله ...  
سيعود سالماً بإذن الله .... سلام ...)  
الهاتف في جيبه، ليجد منصف يرمقه  
باستفسار، فأوماً له أن ليس الوقت المناسب.

يغلف به كيانه مجدداً، وهو يقول بجمود  
قاطعته تغريد الباكيتة كطفلة صغيرة ....  
(سأخبر عيسى...)(أنا أريد أخي ابراهيم ...  
ليس هو أيضا ... لا أريد فقدانه .... أنا خائفة  
... أريد اخي حالا ...)  
ضمته شمة تبكي  
معها، فتنفست طائعتة بقنوط وهي تتجه  
نحوهما، بينما اسماعيل يحدث أخاه ...  
.....  
الجامعة .....

تجاهل الهاتف، وهو ينظر إليها يقول بقلق ...  
(لا تخافي رواح .... فقط اصبري قليلا ...  
الإسعاف في الطريق ...)  
عاد الهاتف للعين  
يرن بالبحاح، فسحبه على مضض يرد.

حولهم، ولم يلمحوا ذلك الظل لفتاة تتواري  
الى أن اختفت، يكمل بجديته حازمت  
(من وضع هكذا سائل على أرضية رخامية  
؟؟...يا إلهي... إنه فخ خطير!)...)

.....

المشفى ....مكتب اسماعيل ...

فتحت الباب دون استاذان فرفع رأسه مجفلا،  
لتلين نظرتة بعد ذلك وهي تدخل هاتفتة  
بلهفته ....

(آنستة رواح ... لا تبكي ...)... نطقها هيثم  
الذي يجلس على ركبتيه في الجانب الآخر،  
ليهتف عيسى بغضب أسود ..

(أقسم إن لم تبعد عنها ...سأقتلك في  
أرضك ...)... تفاعاً الجميع من عدوانيته،  
حتى رواح الباكيتة من الألم والتحسر على  
نعمة لم تقدرها، وها هي قد تفقدها من  
جديد.

هم بالرد عليه والغضب يستولي على ملامحه هو  
الآخر، فقاطعهم منصف الذي ابتعد الى الدرج  
بعد ان لمح شيئاً ما، يقول وهو يشير الى سبابته  
وابهامه ...

(هناك سائل لرج على الدرج ...).. حل الصمت  
واستداروا اليه مع مجموعة من الطلاب تجمهوروا

(أين كنت؟؟..... غبت لثلاثة ايام...بحثت  
عنك في كل مكان...).. استقام واقفا  
يسحب عصا عكازه، يجيب بتفسير متهم...

(هناك حياة تركتها عالقة خلفي في  
العاصمت... ولم يعد يفيد متابعتها عبر  
الهاتف والمساعدين... حاولت تنسيق الأمور  
لأيام إضافية لا غير...في وقت ما قريب  
...سيجب علي العودة...).

تلفتت برأسها توترا تفرك كفيها ببعضهما،  
فاستدرك وهو يقترب منها...

(هل تأخذين الدواء في معاده؟؟)... حدقت به  
بثقة، تجيب بنبرة مستعطفة...

(أجل...كما أخبرتني... لكن...هل عليك  
الرحيل حقا؟؟...).. ضم شفثيه بوجوده، ثم  
أوماً بترقب، يؤكد...

(عاجلا ام آجلا.... فحياتي هنا مؤقتة...)  
نهج صدرها، بفعل دقائق قلبها المسرعة، تقول  
بتردد...

(أنا...أريد اخبارك بأمر مهم...).. استند على  
طرف عكازه بكلا كفيه، يميل برأسه  
قليلا، إشارة لانتظاره، فباعت ريقها تستطرد  
بتردد...

(لكن قبلها...أريد أن أطلب منك طلب...)  
رفع حاجبه يقول بتوجس....



(أوووووه .... هذا انا أعرفه ...ومنذ أول كأس  
عصير برتقال طازج ... قدمته لك ...)

.....

في .....مكان ما ....

أسنده الى حائط بعد ان ساعده على الجلوس  
ارضا، يقول بقلق ...

(ابراهيم ...هل أنت بخير)... أوما له بتعب،  
وبراء تعود إلى الضغط على كتفه تمنع الدماء  
من التسرب، تنطق بحنق ...

(كف عن نفس السؤال كل دقيقة ...  
سيكون بخير)... كز على أسنانه يهتف بغل

...

(إن كان في استطاعتي ... لن أتأخر...)  
تلكأت مجددا فعلم أن ما ستقوله امر عظيم  
على كبريائها، لكنه ابدا لم يتوقع ما نطقت  
به حتى في أكثر فرضياته جموحا ...

(تزوجني .... وخذني من هنا ... أريد الرحيل  
معك أينما تذهب ...)... تسمر البروفيسور  
مكانه، لأول مرة يوضع في موقف تتجمد فيه  
أطرافه وحواسه، منذ أن تعرض للحادث الذي  
كاد أن يفقد فيه رجلاه وبسبب أقرب الناس  
إليه.

بينما هي تكمل رافعة رأسها إليه بتصميم ....

(أنا صباح المرابط ...اخت طائعت المرابط  
...)... مدّ شفثيه فيما يشبه البسمت يرد بمرح  
لا يليق بالحوار إطلاق ....

(إن مت هنا ... كيف ستقتلني مرة أخرى يا  
ذكي؟؟).. زمجر متأهب فرجع ابراهيم يده  
الصحيحة ينطق بسخط وهن ...

(اصمتا أنتما الاثنان ... فأنا اقسام إن خرجنا  
من هنا سالمين ... سأزوجكما أول أمر أفعله  
...)

جحظت مقلهم بصدمة، يهتفان معا ....

(تزوجنا؟؟؟!!).....

(أقسم إن لم تباعي لسانك ... سأقطعه حالا  
... يا وجه المصائب...).. تقوس حاجبيها، ترد  
بدهشة ..

(هل جننت!!) ... لو لم اكن هنا لما عرفت عن  
ابراهيم.... يجب ان تكون شاكرا لي (...)  
رفع مسدسه الى السماء يجهزه، بعد ان تأمل  
بلوزتها المشققة مجددا. يقول بغضب جارف  
باطنه قلق بالغ ....

(أقسم إن حدث له شيئا ... أو لك ... سأقتلك  
وارميك إلى شعابين جبل الكهوف... حتى إن  
لم تلتهمك ... سيتولى المطاردين وذئابهم أمر  
ذلك ... )..

قلبت شفتيها ترد بتهكم طفولي، دون ان  
تترك كتف ابراهيم..

## الفصل الثامن

وربَّ ظلومٍ قد كضيت بحربه ... فأوقعه  
المقدورُ أيَّ وقوع  
وحسبُكَ أن ينجو الظلومُ وخلفه ... سهامُ دعاءٍ  
من قسيّ ركوع... الإمام الشافعي..

\*\*\*\* قبل أسبوعين \*\*\*\*

\*\*\*\* اليوم الأول \*\*\*\*

المشفي ... القسم النفسي ...

دق راس عكازه بالأرض قائلاً بجديته، وهو  
ينظر إليها بتمعن...

(اسمعي يا صغيرة ....) ... اتسعت مقلتيها حتى  
ظهرت تلك العروق الرقيقة الحمراء، على  
شكل أغصان شجرة في غمرة خريفها.  
(أعلم انك ذكية...بل داهية... ففكري  
فيما سأقوله لك جيداً ... أنا طبيب نفسي  
محترف... بروفيسور...يعني انني بارع في عملي  
...وأعلم عن حالتك ما لا تعلمينه أنت...  
فانظري إلي واخبريني بصراحة .. هل تريدان  
استعادة حياتك؟؟)...  
راقبته بتوجس ممتزج برفض وشك، فاقترب  
أكثر يردف بحزم صادق...  
(لا تهربي وواجهي واقعك ... أنت قوية ... ولا  
تخشين أي شيء ...فماذا استجد؟؟)... لا رد

سوى صمت، ونظرات ضائعة، فزفر بضجر  
يستقيم مستديرا عنها.

تجمدت خطواته حين أتاه صوتها الحاقدا لأول  
مرة يفقد علو نبرته، ويتخلله بعض الحزن ...  
(سأفقد وعي .... وأجد نفسي ضيعة كل شيئ  
من جديد) ... التفت إليها يحدق بها بحذر، وهي  
تكمل بتحسر ...

(أنت لن تفهم أبدا .... معنى أن تفقد السيطرة  
على نفسك ... أحلامك ... أهدافك ...  
تصرفاتك ... حياتك بالمجمل ..) ... ألقى  
المسافة بينهما في ثانية، يقول بحزم ..  
(بلى ... أفهم ... قد لا أكون المعني .. لكنني  
أفهم جيدا ... لأنني سبق وعاشت من كانت في

مثل حالتك .... هل تريد ان تعلمي الفرق  
بينكما؟؟)....

لمح بعض الاستجابة من ملامحها التي بدأت  
تفقد حدتها، حين خطى إليها الفضول  
باستحياء، فأكمل بمرارة ..  
(أنت لديك فريق طبي وليس طبيب واحدا ..  
مستعدين لمساعدتك بكل ما لديهم من  
تجربة ومعرفة ..... أما هي ... فلم يكن لديها  
أحد ... سوى زوج وابن محبان ... لم يفهما ما بها  
... حتى فقداها ... بعد ان تركت فيهما جروحا  
لا تلتئم ...). .... صمتت بجبين مجعد، تمسك  
بطرفي الفراش، وظهرها يلتصق بمسند السرير  
الحديدي، فعاد يستقيم واقفا، وتوجه إلى  
الكرسي يسحبه إلى جوارها. جلس كعادته

رجله المعطوبة على الصحيحة، يقول وهو يلهو  
برأس عكازه...

(لنعد إلى البداية .... متى أول مرة غبت فيها  
عن الوعي؟؟) ... تشنجت أطرافها، وغاصت  
ملامحها في الألم. تقبض على يديها بقوة، ترد  
بتردد..

(بعد موت عمي .... بأسبوع ....) ... زم شفتيه  
بترقب، يومئ وهو يسأل مجددا ...

(الذي شنق نفسه؟؟) ... لم تندهش من معرفته،  
تهز رأسها بوجوم، فأردف بحذر وهو يرفع  
عكازه يتفقدده ..

(كيف اقنعت زوجك بعدم لمسك؟؟) ...  
نظرت إليه تتنفس بحدة، وقد تغيرت قسماتها

من الوجوم إلى القرف، فرفع رأسه إليها حين  
تأخر ردها، لتقول بتشفي ...

(لم يكن يعلم ....) .... ابتسم البروفيسور بلؤم  
يقول ...

(كنت متأكد... هل تسمحين بإخباري كيف  
؟؟.... فضولي سيقتلني ...).... جعلت دقنها  
وأعلى انفها ترد بنزق..

(أنت أكثر فضولا من .. شطوا\*....) ... قفز  
حاجبيه يسأل بدهشة .. (من؟؟)....

مططت شفتيها ترد بجفاء ..

(صاحبة أكبر فرن \*تنورت\* في المدينة....  
الواجهة لمركز الأخبار المحلية....) .. ضحك  
البروفيسور ببرود ساخر، ثم قال ..

التي قلتها للشباب الآخر... تعمدت رؤيته لنا..  
..ورببت لكل ذلك .....

تحدث البروفيسور بهدوء لا يشبه ما في صدره  
من حماس ...

(لما رفضته؟؟ ... هل يمكنك إخباري؟؟) ...  
أومات ترد بعدائية ..

(شاب عابث ... لا يستحي ... ظل يطاردني لسنت  
كاملت... يريد صحبتي ... وحين رفضت ...  
طلب ان يخطبني ... الجميع يظنون انه يعشقني  
ويريدني للزواج ... لكنني وحدي أعلم ان كل  
ما يريده حتى قبل أن يخبر صديقه خفية...  
..هو قضاء حاجته من .... لكنه لم يعلم مع من  
علق (!).... صاح البروفيسور باسماء باعجاب ...

(طريفة!!... هل ستخبريني؟؟) ... رفعت  
حاجبا واحدا ترد بمكر ...

(لن أخبرك ....إسأل شيئاً آخر ... ) ... أمال رأسه  
يكبت بسمتة ظهرت على جانب ثغره، ورفع  
كفه يمسد على لحيته، قائلاً ....

(مهمهمم .... وما قصة الخطيب الأول؟؟) ...  
تفاجأ من شفيتها المضمومتين تخفي بهما بسمتة  
مرحرة، وهي تجيب ....

(ذلك المتحذلق ... رفضته والتصق بي  
كالعقمة ... لأجد نفسي يوماً خطيبة له ...)  
اختفت البسمتة وهي تكمل باشمئزاز ...  
(وظن نفسه امتلاكني .... لكنني لقنته درسا  
لن ينساه ما حيي ... ولا أظنه سينسى الكلمات

ان يهجم الإدراك على خلايا فكره يهتف  
بدهشت ...

(انعكاس النور في لمعانه يمنح المخ لديك  
تنبيها... فيستيقظ.... هل هكذا كنت  
تستيقظين؟؟؟).... عضت شفتها تحديق به  
عابسة، فرقع قدمه بروية يعيدها على الأرض،  
ليميل نحوها قائلا بتقرير .....

(كان يجب أن أفهم... حين تحدثت عن  
شخصيتك الوهمية... أنت تعلمين بمصائبك  
... أليس كذلك؟؟؟) ... احتد تنفسها كمن  
انكشف وهو يكمل بخضر ...

(طبعا... فأنت كنت تستعدين للالتحاق  
بكلية الطب ... اللعنة!! كيف فاتني ذلك  
!!) ... رمقها بتساؤل مكون من كلمة .....

(فتاة جيدة !!)....) ... سره ارتياحها له بعد  
تشجيعها فاستدرك ...

(وماذا عن الخاتم؟؟) ... سارعت بالرد تهتف ...  
(لقد وعدتني بإحضاره ولم تفعل ....) ... آمال  
وجهه كما رفع أحد حاجبيه، يقول بتهكم ..  
(وأنت لم ترضي فضولي... فيما أردت معرفته  
.... إذن نحن متعادلان ....) ... نفخت بامتعاض،  
فابتسم بمكر يقول .....

(هل تريدني نفس الخاتم.... أم مشابه له  
؟؟؟) ... رمقته باهتمام تفسر للحظرة، خانها  
ذكاءها....

(المهم أن يكون كبيرا كفاية... ويستجيب  
لأدنى لمحة نور...) .. ضيق مقلتيه لوهلة، قبل

(الانترنت؟؟) ... قطبت جبينها تومئ وتضيف  
بتلبيك ...

(والكتب أيضا ... القديمة طبعاً ... ) ظل  
على انحنائه يسأل بتوجس ...

(زوجك .... حبوب منومة؟؟) ... وكيف حصلت  
عليها ؟) ... ضمت شفيتها تتهرب منه بمقلتها،  
لتزيد من مفاجاته بالذنب يملأ قسماتها وهي  
تجيب بخجل ...

(أجل ... مع ... القليل ... من ) .. جمعت بين طرفي  
سبابتها وابهامها، تكمل ...  
(نوع من المخدر ... القليل فقط ... اقسره على  
ذلك...) .. هتف بتأنيب...

(تقسمين على ذلك .... ماذا لو أصبح

مدمن؟؟) ... عبست بغضب ترد بان دفاع ...

(اخبرتك القليل فقط .... كي يشعر بنشوة  
فرح ... فيظن ... يظن ... انت تعلم .... ثم هو  
يستحق فلا تشعر بالشفقة عليه ... ) ... عاد

يستند الى كرسيه، يمسد على لحيته  
مستفسرا بحذر، فهو لا يريد فرارها مجددا ...  
(هل كان خائنا كما قلت؟؟) ... حركة رأسها  
بوجوم ترد باشمئزاز ...

(لقد رفضته ... لأنه بدأ نفس بدايته الأحمق  
السابق ... رأيته أول مرة في عرس شقيقتي سميت  
... فهو صديق زوجها ...) ... لمح البروفيسور  
مدى قرفها ولا يظنه موجه فقط لزوجها، وهي  
تكمل ...



(وكيف حصلت على الأدوية؟؟) ... ابتسمت

ساخرة تجيب ...

(من فضلك ...أيها ال... بروفييسور ... أنت

تهينني ..) ... لا زال على بسمته الباردة مُقرا

بجفاء ...

(فعلا .... أنا أهينك .... وأعتذر عن ذلك ..

وأظنك اكتشفت خيانتته كما اكتشفت نيت

الأحمق الأول ...). شع الدفئ في صدره حين

انبثق الأمل في بؤبؤي مقلتيها، تقول ببسمت

غيرت من ملامح وجهها التعب ...

(أنت تصدقني !!).... رغما عنه أسقط عن

وجهه جميع التعابير المتواليته، لتبقى بسمت

صادقة مشعة بالإشفاق يقول بحنو ..

(حاول التقرب مني ... لكنني تجاهلته

فنظراته ظاهرة للعيان... ليواجهني مباشرة

...يطلب مني التعرف لأنه معجب بي .... طبعا

رفضته لأنني لا أتحمل أمثاله ....واعلم ماذا

يقصد جيدا ... بفترة التعارف تلك ...)

صمتت، فرفع كفه يحركها في الهواء... (وماذا

بعد؟؟) ...

قلبت شفتها السفلى بحسرة، تجيب بحزن ....

(أبدا ... فقدت وعي ...وحين استرجعته ...كان

قراني قد عَقد ...ولم يبقى سوى يومان على

زفافي ...). أوماً بغضب جارف يكبته داخل

صدره، فلم يظهر منه سوى بسمت باردة، يسأل

بجمود ...

(هل أنت متأكد من إمكانية شفائي؟؟ ... ما  
قرأته حين شككت في أمري.... لا يسر  
..فعلت ان لا أحد من عائلتي سيتفهمني ... ولا  
سيدفع ثمن معالجاتي .. إلا والدي لكنه لا  
يملك ثمنه ... ).... وقف على رجليه يدس  
كفه الحرة في جيب بنطاله قائلاً بتشجيع ...  
(إن شاء الله هناك علاج .... ولو لم تسبقني  
الدكتورة طائعتا . ...في دفع تكاليف المشفى  
... لكنت فعلت ذلك ...فالدنيا لازلت بخير يا  
مريم ..) ... ابتسمت بتأثر تهمس ...  
(تلك الفتاة ... دائما طيبة القلب ..ونقية  
الروح ... لا افهم كيف تجاهلها والدها ...كل  
تلك الأعوام.... ) ... رمقها بترقب وهي تنظر  
اليه مستطردة بامتعاض واجم ...

(طبعا أصدقك ...وكيف سأعالجك إن لم  
أصدقك؟؟ ... .. أنا لست أهلك يا مريم ...  
درست لسنوات طوال ... أبحث عن كل معلومة  
صغيرة قبل الكبيرة ...وحضرت تجارب  
علاجية ..هنا وفي الخارج ...مع اطباء نفسين  
مبتدئين وكبار ... ..حتى انني حضرت مع  
المقرئين بنيت الرقبة ...وتجاوزت ذلك الى  
الرجالين ...فقط كي أجمع اكبر قدر ممكن  
من المعلومات ...وأفرز فيها ...الصحيح من الهراء  
... وبفضل الله ..صرت ألمح الصواب قبل ان  
أتأكد منه ...لا انكر انني أخطئ في بعض  
الأحيان...فأنا بالنهاية بشر...لكنني تعلمت  
وضع كل الافتراضات الممكنة والمعاكسة  
...مع اتباع احساسي ....) ... هزت رأسها تقول  
بتوسل ...

أعلم ... )... تتحنج يلجم النار التي شبت في  
صدره، وتجاهل الأمر قائلاً بهدوء ظاهري ...  
(ارتاحي الآن... وسأحضر لك ...كتبا مناسبة  
لتقريتها...وخاتما مشابها للقديم .... اهم  
ركائز علاجك ...هي تشجيع شخصيتك  
الأصلية .... في الحفاظ على وعيها ... فحاولي  
التفكير في كل شيء تحببته أنت.... وان  
شعرت بالشك يغزو صدرك بأنك ستفقد  
كل شيء مجددا ... تذكريني انا وطائعت ...  
بعد الله طبعاً .... اعطيك عهدي وعهدا حتى  
إن لم تكن شاهدة الآن... لن نتركك مادام  
في صدرينا نفس .. هل فهمت يا مريم  
؟؟... )...أومات بانبهار تراقبه، وهو يكمل  
بحزم ...

(هل تعلم أنها كانت تذهب لرؤية والدها من  
بعيد؟؟ ... كل يوم خميس ... كانت لدينا  
حصّة شاغرة بين الحصص صباحا ... استغربت  
تسللها من الاعداديتة ... على غير عاداتها  
...فتبعته يوما ...كانت تنزوي بعيدا بدراجتها  
أمام الثانوية .... تراقب والدها وهو يأتي  
لإحضار ابنته الأخرى .. )... تجمدت ملامح  
البروفيسور، وهي تكمل بنفس الامتعاض ...  
(كانت تبكي ... وهي تراه يضم الأخرى بحب  
ويضحكها ... فأتساءل ... كيف لرجل ان  
يكون بتلك الانانية؟؟... فوالدي مهما عانى  
من الفقر والجهل ... لم يتنكر لأحد من أبنائه  
...ام لأن طائعت ابنته من زوجة أخرى ...الله

بعد نهاية الدوام.....

ظهرت من خلف الباب فابتسم لها، تقول برقة

...

(هلا غادرنا؟؟)... هز رأسه وسحب حقيبته

متوجها نحوها. مال على وجنتها وقبلها بخفتة،

فتأبطت ذراعه وهما مغادرين.

جعدت جبينها حين اتخذ طريقا غير وجهة

منزل العائلة، فسألت بحيرة ...

(ألن نذهب إلى البيت؟؟)... التفت إسماعيل

يقول ببرود أرجف كلا قلبيهما ...

(لا ... اتفقنا على التحدث ... وما سأقوله .... له

مكان محدد يجب ان اعود إليه...).. أومات

(وذلك الأحمق... ستفصلين عنه .... ولن

تفعلي شيئا لا تريدينه بعد اليوم.... حتى ان

استولت على وعيك الأخرى... سنعيدك بإذن

الله ... اتفقنا؟؟)... أومات له بأمل شع من

مقلتيها التان وكأنهما ضجتا بالحياة من جديد،

وهو يكمل حديثه قبل ان يستدعي الممرضة

وينصرف ..

(كنت مقاتلة .... واريدك ان تبقي مقاتلة

... لكن في الاتجاه الصحيح ... ثقي بنفسك

قبلنا ... وادعي الله التوفيق والشفاء... فهو لن

يتركك ابدا .... سأذهب الآن .... وسأعود

مساء لأطمئن عليك ....)

.....



بريبت، وعادت تنظر امامها، تتأمل المكان  
الذي توقفت فيه السيارة.

ترجلا كلاهما وامسك يدها، يشير الى بنايت  
على شكل قصر مبنية جدرانها من الرمل  
الأحمر، اهترا جله. شهقت بخفوت من انبهارها،  
فتلك القصور تسمى في عرفهم ب\*القصبة\*،  
يسكنها أصحاب المال والنوذ قديما، وأغلبها  
بقيت خالية من ساكنيها أو تحولت الى متاحف  
و مزارات.

سحب من جيب سترته مفتاحا كبيرا أثريا من  
المعدن الثقيل، ودسه في مكانه على البوابة  
الخشبية الخارجية.

خطت برفقته، ثمسك بكفه وتنفص الصرح  
الخالي بوسعه الذي ينم عن فخامة كانت،

وولت، فلم يبق منها سوى أطلال لم تجد حتى  
من يبكي عليها.

بلع الغصة في حلقه، ونظر إليها يستجدي بعضا  
من دفئها تنقذه من برودة المكان اللاحقة به  
أينما رحل، كما تلاحقه ذكرياته السوداء.

(هنا ولدت... وكبرت... الى أن....) ... شد على  
شفتيه، فلمست ذراعه تقول بحنو ...

(لا تتحدث إن كان ذلك سيتعبك ... ) ... راسه

تابت كمامحه المنحوتة بجمود، لا يفضح  
توتره سوى ارتفاع وانخفاض صدره. رفعت يدها  
ترخي ربطة عنقه، فقال مستسلما لحركتها ...

(لا اعلم إن كان الحديث سيريجني ... لطالما  
أمنت بذلك وانا أطلبه من المرضى ... لكن ...

(أنا مثلك طائعتة .... لم احظى بأب يرعاني ...  
قد تكونين مفتقدة للأب... لكن على الأقل  
لم تفقدي احترامك له ... بل لازلت تتأملين  
التعويض منه يوما ما .... أما أنا... .. همت بسحب  
كفيها كي تمسك ذراعيه، لكنه منعها يشد  
عليها بقوة فوق صدره، وهو يكمل دون توقف  
..

(أما أنا ... فقد فقدت فيه كل شئ على مر  
الزمن .... القدوة ... الحب ... الحنان ...  
الاحترام.... الود .... وبعدهما فعله في الآونة  
الأخيرة.... صرت أكرهه.... لقد اكتشفت أن  
رغم قساوته في الماضي... والتي تحمّل منها  
ابراهيم ما لم نكن لنستطيع تحمله ... ومع  
كل جرائمه من الخيانة... والتهريب ...

البروفيسور على حق ... بيننا أنا وأنت... لا يجب  
أن تبقى هناك أقنعتة.... تحول بيننا ...)  
تركت الربطة بعد ان أرختها، وابتقت كفيها  
على صدره، ترد بحزن ...  
(أنا ... )... قاطعها يقول بألم ....

(أنا لا ألومك طائعتة ... هناك آلام في حياتنا  
تترك أثرا يصعب محوه .. فنخفيه عن الجميع  
.... )... زفرت بوجوم، وهو يمسك ظهر كفيها  
مستطردا ...

(هذا البيت الواسع .... شهد على أحداث بين  
الفخر والفرح و السعادة.... والحزن ... والموت  
... والخزي ....) ... تشكل الوجع بحرفية على  
وجهه، وهو يسترسل بلهفة، كما لو كان  
حجرا يثقل على ظهره، يتوق للتخلص منه.

بنبرة يقطر منها الوجد كقسماته المتشجرت

...

(وهل كان ذلك كافيا يا طائعتا؟؟.... هل  
اكتفيت بذلك؟؟)... صمتت تتلفت بعينيها  
فشد على كفيها يحثها...

(أخبريني...)... زمت شفيتها قبل ان تقول بحزن

...

(وضعي يختلف عندك إسماعيل... فأبي كان  
أمامي.... أراه وهو يمنح أبوته وحنانه لفتاة  
أخرى... يخصها بكل شيء حرمني منه ...  
لمجرد أنني لست شقيقتها...)... قطب مسترجعا  
انتباهه، يرمقها بحيرة، فتسابقت الكلمات من  
فمها مع الدمعات من مقلتيها ...

اكتشفت انني لم اكن أكرهه... على قدر ما  
كنت غاضبا منه ...).. اتسعت مقلتيها حين  
لمحت اللمعة من تحت عويناته الطيبة، ينهي  
حديثه بحقد اشتبك بالألم....

(أن يقسو الوالد على ولده... أو حتى يضربه  
...أمر... وأن ينوي قتله والتخلص منه ... بسبب  
المال... أو لأي سبب لعين آخر... هذا امر  
لحاله... لقد كرهته... كرهته بشدة...)..  
تحدثت بمهادنة تقول ...

(اهدئ إسماعيل.... من فضلك ... تعلم ان  
الإنسان فيه من غلبت عليه نزعة الشر... كما  
هناك العكس... وانت كنت محض  
بجدك ... كما كنت انا أيضا ....) ... باغتها

(لا مجال للمقارنة بيننا اسماعيل... وجعك  
أكبر... أنا ورغم كل شيء... لم يتعد الأمر  
إلى جرائم وطفيان... لكن... مهما كان  
الوضع.... يجب ان تتجاوزه... لا تدعه يسلبك  
مستقبلك... كما سلبك الماضي....) ... رفع  
رأسه الى السقف، يتنفس بعمق وتركها يبتعد  
خطوة، فراقبته وهي تمسح دموعها وتحاول  
تمالك نفسها. لا تصدق أنها أخبرته بما لم  
تتجرأ حتى على الاعتراف به بينها وبين نفسها.  
فالحزي أجمها لا تعلم لما كانت تذهب كل  
مرة لتراقب والدها وأختها، وتعذب نفسها حتى  
أدمنت تلك المشاهد. وفي النهاية اكتشفت أن  
نفسها التواقية أضحت تجد في رؤيتهما، بعضاً من  
عزاء تجهل كهنه.

(كنت أتسل الى الثانوية التي تدرس فيها  
أختي... بعد ان علمت كل شيء من أمي وجدي  
... فهي تكبرني بسنتين... استغربت من اهمال  
والدي لي... وانا أعيش معه في نفس المدينة  
... حتى وان كنت في حي على الضواحي...  
فذهبت كي اراها.... علني افهم شيئاً ما.... و  
كنت أبحث فيها عن الاختلاف بيننا... كل  
مرة أراه يضمها... أو يقبلها.. ثم يقف مراقب لها  
ببسمت حانية.. إلى أن تدخل... كنت...)  
صمتت فصر وجهها، يمسح دموعها بإبهاميه،  
يقول باطف ...

(أنا آسف...)  
... أو مات ودموعها لا تنحسر،  
تمسك بكفيه على وجهها ترد بنبرة متهدجة

...



رفع يده يشير الى البهو الكبير يقول بوجوده  
...

(هناك ... كان يجلس بفخر ... جوار جدي  
... وجدته ... حولهم اعمامي ... وكبار رجال  
المدينة ... كلهم يهابونه حتى اكثر من جده  
ووالده ...) ... أشار الى رواق مهجور، لا تعلم الى  
أين يفضي، مستطردا ...

(وهناك ... كان ينهي شجاره مع امي ... حين  
يخرج من جناحهما ... وتتبعه كعادتها تبكي  
... ) ... ثم أشار الى باب في آخر رواق آخر،  
يستدرك بامتعاض ...

(وهناك ... كان يسحب إبراهيم ... يتجه به  
إلى المالحق ... كي يعاقبه ... خفية عنا ...  
بحجة انه البكر ..ومن سيتحمل المسؤولية

معه ...ومن خلفه ...) ... أسقط يده إلى جانبه،  
ثم نظر إليها يكمل ...

(حين قرر ابراهيم رحيلنا من هنا ... سعدت  
بذلك ...وظننت أنني سأترك كل  
الذكريات بين جدرانها ... لكنها لاحقتي  
..في صحوي قبل نومي ...) ... بلل شفتيه بتمهل  
وهو يفكر في شيء ما ثم قال ..

(أعلمين .... أول مرة لم أرى فيها كابوسا من  
الماضي في احلامي ؟؟) ... رمقته بتساؤل  
فاقترب منها حتى وقف أمامها، يستطرد بحنين  
للذكرى ...

(أول مرة ...قبلتك فيها ...) ... زحف الاحمرار  
الى وجنتيها حياء، لكنها لم تفر منه ترمقه  
بذلك الضعف الذي تتسم به قربه ...

ليكون أساسا لمستقبل ثابت .... لذلك  
احضرتك هنا ... كي تعلمي عني ما لم اخبر  
به احدا من قبل ... وكي تعلمي أي نوع من  
الآباء أنجبني (...). أمسكت ظهر كفه على  
وجنتها ترد بحنو ...

(لا يهمني من انجبك اسماعيل ... بل ما يهمني  
...من تكون عليه أنت ... وكل ما رأيته ....  
هو انسان ناضج واعي ... متحمل للمسؤولية ....  
حتى حين اخترتني ...من اجل عائلتك ... لم  
تظلمني ... بل تحملت مسؤوليتك كرجل ...  
ورغم الضغوط والشكوك ... حاولت السير  
بخطى متأنية ... كي تجتمع بي على أرض  
ثابتة ... وهذا ما جعلني اضعف قريبك ..)

(تلك الليلة ... التي قضيتها جوار أمي ...  
أحاول استدراج أفكار المعذبة كما كل  
ليلة ... إلا أنها كانت تفر من أخرى طفت  
بدفئها ... فنمت وأنا افكر فيك ... وفي  
علاقتنا ... وحين استيقظت اكتشفت أن  
الكابوس اللعين لم يزر منامي ليلتها ....  
وكذلك الليالي التي تلتها (...). أمالت رأسها  
ترمقه بتأثر ووله، فرفع كفه يربت على  
وجنتها يردف برقة ..

(قد أكون اتخذت خطوة الزواج بك ... مرغما  
... وقد أكون غير متأكد من الفتاة التي  
اخترتها شريكتي لي في البداية ... لكن ..  
الآن ... أنا واثق من اختياري ... ومثلك اريد  
لزواجنا الدوام ... والنجاح .... حاضرا واضحا ...

قطب منصت دون ان يترك وجهها، مستمتعا  
بدفيء بشرة وجنتها وراحتي يدها.

(لم اكن يوما ضعيفا اسماعيل .... جدي رباني  
على القوة وتحمل المسؤولية ... كان يخشى  
موته وتركه لي وحيدة ... فعلمني كيف  
اعتمد على نفسي .... وأن لا أكون لقيمة سائغة  
لأحد ... علمني الخوف من الله ... الذي يحول  
بيننا وبين انفسنا ... ويطلع على كل خلجة في  
دواخلنا ... فأثقيه بيني وبين نفسي ... قبل  
علانيتي ... تساحت بخوفي من الله ... فلم اعد  
اخشى أحدا غيره ... لذا بعثني جدي للدراسة  
في العاصمة ... وكله ثقة بي ... ولم يعلم ان  
تلك الثقة زادتني ... قوة وثقة بنفسي ...)  
ظهرت بسمته إعجاب على جانب ثغره، زحفت مع

كلماتها التالية الى عقر مقلتيه، فاشتعلت  
بلهيب الحب الذي تأججت ناره في قلبه.

(وحين طلب مني أبي الزواج منك .... فكرت  
بعملية وسألته عنك .... لا اخفيك أنني  
ترددت للحظة ... لكن ما أخبرني عنك  
جعلني اتخذ الخطوة لسببين ... أولهما انك  
رجل لا يرفض ... ثانيهما ولا انكر ابدا ... أنني  
وأخيرا وجدت طريقا أفتحه بيني وبين أبي ...  
ومع ذلك ... انا لم اشعر بنفسي استسلم إلا  
... قريبا ... أحب تلك الطريقة التي تقف  
فيها جواربي ... وتمسك بها يدي ... حاميا  
... مدافعا .. أحب ذلك وأريده ...)  
بمكر يقول ...

تفاجأت حين التقط شفتيها دون ان يذلت  
وجهها، فتشبثت بكتفيه، واستسلمت له تسلمه  
حصونها. تركها بعد برهة يلتقط أنفاسه  
المتلاحقة، يقول بلهات ....  
(سيكون .... بإذن الله سيكون أكثر من  
كافي .... حبيبتي )...

\*\*\*اليوم الثاني\*\*\*

صباحا ... المشفى ... القسم النفسي ....

أنهى جلسته مع مريم التي لم يطلها، يمنحها  
الوقت كي تستوعب حياتها الجديدة، فتكون  
أكثر تقبلا للعلاج، وأكثر ثقة في من حولها.

(هل اعتبر هذا اعترافا بالحب؟ ....دكتورة؟  
).... تصنعت العبوس، تقول بعتاب ...  
(إن كفت عن مناداتي بدكتورة ...قد تحصل  
على واحد... فأنت زوجي ... أأست كذلك  
....دكتور؟؟) ... ضحك فأشرقت ملامحه كأن  
لم يكن واجما قبل قليل، وضع جانبي وجهها  
يقول بحب ...

(أنت محقة .... أنا زوجك ....وأنا ...أحبك يا  
....طائعت ... )... اتسعت بسمتها بنفس بهجته،  
تربت على ظهر كفيه محمرة بشدة، تقول بوله

(وأنا أيضا احبك .... إسماعيل.... فهل يكفي  
حبنا هذا لنجتاز الماضي بكل مآسيه ؟...  
احتاج منك تأكيدا إسماعيل...)

(الحمد لله ... أنا سعيدة من أجلها... متى  
يمكنني رؤيتها؟)... ضم شفتيه يرمقها بتأمل،  
يقول ...

(أنت بالتأكيد سعيدة... لكن السبب لا أظنها  
فقط مريم ..)... بلعت ريقها بتوتر، فاستطرد  
بحزن غافه بالسخرية ...

(لطالما ظننت نفسي محترفا في عملي  
....وأستحق لقب البروفيسور... لكنني أمس ...  
أو لنقل قبل أمس ... اكتشفت أنك أكثر  
براعة مني...دكتورة ..)... تجمدت تنظر إليه  
بترقب، وهو مسترسل ...

(لم استجب لطبيب قبلك ... حتى ممن  
يفوتونني خبرة...وعلما ... إلى ان التقيت بك  
... وبطريقتا ما ... استجبت لك ... وأصبح

توجه الى رواق ما وتلصص لبرهته ثم عاد بنفس  
التسلل الى مكتب طائعت. دق على الباب  
المفتوح فرفعت رأسها عن الملف بين يديها  
تبتسم له برسمية. خطى اليها وهو يلمح تلك  
اللمعة التي تشع بها مقلتيها، شيئ ما تغير،  
تلك ليست طائعت التي التقى بها في فصله.  
فتاة صغيرة ذات قوة وكبرياء، وعينين تحملان  
من الحزن الكثير.

(كيف حال مريم؟؟)... بادرت وهي تجمع  
الملف وتضعه أمامها على سطح المكتب، فرد  
عليها وهو يتخذ احد الكرسيين مجلسا له.  
(أنا متفائل والحمد لله... سعدت بالهدايا...  
وتركتها تتفقد الكتب بحماس ..)... السرور  
ملا نفسها تقول بضح ...

(هل رأيتها معا؟؟... هل تأكدت من عدم  
فقدانه للأبوة سوى معك؟؟... هل تأكدت من  
انك الوحيدة بين ابنتيه التي حرمت منه  
؟؟)... لمعت مقلتيها بدموع، متسمة مكانها  
بصمت، وهو يكمل ببرود...

(كم مر عليك من السنين...وانت تتلقين  
حبه ووده... من خلال مراقبتك له يبثهما  
لأختك؟؟... بماذا شعرت حينها؟؟...  
بالألم؟؟... بالحسرة؟... بالغيرة؟... تحدثي  
طائعت...أنا أنتظر...)... قامت تجيب بتوتر،  
وقد بدأ الأمر بالفعل يبهت في صدرها...  
(من فضلك بروفيسور...أنا...لم أكن حينها  
مستعدة.. أنا..)... استقام واقفا، وعدل من  
هندامه يقول بجديت..

البروفيسور مختار العربي... مريضا بين يدي  
طالبت... لم تتخرج بعد... والله شاهد علي  
..لقد استغربت وحللت...بطريقة تجعلني لا  
أعترف لك بأنك طبيبة بارعة....)... أخذ  
نفسا عميقا وزفره بنفس العمق، ثم أكل وهو  
يحدق بها....

(لكنك برهنت....على أنك فعلا...طبيبة  
بارعة... فقد علمت كل صغيرة وكبيرة عني  
.... في الوقت الذي أخفيت فيه عني أهم  
معلومات.... كانت لتساعدني في فهم كل ما  
ألم بك...)... بللت شفثها ترد بتردد...  
(أنا...بروفيسور...)...لما أخفيت عني أمر  
اخذت طائعت؟؟...)... قاطعها بشكل مباشر،  
فشهقت بخفت، ترمقه بارتباك...

اعلم كيف ستجعليني انسى ذلك !!!!! الى  
اللقاء)....

.....  
مساء ..... الباب الداخلي الخفي للمشفى ....

(انتظرتك أمس .... ولم تأتي ....) لم تتفاجأ  
وهي تتخذ طريقها تسلا، وتوقفت تستدير إليه.  
أشار إلى الكرسي جواره يكمل ببسمة مدعيت

..

(تفضلي .... شاركتني العصير... إنه طازج ....  
مثل الذي شربته قبل امس ....) ظلت مكانها  
تتلمس على طرحتها وتمسد على كنزتها  
السوداء، فاستدرک ...

(أجل .... كما استجبت لك ...كنت في  
انتظار شخص مناسب...كي تستجيب له ...ومع  
تلك السعادة الظاهرة على وجهك ....والتي  
بالمناسبة رغم غضبي منك ...إلا أنها أسعدت  
قلبي الغبي .... تدل على إجادك له أخيرا ...  
لقد سلمت حصونك لطبيب النفوس....  
أستطيع رؤية ذلك ....) ... ابتسمت له بحزن،  
فرفع رأسه بأنفة، يستطرد قبل ان ينصرف ...  
(وأنا سعيد من اجلك ... لكنني غاضب منك  
... لأنك جرحت كبرياء البروفيسور ... بعدما  
أكد له غروره اللعين ...أنه نجح في تعليمك  
الثقة بالناس ... اكتشف أنك لم تفعلي ...  
ولم تثقي به ... لهذا أنا غاضب منك .... ولا

(هل أنت في عجلة من أمرك؟؟؟ ... ) ... نطقت  
بسرعة وتوتر...

(في الحقيقة ....بلى ... أنا مستعجلة ... )... رفع  
إليها الكأس يقول ببراءة مدعية ...

(إذن اشربي.... واذهبي ... سيساعدك على  
الجرى... )... أومأت بخفت، وتناولت الكأس  
ترتشف منه، فقال ....

(ستذهبين الى بيت أهلك؟.. ) ... أومأت من  
جديد ، فتحدث ....

(لما اختفيت أمس؟) .. ردت بتردد...

(لم ...أعمل أمس... )....(مهمهم .. فهمت ....لما  
لا تحاولين اقناع أهلك؟؟.... بوجهة نظرك؟؟

....أسلم لك من التسلسل ليلا ... )... أكملت ما  
في الكأس مرة واحدة، لترد ببرود ...

(حاولت ...بكل الطرق .... لكنهم لا يفهمون  
... )... (ماذا لا يفهمون؟؟) ... أجفلت فمدت له  
بالكأس، تقول بنفس البرود....

(لا يفهمون مدى تعلقي بعلمي .... ولن أتركه  
مهما حدث... شكرا لك ...الى اللقاء... )... رفع  
حاجبه مراقب إياها وهي تستدير بخطوات  
تتأقل إلى أن توقفت. فقال بلؤم ...

(ما بك ممرضتة فجر؟؟؟).... التفتت إليه  
تمسك بجانبها رأسها، تقول بتعب ....

(لا ..أعلم... أشعر براسي ثقيل ..... )... أبعد  
المقعد جواره قليلا، يقول ....



(أجل أنت البروفيسور العظيم... ضيف رئيس  
القسم وزوجته... لا تهددني فأنا لا يهمني...)  
ضحك بصخب يرد بتهكم ...  
(أنا متأكد... اهدئي)... تلهت عنه بالكأس،  
فقال بعد لحظة صمت...  
(إذن انت تعملين فقط بالليل ... لأنني لم  
ألمحك يوما بالنهار..)... باعت ريقها تجيب  
بتلجلج ...  
(ن.... نعم... أنا أخبرتك لما .... لذا أستبدل  
الدوام مع زميلاتي... واعمل ليلا ..) .. كبت  
ضحكتة ماكرة من الهراء الذي تحكيه،  
فسايرها قائلا ...

(تعالى... وارتاحى ... لن يضرک ذلك  
...ويمكنك التسال لاحقا...)  
ظلت مكانها  
تنظر إليه بتردد، قبل ان تقرر العودة والجلوس  
لبعض الوقت حتى تتمالك نفسها ...  
(خذي واشربي بعض العصير... السوائل جد  
مهمته لجسد الإنسان... خصوصا من يقضي وقته  
في الجري... والقفز)... لمحت بسمته المازحة،  
فأمسكت الكأس ترد بعبوس ...  
(متحذلق!!).... لم يجبها يلهو بعكازه، قائلا  
بحذر...  
(هل تعرفين من أنا؟؟؟.... فانت ممرضة هنا في  
القسم...)  
ردت بجفاء ...

(لأنهم اختاروا لي عملا آخر ... يرون انه لائقا  
 بي اكثر..لا... بل يليق بمصالحهم .. ...  
 جاهلين بحقيقتي أنني سبق واخترت من هو لائق  
 بي .... فرفضت وواجهتهم بشراسة ...وبكل  
 طريقة قد تتخيلها ... )... صمتت تتنفس  
 بحدة، فسأل يهز كتفيه بخفتة ...  
 (و ماذا حدث؟؟) ... قلبت شفتها السفلى بأسى،  
 ونظرت إليه تقول بحزن ...  
 (العمل الذي حاربت من اجله ...خذلني  
 ...ورفضني بنفسه... لكنني لم استسلم ...ولا  
 زلت أحارب لأقنع الجميع ....) ... قطب  
 البروفيسور، يقول بريبتة ...  
 ( لو كان العمل خذلك بنفسه ... لما  
 تتمسكين به؟؟) .. شعر البروفيسور بحاله

(حسنا ... لما كل هذا التعلق بالعمل؟؟ ...  
 لدرجة التسال والتخفي عن اهلك ... ) غامت  
 مقلتيها بالوجوم تقول بحقد ....  
 (انه من حقي أنا.... ) .. صمتت فقال يحثها  
 بحذر...  
 (من هو؟؟) .. نظرت إليه تكمل بنفس الحقد ...  
 (العمل ...من حقي أنا ... لقد تعبت من اجل  
 الوصول إليه... ولن أسمح لأحد بسلبه مني  
 ...) ... كان متأكدا أنها لا تقصد العمل، فأوما  
 لها يسأل بحيرة ....  
 (لماذا يرفضون عمالك؟؟) .. ضمت شفتيها  
 تسترخي على المقعد، ثم قالت ...

\*\*\*اليوم الثالث\*\*\*

الجامعة ....

(لا تتعب نفسك ..... هي لن تذهب إلى الرحلة  
... )... نطقت نجوى من بين أسنانها، فقال هيثم  
باستنكار ..

(لما لا؟؟... إنها رحلة جامعية ... )... ضغطت  
على أسنانها بغل، ترد بحنق ...

(والدها لن يسمح... لم يسبق لها أن ذهبت في  
رحلة مدرسية... )...

(ولهذا بالذات سأذهب يا نجوى.. ).. شهقت  
المعنية بخفوت، وهيثم يبتسم ببلاهة، يقول  
بتحضر ..

كمن يمشي على حبل توازن، قد يسقط عليه  
في أي لحظة. لكنه تأثر رغما عنه وهي ترمقه  
بألم، تجيبه بصدق ...

(لأنني متعلقة بالعمل... أحبه... ولا أستطيع  
العيش من دونه ... أشعر أنني إن تخليت عنه...  
س .... س ... ).. صمتت فحشا،  
... (ماذا؟؟)... عضت شفتها وهي تذرف دموع  
واحدة، فرت بقسوة من سجانها، تجيب بيأس  
غائر ...

(سأموت... )....

.....

(مرحبا رواح .... سعيد جدا....لأنك  
سترافقينا الى الرحلة ...).. ابتسمت بشر ترمق  
نجوى، تقول بدلع متعمد ..

(شكرا لك هيثم ... لكن نجوى ليست سعيدة  
مثلك... أليس كذلك نجوى؟؟) ... التفت  
هيثم الى الأخيرة، يقول بجهل لكل ما يحدث  
حوله ....

(لا ..أبدا... هيا تحدثي نجوى ...). شدت على  
شفتيها تقول ببرود، وهي ترمي رواح بسهام  
قاتلة ...

(أنا؟؟ ...لما لا أكون سعيدة؟... أنا فقط  
استغربت كيف أقنعت أهلك (!)..) .. ابتسمت  
بتشفي تفسر ...

(طلبت من أخي ياسين ... إقناع أبي .. وقد فعل  
... أخي حبيبي ..).... (من هذا حبيبيك؟؟) ...  
أجفلوا على نبرة منفعلة، تشي بمدى غضب  
صاحبها، فالتفتوا إليه ليتأكدوا من الحمرة  
المختلطة بالسمرة على وجهه، يرمق رواح  
بتهديد خطير ...

(ما بك عيسى؟؟ ... إنها تعني أخاها ...الذي  
سمح لها بالانضمام الى الرحلة الجامعية  
...). .... قالها هيثم باستظراف، فرماه بنظرة  
ممتعضة كنبرته حين وجه لها الحديث ....  
(وكيف أقنعت ح... اقصد أخاك؟؟) ... ضمت  
ذراعيها الى صدرها تجيب، وهي ترفع دقنها  
باستعلاء ....

(سندھب ....ھيا لئشترک ...)..... ولا تنسى أننا

سنزور منزل أهلي الليلة.

.....  
المشفى ....القسم النفسي .....

( مريم ... تفضلي الخاتم.. هل اعجبك؟؟)...

نظرت إليه بانهار، ترتديه قائلة بسرور ...

(شكرا لك ...إنه جميل .....)... جلس على

كرسيه بالقرب من السرير، يقول ....

(كيف حالك اليوم؟؟).... لازالت تنظر الى

الخاتم وهي ترد بتلقائيتا ...

(كما يفعل الناس ...طلبت منه ...ووافق ...فأنا

لم اعد فتاة صغيرة...)... تجاوزته تكمل

بهمس التقطه ...

(عرجاء ...)... أطرق برأسه يهمس لنفسه

بوجوم ...

(يا ليتك بقيت عرجاء يا رواح .... يا ليتك

عدت كما كنت ...)...

(ماذا تقول يا صاح؟؟)... رفع وجهه ليجد

صديقه الباسم، فقال بحزم ..

(تلك الرحلة التي اخبرتني عنها ...)... (ما بها

؟؟).... قطب منصف يسأل، فرد عليه عيسى

بانزعاج ...

(الحمد لله ... أفضل ...شكرا لك ...)... ألقى  
على الكتب جوارها نظرة قبل أن يتحدث من  
جديد ...

(كيف وجدت الكتب؟؟).... أبصرته بمقلتين  
تتقدان حماساً، وهي تجيب ....

(رائعاً... لم استطع تركها للحظة... لقد  
اشتقت الى الدراسة ...).... أوما بتشجيع يقول  
...

(الجامعة متوفرة الآن... يمكنك الالتحاق بها  
...إن شئت....) ... وكان اليأس تمكن منها  
تسأل بعدم يقين ....

(هل تظني قادرة على ذلك؟؟)... تعمد  
التهكم في نبرته يقول بمرح ...

(من فضلك مريم أنت تهينين نفسك ... أم  
علي تذكيرك بمسيرة كفاك ؟! )...  
ابتسمت بخجل، فسأل رأساً ...

(إحكي لي عن خيانتك المزعومة ...)....  
تصلبت فجأة، فاستدرك بحزم ...

(لقد وعدتني...واتفقنا .... أريد كل التفاصيل  
...لا تغضي شيئاً ...).... توالى أنفاسها كي  
تلحق بقلبها في مضمار الخوف، ثم قالت ....

(نفس القصة سيدي ....) .. تقوس حاجبي  
البروفيسور يهتف بسخرية ...

(ما هذه ال سيدي؟! )... لولا تقبلك للخاتم

لظننتك .... الشخصية الوهمية ... الجميع  
ينادونني بروفيسور...مع انني بدأت أشك في

استحقاقه ...) ... قطبت بحيرة، فاستدرک  
مشيرا بكفه ...

(ناديني بروفيسور ... لا عليك أنت ... أكملني  
... أكملني ...) ... تنهدت تهدي بسهو ...

(أظنني مغناطيس لا يجذب سوى رجال حِقار\*.  
... ) ... تنبه إليها فأومات تكمل باشمئزاز ...  
(ظل يحوم حولي قبل الزواج .... ولم يمنعه  
الزواج من ذلك ..... لذا جمعت العصافير ...  
عضوا ... أنا أتأسف للعصافير ... جمعت الغولان  
... واورقتهما في فخ واحد ...) ... ضحك  
البروفيسور بصخب فابتسمت بخجل. تمالك  
نفسه وسوى ثنايا وهميته على سرواله يقول ....

(لما لم تخبري أحدا من عائلتك؟؟ ... يعني  
لما لم تلجئي لوالدك .. أو والدتك ... او حتى  
شقيقتيك؟؟) ... تحولت بسمتها الى سخرية  
تقول بمرار ...

(ماذا سيفعلان والداي؟؟ .... و انا اتخبط كل  
يوم بقرار مختلف ... والكل يعلم انني مجنوننة  
او بالأحرى ممسووسة ... وويتكتمون على ذلك  
... فكل ما أقوله لا يأخذ بمحمل الجد ... أما  
شقيقتاي ... فقد اخبرت سميتة ... الكبرى) ...  
اقفلت فمها ترمق السراب بوجوم، فقال ...  
(مريم ...!!) ... رمته بنظرة خاطفة، تستدرک  
بوجوم ..

(هي الوحيدة التي أخبرتها ... عن شقيق زوجها  
... رغم برودة علاقتنا ... ولم تخيب توقعي ...

(كلما استعدت وعي...كنت اختلق الحجج ...  
كي أعود الى البلدة ... وابتعد عن ذلك  
الرجل المسمى زوجي .... فأنا رغم كرهى له  
... كنت اخشى أذيته .... والمرة الأخيرة  
سافرت رغم غضبه .... مع ان الحقيير خائن  
بائس ... لا يكلف نفسه حتى بمسح الرسائل  
الخليعة والصور من على هاتفه ...وحاسوبه  
...طبعا فالغبيطة الأخرى ساذجة.... وتصدق  
كل شئ...عدت الى هنا لأجد الآخر في  
وجهي ... يخبرني بتفهمه لهروبي من زوج خائن  
...مؤكد ا لي ما عرفته مسبقا ... وجلب لي  
صورا له برفقة الفتيات والخمر ...)... تكومت  
قسمات البروفيسور في قرف، يقول ...

اتهمتني بالسفالتة ... واستمتاعي باهتمام  
الرجال ... وأنتي من يجعلهم يحومون حولي  
.....) هز رأسه بامتعاض، يستفسر ...  
(لما علاقتكما باردة؟؟).... زفرت بضجر ترد  
بتهكم ...

(لم تنسى أبدا أن زوجها ... أعجب بي قبلها  
...لكنه محترم ..الحق يقال ... احترم صدودي  
له ... ونسيت أمره ...حتى وجدته وعائلته في  
بيتنا ليطلب سميتة ... طبعا انا أخبرتها بحسن  
نية ...لكنها ثارت ... ومن يومها وعلاقتنا  
باردة .. سميتة طبعا قاس من الأساس....)..  
(مهممم! ... مفهوم ... وماذا حدث ليلتة القبض  
عليك؟؟).... ردت تفسر بجديتة ...



مرضك .. تلك تركيبة سحرية جذبت ..  
وأنا متأكد من وجود شباب آخرين محترمين  
... (طلبوك للزواج ....) ... أمالت رأسها إلى كلا  
الجانبين، ترد بامتعاض ..

(أجل ... ) ... نظر إليها مستفسرا ...

(وهذا يحتم علي طرح سؤال آخر .. لماذا

ترفضين؟؟) ... صمتت، فاستدرك ...

(أنت كباقي الفتيات ... تتمنين الزواج وتأسيس

أسرة لك ... فلماذا كنت ترفضين؟؟) ... ظهر

عليها التوتر جليا، وهي ترد بوجود ...

(كل احلامي كانت تضيع ... وتتسرب مني

كالسراب ... ) ... عض شفته السفلى تفكيرا،

ثم قال بملامح خالية من التهكم ...

(الندل ... وماذا فعلت؟؟) ... ضحكت بسخرية  
مريرة، تجيب ...

(طلب مني الانتقام من زوجي ... بسقيه من نفس

كاس الخيانة ... هل تصدق؟؟) ... وافقها

ساخرا يكمل عنها ...

(وهو المضحى المغوار ... الذي سيساعدك في

الانتقام) ... هزت رأسها بياس ساخر، تقول ...

(أخبرتكم ... مغناطيس حِقار\* .. سايرته في

خطته التي ظننا ستبقى سرية .. ) ... وطلبت

الشرطة ونحن نتعشى ..... ) ... هز رأسه، واقترب

من السرير بمقعده، يفسر بكلمات بسيطة ...

(إنه سحر الغموض ... أنت انسانة قوية ... و

طبعا جميلة ... أضيفي على ذلك غموض

مساءً .... منزل آل عيسى ...

التقطت حق كف الحاجة إيجتاً، تمسد عليها  
بحنان، وتحدث إبراهيم على الجانب الآخر  
لوالدته بحنو بعد ان تلقي اشارة استغاثت من  
شقيقه الجالس عند رجليها. ...

(أمي ... لقد مر وقت كثير على وجود زوجتي  
إسماعيل في بيتنا .... وأن الأوان كي تلتقي بها  
...) ... جحظت مقلتيها ترمقهم بتوجس، وخوف  
شع من مقلتيها الضرعتين. فاستدرك ..  
(من فضلك امي .. إنها لا تشبه من في بالك ...  
عافاها الله مما فيها هي الأخرى..) ... اهتز

(أنت وضعت خطة مستقبل لنفسك ... درست  
باجتهاد .. حتى أنك اقنعت والدك ...  
بقدرتك على العمل بجانب الدراسة ... في  
كلية الطب ... هل يا ترى لهذا علاقة  
... برفضك للزواج؟؟ ... أم ... ) ... صمت يربت  
على دقنه مضيقاً مقلتيه، وهي مفعرة فمها  
تتنفس بتوتر ... (أم ان هناك رجل معين ...  
مهمم! لنقل ... طيب؟) ... انتظرها بصبر،  
فقام يقول بمكر...

(لندع هذا السؤال فيما بعد ... كي تفكري  
جيذا في الرد ....) ...

\* حِقار ... جمع حَقير.

.....

صدرها بنشيج مكتوم وهمس كفحيح أفعى  
يتردد صداه في عقلاها، بالتهديد بالقتل.  
زفر اسماعيل بيأس فتدخلت حق بعد ان قبلت  
ظهر كفها، تقول برقة ...  
(طائعت ... فتاة جيدة ... تريد التعرف عليك  
... فهي الأخرى ليس لها والدة ... تتمنى أن تجد  
فيك أمها التي توفت .... أرجوك أمي .. امنحها  
فرصة ... وامنحها من حنانك ....) ... سألت  
دموعها مدرارا، فهي لا ترفضها، لكنها فعلا  
خائفة، بل مرعوبة. أطرق اسماعيل براسه  
واجما، فانحنى ابراهيم يهمس لوالدته ...  
(ابنك يحبها يا أمي ... انظري إليه مهموما  
... بين رضاك وحبه لها ... إنه امر صعب ...)  
نظرت الى ابنها المطرق بحزن، فقررت بتصميم،

تهمس لنفسها، ان سعادة ابنها أهم حتى من  
حياتها هي. كفكفت دموعها بكفها  
الصحيحة، وبسطتها إلى اسماعيل الذي رفع  
راسه حين شعر برجلها التي حركتها قربه.  
ابتسمت له بحزن، فقام إليها بلهفة يجلس  
مكان حق التي قامت تبتسم هي الأخرى بأمل.  
نظرت إليه بإشفاق، فقبل رأسها يقول بلطف ....  
(لم أكن لأطلب منك لقاءها ... لو لم أكن  
متأكدا من مشاعري تجاهها ... صدقيني  
أمي ...). هزت رأسها بإيجاب تربت على جانب  
وجهه، فاستدرك بأمل .....  
(أنت موافقة؟؟) ... عادت تومئ إيجابا، فابتسم  
يقبل رأسها مجددا، ويشير الى حق كي تدخلها.

(... احمرت تبتسم بهدوء وهي تقول بخفوت

...

(ابراهيم ... سيسمعك أحد ... )... ضحك

يضمها متجهين الى غرفتهما قائلا بعث ...

(لا أظنني أسرق ... فلما أخجل!؟ ... ) .

.....

تقدمت بتمهل وزوجها يحثها بنظراته

المطمئنة....

(تعالى طائعتة ... تقدمي ..) ... أشار لها لتجلس

بالقرب منها، فقال لأمه التي تتفحصها بدقة

...

(أمي ... هذه طائعتة ... زوجتي) ... نطقها بنبرة

عميقة، جعلت كلتا المرأتين يرميانه بنظرة

كانت تزرع الرواق جيئةً وذهاباً بتوتر بلغ مداه

في صدرها، حين أطلت عليها حق تبتسم لها

قائلة ...

(هيا طائعتة ... امي وافقت على رؤيتك ...)

فغرت شفيتها بدهشة، فربتت حق على ذراعها

تقول بحنو ...

(هيا حبيبتي ... ولا تتحسسي من موقفها ...

ستعاشرك وتحبك ... كما فعلت معي ... إنها

ذات قلب طيب ... سمي الله وادخلي ...)

أومات لها ولإبراهيم الخارج لتوه بتوتر، ودخلت.

سحبها من يدها يهمس لها بمرح ...

(تعالى معي حق ... لقد اشتقت إليك.... وأريد

سماع حبيبي من فمك ... فأنا لا اشبع منها أبدا



متأثرة، قبل أن تقول طائعت بلطف وهي تستلم  
كفها وتقبل ظهره..

(كيف حالك أمي؟... يسعدني موافقتك  
على لقائي .... شفاك الله وعفاك ....)  
ابتسمت ورفعت كفها تربت على خدها، تفكر  
أن الله بها رحيم إذ عوض أبناءها بزوجات  
صالحات. أجل فهي تعلم في قرارة نفسها أن  
الفتاة أمامها ليست كأختها، وأن ابنها البارد قد  
وجد مصدر دفتئه أخيرا.

.....

زفر بضجر وهو يلقي بالهاتف على المائدة  
البلاستيكية، ينتظر صديقه الذي تركه  
لرؤية والدته مرة أخيرة قبل أن ينصرفا إلى  
شقتهما. رفع راسه يتأمل البيت ذو الطابقين

متجاهلا ذلك الشعور بالنقص، فقد انتهت  
الزيارة ولم يلمح طيفاً لصاحبة خصلات  
كثيفة قصيرة سوداء تهتز مع كل حركة  
لها. نهر نفسه على لهفته لرؤيتها منذ أن أعلمه  
صديقه بزيارة عائلته. معللا لهفته تلك  
بطيشها الذي يثير فيه نزعة الطفولت. أجعل  
على خشخشة أغصان الأشجار، فبحث بعينيه  
عن المصدر، لتتسع بسمته التي ما فتئت أن  
تحولت إلى مكر، وهو يقوم.

وقف تحت شجرة المندرين\* ينتظرها بصبر  
حتى نزلت وفي يدها حبيتين من فاكتها  
المندرين، فقال ضاحكا ...

(يليق بك لقب ابن زعطوط ... فمن غير القروود  
تحب تسلق الأشجار؟...) .. استغرب من عدم

السفلى يمنع ضحكتها مجالجتا، ثم ادعى الحزن  
يقول بأسى ....

(أنت قاسية .... تعلمين انني بعيد عن والدي  
... ولا اهل آخرين لي ... وتطردينني من بيتك  
... طبعا فأنت لديك عائلة كبيرة ... يا  
لحظك السعيد .... على العموم انا آسف ... لن  
أعود مرة أخرى ....الى اللقاء ... )... استدار  
مطلقا العنان لبسمته الماكرة، يعد بشفثيه  
دون صوت ....

(واحد .... اثنان ... ثلاثا...)... (توقف!!) ...  
اغض مقلتيه بشدة، قبل أن يرتدي قناع  
الحزن، ويستدير إليها، ليتفاجأ بمقلتين  
لامعتين بكبرياء ترفضان البكاء....

ردها، ولا حتى النظر إليه، فلمح خيط  
السماعات، ودون تردد مد يده وسحبها من  
خيطها المتدلي. نشفت بشدة تمسك على  
صدرها ملقية بالفاكهة على الأرض، فضحك  
بصخب وهو يلتقط الحبتين قائلًا ....  
(اهدئي .... لقد حدثتك ولم تجيبيني ...)  
عبست بغضب تصيح بنزق ...  
(يا إلهي من أين تظهر كل لحظة؟! ... )... بسط  
كفه بالحبتين يرد بمرح ...

(من العدم ... )... أمسكتها بحدة تهتف ...  
(طبعا كي تزعجني ... ماذا تفعل هنا؟! ... )  
ارحل .. هذا ليس بيتك ... )... ضم شفثه

(اسمع ... أنا ... لم اقصد ما فهمته ...أنا ...  
أسفتر ..) ... أضافت من دهشته الكثير يقترب  
منها ، قائلا بلطف ....  
(حقا؟؟ ... تعذرين؟؟) ... رفعت حاجبا تقول  
بامتعاض ...

(لا تجعلني أعيده... ثم لما انت هكذا؟؟) ...  
كان دوره ليرفع حاجبه بترقب، يسألها ...  
(هكذا ....كيف؟) ... أشارت إلى وجهه  
بكفها تلفها في دوائر وهمية...  
(ناعم ....كالفتيات ... يجب أن تتعلم بعض  
الجفاء ... أليس عيسى صديقك تعلم منه شيئا  
؟؟) ... ضم يديه الى صدره يقول باستفزاز ...

(و لما لا أتعلم منك ..... فأنتِ أرجل منه ...  
بتلك الخصلات القصيرة ... و سراويلك  
الضيقة... دون ذكر تسلق الأشجار...) ... ظنها  
ستنفجر فيه، إلا أنها قررت الإكمال على  
دهشته منها، تهز كتفيها بخفتة، وهي تتخطاه  
قائلة ...

(تعلم مني إذن .... يا ناعم ...) ... التفت إليها  
مفغر الشفتين، يراقب كيف وقفت أمام عيسى  
تبتسم بخجل وتسأله عن حاله بتردد، ليرد  
عليها الآخر بدفيء أسعدها وجعل بسمتها  
الحلوة تمتد على شفتيها، وتنسحب بهجرت  
يسبقها سرورها.

أجفل على كف عيسى يقفل فمه المفغر، قائلا  
بعبوس مدعى...

\*المندرين... له اساء عدة في اللغة العربية ك  
اليوسفي....وهو البرتقال الصغير.

.....

\*\*\*\*اليوم الرابع\*\*\*\*

منزل الرزقي ...

دخلت غرفة ابنتها وجلست قريبا على السرير،

تقول بحنو وهي تمسك على وجهها ...

(براء...هيا قومي حبيبتي .... إنها العاشرة ...

لم أعهدك كسولتة ...). تنهدت ساحبتة

الغطاء تجيب بنبرة ناعسة...

(كف عن البحاقة في أختي.... إلا لقنتك  
درسا ...). تقوس حاجبيه يهتف بجديتة ...

(الآن أصبحت أختك؟؟؟) ... (وهل لديك

شك؟؟؟) ... سأل عيسى باستفزاز، فضحك

منصف بتفاجؤ يرفع كلا كفيه مستسلما ...

(أبدا ... ولا حتى للحظة ...). ابتسم عيسى

بمرح، يتقدمه قائلا بحزم مزعوم ...

(هيا بنا لقد تأخر الوقت.... يا ... ناعم ..).

انفجر عيسى ضاحكا، فقفز منصف يجهز على

كتفيه، يصيح بمرح معاتب ...

(أهااااا!! ... تتفغان علي أنت وأختك ... سترى

يا جبلي ... أنت والقردة أختك ... ما يستطيع

الناعم فعله ....)



(طفلة جيدة ... لكنني مضطر لقطع نومك العميق ... إذا اردت بيع سيارتك ... إلحقي بي على العنوان الذي سبق وبعته في رسالتك ... سلام

.. انتفضت من مكانها فأنت بألم بسبب كتفها، لتتهف والدتها بدهشة ...

(ماذا حدث؟؟.... تمهلي يا ابنتي ..ستؤذين نفسك ..) ... تماكنت نفسها ودقات قلبها المسرعة، تمسد على كتفها قائلة بهدوء ظاهري ...

(إنها سيارتي ... سأذهب لأتفق مع المشتري ... سأستعد بسرعة ...).. (ألن تُفطري؟؟) ... هتفت والدتها ليأتيها الرد من الحمام ....

(دعيني أنام أمي ... أحدهم أوصاني ... باستغلال عطلتي ... والراحة ...).. قطبت والدتها بحيرة، تتساءل ..

(من يكون؟) ... تنهدت مجددا ولم تجبها، فعلا رنين هاتفها.

(أخبرتكم آلاف المرات ... أبعدني الهاتف عن جسدك ... تأثيره مضر ... أين هو بحق الله؟؟) ... نطقت والدتها بقلق تبحث عنه، فسحبته براء من تحت رجليها، تزفر بنزق كما أجابت ..

(من؟!!) ... فتحت مقلتيها على وسعها حين أتاها صوت طارق المتهمكم....

(لا امي ... سأقابل عصام بعد .. ذلك ... من أجل العمل ..) ... أومات والدتها بيأس واستدارت عائدة إلى أشغالها.

.....

بعد نصف ساعة ...

أسرعت مترجلة من سيارة أجرة، إلى المحل الذي لمحت وقفته المهيبة أمامه. وما كادت تصل إليه حتى أشار الى ساعته يقول بنزق ....  
(ليس لدي اليوم بطوله ... كي انتظر ... سمو الأميرة ...). ... عبست في وجهه تمسد على شعرها، تجيب بنض نزقه ...

(لقد أسرعت على قدر استطاعتي ... لم أجد الوقت حتى لتسريح شعري ...). .. تأمل شعرها يرد بهمس ....

(إذن هو حرير أصلي ..) .. (ماذا قلت؟؟) .... اجفل فقال بحنق ... (لا يهمني ... انت اخرتني عن عملي) ... تخصصت بانفعال تعيد عليه جملته ...

(سأتيك على البراق ... في المرة المقبلة .....). ... ابتسم بمرح فرض عليه نضسه، وأشار لها كي تدخل، فتبعته بصمت. عرفها على المشتري الذي امتنع عن المفاضلة خوفا من المفتش، وانهى كل شئ يضر من نظراته القاتلة، فقالت براء بإعجاب ....

(لم أكن لأحصل على هذا الثمن أبدا ....

شكرا لك ... لما لا تعمل سمسار سيارات؟؟) ...

حك أسفل دقنه يرميها بنظرات مستفزة، يقول  
بامتعاض ...

(سمسار!... هيا من أمامي يا ابنة الرزقي... قبل  
أن ارتكب جريمة... بلباسك المستفز هذا  
... نظرت إلي نفسها وعادت ترمقه بدهشة  
تسأل بريبتة ...

(ما به لباسي يا حضرة المفتش؟؟) ... حدجها  
بنظرة جافتة، يشير الى بنطالها الضيق وبلوزتها  
الزرقاء بالكاد تصل الى أعلى فخديها، تفصل  
قدها المهلك لا نحيف ولا ممتلئ. جاذبت  
أنظار كل من يحمل صفة الذكورة،  
كالمشتري الذي أشعره برغبة في القتل بسبب  
نظراته المسروقة إليها.

(ألا تعلمين باختراع اسمه التنانير والفساتين  
؟؟... أم ان ثقافتك محصورة على الجينز  
؟؟)... قلبت شفتها السفلى بعبوس، وأظلمت  
زرقتيها، فأسرع تاركا إياها، يستدرك بنبرة  
ظاهرها الحنق وباطنها المرح ...

(سيبدأ جنون السنافر... ولن أبقى لأتحمله  
...).. تبعته تهتف بنزق ..

(توقف ... انا لن أعقب على ما قلته قبل قليل  
... لكنني اطالبك بما توصلت به في  
التحقيق....).. فتح باب سيارته يشير الى  
المقعد ...

(اركبي ... ولا تسألني ما تعرفين انك لن تتلقي  
جوابا عنه ...).. رفعت دقنها بأنفذة، تهتف  
باستعلاء ...

كل لحظة ليمله بتقرير تفصيلي عنها. أم أنها  
بالفعل مدركت.

.....

مساءً .... الباب الخلفي الداخلي للمشفى ....

( اين كنت بالأمس؟؟) ... زفرت وهي توقف  
خطواتها المستعجلة، ترد بضجر....

(ليس من شأنك .... وإذا سمحت انا في عجلت من  
أمري ...)... استأنفت خطواتها التي تجمدت  
حين غامر قائلًا ...

(هل العمل.... تعنين به رجل؟) ... تنفست بحدة  
للحظات، قبل أن تستدير إليه ترمقه بريبت،  
وهو يستطرد بحذر ...

(لن أركب حتى تُجيبني ....) ... رفع حاجبه،  
يقفل الباب بحدة، ثم دار حول السيارة. نظر  
إليها قائلاً قبل ان يحتل مكانه وينطلق ....

(أنت حرة ... فأنا مشغول على أي حال ... لكن إن  
تحرش بك احد ... لا تلومي سوى نفسك ... يا  
سنفوره....)

انطلق متلافياً دخان سعلت على إثره، تقول  
بصدمة ...

(رحل المجنون....) ... عبست تزفر بغل،  
تستدرك بحنق ...

(سترى أيها التنين ... سأعرف كل شيءٍ بنفسي  
...)... استدارت توقف سيارة أجرة، غير  
مدركت للذي يتبعها كظلالها، يهاتف التنين في

(اذن هو رجل!) (....) ... انتظرها بصبر، حتى

أومات بهزة رأس تكاد تلمح ....

(من اجله تتسليين من المشفى ؟!) .... أومات

مجددا، فصمت لبهرة قبل ان يتحدث قائلا .....

(ما فهمته منك ... أن اهلك ...أرادوا تزويجك

من آخر يناسبك ...أو يناسب مصالحهم ...

لكنك رفضت ...وحاربت من اجله ...ليخذلك

هو في النهاية .... هل هذا صحيح؟؟) ... أفرغت

محتوى الكأس في حنجرتها، مرة واحدة. ثم

قالت بتردد...

(أجل ....) ... ملاً كاسها وهو يقول ....

(هذا يعني انه لا يحبك ... فلما أنت متمسكة

به ؟) ... سرحت الى البعيد ترد بسهو حالم ...

(أنت نزيلت هنا يا فجر.. ولست ممرضة ... أليس

كذلك؟؟ ... فأنا لم أجد اسمك في لائحة

الممرضين ....) ... بللت شفيتها تفرك كفيها

بعضهما، وتنظر إليه بريبة ممزوجة بتوتر.

(اجلسي من فضلك ... أريد ان اسمعك ... فأنا

لم ابحت عنك بين المرضى ...لأمر واحد فقط

.... أنني أريد السماع منك انت ...) ... تجمدت

مكانها، فرفع كأسا بيده يستدرك ببهجة

مزعومة ...

(احضرت لك عصير تفاح ....أسف لم أجد

عصير برتقال طازج .... هل ستمنحين لي

فرصة؟؟) ... بلعت ريقها وتقدمت بخطوات

متمهلة، ثم أمسكت بالكأس، وجلست.

التقط كأسه يرتشف منه ثم لغى بهدوء ....

اتحدثت ..... لذا كنت استجيب لمحاولاته ...  
للتقرب مني .... إلى أن التقيت به ... هو ...  
حدثتني باحترام ولباقة ... ولم يرمقني بنظرة  
مثل تلك النظرات التي يرمقونني بها  
الآخرين.... بل ابتسم لي باحترام ... ومنذ  
ذلك اليوم... اكتشفت أن مجيد يستغني ...  
فكرهته .... أما هو ... ضيق مقلتيه مراقبا  
لها، وهي تكمل بنبرة تائهة في الأحلام....  
(رجل بحق .... وسيم ... رزين ... رائع ..... بعيد  
كالحلم ... ) ... سحب شفته تحت فكه العلوي،  
في عادة يصاحبها تفكيره العميق، ثم قال  
باستخفاف بعد هزة كتف ....  
(أنت محقة ... فما هذا الذي يميزك عن  
الفتيات ... ليجعل الشبان يلتفون حولك بتلك

(لأنه بطلي .... هو من انقذني من بين براثن ابن  
عمي الثعلب ... )... قطب البروفيسور متسائلا ...  
(انقذك؟؟.... هل حاول ابن عمك الاعتداء  
عليك؟؟) ... قلبت شفها تقول بامتعاض ...  
(تقريبا ... ليس بالمعنى المعروف ... قد لا  
تفهم ... )... ابتسم لها مرفرفا رموشه ببراءة  
زائفة ...  
(جربيني ....) ... تلكأت قليلا ثم قالت بوجود  
...  
(حين كنت في سن المراهقة ... تقرب مني  
مجيد .. ابن عمي ... فظننت نفسي أحبه  
... لكونه الوحيد بين العديد من الشباب  
... الملتفين حولي ... الذي يفهمني حتى قبل ان

الطريقة؟؟... وحتى ابن عمك المعتوه ...  
اظنه أراد استغلالك فقط (...)...شددت على  
الكأس تهتف باستعلاء غاضب ...  
إليها....

(لا أرى سوى ملامح شاحبة باهتة..... ومقلتين  
غائرتين بجفنين سفليين سوداوين ... وقوام  
يكاد يختفي بسبب النحافة ... وماذا؟؟...  
أنيقتا !!...من فضلك ...هل تسمين ملابس  
السارقين هذه...التي تسليين بها كل ليلا  
أناقرة؟؟.....)

ياجر نفسه بمشقة عن الضحك، على ملامحها  
المصدومة، تلاه انتفاض من مكانها تتخصر  
بانفعال هائض ..

(أنت ... أنت .....أنت!!)... ابتمم بتهكم كما  
بدأ حديثه الذي انتهى بجديته ....

(هل جننت؟؟..... هل تعلم من أنا؟؟...)  
حاجبيه باستفسار، فأكملت قبل ان تبتتر  
كلماتها بإجفال ...

(أنا ص..... أقصد .... أنا ابنة أناس معروفين لهم  
وزنهم ..في المدينة....)... عاد يهز كتفيه  
بخفتة يرد بتهكم ...

(وإن يكن.... اذن قد يرغبونك فقط طمعا  
في مكانة اهلك ...)... عبست بحنق، وهي  
تهتف بنزق ...

(كُفِّي عن التأتأة... واسمعي ما يهكم .... أنت  
تفقدين نفسك من اجل وهم وسراب... تماما  
كما كنت مع مجيد ذاك... انت تستحقين  
الأفضل... فإذا أردت العلاج ... فاستجمعي  
قواك... واخبريني ... فالرثاء على النفس حقا  
لا يناسبك ....) ... شلت اطرافها، وهي ترمقه  
بصدمة، لا تعلم بأي رد فعل تجيب. فاستدرك  
بسخريته المعهودة وهو يشير الى مقلتيها ....  
(أنصحك ببعض أكياس الشاي ... او الخيار...  
هكذا يقول أخصائي التجميل ... للتخلص من  
السواد والانتفاخ أسفل العينين ...).. لازل فمها  
ينفتح بدهشة، وهو يكمل بنبرة منخفضة،  
ويميل مغطيا فمه، كأنه يخصها بسر الخطير

...

(مع انني أعتبر كل ذلك هراء .... فالسبب  
الوحيد لذلك هو عدم الحصول على نوم  
عميق كافي ...ها؟؟... فهمتي؟؟)... صاحب  
آخر كلماته بإشارة من أصابعه دلالة على  
تسللها، فزفرت بغل تهتف بنزق ...  
(أنت عديم الذوق ... سأذهب ... )... أوقفها  
متسائلا بتلقائية مزعومة ...  
(لا مشاريع قفز على الجدران حتى الليلة؟؟.....  
مهممم !!)... خيبت ظني!... كنت أنوي  
مرافقتك ... كي أجرب مدى تحمل هذه الرجل  
المعطوبتة ..) ... زمت شفتيها ترفع رأسها بأنفرت،  
تقول قبل أن تضرب الأرض برجليها منسحبتة

.....



## الفصل التاسع

ولا خيرَ في خلٍ يخونُ خليله ... ويلاقاهُ من بعدِ  
المودةِ بالجفا... الإمام الشافعي..

\*\*\*اليوم الخامس\*\*\*

أما المشفى .....

ترجلت من السيارة من خلفها جميع أفراد أسرة  
عمر الرزقي، فابتسمت رغم الوجوم الذي دك  
حصون شجاعته.

تأبطت براء إحدى ذراعيها، كما فعلت السيدة  
أمينة بذراعيها الأخرى. والسيد عمر يشير  
لياسين الذي لم يلحظه في سيارته بعيدا سواه.

(أشعر بالتعب...أريد أن أنام...)... شيعها بنظرة

واجمة، يهمس لنفسه بحزم ....

(ماذا تفعل يا مختار؟؟ ... أنت تلعب بالنار...)

أمال رأسه قليلا ثم استطرد بسهو ...

(لا طالما احترقت في جحيمي... لا مشكلت ان

احترقت قليلا من أجل الآخرين ..... على سبيل

التغيير... ).....

.....

قصص من رمي الاعضاء

(يمكنك الاستراحة قليلا ...حتى تستعيدي  
انفاسك .. سأحضر لك ماء)... هم بالانصراف  
فأوقفته تقول بنبرة متوترة ...

(لا ... شكرا لك .. انا بخير .... يجب علي فعل  
ذلك ... )... هزوا رؤوسهم مساندين وتقدموا معا  
بروية وصبر.

دمعت مقلتيه وهو يغوص بين سطور الآيات  
المباركة، يلتمس بين كلماتها الرحمة من  
منزلها الرحيم بعباده. يلوم نفسه عن بعده عنه  
سبحانه، وضياع أيامه في الضلال وبين براثن  
الشیطان. شهق بخفوت سامحا لدموعه بالنزول  
تغسل همومه و ذنوبه التي أثقلت على كاهله.  
ينشد سعة الصدر وانسراحه، من ضيقه وغمه.  
لكن كيف الطريق الى ذلك والله قد علق

للحظة شعرت برجليها تخونانها، وهي تتذكر  
مع كل خطوة ضربت على أحد أطراف جسدها،  
أو إهانتة في حقها. بلعت ريقها وقد انهالت على  
رأسها كل هتافاته المهددة وهمسه كفحيح  
افعى سامتة.

تناظرت براء ووالدتها فيما بينهما، وخطواتها  
تثاقل حتى توقفت، لتقول الأولى برقة ...  
(لنعد الى البيت ... لست مجبرة ...حبيبتي)...  
رمقتها والدتها بلوم تقول ....

(براء ... هي في حاجة لذلك ... ما إن تواجهه  
...ستنسى أمره وكل ما يخصه ...). تدخل  
السيد عمر قائلاً بمهادنة، وهو متوجس من  
شحوب بشرتها ...

حتى خف شعره وشحبت سحنته وجهه. متمسك  
بكتاب الله كخاشع لا يفارق جبينه الأرض من  
السجود. ينتحب بصمت والدموع كشلال على  
وجنتيه. هل هذا زوجها عزيز؟؟ أين تجبره  
وطغيانه؟؟ أين بدنه الضخم الذي كان يتبجح  
به؟؟ أين صحته القوية التي كان يفتخر بها؟؟  
(حفصة.... أرجوك)... أجفدت على توسله  
المثير للشفقة، وكفه منبسطة إليها، فتجمدت  
مكانها تنظر إلى وجهه تارة، ثم إلى يده أخرى.  
همست براء الواقفة بجانبها تتأمل هي الأخرى  
الرجل المريض بصدمة، لم تكن تتوقعه  
ضعيفا لتلك الدرجة، حتى أنه أثار شفقتها.  
(حفصة حبيبتى.... لا تتراجعي... إنه فصل  
في حياتك قد ولى ... أطلقى سراحه... فإنه

غفرانه بغفران المظلوم. فما بينه وبين عبده  
قائم على الرحمة والعضو بكرمه، وما بين  
العبد وأخيه قائم على المشاحمة وشرط التسامح  
بينهما. اقل القرآن الكريم وضمه إلى صدره  
يهمس بلوعة ...

(يا رب .... لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من  
الظالمين..... يا رب ...)... دق باب غرفته فرفع  
رأسه غير عابئ بمسح الدموع الجاريات على  
خديه، لتتسع مقلتيه وترتعد أطرافه هامسا  
بصدمة ....

(حفصة....)...  
منذ أن وقفت على عتبة الغرفة، ولمحت رجلا،  
تراجعت تظنه شخصا آخر، لتقطب بتردد تتمعن  
في تفحصه. رجل هزيل ضعيف، هذه المرض،

حتى لا يستحق عذابك لنفسك ... أنظري  
إليه....) ... التفتت إلى براء فأومات لها مشجعتا،  
لتحرك رجليها تجاهه، وتبقى الأخرى مع  
والديها قرب الباب.

لا يصدق حظه، لا بل استجابة دعائه لربه، ها  
هي ذي أمامه كي يطلب السماح منها، أكثر  
واحدة ظلمها بين الناس. تنفس بمشقة يساك  
العصاة في حلقه، ثم سأل بوهن ...

(كيف حالك يا حفصة؟؟) ... لم تجد صوتها  
فصمتت ترمقه غير مصدقة لما تراه، وكأنها  
تبحث فيه عن الرجل الذي عرفته دائما.

(أنا .... أنا لا اعلم حتى ماذا أقول؟؟؟) ... نطق  
عزيز بتوتر حرج، يكمل تحت نظراتها  
المترقبة ...

(منذ ان وعيت من غيبوبتي ...وأنا أتمنى  
رؤيتك ... وارسلت إليك...وجهزت ما سأقوله  
لك ... لكنني الآن ... كل الحروف هربت من  
لساني .... أنا ...)

(لكنني اعلم ماذا أريد قوله ....) ... قاطعته  
بجفاء، فصمت يهز رأسه يحثها، وهي تستطرد  
بتصميم وعزم ...

(لقد كبرت في بيت لم أحصل فيه على ذرة  
احترام من الذي انجبنى .... ولا حتى ذرة شفقة  
... لكنني كنت اصبر ...أو تعودت وتربيت  
على الصبر ...وأنا كلي أمل في حياة أفضل يوما  
ما ... ) ... تلكأت بتردد، ثم اكملت ...

(وحين أتيت لخطبتي ...الله شاهد علي ...لقد  
سعد قلبي في صميمه ... وأنا أمني نفسي ...

حسبي الله ونعم الوكيل .... وانظر لنفسك  
... لتري مدى قوته .... ومدى جبروته ... هو  
القوي والجبار بحق ... )

بلع ريقه وانطلقت دموعه من جديد ، تتسابق من  
جُحريها ، فأكملت تقول بامتعاض ...

(لا تظن أنني أشمت بك .... لا ... لقد أتيت هنا  
كي أواجهك ... أو بالأحرى أواجه ماضي معك  
... ثم اتخطاك .... لكن اتعلم ماذا حدث حين  
وجدتك هكذا؟؟) .. رفع مقلتيه المحمرتين  
من البكاء والخزي ، لتكمل ...

(فقدت رغبتني في أي انتقام أو حتى تخليص حق  
.... لأن الله سبق وانتقم لي .... ولا أفضل من  
انتقامه سبحانه .... أنا أسامحك يا عزيز ... منذ  
اليوم .. أنت مجرد ماضٍ ... سامحوه من ذاكرتي

بالفرار من جحيم أهلي ... لم أكن أعلم ... أنني  
سأدخل جحيما اكبر ... هل تعلم الفرق بين  
جحيمك ... وجحيم أهلي؟؟) .... تغضنت  
ملامحه في كرب عظيم ، يتذكر كل ظلمه  
السابق ، وهي تميل تجاهه قليلا تنطق بألم دون  
دمعة واحدة ....

( جحيم أهلي مهما كان ... يظل والدي ...  
والصبر عليه بالأجر العظيم ... لكن أنت ...  
أشعرتني بالذل وهواني على نفسي ... وأنا عالقت  
في فخك ... مع رعب من فقد الإيمان بفرج  
قريب ..... أتدري لما؟؟ ... لأنك كنت سكيما  
... وزانيا ... يا عزيز ... لكن الله كان ولا زال بي  
رحيما ... إذ بقيت كلمات عالقت في لساني  
مهما بلغ بي اليأس .... لا أياس من قوتها ..... أن

انطلقت بسرعة، ما إن لمحتهم يغادرون، لتجده  
ينتحب بصمت. ربتت على رجليه من فوق الغطاء  
تقول بإشفاق ...

(اهدئ يا عزيز ... ألم تسامحك؟؟ ... هل كان  
حديثها قاس؟؟).. نظر إليها بخجل، يرد بنبرة  
تهدجت بسبب البكاء...

(بل هي كما هي .... طيبة القلب ... نقيّة  
السريرة ... )... تجاهلت الألم في قلبها،  
تستفسر ...

(إذن ما بك؟؟ ... يجب ان تسعد لحظك ...  
فقد سامحتك ... أليس هذا ما تريده؟؟)... أوما  
متمالكاً نفسه، ومسح دموعه الغزيرة، قائلاً  
بألم ...

... ويوما ما .. بإذن الله .... لن أتذكر حتى  
اسمك يا عزيز ... سامحك الله وسامحني ...  
وداعا.....)

استدارت مغادرة، وقلبها يشرق بأمل وسعادة  
وليدة، تشعر بنفسها تتنفس الحياة بآمالها  
المبهجة. ابتسموا لها بفخر، فقالت بعزم ...

(هناك زيارة أخرى .... يجب علي القيام بها  
... )... ابتسم السيد عمر وزوجته عالمين  
بقصدها، في حين هتفت براء بحيرة ...

(أي زيارة؟؟)... تأبطلت ذراعها الصحيحة، تجيب  
....

(أن الأوان ... كي أعرفكم على أهلي .. )...

(أجل .... لقد نلت مرادي ... لكنني خائف من  
ربي ... أن لا يسامحني ويغضري ....)

.....  
القسم النفسي ....

سارعت بخطواتها عبر الرواق تهتف بتوسل ...  
(بروفيسور ..... من فضلك توقف ...).. آمال  
راسه الى الخلف زافرا بضجر، ثم قال ...  
(لا تتوقعي مني النسيان بهذه السرعة ... ) ...  
نظرت طائعة إليه بعتاب، ترد بلطف ...  
(لم اعهد منك سوى التفهم .... فماذا حدث  
لك؟ .....). رقت نظراته للحظة قبل ان  
يستدرك نفسه، يقول بنزق ...

(جرحت كبريائي ... هذا ما حدث..). .... همت  
بالرد فأجفل كلاهما على صراخ ومشاجرة.  
أسرعا ليجدا الدكتور أمين مشتبك بالأيدي  
مع رجل ما يصيح بغضب ...

(أريد ان أراها.... لا زالت زوجتي .... تلك  
المنحلت ...). ... عاجله أمين بلكمة يرد بغضب  
...

(. لقد طلبت الأمن ... المريضة ممنوعة عنها  
الزيارة.... فغادر حالا ...). ... توقف حين التفتا  
الى التي خرجت من غرفتها تقول بنبرة وهنت  
...  
تهدن من ربي الاعضاء

(سامر ... أنا بريئة.... لا تصدقهم ... انا لم  
اخنك) ...

وامين المتحفز أمام الزوج المنفعل، ومريم التي  
لم تتوقف عن النحيب.

أسرعت إليها طائعتا تضمها برقتا، فالحق بها  
البروفيسور يقول بحزم ...

(انظري إلي مريم .... هيا!!) ... رفعت راسها  
ترمقه بنظرات أليمة ضائعة، فاستدرك يشير  
إلى زوجها ...

(ذلك الرجل هو من خانك .... إنه زير نساء  
تافه ...) ... نظروا إلى المعني الذي عاد إلى  
الخلف بتردد، يرمقهم بعدائية، ومريم تحرك  
راسها إلى كلا الجانبين مرات عدة باستنكار،  
فاستطرد يسحب صورة من ملف كان بين يديه  
...

بلع امين ريقه متجمدا مكانه، وقد لاحظ من  
منهما قد احتل جسدها، لكنه تحرك بسرعة  
حين هم الآخر بالهجوم عليها يهتف بغضب ...  
(حقيرة كاذبة ... كيف فعلت ذلك؟؟ ... لقد  
فضحتني ... وسأنتقم منك ...) .. نحبت مريم  
بمرار، فصاح البروفيسور لأول مرة بغضب أفرع  
الجميع من ضمنهم طائعتا، التي لم تراه في مثل  
تلك الحالة إلا مرة واحدة، حين تحدث عن  
والدته.

(الجميع سيصمت حالا .... إلا أقسم بالله  
... سأقتل أحدا ما ... أنت مثلا!! ...)

حل الصمت على جميع من حضر بين الممرضات  
واثنين من فريق الأمن اللذان وصلا لتوهما،



(أنا ..... أنا من حقي التدخل بينكما .... لأنني  
الطبيب المكاف بحالتها .. وسأواجهك في  
المحكمة.... وأطلقها منك في أول جلستة ...  
فلا تتحداني .. لأنني حينها لن اكتفي  
بتطبيقها فقط ... بل سأستغل كل ثغرة قانونية  
... كي أضعك خلف أسوار السجن .... فهي قد  
تزوجتك في غير وعيها .... وإن اثبتت أنك  
تعلم .... واستغللت حالتها.... ستسجن يا ذكي  
... وما أكثرها هي ... الطرق الملتوية لإثبات  
ذلك ... ) ... انقطعت أنفاسه يتلفت متمعنا  
فيمن حوله، فاستدرك البروفيسور وهو يشير  
للحارسين ...  
(سأنتظر إشعارا من المحكمة ... بأنك طلقته  
... فما اذكره انك بالفعل شرعت في قضية

(أنظري ... هل هذا هو؟؟) ... أمسكت مريم  
بالصورة، تبحلق فيها بمقلتين جاحظتين غير  
مصدقته، والبروفيسور يكمل بجديته ...  
(هيا مريم ... عودي الى غرفتك ... ) ... أشار الى  
المرمضة، التي حثتها فاستسلمت لها بصمت،  
بعد أن سلمت الصورة لطائعتة.  
خطى الى سامر، وقال بتهديد مباشر ....  
(لا تظن أنها وحيدة ... وستستغلها ... ارحل من  
هنا ... وانساها .. طلقها ... وعد لحياتك  
الماجنتة ... ) ... هتف بحقد، وإن تخلله التوتر...  
(لا أحد من حقه التدخل بيننا .. فهي زوجتي ..  
) ... قاطعه البروفيسور بغضب، احمرت له  
مقلتيه يقول بنفس تهديده ...

الطلاق.... غادر ... )... انسحب بقسمات تتميز  
من الغيظ، وصفق البروفيسور هاتفا بنزق ..  
(أتمنى ان يكون العرض ممتعا ... لكنه  
للأسف انتهى ...هيا ..كل الى عمله!!.....)  
انفض الجمع في لحظة، فتدخل أمين يسأل  
بريبتة ....

(هل تظنه صدقك؟؟ ... )... (ماذا تفعل  
هنا؟)... عاجله البروفيسور، فارتبك أمين يرد  
وهو يجيبه .....

(أ..... نا ...كنت ...أريد الاطمئنان عليها  
...فلمحت ذلك الرجل يتسلل ...بعد ان سأل  
احد الممرضين عن غرفة مريم ... )..  
(مهمهم ...أحضر ذلك الممرض ... يجب أن

يعاقب ... أما انت يا دكتور أمين ... )... غير  
نبرته الى التهكم يكمل...

(عد الى عمالك.... وسأرتب للقاء بينكما  
....وبحضورى .. الى اللقاء)... انصرف الدكتور  
أمين مقطب ومُحْرَجًا ، فقالت طائعت بدهشت ...

(من أين أحضرت الصور؟؟ ...هل لي برؤيت  
الملف؟؟)... ضم الملف الى صدره، يتصنع  
العبوس الطفولي قائلا بحنق مدعى ...

(لا ... اريد الاحتفاظ به لنفسي ... )... ضمت  
شفتيها بعتاب، فأعطاه لها مكمل بنزق حقيقي  
...

(كان لابد من الاحتياط .... لذا قابلت الشاب  
شقيق زوج اختها ... وبكلمات كالتى سمعتها

ابتسمت تشيعه بنظرات حانية، حافظت عليها  
وهي تدق على باب مكتب زوجها.

.....

بيت أهل حفصة .....

مالت عليها براء تهمس بدهشة.....

(هل أنت متأكد من أن هذا والدك الذي  
حكيت عنه؟؟)... ضيقت حفصة مقلتيها  
ترمي والدها بنظرات متشككة، وهي ترد  
بريبة ...

(أه يا براء .... الله اعلم ...ماذا خلف ذلك

التمسكن؟؟... أنا اعرف والدي جيدا....

هناك حلقة مفقودة ...)... عادت حفصة ترمق

قبل لحظات ... اعطاني كل ما أردته ...وكنت  
أنوي مواجهة الشخصية الوهمية بها (...)  
تركها متوجها إلى مكتب اسماعيل، فتبعته  
تقول ...

(وماذا عني؟؟.. هل سامحتني؟)... توقف

مستديرا إليها ينظر إليها للحظة قبل أن ينطق  
بجدية .....

(لم تقترفي ما اسامحك عليه .... فقط ...

حاولي إيجاد حل مع والدك ...كي تكتمل  
سعادتك ...وربما ...).. آمال راسه تجاه مكتب  
زوجها، يكمل قبل ان يتخذ طريقا مختلفا ...

(طبيب النفوس يساعدك .... لقد جف حلقي

...سأذهب إلى المقهى قليلا ... سلااا ..)



والدها بحيرة ساهمت، تفكر في تغييره  
المفاجئ وهو يستقبلها بحرارة يطلب منها  
السماح لما اقترفه في حقها، يتعلل بانخداعه  
من عزيز ومعاملته الطيبة له. كما اتسعت  
مقاتلتيها حين لمحت دمعين اعتصرهما ليكمل  
على المشهد الدرامي وهو يسحب كفها يكاد  
يقبلها. ومنذ ذلك الوقت وهي جالسة في  
الصالون برفقته وأسرة الرزقي الذين هم أيضا  
لم يتقبلوا ذلك المشهد المبتذل.

(أشكرك سيد عمر... لاعتنائك بابنتي كل  
هذا الوقت ... لن أنسى لك ذلك ما حييت  
... )مطط عمر شفتيه قبل ان يجيب بنبرة  
ذات معنى ...

(حفصة ابنته يتمناها أي أب في هذا العالم  
... )... ابتمس له بسماجت، وانتفضت حفصة  
لتتجمع حولها الأنظار، فقالت بتوجس ...  
(سأرى أمي في المطبخ لأساعدتها ....) ... هزوا  
رؤوسهم، وانصرفت دون أن تلقي على باقي  
شقتهم نظرة واحدة. اتكأت بجيدها على الفرن  
الحديدي، تراقب حركات والدتها المرتبكة،  
ثم قالت بريبة ...

(أمي ... ما باله أبي؟) ... بللت شفتيها ترص  
كؤوس الشاي على الصينية، ثم ردت ...  
(ماذا به؟؟ ... إنه والدك )... اقتربت منها تقول  
بحزن ..

قطبت حفصة بقلق تسألها وهي تربت على  
خدها بحنو ...

(ماذا حدث ... يا خديجة ... أخبريني ... لما  
تقولين هذا؟؟) ... توترت الفتاة ترمقها بخوف،  
فشدت على ذراعيها تحثها، لتكمل بنبرة  
باكية ...

(لقد فقد عمله... وفقد معه عقله .... يضربني  
ويضرب أمي ... وحتى اختنا الصغرى ... أخرجنا  
من المدرسة... وبدأ يبحث لي ولأمي عن عمل  
في البيوت ... إنه لا يتودد لك سوى طمعا ...  
لان هناك من أخبره انك تعملين في مصنع  
المرابط ... وليس هذا فقط ... لم تتفاجأ  
حفصة تنتظرها لتكمل حديثها الذي لم  
يتأخر ...

(أمي انظري إلي.... أنت حتى لم تضميني إليك  
حتى الآن... لقد كانت النظرة في عينيك  
حزنا من عودتي تغلب على الشوق .... يا إلهي  
أمي ... أنت باردة وهو يدعي الأبوة.... ماذا  
يجري؟؟) ... وضعت إبريق الشاي ببعض من  
الحدة، ثم استدارت إليها تسحبها بين ذراعيها  
بقوة تشم رائحتها بلهفة، وقبل أن تفلتها  
وتنصرف الى الصالون بالشاي، همست بأسى ....  
(يا ليتك لم تعودي ...). ... تجمدت حفصة  
مكانها بصدمتها، لتجفل على نبرة شقيقتها  
الاصغر منها بسنتين، تضمها بخوف وتقول ...  
(إياك والعودة يا حفصة ... لا تصدقي أبي ...  
اذهبي ولا تعودي ... أرجوك حبيبتي ...)

بعد لحظات ....

(هيا يا عمي عمر... يجب أن نغادر... )... نطق  
حفصة بأدب، فقاموا بسرعة وكأنهم على جمر  
ينتظرون فقط الإشارة، وانتفض والدها يقول  
بتوتر...

(ابنتي .... أئن تعودي الى بيت والدك؟؟...  
أرجوك...).. ابتسمت بخيبة ترد بغير ما في  
قلبها ....

(سأعود أبي ... إن شاء الله... سأعود ....)  
صمت على مضمض يشيعها بنظرات مضطربة،  
فودعت والدتها وقبلت شقيقتها ورحلت.  
سألها السيد عمر بجديتة وهم في السيارة....

(يريد تزويجك ... بعد انتهاء العدة ... من رجل  
صديق له ... قرينه يا حفصة ... لا يكف عن  
التودد والتذلل له ... كونه غني .... اهربي يا  
حفصة ... انفذي بجلدك .... يكفي ما عانيت  
منه ... ومن طليقك البائس ....) ... أغمضت  
حفصة مقلتيها للحظة، تحاول التنفس برتابة،  
أليس له حدود؟ ألا يشعر قلبه القاسي بأي  
عاطفة نحو فلذات أكباده؟

فتحت مقلتيها بتصميم تمسك ذراعي شقيقتها  
قائلة بغضب ...

( اسمعيني يا خديجة ... أنا لم أعد تلك  
الخانعة... أنا لا أخشى أبي ... ولا أخشى غيره  
.... إلا خالقي ... أخبري أمي بما سأقوله لك  
... وأنصتي جيدا.. )...

(إذن أنت تدعي النوم !)... فتح مقلتيه وضمها

يقربها منه، ويرد بنضس همسها ...

(ربما ... كي أمنح زوجتي الحبيبة فرصة

لتألمي ... وتقبيلي ...)... احمرت تهر بالابتعاد

عنه، لكنه شد عليها يكمل بمرح ...

(لكن التقبيل لا يكون هكذا يا زوجتي

....)... بللت شفتيها بخجل، فالتقطهما في قبلة

ناعمة مليئة بالدفء، ثم أفلت شفتيها دون أن

يفلتها هي يقول بلهاث ...

(هكذا يكون التقبيل يا دكتورة طائفة

....)... أطلقت ضحكة رائقة، فراقبها منبها،

ثم قالت...

(ابنتي... قلبي غير مرتاح لوالدك .... ماذا

ستفعلين؟؟)... تنفست بعمق، قبل أن تقول

بوجود...

(سأخبركم في البيت .... وأخبركم أيضا

بقراري ...)...

.....

\*\*\*اليوم السادس\*\*\*

منزل آل عيسى ...

ابتسمت بحب وهي تتأمل قسماته المسترخية،

يغوص في نوم عميق. مالت بوجهها فوق وجنته

وقبلته بخفة، فابتسم لتهمس باستحياء

مبهج....



(أنت جاهز ...)... التقط كفيها قبل ان  
تبعدهما، وقبل أحدهما يقول برقته ...  
(سلمت يداك ...وعلى فكرة ... أنا أحب  
ثيابك ...واحب ذوقك ... )... قاومت خجلها  
تتصنع المرح وهي تقول ...  
(هل هذا اعتراف بالحب يا زوجي الحبيب؟؟)...  
ضحك بصخب على غير عاداته، فضمها يوجهها  
الى خارج غرفتهما يرد بمرح ...  
(طبعا فأنت زوجتي أليس كذلك؟؟)...  
كان الجميع ملتفين حول المائدة، حين دخل  
عليهم ابراهيم الذي انسحب قبلا ليحلب شيئا  
ما، مد به الى تغريد التي أمسكت بالعلبة  
مندهشة. فتحتها فصاحت بسرور تضمه ...

(من الأفضل أن تقوم يا طبيب النفوس ...  
فالعائلة ملتفتة حول مائدة الافطار.... )...  
تركها بخفتة، وتحرك من مكانه يهم  
بالنهوض مجيب ...  
(حالا ... هلا جهزت لي بدلة للعمل؟؟...  
سأنتعش وأعود ...).. اتسعت بسمتها ترد بحماس  
لمعت به مقلتيها ...  
(سأفعل.... بكل سرور...)... جهزت ملابسه،  
تتقافز دقات قلبها سعادة لم يسبق لها أن ذاقت  
مثلاها. ورتبت السرير بينما هو يرتدي ثيابه،  
لتعود اليه حين تناول ربطة العنق، تعدلها له  
مستسلما لحركات يديها، محدقا بها بتأمل، إلى  
أن انتهت لفها ومسدت على أعلى صدره فوق نسيج  
السترة تقول بفخر ...



(لكنني أريدك ان تبقي الأميرة الصغيرة  
المدللة لآل عيسى...)... لمعت مقلتيها تأثراً،  
وبسمتها تملأ وجهها، الذي شع بنور البهجة  
والسرور.

.....  
المشفى ..... القسم النفسي.....

ينظر اليهما البروفيسور باسماء ببراءة زائفة،  
يستمتع بالتوتر السائد، وهو جالس على  
كرسيه بعيداً نوعاً ما، رجله على أخرى ومرفق  
احدى يديه على ركبته يسند بها دقنه،  
والأخرى مثنية خاضفاً.

(شكراً أخي...كيف علمت بهذا؟؟)... رمى  
حق بنظرة خاطفة يجيب بمزاح ...  
(العصفورة اخبرتني ... هل أعجبتك؟؟)...  
تفحصت اللوحة الإلكترونية بانبهار ترد ...  
(إنها رائعة ..... شكراً لك أخي ...).. ابتسموا  
جميعاً بتأثر، وربت الجد على ظهر حفيده  
بفخر وامتنان، فقال الأخير محذراً ....  
(لكنني احذرك ...فقد وضعته في برنامج  
مراقبة ... فاستغليه في الفائدة ... ولا تدعيه  
يلهيك عن دراستك يا صغيرة ...).. عبست  
بحنق تقول ...  
(أنا لست صغيرة...).. ضحك رابت على رأسها  
يقول بود ...

يجذبه فيها، شئ قوي الى درجة حرمانه من  
النوم مؤخرا، فلا يملأ احلامه سوى مقلتيها  
السوداء الواسعة، وابتسامتها الكاشفة عن  
أسنان كبيرة بيضاء.

(ماذا تذكرين قبل ان تفقدي وعيك ...أمس  
قبل العرض المبتذل لمن سيصبح طليقك؟؟؟  
...).. أجفل الدكتور أمين على نبرة البروفيسور  
القريبة، فاستغرب سهوه فلم يشعر به متى  
اقترب منهما. وانتبه إلى مريم التي قالت بتذمر

...

(سمعت صوة صياحه ...وفي الحقيقة كنت  
متردة بين الخروج وتلقينه درسا ....وبين أن  
أدع أمره لك ...كما قلت ... ولقد اخترت  
الأخير... وحدث ما حدث ....ألم تخبرني أنها لن

تجاهل الطبيب أمين دقائق قلبه النافرة،  
يستعيد شخصيته العملية وهو يتفقد نبضها  
وجروح يديها. ابتسم لها بتوتر يريد التأكيد  
من شخصيتها الواعية يقول بعملية ...

(هل تؤلمك ؟ ... لقد بدأت في الالتهام ...)  
أومات بخفة ترد بخفوت...

(الحمد لله.... ليس كثيرا...).. تابع فحصه  
غير متأكد إن كانت هي التي شغلت باله، قبل  
سنين كطيف مألوف زائر في غربته، لتعود  
بكل قوتها حين قابلها مجددا، وعلم بقصتها  
وحالتها. لم يعد يستطيع ابعادها عن تفكيره.  
بل وأصبحت هاجسا له يتمنى المساعدة في  
علاجها، غير متيقن من الأمر كله إن كان في  
صالحها قبل صالحه، لكن هناك شئ ما

تعود .. إذا انا تشبثت بشخصيتي الحقيقية  
بقناعاتها؟! (...)... راقبها أمين بتحضر سار، حين  
تأكد من شخصيتها. والبروفيسور يقول بتهكم

...

(لأن الطاعة ليست من شيمك أبدا... وحين  
استسلمت لما طلبته منك .. في امر لم يوافق  
هواك .... هووووب)... أشار بيده بشكل

مسرحي، يكمل ....

(تدخلت الأخرى في الخط ... وهذا يجب علينا  
الاحتراز منه مستقبلا ... وبشكل جيد...  
وسيقبل تدخل الأخرى تدريجيا .. إلى أن تختفي  
... بإذن الله ...)

هزت رأسها، فقال بمكر يخفيه ...

(إذن انتما الاثنان سبق والتقيتما ... قبل سنين  
؟؟)... رمقت مريم الطبيب بخجل غريب عليها،  
ولاذت بالصمت فقال البروفيسور بسخرية  
مازحة ...

(أنتِ والخجل ... ممممم ... سأشك في عودة  
الأخرى)... عبست ترميه بنظرات لائمه،  
والطبيب ينطق بمرح هو الآخر...

(أنت محق .... فالفتاة التي جلبوها من الثانوية  
تدعي الإغماء... لا تعرف الخجل ... أليس  
كذلك؟!..)... تمنع البروفيسور في رد فعلها  
المتوتر، فتأكد من صحة فرضياته، ليقول  
متوجها بالحديث إلى الدكتور أمين ...

(هل تعلم أنها قبلت في كلية الطب؟؟ ...

لكن الظروف حالت بينها وبين إكمال دراستها

(المهم أن تُشفى ... ولا تفقدي الأمل أبدا ...)

.....

مساء .... الباب الداخلي الخلفي للمشفى ....

(لقد بدأت أشعر باليأس من مجيئك ....)

تحدث البروفيسور وهو يلهو بعكازه، متجاهلا  
هيئتها الأنيقة في بدلتها المكونة من تنورة  
بنية الى وسط ساقها، تحتها جزمة ذات رقبة  
عالية، وكنزة سوداء عليها سترة بنية

كالتنورة.

رفعت يدها الي الشال حول رأسها تسويه، في  
عادة حين تتوتر، ثم خطت بروية حتى جلست  
على الكرسي ترمقه بصمت وكأنها تنتظر منه

هناك ... واكتفت بالمعهد ... اندهش امين  
ينظر إليها، ليجد الحسرة متمثلة على قسما  
وجهها...

(حقا؟؟؟؟ أنا آسف ... هل ألمك الأمر؟؟?) ...

منحته نظرة متأثرة، تهز راسها مجيبة بوجوم

...

(جدا ... اسودت الدنيا في وجهي ... وشعرت  
بخسران كل شئ ... رقت ملامحه إشفاقا،  
والبروفيسور تتسع بسمته الصامتة...

(لا ... ليس لهذه الدرجة ... لا مصيبة أعظم من

الموت... وبما ان الروح لاتزال في صدر

الإنسان .... فالأمل موجود ... ويمكنه فعل أي

شئ وينجح فيه...).. ابتسمت له بأمل، فابتسم

بالمقابل يكمل بتشجيع ...

حديثا ما. صب لها كأس عصير وسلمه لها  
كعادته يقول ....

(لماذا لم تأتي بالأمس؟؟) ... تنحنحت تجيب  
بتردد ظاهر على محياها المزين بزينة خفيفة،  
ونظراتها المشتتة...

(ل...لم... اكن متأكدة...) ... قطب بحيرة  
متصنعة، يسأل ..

(من ماذا بالتحديد؟... تسالك أو نسيان أمر  
ذلك الرجل؟؟) ... ارتشفت من الكأس، ثم  
قالت بتردد...

(الاثنين ...) ... (مهمم!) ... جيد... وماذا  
كان قرارك؟).. التفتت إليه مستفسرة،  
فاستطرد....

(بما أنك قررت المجيء ... فهذا يعني أنك  
حزمت أمرك .. وقررت).. حل الصمت بثقله  
عليهما، وهو ينتظر بصبر يترقب. رفعت وجهها  
ترمقه باستنجاد تقول ...

(هل تستطيع فعلا مساعدتي؟؟ أنت ... أنت ...)  
قاطعها بثقة، يرد ...

(بإذن الله أستطيع ... لكن يجب ان تثقي بي ...  
فهل تستطيعين منحي ثقتك بالكامل؟؟) ...  
ضمت شفيتها تنظر إليه بسهو واجه، ثم قالت  
...

(أجل ... سأفعل...) .. ابتسم لها وسحب شريط  
دواء من جيبه، يقول بجديته ...

(لا تنسي فجر... إنه امتحان ... )... توقفت  
ترمقه بتوتر، تهر بإلقاء حديث ما، لكنها  
تراجعت تومئ وتجيب قبل ان تعود أدراجها...  
(حسنا ... إلى اللقاء)....

اختفت فسمح لنفسه بالابتسام، وما احزنها من  
بسمته.

.....  
\*\*\*\*اليوم السابع\*\*\*\*

مصنع المرابط ...

(ماذا تقول يا عمر؟) ... نطقها ياسين منتفضا  
من على كرسيه، ليلتف حول مكتبه ويجلس  
أمام عمر الذي رد بوجوم ..

(سأجربك وأرى النتيجة ... اعتبريه امتحانا  
... تناولني من هذا الدواء حبة في مثل هذا  
الوقت من كل ليلة ... مهما حدث... حتى  
اخبرك بالعكس ... اتفقنا؟؟)...

تناولت الشريط تومئ بتردد، فأعاد حديثه ...  
(اتفقنا؟؟ ... مهما حدث (!) ... هزت رأسها مرات  
عدة، ثم قالت بعد لحظة صمت أخرى....

(ألم تلاحظ ... شيئاً ما؟؟) .. قلب شفته السفلى  
بحيرة مدعية، يقول باستخفاف ...

(لا ... ماذا سألاحظ؟؟) .. عبست تضع الكأس  
أرضا، تجيب بجفاء ...

(لا ... لا تهتم ... )... قامت تنصرف بوجوم،  
فناداها يقول ...

(عليك بالتحرك إذن... فعدتها لم يبق على  
انتهائها.. سوى يومين ... وهكذا سيصبح  
تدخلك في حياتها شرعي ... ومن حقد أيضا  
..) سهى عنه للحظة، قبل ان يجيب بتصميم

..

(سأخبر أبي...وبعدها سأطلبها للزواج مباشرة  
...).. اتسعت بسمت السيد عمر يربت على  
ركبته وهو قائم ....

(قرار جيد...أدعو الله لك بالتوفيق...)  
أوقفه ياسين يقول بجديته ...

(بلغني باي شئ طارئ عمر... من فضلك...)  
أجابه بصدق يطمئنه ...

(كما أخبرتك ... اقسام لو بيدي...كنت  
سجنته ... إنه عار على الآباء...). تحدث  
ياسين بانفعال...

(وماذا ستفعل؟؟... أقصد ... إنه والدها في  
النهاية...). أوما السيد عمر يرد بحزن ...

(لقد اشفقت عليها ... تتحمل مالا تطيق ... هي  
مصرة على إيجاد شقة صغيرة ... وستعود من  
اجل شقيقتها ... فهي لن تسمح بضياح  
مستقبلها الدراسي... او قد يتهور ويزوج  
خديجة لذلك الرجل... حين يفشل مع حفصة  
..) هتف ياسين بغضب ...

(سألته درسا ان اقترب منها...عمر...حفصة  
لن يتزوجها سواي ... بإذن الله ستكون لي  
...). ابتمس عمر يرد بمكر ..

(ألا افعل دائما؟... فقط استعجل... فأنا اثق بك  
...)(...)

.....  
●● الأعداء ●● بين جبال

زفر منصف يقول بتعب ...

(أخيرا وصلنا ... يا إلهي ... ما هذه الطرق؟) ...  
تحدث عيسى يجيبه وهو يرمي التي تجلس بين  
المقاعد الخلفية مع صديقتها، وذلك ال  
...هيثم من الجانب الآخر يليه نجوى التي يشعر  
بها سترتكب جريمة شنعاء.

(لذلك سميت بالأعداء يا ذكي ... لأنها  
ضيقة وملتوية ... هيا قم ... النهر بين الجبال  
سينعش روحك ...). .... ترحلوا من الحافلة،

فتوجه رأسا حيث رواح، يتبعها هيثم يسألها  
باطف ...

(هل تسمحين بالانضمام إلى طاولتي في  
المقهى؟؟ ..) ... لم تكذ ترد عليه، وقد بدأت  
تسأم من لحاقه بها أينما ذهبت، لكنها تصبر  
وتكمل في خطتها كلما لمحت الغل ينشر  
سواده على ملامح نجوى، حتى سبقها عيسى  
بنبرة جافة مهددة ...

(لا.... لن تسمح ... لأنها ستنضم إلى طاولتي ...  
)... قطب هيثم يقول بحيرة ...

(لما انت غاضب؟! ... فلنجتمع كلنا حول مائدة  
واحدة ... اليس كذلك نجوى؟؟) ... صمتت  
المعنية تشعر بنفسها ستنفجر في أية لحظة،



فنطقت رواح ببسمتة زائفتة، وهي تسوي من سترة  
بدلتها الرياضيتة...

(لا عليك هيثم ...أينما تقعد ...سأنضم  
إليك..)... عض عيسى على نواجده غلا،  
وهيثم يشير لها كي تتقدمه، فهمس منصف  
الذي عاد إليهم يقطر وجهه من الماء ويرتعد  
بردا ...

(أشعر بالبرد ... وأنت كبركان على وشك  
الانفجار...حالك ..كحال نجوى ...)... تجمد  
عيسى للحظة يفكر، قبل ان تتسع مقلتيه  
إدراكا، فيسحب منصف تجاه المقهى يبتسم  
بمكر حير صديقه بدايته، لكن سرعان ما  
فهم عليه حين أسرع يسحب كرسيه لنجوى  
يقول لها بلطف ...

(تفضلي نجوى ...)... أطاعته مندهشة من  
تصرفه اللبق، والأخرى تتجاهل الأمر بمشقة،  
تبتسم لهيثم بدلال.

مرت وجبة الفطور بين ضحك هيثم ونظراته  
المعجبة لرواح المتمسكة بقناع البسمات،  
وتجهّم عيسى يحاول التركيز مع نجوى الغير  
مصدقة لحظها، أما منصف فيراقب بامتعاض،  
ويتهرب من صديقة رواح التي من الظاهر وضعته  
كهدف تلتهي به في رحلتهم المملة تلك.

مسدت رواح على جبهتها بتعب من تسلق الجبل،  
فوقفت تلتقط أنفاسها، تلقي بنظرات مسروقة  
تجاه عيسى الذي نجح في خلق حديث مشترك  
مع نجوى، لتجفل على هيثم يحدثها بلطف..

(أجل ..تؤلمني جدا ...من فضلك هيثم  
...أسندني ...)... شهقت نجوى بصدمته، وضحك  
منصف ببلاهة، حين تأهب عيسى يشير لهيثم  
محذرا ..

(لا تلمسها... احذرک ...)... تجمد هيثم  
مكانه لا يعلم ماذا يفعل، ورواح تتساءل  
بتلقائيتة متعمدة، تتدعي البراءة...  
(لماذا .... رجلي تؤلمني..).. تنفس بحدة،  
وتلفت يبحث عن صديقتها وقال مشيرا لها ...  
(يا آنستة ... من فضلك ...ساعدتها..)..  
أمسكت بها صديقتها تهمس بمكر...  
(أنتِ داهية...).. تقدمت برفقتها ترد عليها  
ببراءة الذئاب ...

(هل تعبت؟؟... يمكننا التوقف حتى ترتاحي  
.....).. عبت بملل ولم تجبه، فتدخلت نجوى  
بغباؤها الدائر تقول بلؤم...

(هل اتعبت رجاك المسكينتة يا رواح  
؟؟...حذاري من ان تفقدوها مرة أخرى...).. حل  
الوجوم عليها، فلعن عيسى في سره، وامتعض  
منصف يهمس لصاحبه ...  
(أقسم انها السبب في كل ما يحدث مع رواح  
.....).. اقترب منها هيثم، يتفقد رجليها بجهل  
لكل ما يحدث حوله ...  
(هل تؤلمك رجليك؟؟... اخبريني؟؟).. رفعت  
رواح حاجبها بشر، تقول بتمادي علمته في  
قرارها الصارخ بالرحمة والحذر ...

(بل كل هذا الوضع برمته... لا أستسيغه... ثم  
أنا اتحدث مع نجوى بشكل عادي .. ولم اتجاوز  
الحدود... كما كانت هي على وشك الفعل ..  
(... ثم اكمل يقلدها والأخرى لا ترى امامها من  
الحقد.

(من فضلك هيثم ..أسندني ...)... انطلقت  
ضحكات منصف، بينما عادت نجوى ادراجها  
والكأسين بين يديها. بحثت عنها لتجدها  
تضحك على نكتة ألقاها هيثم اللاحق بها  
كظالها، فالقت بما في يدها بغل قد فاض به  
صدرها تهمس بتوحش ....

(سأدفعك الثمن غاليا يا رواح ....ستتمنين  
العرج ولا تجديه ...)

(أنا ...لها ؟؟)... أومأت بيأس، والجميع من  
خلفهم كل في فكره يسبح.

وصولوا الى اعلى القمة، وكل اتخذ مكانا من  
اختياره كي يتأملوا الجبال من حولهم والنهر  
الازرق الجاري في الأسفل.

اسرعت نجوى بعد أن صبت الشاي الذي احضرته  
في حقيبتها، كي تمنح عيسى وصديقه  
نصيبهما متجاوزة دهشتها من لطافة الأول الغير  
مسبوقة، لتتجمد مكانها وهي تنصت لكلمات  
منصف المعاتبية لصديقه ...

(أعلم ان نجوى ليست بسهولة ... لكن  
استغلالك لها كي تثير غيرة رواح ... لا  
استسيغه ..).. نطق عيسى بغضب يجيبه ...

مضطرا للسفر... ما تركتها .. في بداية علاجها  
... لقد اخبرتها وطمأنتها ... فتوخي الحذر  
(...).. تدخل زوجها الذي ربت على ظهرها يقول  
بدفاع ..

(لن تفسد شيئا ... وكما قلت ... هي بارعة  
...)(... رفع يديه يهتف بتهكم ساخر ...  
(ألا يمكنكما مراعاة شعور العزاب؟؟ ...  
فقلبي الوحيد البائس لا يتحمل...)(... ضحكا  
بيأس، فسحب حقيبته اليدوية يكمل وهو  
يشير لهما بالتحية....

(من الأفضل أن تستعدا لإخباري عن ابنتي  
المرابط... بعدما أعود من سفري .. بإذن الله ....  
اعتنيا ببعضكما ... سلام ...)(...)

عند نهاية الدوام .... المشفى ... القسم النفسي  
...

حك جبهته بعد ان سلمها الملف، يقول بجديته  
...

(سأغيب ليومين او ثلاثه.... أدعو الله ان لا  
تزيد على ذلك .. حذاري من أن تلتقي مريم  
بأحد... في غيابي ... لا أهل... لا اصدقاء ...  
حراسته مشددة ... فهمتي؟؟ ... لا تتصرفي من  
نفسك... قبل الرجوع الي ...)(... رمقته  
بدهشة، وهو يكمل بتفكه ...

(أعلم أنك بارعة... وخذعت البروفيسور ...  
لكن ارجوك ليس هذه الحالة ... لو لم أكن

\*\*\*\*اليوم التاسع\*\*\*\*

مقر البلدية ...

اقتحم المكتب ومن خلفه الكاتبة تهتف

بخوف ...

(سيد ابراهيم ... من فضلك ...) رفع السيد

العربي كفه، مشيرا لها فخرجت، وتقدم

ابراهيم يميل تجاهه، بعد ان حط بكفيه يهز

سطح مكتبه، قائلا بنبرة مهددة خطرة ....

(أقسم برب العزة ... إن لم تسحب ملف

شركتك الوهمية ... من مناقصة مشروع الماء

... سأنشر حبل وساختك في كل قناة اعلامية

تناظرا فيما بينهما، فهزت طائعتا كتفها تقول

باستسلام ...

(الله أعلم ... قد يجد لها حلا ... صدقني هو

مدين لي بذلك ....).. أوما لها بتفهم، يرد وهو

يحثها على المغادرة ...

(سأسعد أكثر.. إن علمت بماهية هذا الدين

....).. ضحكت بخفوت وقالت بمزاح ...

(لا تنسى أن الفضول يقتل صاحبه ... يا طبيب

النفوس).. أمال رأسه بخفتا، فاستطردت ...

(لكنني سأخبرك ..).. قبض على كفها

بحنو، يقول بلطف ...

(أنا متأكد من ذلك .....) (.....)

.....

.... فأنت لم ترى وجهي البشع بعد يا ابن الدباغ  
.....)

مسح العرق من على جبهته، يقول بنفاق ...  
(لماذا أنت غاضب هكذا يا سيد إبراهيم؟؟ ...  
تفضل لتتناقش ... أرجوك ...).. عاد يضرب  
على سطح المكتب، يهتف بغل....  
(لا شيء أناقشه مع أمثالك ..... يا إلهي ...ألم  
يكفيك كل ما نهبتة من أرضك وارض  
أجدادك؟؟ ... إنهم أبناء أرضك من تسرق يا  
رجل ...ألا تستحي من مواجهتهم ببسماتك  
المنافقة....وانت السبب في تعقيد حياتهم  
...)(؟؟

باع الآخر ريقه، يرد بتالجحج ....

(سيد ابراهيم ... أنه مجرد سوء تفاهم ...أنا  
متأكد.....) ... احتدت نبرة ابراهيم يقاطعه  
بمقلتين محمرتين من الغضب...

(كف عن نفاقك ...فأنا اعلم بحقيقتك  
الوسخة ... أحذرك العربي .... اسحب ملف  
الشركة الوهمية ... ولا تلم سوى نفسك  
....إن لم تفعل.... فقد اعذر من انذر...)..  
ورحل كما دخل، ليسحب الآخر هاتفه يقول  
بحقد ...

(نفذ ... اجل ..في اقرب وقت .... ولا تطلقوا  
سراحه ... سوى بعد يومين او ثلاث ...لنتأكد  
فقط .. ... )...

.....

منزل آل طالب ....

ارتشف الحاج عبد الله من كأسه الشاي بتمهل،  
ثم قال بهدوء على غير عادته ...

(ياسين .... انقضت نصف ساعة ... وهذا الحوار  
... لا يفضي إلى باب واحد مفتوح ... كي نلج  
منه ....).. رفع حاجبه وهو يراقب تلفت ابنه،  
وارتباك، كما تحريك ساعة يده كل  
لحظة. فاستدرك ...

(هل نويت الزواج أخيراً؟ ..). شلت أطرافه  
يحدق به، فكبت بسمته فرضت نفسها عليه  
يقول بظفر ...

(يوم المنى يا ولدي .... إلا أن توترك

... يجعلني أتساءل... عن مدى اقتناعك ... أم  
أنها شبيهة ابنة المرابط؟؟).. جعد ياسين  
جبينه معاتبا، فأكمل والده يهز كتفيه بخفت

..

(طبعاً لا أقصد زوجة إسماعيل... فأولاد آل  
عيسى .... قدرت لهم ... نساء صالحات... فهل  
أنت مثلهم يا .... ولدي؟؟؟).. سارع يجيبه  
بثقتة ولهفتة ...

(هي فتاة صالحة يا أبي .... خلوقته ... وملتزمت  
... لقد كانت صديقتة حق الوحيدة ... )  
ضيق الحاج مقلتيه لبرهته قبل ان يقول ...  
(أشعر بحديث على لسانك غير منتهي ... قل ما  
لديك مرة ... واحدة.... فالمدينة بجبالها

إلى العاصمة كي يدرس، فعاد على غير تحفظً  
ذهب به، وكان ذلك أشد ما أثقل على قلبه.  
ان يكون فعل ما عاهد نفسه على عدم فعله،  
في موازاة تربيته لأبنائه الذكور كإلانات  
على حد سواء. فما أضع الكثير من الشباب،  
سوى قولت، "هو رجل لا يعيبه شيء" حتى  
يكبر ليكون اي شيء غير الرجل. أجفل على  
سؤال ابنه القلق، فتنبه إليه ....

(ما رأيك أبي؟؟).... نظر إليه لبرهتة قبل ان  
يقول بغموض حير ياسين ...  
(امنحني فرصة للتفكير... واذا كانت من  
نصيبيك ...فلا أحد سيحول بينكما ....)

.....

ووسعها صغيرة .... وبعون الله سأعرف كل  
صغيرة وكبيرة عنها ....لذا من الأفضل لو  
علمت منك أنت (...).منحه نظرة توسل يسأل  
...

(وهل سيشكل فرقا بالفعل يا أبي؟؟) ... ارتشف  
من الكأس مجددا، ثم قال بجديتة ...  
(سيفعل .... لطالما فعل ... فبدأ بالحديث ...يا  
ياسين )... تردد بدايتة، لكنه عزم أمره وانطلق  
في سرده لكل الاحداث عنها، بنبرة لا تخلوا  
من الدفاع والتحجج لصالحها طبعاً. وسؤال  
واحد يشغل بال والده. من هذه الفتاة التي  
بسببها، أصبح ابنه رجلاً يُعتمد عليه؟ بعد همه  
حول تفريطه في تربيته الذكر الوحيد بين  
أبنائه. فقد منحه من الحرية الكثير وأرسله



\*\*\*اليوم العاشر\*\*\*

المشفى ..... القسم النفسي ...

يكاد لا يلمحها، وهو يفكر في جدية  
البروفيسور حول معالجتها، يجلس على المقعد  
بعيدا حتى عن سريرها.  
مستغرب من حال قلبه الذي كان قد يئس من  
تأثره بفتاة مهما كانت، ليفعل مع أخت هذه  
التي أمامه، ويعود متسائلا في غرابة ما يسمى  
بالحب، أو القدر. فكيف شعر بالدفئ حتى قبل  
الحب تجاه فتاة، لم يشعر سوى بالجفاء بل  
والنفور تجاه من تشاركها نفس الدماء؟.

(لماذا لم تحبني؟؟)... مهلا، كان هذا السؤال

يطرح في رأسه، لكن لا، لقد سمعه، ليس  
بنبرته. رفع نظاره المجفلة الى الوحيدة  
برفقته في الغرفة. للحظة ظن نفسه يهدي،  
لولا انها بالفعل أعادت سؤالها وهي جامد  
مكانها.....

(لماذا لم تحبني... كما أحببتك؟؟... لقد  
فعلت كل شئ... كي أفوز بك... فماذا كان  
ينقصني وتملكه هي؟؟)... ابتسم ببرود  
متجاوزا صدمته من نطقها، بعد جمودها لثلاث  
شهور، حتى بدأ يصدق أنه مرض \*التخشب\* او  
\*النوبت\*... .

(دعينا مما تملكه وتملكينه ... ولنتحدث في  
ما تُقرين به ... ما شعرت به تجاهي لم يكن

(حبك لي وهم ... خلقه عقلك ... وضخر منه  
كبرياءك المجروح ... بسبب رفضي لك ...  
فبررت كل وسيلة محرمة .. من أجل أنايتك  
للحصول على غايتك ... وهذا خطأ يا صباح  
... خطأ كنت وعائلتي ... سندفع ثمنه ... من  
أرواحنا ... وكنت ستتحويلين الى مجرمة قاتلة  
... فكيف لحب ان يحمل كل هذا السواد  
والظلم ؟؟ ... ) ... صمتت ترمقه بوجل ، فقد  
عراها عن حقيقتها ، وبدأت تنظر للأمر من عين  
منطقية ، عين تمني رؤيته صاحبها بلهفة ،  
لتقول بعد برهة ...  
(وهل احبتك هي ؟؟) ... طففت بسمته حلوة على  
ثغره أرخت ملامحه المتشججة قبل قليل ، فأتاها  
الجواب دون كلمات. لكنه قال بحيرة ...

حبا يا صباح ....) ... ابتسمت ساخرة بوجوم ،  
تقول ....

(نفس جوابك السابق .... فما هي حجتك  
؟؟) ... أقفل الملف يجيب بتفسير ...

(لأن وبكل بساطة .... من يحب لا يحقد ... ) ..  
قطبت بحيرة ، فأكمل ...

(المحب ... لا يؤدي حبيبه يا صباح ... وأنت  
كنت ستضعين حدا لحياتي .... ناهيك عن ما  
فعلته بأهلي ... أمي ... وابراهيم .. وحتى زوجته  
.... التي لا تمت لك بصلة ... ) ... بللت شفثيها  
تقول بدفاع واهي ...

(أنا لم اقصد اذيتكم ... كنت فقط أحاول  
الفوز بك ... ) ... أوما باستنكار يجيب ببرود ...

ولا يُعدُّ الشخص الذي يعاني من التَّخَشُّب مشلولاً  
إلا أنه ببساطة يفتقر إلى إرادة الحركة...  
وغالباً ما يحدث التباس حالة التخشب بحالة  
النوبتة، أي الافتقار المؤقت لحركة العضلات.

.....

منزل الرزقي ....

استاقت على سريرها تقول بجديتة ....

(عصام جهز نضك ...سنذهب غدا ...)

صمتت قليلا، ثم ردت بنزق...

يا إلهي ...انت جبان ....إنها فقط زيارة استطلاع

لا غير ... انتفضت من على سريرها تقول

بعبوس ...

(أنت تتساءلين ما الذي تملكه هي كي أحبها  
؟... وهي تتساءل عما تملكينه أنت كي  
يحبك والدك ويمنحك ما حرما منه؟ ...  
فهل لديك رد شافي يا صباح؟ ... )... تسمرت  
تفكر بسهولة، وكأنه صدمها بسؤاله، فاستقام  
واقفا يقول بعملية ...

(تسعدني استجابتك أخيرا ... لكنني أعلمك  
...أنه سيتولى حالتك طبيب آخر... محترف  
وبارع في عمله ...بروفيسور في الحقيقة ...  
استأذنك.. إلى اللقاء ... )... فغرت فمها تشيعه  
بنظرات ضائعة، وبسمة حالمة تهمس بسهولة...  
(البروفيسور ...)

\*\*التخشب...هي حالة يفقد معها الإنسان،  
بصورة مؤقتة القدرة علي الحركة الإرادية،

(أين ذوقك يا حضرة المفتش؟؟) ... (منعدم

...هل تذكرين؟؟) ... قلبت مقلتيها ، تقول

بضجر....

(ألا تنسى ما أقوله؟؟) ... (أبدا!!) ...

(ماذا؟؟) ... نطقت ببلاهة وقلبها الأبله منها يرج

صدرها ، فاستدرك نفسه يهتف ...

(ماذا تريدين؟؟.... انا مشغول ) ... جعلت دقنها

بإحباط، ترد بحذر ...

(أريد رؤيتك غدا ... ) ... (لا .... لست متفرغا

...إلى اللقاء) ... سارعت في النطق حانقة ..

(يا إلهي .... أنت ....أنت ..) ... بترت حديثها ،

وأرخت كتفيها تنصت لضحكته المججلة ،

حتى قال بحيرة ...

(عصام ... سأذهب بك او من دونك ...وأنت  
تعرفني ...) ... زمت شفتيها تكبت بسمتة مكر،

ثم قالت ...

(سأتصل بك ...إلى اللقاء...)...ألقت بالهاتف

واستلقت تفكر بمن شغل عقلها ولا يغادره، ثم

التقطت هاتفها تلعب بأزراره حتى ركبت رقمه ،

فضمت شفتيها الى الأمام تفكر. هل تهاتفه ام

لا؟ سبقها اصبعها يدوس على زر الطلب، قبل ان

يجد عقلها حجة صائبة. فجلست مربعة

ساقياها ، تتنفس بلهات ودقات قلبها في سباق

مهاك ، تضاعفت سرعته مع نبرته الجافت

المخالفة لما يدور في صدره من حرب شعواء

تشنها على حصونه سنفورة زرقاء متهورة....

(ماذا تريدين؟؟) ... نفخت ترد بتذمر ...

(حسبتك أقفلت الهاتف في وجهي ...)... أقته

ضحكته الرائقتا، ليقول بعدها ساخرا ...

(استأذنيك يا سمو الأميرة .... سأقفل الهاتف

.... أعجبك؟؟...).. تأكدت من نهايتا

الاتصال، فضمت هاتفها تهمس بمرح وهي

تتلاعب بحاجبيها ...

(يعجبني يا حضرة المفتش .... وهكذا سأضمن

وجودك في المركز... وانا أهرب من حارسك

الذي تظنه خفي ...)

.....

(لا زلت على الخط ؟ ... ام قررت العفو عني

...)... زفرت مجددا، تقول بامتعاض ...

(انه شيئ يخلص القضية .... ولن أقوله على

الهاتف ...)... صمت للحظرة، حتى ظنت انه أنهى

المكالمة، ثم أتاها رده الجدي ...

(حسنا غدا ... العاشرة صباحا بإذن الله ....

تعالى إلى المركز... سلام ..).. نظرت إلى

الهاتف بصدمتها، تقول بسهو...

(تنين متوحش ...)... اهتز الهاتف بين كفيها

المرتعتين، حين صرخ وكأنه سيخرج منه ...

(لقد سمعتك ...يا سنفورة!! ...)... نطقت

بحنق تهتف ...



\*\*\*اليوم ..... المعلوم\*\*\*

هكذا ابتداء .....

منزل آل عيسى ....

أنهى ارتداء ملابسها يرمقها بعتاب، وهي تتلذت  
بحرج من فعلتها على غير عاداتها. فقال وهو  
يقف امامها ويرفع راسها برقة ...

(لماذا أطفأت هاتفي؟؟ ... لم تفعليها من قبل  
... لقد تأخرت عن عملي ...) ... لم تجبه تذرف  
الدموع فجأة، فضمها مندهشا يقول بقلق ...

(حق ... حبيبتي ... ما بك؟؟ ... هل تتألمين؟؟ ...  
تحدثي!) ... تمالكت حزنها تستغفر، ثم  
قالت بحزن ...

(لقد رأيت كابوسا في منامي ... وأنا اخشى  
عليك ... أعلم ان القدر لا يرد ... لكنني اظن  
ادعو لله ... ألم يقل عليه الصلاة والسلام ... (لا  
يرد القضاء إلا الدعاء) ... سأظل أدعو الى ان  
تعود ... سالما بإذن الله ..) ... ضمها بقوة قبل ان  
يفلتها قائلا بمهادنة ...

(ششششش!) ... حبيبتي ... أنت تعلمين أن من  
صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى  
يمسي؟؟ ... إذن لما الخوف على من هو في ذمة  
الله؟؟ ... هيا ... استرخي ... الله خير حافظ  
.. وهو ارحم الراحمين...) .. ابتسمت له بحزن،  
ثم ضمته بقوة، فاستسلم لحضنها بصبر ورغبة  
منه ايضا، يسأل الله السلامة، متذكرا يوم  
حادث الجبل الأبيض.

وهكذا انتهى .....

المركز الامني ....

أمسكه من طرفي سترته، يهزه بغضب جارف

....

(كيف خدعتك؟... إنها فتاة قزمت بحق الله

...)(... رد الآخر بخوف، يقول بخجل ...

(أقسم لك سيدي ... كما أخبرتك... دخلت

الي صالون التجميل وانتظرتها ... الى ان مرت

ساعات فشككت بالأمر... وحين بحثت عنها

داخل الصالون لم اجدها .... أنا آسف سيدي ...

أس...)(... هزه مرة أخرى يصيح بانفعال ....

(بماذا سينفعني أسفك ؟؟... بماذا!!)... لقد

اختفت لساعات ... ماذا اخبر والديها؟؟...)(

دق الباب فنفضه من يديه، وصاح بحنق ..

(ادخل!!...)(... دخل المساعد من خلفه

إسماعيل، فنظر إليه طارق مقطبا من قسمات

وجهه التي لا تفسر. اقترب منه بقلق يسأل

بريبتة ....

(ماذا هناك إسماعيل؟؟)... تشكل البرود مع

الخوف عليهما غضب أسود، في لوحة منفردة لا

يظن طارق أنه سينساها أبدا....

(ابراهيم .... مختلف منذ الصباح ...هاتفه مقفل

... بحثنا عنه...ولم نجد له أثر..).....

## الفصل العاشر....

أحب الصالحين ولست منهم \*\* لعلي أن أنال بهم  
شفاعت  
وأكره من تجارته المعاصي \* ولو كنا سواء في  
البضاعة الإمام الشافعي ..

اليوم التالي.....

صباحا.....

في مكان ما .... في منطقة \*أمردول\*\*  
براء ... هيبه!! استيقظي ... هيا!!...  
حركت رأسها أخيرا، فزفر بارتياح فقدته منذ أن  
ألقوا بها جواره فاقدة للوعي، وبسبب تكتيفهم

له لم يستطع ان يصل إليها فاكتفى بمناداتها  
وبخفوت، حتى لا يشعروا به، فمضت ساعات ولم  
تتحرك حتى بدأ يتسلل اليأس إلى قلبه .  
أمسكت رأسها وكتفها تنن بألم، قبل ان تعي  
على من يسألها بقلق....

(أنت بخير؟؟... ماذا فعلوا بك؟؟)... فتحت  
مقلتيها على وسعهما حين تعرفت عليه، تهتف  
بصدمة...

(ابراهيم آل عيسى؟؟... م... ماذا تفعل  
هنا؟؟)... هز رأسه بحيرة، يشير الى نفسه...  
(أسرعي... حرري يداي ... وأثناء ذلك  
أخبريني... ماذا تفعلين أنت هنا؟؟)... أسرعت  
مطيعتاً وهي تبحث عن بداية الحبل كي تحله،  
تقول بنبرة بين التوتر والتعب...  
(لقد كنت استكشف المكان مع عصام ...



(أجل... هو... أسرعى براء... سيتأكدون من  
استيقاظك في أية لحظة.... إجلبى شيئاً ما  
...)... أومات بجديتة، وبحثت بعينيها لبرهتة قبل  
أن تسحب قطعة زجاج، ضربت بها حافة قطعة  
أخرى معدنية، ثم عادت تحاول تمزيق الحبل  
بالجانب الحاد. ابتسمت بظفر، فأسرع ابراهيم  
لتحرير رجليه، يقول...

(شكرا لك... يجب أن نجد حلا لنخرج دون  
أذى... فالرجال كُثر... حسب ما رأيت أمس  
...وهو يسوقونني هنا...)... ربتت على كتفها  
تهون على نفسها الألم الصارخ، تقول بغضب...  
(الجنباء... كتفي يؤلمني بشدة...).. قام  
ابراهيم يتفقد المكان ويتلصص من شقوق  
النافذة الوحيدة، قائلاً بتأنيب...

(ادعي ربك أن يكتفوا بذلك... كيف

وطلبت منه أن نفترق كي نكمل بسرعة...  
طبعاً رفض لكنني اقنعتة... وحين يئست من  
البحث في المخازن الخارجية... تسللت إلى  
المخزن الكبير فيهم من الخلف... ولا اذكر  
شيئاً آخر.. إلى أن وعيت الآن...)... نفخت  
بسخط فالحبل متين، ولا تجد له حلاً، فقال  
بحنق..

(أنت تغامرین بنفسك... ما تفعلينه ليس في  
صالحك... ماذا لو أذوك؟!...)... التفتت  
حولها تتأمل الغرفة ذات الجدران الطينية،  
مليئة بمجموعة من آلاتٍ قديمة وبقايا خردة  
متنوعة، تركت جانب ابراهيم تتفقد الآلات  
قائلة بحيرة...

(هل هذا ما أعتقده؟)... مطط ابراهيم شفتيه  
يهتف بخفوت...

وجدت هنا على أي حال؟؟ (...).. ..عبست تفسر  
وهي ترتب هندامها الذي تحمد الله على عدم  
إنصاتها لغباء انوثتها الملح بعد حديث طارق،  
لترتدي فستانا او تنورة، واكتفت على ما  
تعودت عليه، سروال جينز وقميص لكنه طويل  
الى الركبتين....

(بحثي وعصام ...أوصلنا الى أماكن عدة  
...لصنع الخمر الخطير ذاك الذي يمزجونه  
بالمخدر...الذي خصصت له حلقة في برنامجي  
.... وتفقدنا بالفعل أغلبها دون نتيجة ...  
وتوقفت بعد ما فعلوه بسيارتي ... ومع حراستي  
المفتش ... ازداد الأمر صعوبة ...). توقف  
ابراهيم عن تفحصه، يلتفت إليها قائلاً بأمل...  
(طارق يراقبك... نسيت ذلك ... جيد جدا...  
قد يعلم عن مكانك ..لما تأخر؟؟)... عضت

شفتها بذنب تشكل على ملامحها، ترمقه  
بندم، فقال بريبتا...  
(براء !!... ماذا فعلت؟؟)... أطبقت على أسنانها  
خجلا، ثم قالت بتمهل...  
(مهمم... هربت من الحارس ... )... عبس في  
وجهها، يرد بتهكم...  
(هل نال جو أفلام الحركة هذا إعجابك؟؟....  
أتمنى أن تفهمي مدى خطورة ما تفعلينه يا براء  
... لأنني والله شاهد على ما أقوله.... لو كنت  
أحد افراد عائلتي ...لكنت عاقبتك.. قبل ان  
يدمرك مجرم ما ...أدعو الله ان يكون زميلك  
...نفذ منهم ...إلا ستحملين ذنبه على رقبتك  
...). صمتت بخجل من نفسها، فهو محق، وهي  
الآن مرعوبت، وتشعر بالتعب والألم. تتمنى لو  
يجدها التنين المتوحش ويفعل بها ما يريد،

ثم هوى بنفسه يحتضن رأسه بين كفيه. تنهد  
بغضب يهمس...

(أيتها الغيبية ... فلأجذكِ سالمته فقط ... بعدها

س... سأحبسك في بيت اهلك... حتى لو

اضطرت لتكبياك ... هذا إن لم أقتلك

بيدي هاتين قبلا ... فلتكوني سالمته فقط ....

يا إلهي ما هذا الألم؟؟... ما الذي يحدث

معي؟؟...)

(طارق ...). رفع رأسه، فانتفض واقفا يسحب

كف والده يقبلها باحترام، فابتسم له وهو

يضع حافظته طعام على سطح المكتب...

(لما أتعبت نفسك أبي؟؟).. لم تفارق البشاشته

وجهه، رغم هول قلبه من ملامح ابنه المتألّمته.

يعلم ذلك ويشعر به، كما شعر بما يحدث معه

مؤخرا .

كل ما يهمها أن تخرج من هناك بسلام، فهي لا  
تستطيع حتى تصور مدى قلق أهلها، ناهيك عن  
قلقها على عصام.

تجمد كلاهما حين سمعا اقتراب أصوات، فأشار  
لها الى الزاوية خلف الباب، وتقدمها ينتظران  
القادم.

\*أمردول\* ... هي عبارة عن سهول لا زرع فيها...  
تفصل بين الجبال ..وهي خلاء ...لا عمار فيها .

قبل ساعة ... المركز الأمني....

زفر بقنوط وتعب، وهو يدخل الى مكتبه. أزال  
سترتة وألقى بها فوق أحد كرسيي الضيوف،

(آه... أنت أعلم بوالدتك ... كلما قضيتَ الليل  
في عمالك... قضته هي في الطبخ... وما إن  
أصلي الفجر... أجدها قد وضبتَه وطرَدتني من  
البيت حرفيا ... كي أجلبه إليك ...)... حاول  
البسمة لكنه فشل يعود إلى مقعده ويشير له  
كي يجلس، يقول بتعب...  
(لا حرمني الله منكما ... طوال الليل ونحن  
نبحث عن المفقودين ... ولا نتيجة ... سأجن يا  
أبي... الجبال كثيرة... وقد يكونان في أي  
مكان ..) ... نظر إليه بغموض يقول بقلق...  
(ستجدانها بإذن الله ... ابراهيم شخصية مهمة  
...وعامة.. لن يجازفوا بحياته.... لأنهم  
سيشعلون فتيل الانتقام... فهم متأكدين من  
حب الناس قبل العائلة له... وسيقيمون الدنيا...  
إن أنخوا حياته... )... أوما طارق يجيب بحنق...

(أعلم أبي... اعلم ... لكن ...).. بتر حديثه،  
فأكمل والده بنفس النظرات الغامضة...  
(لكنها الفتاة؟؟!!)... تهرب ابنه من نظراته،  
فأستطرد...  
(في الحقيقية هي من يقلقني وضعها ... قد  
يقتلونها... )... احتدت أنفاسه فأكمل ليصل  
إلى هدفه...  
(أو أسوء... قد يؤذونها ..) ... اهتز بدنه وهو  
يقوم بحدّة، يوليه ظهره قائلاً بغل...  
(لا... لن يحدث ... أنا )... استقام والده منتظرا،  
وابنه يكمل...  
(سأستأنف البحث ... )... أمسكه والده يديره  
إليه، يقول بحنو بعد أن تأكد له إحساسه،  
وأصبح مشفقا عليه .  
(حسنا ... لكن ... كل شيئا قبلا ... كي)...

ربت على يده مقاطعا اياه...

(لا أبي... لست جائعا.... أنا...)... لاحظ نظرات  
والده المستغربة الى خلفه، فالتفت لتتسع  
مقلتيه وهو يلمح عصام يقع على ركبتيه ينهج  
من فرط التعب. أسرع إليه في لمح البصريهز  
بدنه هاتفا بهلع...

(أين هي؟؟ ماذا حدث؟؟.. تحدث عصام  
).. .... تلاحقت الكلمات من فمه، تنافس  
أنفاسه الفارطة، يجيبه...

(لقد ... كنا ... نتفقد آخر مخزن شكنا  
فيه ... وطلبت مني أن نفترق ... عارضتها لكنها  
ألحت ... والحمد لله على ذلك ... إلا كانوا  
أمسكوا بكالنا...)... أوقفه على رجليه قائلا  
بحدة...

(هل تذكر الطريق الى المكان؟؟) ... لم يكد

يومئ، حتى سحبه خارجا، وهو يتحدث بغضب

...

(لما تأخرت؟؟... لقد مضت ساعات ... بل ليلا  
كاملتا ...). استسلم له يرد بخوف...  
(لأنهم تفقدوا السيارة ... يتأكدون إن كان  
معها مرافقا ... لذا هربت ... وعدت على  
قدمي... وأمر دول خلاء ... لا تجد به سيارة  
....) ... صاح في مساعده الذي تفاعا به منتفضا  
من كرسيه الذي غضى عليه من شدة تعبته ...  
(اجمع الدوريات .... وانتظروا اشارة مني  
... إياكم والتدخل قبل أن أرسل اشارة). (.....  
.....  
المشفى .... القسم النفسي...

بين الجديّة والسخرية...  
(لم أتخيل يوما أن أنطق هكذا سؤال .... لماذا  
طلبت مني الزواج؟؟) ... وكأنها تذكرت  
فاقتربت منه وهو يعود خطوة للخلف، لتتوقف  
دون أن توقف الكلمات المتسارعة...  
(أجل .... تزوجني ... وخذني من هنا ....) ... آمال  
رأسه يقول بتقرب...  
(هذا ليس جوابا .... أنست ... صباح ..)  
تكومت ملامحها ألما والشرارة تندفع من  
مقلتيها، فابتسم يتكئ بجذعه على حافت  
المكتب يقول بتهكم...  
(من فضلك ... أطفئي تلك النار في عينيك  
... وكأنني كسرت قلبك ... الولهان ...)  
اتسعت مقلتيها صدمتا، فعلت ضحكته ثم اشار  
لها كي تجلس. فعلت على مضض تضع رجلا

(أوووووه .... هذا انا أعرفه ... ومنذ أول كأس  
عصير برتقال طازج ... قدمته لك ....)  
قطبت بشك، ترمقه باندهاش، فهز كتفيه  
بقلة حيلة يستدرك...  
(من فضلك يا أنست ... لا تندهشي هكذا ...  
لم يكن الأمر بتلك الصعوبة ... صحيح أن  
أختك العزيزة لم تخبرني عنك من قبل  
(... ففرت شفيتها حتى ذكر طائعت، فهتفت  
بحمق...  
(أنا أيضا لم أعرف عنها طوال عمري ...)  
(لكنها كانت تعرف ... وتعرف الكثير ...)  
قاطعها، فعبست تباع غصتها، وهو يستطرد...  
(حسنا ... بما أنك قررت كشف جميع  
اوراقك ... لما لا تجيبين عن سؤال مهم  
!!...!) ... عادت ترمقه بحيرة وهو يكمل بنبرة

مهتزة على الأخرى، ليجلس أمامها يقول بهدوء

...

(أنت لازلت تظلمين ما تظلمينه دائما .... تهريين  
من هدف الى آخر تتعلقين به ... كأنه آخر قشة  
ستنجيك من الفرق المحتوم ...) انحسر  
حديثها تفرك يديها بتوتر، ورجلها تهتز  
برتابت .

(ألم تتساءلي يوما... لما أنت هكذا؟؟ ...) ...  
نطقت متلبكة ترد..

(هكذا كيف؟؟) ... تنفس بعمق ثم أجابها...  
(آنست صباح ... هل تعتبرين نفسك طبيعيتا  
في مشاعرك؟ ... قراراتك؟ ... طريقتا  
حياتك؟ ... لا تنسي اتفاقنا من قبل ...) .. بللت  
شفتيها تنظر إليه بتيه امتد لبرهتها، قبل أن  
تحرك رأسها بخفتة، يمينا ويسارا، فابتسم

يقول ....

(جيد .... جيدا جدا في الحقيقة ... إذن لنعد  
الى سؤالي الأول ... لماذا تهريين؟؟ ... أو بالأحرى  
ممن تهريين بزواجك مني ... والرحيل معي؟! ...  
(... ظلت على صمتها وارتباكها، فأسند دقنه  
على يده ووضع مرفقها على سطح المكتب،  
قائلا بتسليته...

(أستطيع الانتظار كل الوقت ... فلا تتوقعي  
قلتا صبر مني ... الفضول هو علتني ... وليس  
فقدان الصبر... لذا من اجل الأول ... لا  
يمكنك التصور إلى أي مدى قد أصبر...) ..  
عبست فرجرف برموشه يبتسم ببراءة مدعيتها،  
لتجيب بسخط...

(أريد الهروب من كل شيء هنا ... لا أطيق  
عائلتي ... ولا محيطي ... تعبت ... داخلي يئن

ألما... لا يشعر به أحد ... حتى أبي وامي (...).  
ضيق البروفيسور مقلتيه، يقول بحذر..  
(وماذا تأملين من الهروب؟؟... يا أنست  
ص...)(كف عن مناداتي بأنست!!)... زمجرت  
بوحشيت، فرغ كفيه يعيد سؤاله مُمَطَّطًا  
اسمها بتعمد...  
(ماذا تتوقعين من هروبك يا صبااح؟....)  
ردت بنفس السخط..  
(يكفيني البعد عن هنا....).. ابتمر ساخرا  
بحزن يقول بجديت...  
(إن كنت تأملين ترك أشباحك هنا ... فأنت  
مخطئة .... مخطئة للغاية ... ).. سحب رأسه من  
على يده ومال بجذعه\* الى الأمام، يكمل  
بصدق خرج من جوفه وضرب قلبها في مقتل...  
(أشباحك تتبعك اينما ذهبت ... بل تتقدمك

... لأنها تُخلق في جوفك ... ما يورقك يا  
صباح ليس ممن حولك ... بل هنا ...). أشار  
الى رأسه يكمل...  
(كل شئ هنا يتكون... وينمو ... الى أن  
يصبح وحشا ... إن لم نواجهه ... يباعنا .... فهل  
ستتركين وحشك يباعك؟؟... أم ستتحدين  
أشباحك.... كي تنسفيه من أساسه؟؟  
...وحينها ... )  
اعتدل في جلسته يكمل بتصميم...  
(حينها ستمتلكين حريرتك بالفعل ...  
حريرتك في اختيار حياة طبيعية... تختارين  
فيها شريك حياتك ... لا لشيء سوى ... أنه  
معجب بك وانت تبادلينه إعجابه بما يكفي  
...لتقرا مشاركت حياتكما معا ...). سكنت  
تنصت إليه بتركيز، لتجفل على سؤاله...



(هل أنت شجاعة يا صباح؟؟... لأن لك أخت  
قوية ... وانتما تتشاركان نفس الدماء...)..  
عادت للعبوس تهتف بحنق...  
(أجل... أنا أقوى)... ابتسم بغموض، يقول وهو  
يستقيم واقفا...

(إذن عودي الى غرفتك... وفكري فيما  
تحدثنا فيه الآن.. وسنبداً الجلسات... اليوم  
بإذن الله..)... أومأت وهي تقوم منصرفت  
باستسلام غريب عليها، فتوقفت تستدير قائلة  
بخفوت خجل...

(م...متى ستأتي...؟؟)... أجابها بحزم مزعوم

...  
(المساء بعد ان انتهي من جولات أختك وزوجها  
.... فشقيقه مخطوف ... وأنا من يتحمل  
المصائب....)... تفاعت تهتف بصدمته...

(ابراهيم مخطوف؟؟)... ضم يديه إلى صدره،  
والعكاز محشور بينهما، يرد بتهكم...  
(أجل ... يبدو أنه مألوف لديك ... لتنطقي  
اسمه بدون ألقاب... فعلى حد علمي هو متزوج  
....)... وكأنها أجمت للحظة، قبل أن تهز  
كتفيها بخفتة، تقول باستعلاء قبل ان تنسحب  
بخيلاء...

(هو من فرضوه علي عائلتي... وأنا رفضته...  
وقلت له في وجهه... أنني لا أريده... لأنني  
معجبة بشقيقه... الى اللقاء)... انسحبت  
متلافية جسدا تسمر مكانه بشكل مضحك،  
لزمه دقائق عدة، حتى استرجع صوته يقول  
ببلاهة...

(رفضت ابراهيم آل عيسى... لأنها معجبة  
بشقيقه... من؟؟... الآخر صغير... ولا يوجد

غير ...).. شهق بحدة، يكمل بخطورة...  
(أحبت رجلا أصبح زوج أختها.... وتمسكت به  
المجنونة رغم ذلك)....  
كز على أسنانه يكمل بحنق... (والدها... ال  
..... سأقتلك يا طائعت... لقد تماديت في  
كتمانك ... تماديت كثيرا... وسأقتل المعتوه  
زوجك أيضا ...)..)

\* جذع الإنسان... هو المنطقة التي تتوسط  
جسمه، وتتفرع منه اليدان والقدمان، وهو صلب  
الإنسان الذي يعينه على القيام والجلوس  
والحركة....

\*أمردول....\*

تقدمها يخفيها خلف ظهره، داعيا إلى الله الستر  
لها، فلم يعد يهمله نفسه، على قدر ما يهمله ستر  
الفتاة خلفه مما قد يلحق بها. فُتح الباب، والذي  
فتحه يهتف بغلظة....

(أين هما؟؟... استدعي الرجال... وأنت تعال  
معي...). لم يكذ يخطوا داخل الغرفة، حتى  
عاجله ابراهيم بلكمة افقدته توازنه وسقط،  
ثم امسك بتلابيب الثاني يحاول نزع سلاحه،  
فاشتبك معه، والآخر يقوم من مكانه يبحث  
عن سلاحه الذي طار من يده حين وقع، ليتفاجأ  
بزوبعة تضربه على رأسه بشيء ما ثقيل لم  
يتنبه إليه، وهو يمسكها بعنف، ويصدم رأسها

برأسه حتى سبب لها الدوار، وأخرج الدماء من  
أنفها. في تلك اللحظة كان ابراهيم قد  
اقترب من نزع سلاح الذي اشتبك معه، حين  
توالت أمور عدة، بين محاولة براء الفكاك من  
المجرم و تمزق قميصها الذي تشبث به، مع  
دخول طارق المفاجئ في نفس اللحظة وهجومه  
عليه، مما شتت تركيز ابراهيم لثانية واحدة،  
استغلها غريمه، وأطلق رصاصة غدر استقرت في  
كتفه .

تجمدوا أماكنهم صدمت، فالأوامر كانت  
واضحة، حبس المخطوف لثلاثة أيام مع تحذير  
مشدد بعدم إيذائه. باستثناء طارق الذي اخرج  
سلاحه بسرعة، وعنق الآخر في قبضة يده  
الأخرى، يهتف بتهديد...  
(لا أحد يتحرك من مكانه....) ... أمسك

ابراهيم بكتفه يكبت صرخة أليمتة مدوية،  
وطارق يطلق رصاصة أصابت يد المجرم، فأفلت  
المسدس يقبض على كفه وهو يصرخ بألم،  
ليقول بتشفي قبل أن يضرب خلف عنق الآخرة  
بمؤخرة مسدسه ويفقده وعيه....

(جرب الألم الذي سببته ...). ... نفض عنه الذي  
فقد وعيه بين يديه، وأسرع إلى ابراهيم يتفقد  
جرحه، متجاهلا براء التي نجحت في إيقاف  
الدماء من أنفها .

(تماسك.... سنخرج من هنا ...). .. أوماً له بتعب،  
فسحبه كي يسنده بكتفه، قائلاً وهو يتخذ  
طريقه للخارج دون أن يمنح من يشتعل داخله  
كالحمر بسببها، نظرة واحدة...  
(سنتمهل حتى نتسلل من هنا ... لأنني لم أبعث  
الإشارة إلا حين تأكدت من إيجادي لك في

سؤالك)... ضيق مقلتيه بصمت يرميها بسهام  
حارقة، ثم التفت الى ابراهيم يسأل...  
(ماذا فعلت كي يقرر الاحمق اختطافك؟؟)...

تنفس ابراهيم قبل أن يرد...

(اكتشفت أن شركة من بين اللآتي قدم  
عرضا... في مناقصة مشروع الماء... وهمية...  
و حين تعمقت في البحث... أوصلتني الخيوط  
الى قريب الأحمق...). تدخلت براء المتابعة  
بتركيز تقول بريبتة...

(من تقصدان بالأحمق؟... رئيس المجلس البلدي  
... العربي... أليس كذلك؟؟)... هم ابراهيم  
بالرد فمنعه طارق، يقول بتهكم ساخط...  
(اياك ابراهيم... فكل ما يهمها عملها اللعين  
... وستفسد كل شيء قبل ان نقبض عليه

.....) مطط ابراهيم شفتيه يزفر بضجر، وهي

هذا المخزن بالذات... كنت أخشى اشتباكات  
بالسلاح... فتصاب...). لمح الجرح النازف  
بغزارة، فأكمل وهو بين تَلَصُّصٍ وتفقد لما  
حوله...

(يحب أن اضغط على جرحك كي لا تفقد  
الدماء...). أوقفه ليسنده بجائط، فتدخلت  
الصامتة التي بلغ صبرها حده من النفاذ، تهتف  
بغل وهي تنقض على جرح ابراهيم ببعض من  
العنف جعل المعني يئن بألم...

(أنا سأضغط عليه وأنت أخرجنا من هنا...)..  
أجابها بغضب أسود...

(تمهلي على الرجل... ستتهين حياته... أيتها  
المجنونة...).. عبست تشد على شفتيها ترد بغل

...

(أنا بخير على فكرة... شكرا لك على

تهتف حتى اهتز بدنها وتركت الجرح قليلا،  
ليهتف هو بنبرة محذرة أجزلتها...  
(ماذا تعني بعلمي اللعين؟؟ ..أنا ...).. (لا  
تتركي جرح ابراهيم!! ...).. عادت تضغط  
على الجرح ولم تشعر بكتفها الظاهر من تحت  
كنزتها الممزقة، ليرمق ابراهيم صديقه  
بإشفاق، من فكيه المشدودين حتى برزت  
عروقهما ....  
(ومن الأفضل لك لو تصمتين ... إلى أن نخرج  
من هنا..)... فتحت فمها ثم أقفلته حين أشار لها  
ابراهيم بذلك، وهو يستدير متفقدا الوضع.  
عاد وحمل ابراهيم مجددا ليكملوا طريقهم  
إلى نقطة اخرى آمنة كي يريح صديقه، يعد  
الدقائق لوصول الدوريات .  
(كيف علمت بمكاننا يا طارق؟؟).. أجابه

بسرعة كما هي خطواته... (الفتى عصام...  
تأخر لكنه وصل في النهاية الى المركز  
...بعد أن كنت سأفقد عقلي ... فلا أحد فكر  
في الأمر دول ...كلنا اتجهنا الى الجبال.....)  
تفاجأ لثانية قبل أن يعض على نواجده اشتعالا،  
وهي تهتف بسرور حقيقي...  
(عصام بخير؟؟... الحمد لله ... كنت قلقلة  
عليه بشدة ... ارتاح قلبي .....).. أجلس ابراهيم  
على الأرض بروية، يعلم الأخير أي ضغط  
يمارسه على نفسه كي يتحلى بها، كهدوء  
نبرته التي نطق بها يتجاهل الأخرى التي لا  
تكف عن استفزازه... ..  
(ابراهيم ...هل أنت بخير؟؟)... أوما له بتعب،  
وبراء تعود إلى الضغط على كتفه تمنع الدماء  
من التسرب، تنطق بحنق...

رب ... أنت الكريم ... يا رب ... شعرت  
بحركتها ما، فرفعت رأسها لتجد رجلا في عمر  
والدها بجلباب أبيض، وعمت ذهبية، حليق  
الوجه، يتأملها بنظرات جريئة وابتسامت  
متلاعبت. قطبت بانزعاج وهي تستقيم واقفت  
تسأل بريبت..

(هل تبحث عن احد سيدي؟؟) ... اقترب منها  
فانقبض قلبها بشدة، يرد بنبرة كنظراته  
متلاعبت لا تليق بعمره...  
(أنت ... أبحث عنك أنت ووجدتك ... ) .. ازداد  
انزعاجها وهي تنزوي خلف مكتبها، ترد بخجل  
رغم القوة التي اكتشفتها في نفسها، يفرض  
عليه حضوره الأقوى .  
(م... من ... تكون؟ ... وماذا تريد مني؟؟...)  
اتسعت بسمته المتصابية وهو يجيب..

(كف عن نفس السؤال كل دقيقة ...  
سيكون بخير) ... كز على أسنانه يهتف بغل  
...  
(أقسم إن لم تباعي لسانك ... سأقطعه حالا  
...يا وجه المصائب.....!!)

مصنع المرابط....

وضعت الماف بعنف تزفر أنفاسها المكتومة.  
ضمت رأسها بين يديها تهمس بحزن...  
(يا ربي سلمها ...يا رب ... لا تحزن عمي عمر أو  
الخالت أمينت يا حنان يا منان... أجزهم عني  
خير الجزاء .... احفظ ابنتهما كما حموني  
ودافعوا عني ... وكانوا السبب في ستري ...يا

(أنا الحاج الحسن أنزاري ... صديق والدك ...  
وخطيبك ... وما أريده ... هو الزواج يا صغيرة  
... فأنا لست بعمر الخطبة وباقي هذه الأمور  
التافهة....) ... شهقت بخفوت تفر شفتيها  
بصدمة تضاعفت حين انطلق صوة حازم يصدح  
بغضب...  
(بل أنت التافه ... وإن لم تختف من أمامي حالا  
... سأنسى كونك في عمر والدي ... وسألقتك  
درسا ... لا أظنك ستتحمله ... ) ... استدار  
بدهشة ما فتئت أن انقلبت إلى غضب يجيبه  
بسخط...  
(من أنت؟؟ ... وكيف تحدثني هكذا؟؟ ... ألا  
تعرف من أنا؟؟) ... التهم المسافرة بينهما في  
ثانية، يهتف بنبرة عنيفة أجفلته وجعلته  
يعود للخلف خطوة...

(أنا ياسين آل طالب ... أظنك تعرف عائلتي آل  
طالب جيدا ... وأجل ... أعرفك يا أنزاري ....  
رجل عديم الحكمة والهداية... متصابي  
مزواج .... شهوة النساء والمال ... أعمت بصيرته  
عن مسؤولياته وواجباته تجاه أولاده الذين ....  
يتوه المرء في عدهم ... ولا يعرفون سوى بسوء  
أخلاقهم ... طبعاً !!... فوالدهم العزيز ...  
مشغول في زيادة أمواله ... وصرقهم على نسائه  
... اللاتي يغيرهن كما يغير جلابيبه ... )..  
تجمد مكانه يحدجه بنظرات قاتلة، ليست  
بأقل من الأخرى التي يبادلها اياه ياسين وهو  
يكمل بتهديد...  
(اتقي ربك ... يا رجل ... واعمل لأخرتك ....  
إن كنت في عمر أبنائك وأتوقع ملك الموت  
في أي لحظة .... فما بالك بمن عدى الستين

....واقترب من السبعين!!) ....) ظلهم الصمت  
وحفصة تراقبه منبهرة، كقلبها الذي تعب في  
سباقه منذ ان سمعت صوته القوي الواثق،  
لتشعر بالأمان وتتأكد أنها تريد ذلك الرجل،  
تريده باستماته ليشفي جروحها، ويغرقها أمانا  
فقدته ويئست من وجوده .

تنبهت على صوت الكريه، يتجاهل ياسين  
مستديرا إليها يقول بتهديد هو الآخر....  
(والدك مدين لي .... لقد ساعدته واعتبرته  
مهرا لك ... سأسجنه إن لم يفي بوعدده ...)  
هم ياسين بالرد، لكنها رفعت كفها توقفه  
ليصمت متأهبا، وهي تجيب بقسوة لم تظن يوما  
أنها ستتحلى بها وضد من؟؟.. ضد والدها!! لكن  
أليس هو مصدرها؟؟!...

عاد إليها فرق قلبه من الخوف الطاغي على  
وجهها، تقول بقلق...  
(يجب أن أتصرف .... سيبيع شقيقتي ... أنا  
متأكدة... يا إلهي ماذا فعلت؟؟)... اقترب منها  
يقول بانفعال...  
(هل أنت نادمة؟؟... هل كنت ستستسلمين  
لأنانية والدك؟؟)... هزت رأسها ودموعها تغرق  
وجهها، تقول بوجع...  
(ليس من أجله ... لكن شقيقتاي ... انا خائفت  
عليهما ...)... ضم شفثيه يقول بجديته...

أنا لا دخل لي بما بينكما ... وأنت حر ... في



بحدة، فرقع ياسين يده يمررها على رأسه بحدة،  
يهتف بجديتة فاجأتها وفي نفس الوقت  
أسعدتها...

(حفصتة....تزوجيني...!!).....

المشفى.....المستعجلات ...

(يا ربي سلم!!... يا ربي سلم!!)... يسابق

خطواته داخلا الى المشفى، وقلبه يلهج

بالدعاء. استقبله عيسى الذي اندفع إليه ما إن

لمحه يقول....

(مرحبا يا حاج ....) (اين ابنتي يا

عيسى؟؟... ماذا حدث لها؟؟)... عاجله الحاج

بقلق، فرد الآخر بهدوء ظاهري...

(لا تقلقي سنجد حلا ... وستحمين اختيك  
ووالدتك من حقارته ...)... رفعت وجهها اليه  
تهتف بياس... ..

(أخشى ان أتأخر.. لقد سمعته ... لا بد أنه

سيتوجه اليه رأسا كي يهدده ... وما في يده

حل سوى أختي ... )... التفتت إلى اغراضها

تجمعها بتيه، تكمل بعصبيتة...

(أنا استأذن منك سيد ياسين ... أعلم أن العمر

عمر غير موجود ... لكنني يجب أن أذهب الى

منزل والدي ... أنت تعلم كل شيء ... أنا ...)

(حفصتة!!)... شلت أطرافها، حين هتف يوقظها

من هذيانها، فنظرت إليه، لينطق بتوتر

يستدرك...

(اهدئي ... من فضلك ... لا تسيئي التصرف

تحت الضغوط ... ) ... بلعت ريقها بتوتر تتنفس

(أنا ... هيثم .. أكون زميلا ل...)... (هو ابن عمي .. يا حاج ... أخبرته أن لا داعي لقدمه ... لكنه سحر رواح ... تنثره أينما حلت ... على خلق الله ...)... انتفضوا جميعا باستثناء الحاج، الجامد مكانه يطل عليها بطوله الفاره، وجسمه الممتلئ قليلا تحت جلباب بني شتوي، عليه سلهام أسود بحواف بنيتة، والعمامة أعلى رأسه بكبرياء كالذي يلف صاحبها .  
(ما الذي تفعلينه يا نجوى؟؟ .. هل جنت؟؟...) همس هيثم بعدم تصديق، فأكملت بتشفي...  
(ماذا .... وهل كذبت؟؟... ألم تكن تتبختر بجمالها وسط الجامعة ... تجذب كل عين إعجاب.... وتجمع الشباب حولها...حتى وقعت بكعبها العالي ...وكسرت رقبتها؟؟!!)...  
اتسعت مقلهم وكان صاعقة وقعت على

(إنها في غرفة الأشعة... يفحصون ظهرها ورجلها ...)... اتسعت مقلتي الحاج هالعا، يقول بصدمته...  
(ظهرها؟؟؟... سلم يا ربي... سلم ...)... (اهدئ عمي .... ستكون بخير... بإذن الله ..) .. هز رأسه مرات عدة ثم سأله مجددا...  
(كيف حدث ذلك؟؟؟... )... تناظر هو منصف، ثم رد بريبتة..  
(انزلت من على الدرج ... ).. جعد جبينه بتفكير، فصمت عيسى يتبادل نظرات قلقتة مع منصف الذي أشار الى جهة ما، التفت اليها، فعبس من هيثم الذي أصر على اللحاق بهم .  
ليأتي السؤال من الحاج نفسه..  
(من أنت؟؟) ... نظر إليه هيثم يقول بارتباك من هيبتة ومما سمعه عنه من قبل...

رؤوسهم ، فكان أول من نطق عيسى الذي هتف  
بسخط...

(اخرسي نجوى !! ... الجميع يعلم عن  
عداوتكما معا ... ولا أعلم حقا ... ماذا تفعلين  
هنا؟! ... تلعبين دور الصديقة القلقة ...)  
حدجته بحقد ، بينما الحاج يتنحج قائلا  
بهدوء أبهرهم جميعا ، إن لم يصدقوه كليا ...  
(أعلم أنكم زملاءها .... وكنتم حاضرين أثناء  
وقوعها ... وقمتم بإسعافها .... شكرا لكم  
جميعكم ... يمكنكم الانصراف ...)  
بدأوا بالتحرك ، وهيثم ينظر الى نجوى  
بخيبة. فقال عيسى بتردد...

(لكن يا حاج ... نحن لم نعلم بنتيجة الفحص  
بعد ... ) ... منحه نظرة مبهمتا ، يسأل بدل الرد  
...

(هل علمت باختفاء شقيقك منذ الامس؟؟ ...  
(... رد بحزن وغم...

(بلى يا حاج ... أخبرني إسماعيل حين كنت  
انتظر سيارة الإسعاف... لا أعلم لما لم  
يخبروني منذ الأمس؟؟) ... رفع الحاج دقنه  
يسأل مجددا بنوع من التهكم ...  
(و ماذا تفعل هنا يا ابن آل عيسى؟ ... مكانك  
حيث عائلتك كي تساندهم في مصابهم ... ) ..  
رفع عيسى أحد حاجبيه يجيب بنبرة ذات معنى

...  
(أنتم كذلك عائلتي ... ولم يكن من  
الرجولت أن اترك ... أحد افراد عائلتي ...  
مصاب وأوليه ظهري .. خصوصا إن كانت فتاة  
... ) ... ظهر شبح ابتسامتا على جانب ثغره ، ثم  
قال بنبرة ظهر فيها التهديد جليا ...

(ولقد شكرتك ... وأنا الآن هنا ... وسأحدث  
شقيقها ... يمكنك الذهاب ... وبلغنا بالأخبار  
...أعاد الله ابراهيم سالما ...).. زفر بخفوت  
يومئ باستسلام وهم بالانصراف، لكنه عاد  
يضيف كآخر محاولة، قبل ان يستأنف طريقه  
...  
(تعلم أن غيرة الفتيات ... مؤذيتة ... يا حاج ... عن  
إذنك ...)

هتف منصف بدهشة، حين وصل إليه وهو يغادر  
...

(ابراهيم مفقود؟؟) ... (تلك الحقيبة... تريد  
تدمير مستقبلها ...). نطق بغل، فأجابه  
منصف بقلق ..

(لكنك اخبرته الحقيقة ... فكر بشقيقك  
....). ركب سيارته الرياضية يرد بغضب،

وصديقه ينضم اليه....

(أنت لا تعرف الآباء هنا ... إن شكوا بأي  
شيء... يغلقون على بناتهم ويريحون بالهم ...  
والحمقاء روح دمرت مستقبلها الدراسي بغبائها  
...)

تكومت ملامح الحاج عبد الله في غضب،  
وسحب الهاتف يركب رقم ابنه.

.....

\*أمردول\*

(اصمتا أنتما الاثنان ... فأنا اقسم إن خرجنا من  
هنا سالمين ... سأزوجكما أول أمر أفعله ...).  
جحظت مقلهما بصدمته، يهتفان معا....  
(تزوجنا؟؟؟.....!!!)  
زفر أنفاسه بتعب يهز رأسه مؤكدا...

بدوي الرصاص، متيجا لنفسه مزيدا من الوقت  
حتى وصول الدوريات الوشييك. ثم هجم على  
زميله بلجمات متتالية، ليسحب منه سلاحه  
ملقيا به بعيدا. اتسعت مقلتي براء وهي ترى  
الذي وقع بدايته قد قام ويتحين الفرصة  
ليهجم عليه من خلف ظهره، فصاحت دون وعي  
....

(طارق...خلفك!)... تصرف بألية كما  
تدرب وتعلم، متجنباً جسده ثم أمسكه بحدة  
يكيل له ضربات عدة على الوجه، والراس الى  
أن افقده وعيه هو الآخر، بينما ابراهيم يبتسم  
بلهاث يقول...

(أنظري الى نفسك ... ستموتين إن تعرض للأذى  
... )... لمعت مقلتيها، تجيب بحزن...  
(انه جلف ... بارد ...ينعتني بمختلف الألقاب

(كلاكما لا دواء له إلا لدى الآخر...  
وعلاجكما جمعكما في بيت واحد ... كي  
يرتاح الناس منكما .... يا إلهي شجاركما  
المتواصل أسوء من الرصاص ... (....!!  
مطط طارق شفتيه، يتهرب بمقلتيه، قبل أن  
يلمح حركة ما، فيتأهب هامسا بتحذير...  
(هناك أحد قادم ... أبقيا مكانكم ...)..  
ظلت تضغط على جرح ابراهيم دون أن تغفل عن  
الآخر، تمد عنقها كي تراقب الوضع عن  
كتب. عرض نفسه للخطر كي لا يجدان  
الاثنان من الباحثين عنهم عن ابراهيم المصاب  
أو براء التي شقت قلبه بمنظرها المبعثر  
والإعياء قد نشر شجوبه على سحنت وجهها،  
وأسرع يفاجئها ضاربا الأول بحافرة مسدسه  
على رأسه، فهو يفضل عدم لفت انظار أخرى

(أعلم يا صديقي... أعلم... فقط ادعي لي  
بالرحمة...).. انحنى إليه وحمله، يقول  
بتصميم واثق...

(سأدعو لك بالشفاء يا صديقي... بإذن الله لا  
زال في عمرك بقية... تربي فيها أبناءك...  
وتخدم هذا الجبل...). تبعتها تسأل بحيرة  
وهي تطرق السمع...

(ما ذاك الصوت؟؟)... ارتخت ملامح طارق يسرع  
من خطواته، وهو يجيب...  
(انها دوريات الشرطة).....  
.....  
مصنع المرابط.....

(حفصة... تزوجيني...!!)

علت بسمته حالمة على ثغرها، تنظر إليه

طوال الوقت... (ضحك ابراهيم بتعب  
يمسك على اسفل صدره من الألم، ووجهه  
يزداد بياضا من الشحوب...

(تكونين غيبية إذن يا براء... ماذا تنتظرين من  
ابن جبل؟؟... هدايا وازهار!!... أنت تحلمين  
...). ابتسمت بوهن، والآخر يعود ويهتف بحنق  
وريبته من ضحكهما...

(ما الذي يحدث هنا؟؟)... رفع ابراهيم وجهه  
الشاحب إليه يقول بلهات...

(أبدا... أتخيلك... بباقة أزهار مكان السلاح  
في يدك...). رمى الباسمة بنظرة ساخطة  
مدعية، قبل أن يجيب ابراهيم ساخرا...  
(تعرف أن هذا لن يحدث... حتى إن أتيت لزيارة  
قبرك...). شهقت براء بدهشة تلاها عبوس،  
وابراهيم يضحك مجيبا...

بدهشته مبهجته، فاستبشر خيرا يكمل  
بتصميم....

(تزوجيني .... ولا تقلقي من كل ما يشغل  
بالك ... سنحله معا .. فقط لا تستسلمي ... ولا  
تظني أن كل الرجال سواء...)  
تنحنحت تخلي حنجرتها، ترد بارتباك بلغ مداه  
حتى ارتعشت أطرافها...

(لما أنا بالذات؟؟... أنت لم يسبق لك  
الزواج؟... فلما تربط نفسك بفتاة مطلقة ...  
خلفها كومتة مشاكل ... ووالد لا يستحق نسب  
عائلتك؟؟)... تهدجت نبرة صوتها مع آخر  
حديثها، فسارع يجيب...  
(لأنني أحبك حفصة ...)... زاد ارتعاشها تفر  
بمقلتها منه وقد اتسعت صدمته، لم تظنه  
سيجيبها بشكل مباشر...

(أنا لست بغرِّيا حفصة ... وأعلم معدن الإنسان  
الصالح من الخبيث.... كما تعلمت كيف  
أفصل ... الحب الحقيقي عن الانبهار بما هو لامع  
تحت أشعة الشمس ... ما إن تغيب عنه حتى  
يتضح الصدا فيه...)... حملت حقيبتها تهر  
بالهروب منه، فأوقفها بإشارة من يده كي لا  
يخيفها، لتقول بخفوت..

(من فضلك .... يجب أن ألحق بشقيقتي ...  
)... (سأتي معك ....).. رفعت أنظارها الراضية  
إليه تفسر...

(لا ... أرجوك ... بماذا سأفسر وجودك؟؟... قد  
يكون ذلك الرجل أخبر والدي عنك ...  
سيستغلان الأمر .... ويخوضان في شرفي ... لا ...  
)... ضم شفثيه أسفا على والد بدل أن يستر  
ابنته يعريها، ثم قال.....

(فقط أريحي بالي يا حفصة ... كلمة واحدة  
...). ... نطق بنفس توسلها، فأومات محمرة قبل أن  
تنطلق مسرعة، وهو يبتسم سرورا .

جمع أغراضه ينوي اللحاق بها، ومراقبتها من  
بعيد كما هو معتاد، لكن مكالمته هاتفيته  
من والده جعلته يغير طريقه الى المشفى.

.....  
على باب المشفى....

اجتمع أفراد عائلة آل عيسى بالسيد عمر  
وزوجته، على باب المشفى ينتظرون سيارة  
الإسعاف بعد أن بلغهم طارق بالمستجدات .  
سلمت السيدة أمينة على نساء آل عيسى تبكي  
خوفا لم يسبق لها ان عاشته حتى في غربته

ابنتها من أجل الدراسة والعمل، فتحدثت شمة  
التي تضم تغريد في حضنها لا تتركها أبدا،  
بل وتبكي معها على أكبر ابناءها، فهي لا  
تفرق بين اولاد آل عيسى وأولادها.... .

(لا تبكي يا ابنتي .... لقد اخبرونا أنهما بخير

... كان الله في عونك ... إن كان ابراهيم

رجل... وقد كدنا نفقد عقولنا قلنا عليه ...

فكيف بشابته صغيرة ... لكن الحمد الله ...

اسماعيل قال كلاهما بخير ...).

أومات تبتسم بحزن للفتاة تحت ذراعها، تربت

على أعلى رأسها، فقالت الأخيرة...

(هل تلك المذيعة ابنتك؟؟؟) ... هزت رأسها

تذرف الدموع من جديد وهي تقول...

(بلى ... انها ابنتي وروحي ... أسأل الله أن

يعيدها لي .... لا أريد شيئا بعدها ... إنها



وحيدتي ... ابنتي قلبي) ... شدت تغريد على  
التشبث بشمت التي شعرت بها، فضمتها إليها هي  
الآخري، تتأمل دموعها التي امتزجت بالحسرة  
والغيرة .

مال منصف على عيسى يهمس وهو يراقب الوضع  
المحزن، فكلاهما لم يكدا يصلا إلى البيت  
حتى تفاجئا بهم يسرعون إلى سياراتهم باتجاه  
المشفى .

(أئن تخبر زوجة أخيك ... عن أختها؟؟) ...

التفت إليه يرد بامتعاض...

(وهل وضعها يسمح؟؟ ... ألا يكفيها همها؟؟)

(... هز كتفيه يقول بتلقائية وهو يرمق

تغريد التي طعنت قلبه بالحزن.

(مظهرها يوحي بالهدوء .... أظن إيمانها قوي

...ومتفائلة ... على عكس اختك الصغيرة ...

وكأنها تموت رعبا ... ) ... ارتفعت زاوية شفته

تهكما يرد...

(منتبه... أنت لتغريد وحالتها ... ) ... أجابه

بنفس تهكمه...

(أنظر إليها وعارضني ... ) .. استدار إلى أخته،

فوقع قلبه بين رجليه.

تستند إلى الخالة شمت رجليها لا تتحلمان

وزنها، لا بد أنها لم تأكل شيئا فكر عيسى،

وهو يقترب منها، وما إن لمحته حتى ارتمت بين

ذراعيه تهتف بأسى...

(أرأيت ماذا حدث أخي؟؟ ... إنه ابراهيم ... انه

(... ) ... استسلم لقلبه وطوقها بحنو، يرمي

إسماعيل بنظرة تائهة متوسلة، فأوما له بثقة،

ليقول للآخري بين ذراعيه...

(ششش.... تغريد ... اهدئي ... ابراهيم بخير ...



(هل تتسليان على حساب ابنتي؟؟... ابتعدا انتما  
الاثنان ...)... علت البسمات وجوههم، دون ان  
يجدوا في أنفسهم رغبة في الضحك، ليحل  
عليهم الصمت حين أهلت نحوهم سيارة  
الإسعاف، يسبقها صوت زمجرتها.

قلبا يهفو الى الانقراض عليه وضمه داخل  
حضانها، وإخفائه عن العالم. لا تصدق كل  
تلك المشاعر التي تكتشفها كل يوم يمر  
عليها في كنف زوجها، لكن الحياء منعها من  
ضمه دون ان يستطيع منعها عن الركض إليه ما  
إن فُتح بابي السيارة الكبيرة...

(ابراهيم!! ... )... كان كل ما تمكنت من  
نطقه وبخفوت، لكنه قد اوصل كل ما شعرت  
به في الساعات الماضية عليها كالجحيم في

لا تكوني ضعيفة... فأفراد آل عيسى جميعهم  
أقوياء... وأنت... الفتاة الوحيدة لآل عيسى  
ويجب ان تبرهني على قوة إناثهم ... (... )...  
رفعت رأسها تمسح دموعها، دون ان تستطيع  
تمالك شهقاتها، فأضاف كي يزيل بعضا من  
الهم على وجهها، فهو قد فهم أخيرا، أن أكبر  
عقد هذه الفتاة هو الفقد. تخشى فقدان  
عائلتها مصدر أمانها بعدما وجدتها أخيرا .  
(أم أنك تريدان أن تصبحي ناعمة ...  
كمنصف؟؟)... تقوس حاجبيها لبرهتها، قبل  
ان يظهر شبح بسمتها على جانب ثغرها، ليتدخل  
منصف يكمل على طرفة صديقه...  
(هو محق ... فممن سأتعلم الترحل بعد  
هذا؟؟)... أشار الى ارتعادها في وقفها، فسحبت  
الخالته شمته تهتف فيهما بسخط مزعوم...

بعده، ترمقه بنظرات فيها من الشوق والرعب  
والحب ما جعله يبتسم بتفهيم ويمد لها يده  
بتعب، امسكتها دون الاكتراث لمن حولها، بل  
لم تشعر بأحد حولها سواه هو، كل شيئ  
اختفى، تنصت لكلماته الخافتة بوهن،  
فتسمعها بقلبها قبل اذنيها...  
(الحمد لله ... الذي لا يحمد على مكروه  
سواه... الحمد لله ...). هزت رأسها موافقة،  
والدموع تتوالى على وجنتيها. سارت مع الناقلات،  
تمسك بيده بتشبث دمعت له مقل باقي أفراد  
عائلته الذين التزموا الصمت، وكأن رؤيته في  
تلك الحالة، نزل بالصاعقة على رؤوسهم  
وأجمت أسنتهم .  
توقفت رجليها على باب الطوارئ، دون ان تجرؤ  
على ترك يده، ترمقه بتوسل تقطعت له

جنبات قلبه، فهمس بثقتة...  
(ادعي الله حق ... لم أقابل في حياتي من  
يحسن به الظن مثلك ... فابقي على  
ايمانك.... اقتربي ...). مالت نحوه فأكمل  
بهمس...  
(أحبك ... لا تنسي هذا ...). ابتسمت، وهزت  
رأسها تجيب بصدق، قبل ان تبتعد عنه....  
(وأنا احبك .... بقدر لم أتخيل أنني أعرفه من  
قبل ... وبُعدك أمر مؤلم حبيبي ... فلا تطل  
الغيبة ...). اتسعت بسمته وعينيه عليها لا  
تحيد، إلى أن اختفت خلف أبواب غرفة  
العمليات .  
عادت إليهم ساهمة، وجلست بصمت تبدأ سيل  
الذكر مجددا، والجميع في محراب الصمت  
يعتكفون رهبة واحتراما لعلاقة رغم

حداثتها، حضرت في قلوبهم أثرا عميقا، أنارت  
شموسا كانت قد غابت عن مدارهم لسنوات.  
اندفعت تركض نحو والديها، فضمتها ووالدتها  
بلاهفة كما طوقهما والدها كلاتهما براحة  
منحها لقلبه أخيرا....

(الحمد لله ... ألف حمد لك وشكرا ربي  
... ) نطق والديها بهمس، فقالت بعد برهة  
وهي تنسل بخفة من بين حضنيهما..  
(يجب أن أرى الطبيب ... كتفي يؤلمني ...أظنه  
انزع من مكانه....) ... شهقت والدتها بينما  
والدها يعبس، وبحزم يقول...  
(براء ... لنا جلست طويلا وجدية ... يبدو أنني  
أخطأت في طريقة تعليمك ...ولن أقول  
تربيتك ... لأنك أخطأت فهم بعض من

الحريات التي منحتها لك ...). بلعت ريقها  
فوالدها إنسان قليل الغضب، وحتى في نوبات  
غضبه النادرة يتأني في موقفه الذي يصدر منه  
في النهاية حكيمًا. لتجفل على ربتة والدتها  
تحثها على الدخول بحنو تقول ...  
(ليفحصك الطبيب ونطمئن ... ثم لكل حادث  
حديث ... ) ... استسلمت لها، وعقلها قد تركها  
وطار خلف الذي تركته في ذلك المكان  
يغيرون عليه، ويقبضون على من فيه .

.....  
منزل ....أهل حفصة....

فتحت لها شقيقتها الصغرى ذات الأربع عشر  
سنة الباب، فضمتها بحنو تقول بقلق...

(سلمت ... كيف حالك حبيبتي؟؟... أين أمي و  
خديجتي؟؟... )... تبعتها داخلتان، وهي تجيب  
بانزعاج...  
(في العمل... لدى سيدة تريد تنظيف بيتها ...  
لا تتعبني نفسك ... لن تعودا قبل نهاية اليوم  
.... )... زفرت حفصة تقول بحنق...  
(هل تعرفينها أين تسكن؟؟)... أومأت لها  
تخبرها عن مكان السيدة، ليسمعا باب المنزل  
يفتح بحدّة كما أفضّل. اهتز بدن الاثنتين  
خوفاً، إلا ان حفصة تجلّدت بالقوة تدعو الله  
في سرها، وتعيد شقيقتها خلفها منتظرة  
للزوبعة التي لم تتأخر، إذ ما إن لمحها حتى  
زمجر بغضب يصيح...  
(أيتها الجاحدة ... ترفضين النعمة ...  
وترفسينها برجليك ... دون اعتبار لي ... أنا

والدك ... ..)

ردت حفصة بتهكم، تخص به جزء انه  
والدها.. (وما هي تلك النعمة؟؟.... بيبي  
لرجل في سنك يا.... والدي...!!)... اقترب  
منها يستأنف صياحه، فتكومت على نفسها  
بتوقع لصفعة في أي لحظة....  
(ومن سينظر إليك بعد فضائحك مع عزيز  
الحقير وأهله؟؟)... تجاوزت اهانتها لها تجيب  
باستنكار...

(الآن أصبح حقير!!)... ألم يكن الزوج الذي لا  
أستحقه حتى في أحلامي؟؟.. ألم تقف في صفه  
!؟... بل وتحته على تربيتي بالضرب  
والإهانة؟!... وكل مرة لجأت اليك فيها... أنت  
من يفترض بك حمايتي ... تجلّديني قبله... ثم  
ترميني إليه كي يكمل علي... يا إلهي يا أبي

ارحمني (!....) ... رفع يده كعادته، حين  
يُجَادِلُ بالحق، وتنقطع لديه السبل، فيستعملها  
في القهر والجور، وهوى بها على وجهها بكل  
قوة، حتى صرخت التي خلفها، لكن حفصت  
أبدا لم تخف، بل توقفت أمامه تهتف بخيبة  
وحزن...

(اضرب يا أبي .... اضرب ... لكن لا تنتظر مني  
الطاعة كما العادة .... فلقد تعلمت القسوة  
منك .... وتعلمت القوة بأشد الطرق وعارة  
...). فغر شفثيه يرمقها بلهات، ونظرات  
محدجت، قاسية، وهي تكمل ضاربتا على  
صدرها بمرارة...

(من يذوق حلاوة العيش بكرامته .... من يعاشر  
الكرماء ... ويلتمس الحنان والتفهم لا لطمع  
سوى حبا في الله ... يستحيل عليه العودة الى

طريق الذل والهوان ... حتى لو كان مُعَبِّدًا  
بالذهب والماس .... ولو أزهدت روعي بيديك يا  
أبي ... يا سندي وحمائي ... يا ستري ومصدر  
أمانتي .... لن أتزوج ذلك الرجل ... أو غيره  
...إلا من استحق....) ... أجفل لبرهت، لكنه  
زمر ساخرا بسخط...

(ومن هذا الذي يستحقه جنابك؟؟ أنت لست  
سوى فتاة... لاكتها الألسن .... وشوهت سمعتها  
... لا احد سيكثر بك ... وحتى ان حدث لن  
يكون إلا ... طمعا فيما يدره عليك عمالك  
...). بللت شفثيها ترمقه للحظة امتدت  
بينهما، هو يُظهر فيها سخريته المهينته، بينما  
داخله يغلي خوفا من قوتها المستجدة عليها،  
ورعبا مما ينتظره إن لم يزوج صديقه ذاك  
احدى ابنتيه. وهي تفكر أن لا أمل في حياة

(ستندمين يا غبيته ... لن يسأل عنك أحد  
...وستعودين ... لكن حينها ... أنا سأعيد  
تربيتك من جديد !!(...)) ... ارتد رأسه الى  
الخلف، من صوت ضربها لباب بيتهم بحدة  
وعنف خافها، فعاد يهمس بقلق وامتعاض...  
(ليس أمامي ...سوى خديجته ... سحقا!! ... لما  
الأمر كلها ضدي؟؟...)

المشفي ... القسم النفسي...

التفتت الى الباب حين سمعت دقتين قبل  
انفتاحه، فابتسمت بسرور حقيقي، يشع احتراماً  
وتفاؤلاً. خطت إليه تاركته النافذة التي كانت  
تطل منها إلى الحديقتة، تقول ببهجة...

تنتظرها من جثة غادرتها الروح ولن تعود.  
رفعت رأسها مستسلمة بيأس في تغييره، ونطقت  
مقلتها بكل خيبة العالم قبل لسانها تقول...  
(كنت لأجيبك ... أنني أستحق رجلاً.. حنوناً  
... كريماً ... متفهماً ... حامياً ... يعرفني جيداً  
... ويحبني لشخصي ... بما أنا عليه ... لكوني  
إنسانة... خلقها الله كريماً عزيزة... لها  
حقوق ... وأول حقوقها ... الاحترام ... لكنني  
سأخبرك برد آخر عماك تفهمه ... ردّ معاكس  
لكل ما تتمناه أي ابنة رزقت بأب  
حقيقي.....) ... أمسكت يد شقيقتها بحزم،  
تستطرد قبل أن تغادر....  
(أريد زوجاً ..... لا يشبه أبي في شيء...)  
انطلقت تجر شقيقتها خلفها، فصاح بغضب  
وتوعد...

(كنت أريد لجلستنا أن تطول... لكن جدولي  
مزدحم اليوم... فارتأيت المرور عليك والقاء  
التحية... فهناك أمور مهمة تخصك... يجب  
توضيحها... )... أخبرته بتلقائيتها...  
(أعلم... السيد ابراهيم آل عيسى خطف...  
وبالطبع شقيقه... لن يستطيع العمل.. ولا  
زوجته... هذا ما يحدث لمن يعمل بصدق في  
هذا العالم... يتعرض لمضايقات... )... رد  
بسخرية...

(يبدو أن هذا المشفى مليء بالثرثارين...)  
ابتسمت تجيب بنفس تهكمه...  
(أكثر مما تظن... والدليل أن السيد ابراهيم  
قد عاد... وهو في قسم المستعجلات الآن...)  
استقام واقفا يهز راسه بيأس ساخط...  
(لقد غرقت في العمل... ولم تصلني الثرثرة

(حمدا لله على سلامتكم بروفيسور....)  
ابتسم بحنو يرد...  
(سلامك الله من كل شر... كيف حالك يا  
مريم؟)... اتسعت بسمتها تجيب وهي تجذب  
أطراف قبعتها كي تغطي رأسها اكثر...  
(الحمد لله... أشعر بالأمل... بالتفاؤل... وهذا  
يكفيني)... أشار لها إلى السرير، فجلست عليه  
وجلس امامها على الكرسي، وهي تستطرد  
بتذمر خفيف...

(أريد حجابي... هذه القبعة تثير جنوني...  
وأنا لا ينقصني جنون...).. قوس حاجبيه  
بشكل مسرحي، يدعي المرح...  
(اخبرتك قبلا... طريفة... لكن لا... ليس  
الآن... ثقي بي... ألم نتفق على ذلك؟؟)...  
أومات بصمت فاستدرك...



قسم المستعجلات....

غرفة رواح....

ربت على رأسها بحنو، لم تستطع رواح الشعور به  
وهي ترمق نظرات أبيها الغامضة، لا تفهم منها  
امرا واحدا واضحا....

(لا تخافي... الطبيب طماننا .. مجرد كسرفي  
الرجل الأخرى ولله الحمد... سيشفى بعد  
عشرون يوما مع الجبس... والراحة... بإذن الله  
... ظهرك ايضا تضرر لكن ليس كثيرا  
... مجرد رضوض...).

أومات له بصمت، وعينيها لا تفارق وجه والدها،  
الذي يرمقها بنفس التركيز الى أن فتح الباب،  
وظهرت زوجته الباكيت، فانتفض من مكانه  
بغضب، لتسرع إليه تمسك كفه تهر بتقبيلها

...هل تصدقين؟؟.. هيا عودي لما كنت

تفعيلينه... ظلي متفائلة... واملئي قلبك

بالأمل... المستقبل بإذن الله يفتح لك أبوابه  
بكل رحابة... منحته نظرة تأثر عميق،  
فأضاف بمكر، قبل أن يخرج...

(الطبيب سألني رؤيتك... لا أعلم لما يتلهف  
لمقابلتك؟؟... وأظنني سأسمح له...)  
الباب، فرفعت كفيها تضم بهما خديها  
المتوهجين، تهمس بسهولة حاله...  
(الطبيب أمين...)

.....

تصميم من ريمي الاعرفاء

قائلة بتوسل...

(أستحلفك بالله يا حاج ... لا تغضب مني  
... لأنني أتيت من غير اذنك ... لم أستطع  
الصبر ... إنها ابنتي ... الله ... الله ... يا حاج  
... زفر الحاج بنفاذ صبر، يسحب كفه  
بسخط، فتدخل ياسين مشفقا...  
(تعالى يا خالته... أبى لن يغضب منك .. رواح  
بخير الحمد لله ... ) ... استدارت بسرعة ولهفت،  
وانقضت على ابنتها تضمها بقوة، تقول بنبرة  
باكية...  
(ابنتى ... لا أرانى الله فيك سوءا ... ما بها يا  
ياسين ؟) .. هم بالرد فقطاعه الحاج بنبرة ذات  
معنى...

(كسرت رجلها يا ميمونته ... وكان ظهرها  
سينكسر .. لولا رحمة الله بها وبنا .. ويا من

يتعظ (!....) ... عبتت تضم شفيتها، وضمت

ابنتها بصمت امتد حتى قال ياسين...  
(أبى ... تريد مرافقتى ... كي نطمئن على  
ابراهيم ... قبل أن اوصلكم للبيت؟؟) .. انتظر  
الرد، داعيا ربه ان يوافق، فهو جدا قلق على  
التي تركها ولا يعلم كيف حالها؟؟. رفع والده  
رأسه يسوي هندامه بروية وتمهل، ثم قال بحزم  
قبل ان يتقدمه خارجا...

(الحمد لله على فضله .... ابقى مع ابنتك  
حتى نعود .... واخبريها أن تنسى الجامعة...  
والدراسة ... وجهزيها للزواج ... فأول رجل  
مناسب ... أثق به يتقدم لها ... سأوافق عليه ...  
هيا يا ياسين ... ) ... جحظت مقلهم صدمة، فقال  
ياسين مستفسرا...

(ماذا فعلت يا رواح ؟؟) ... وكانت مفاجأة



بها مقلتيها وتدحرجت على وجنتيها بحزن  
غائر .

.....

الرواق ... أمام غرفة الإنعاش....

تركت النساء قرب النافذة الزجاجية، التي  
تطل على غرفة الإنعاش حيث يرقد ابراهيم  
بعد نجاح عملية استخراج الرصاصة، إلا أن  
فقدانه لدماء كثيرة استنزفت من قوة وطاقة  
جسده، لذا حجزوه في الإنعاش لليلة واحدة،  
قبل ان يخرجوه الى غرفة عادية، وسمحوا  
لعائلته رؤيته من خلال النافذة الزجاجية،  
فاقتربت من زوجها تهمس له...

...

(يجب ان ثقل تفريد والخالة شمة الى البيت ....

الأخرى أن دمعت مقلتيها بندم، أساء تفسيره،  
فاستطرد بحزم وهو يسمع نداء والده الملح ...  
(ياسين!)... (سنتحدث في البيت ....) ... ما إن  
غابا عن ناظريها، حتى هتفت تسأل ابنتها بهلع

...

(ماذا فعلت؟؟ ... لما منع عنك الدراسة؟؟) ...  
عبست بغضب، والفتت توليها ظهرها قائلة  
بقنوط...

(أنا متوجعة ... ولا أريد التحدث ....) ...  
مصممت ميمونة شفتيها بامتعاض، ثم قالت  
تتجاهلها...

(اخبريني فقط ..ماذا قال الطبيب؟؟ ... هل  
تضررت قدمك مجددا.... وعادت إعاقتها؟؟)..  
زفرت رواح بألم نضح من أعماقها، وقبضت على  
مكان قلبها، تسدل جفنيها على دموع فاضت

القسم النفسي.....

ادعى التجاهل وهو يتفقد الملفات، فقطبت

تعيد حديثها...

(بروفيسور ... هل تسمعي؟؟).... ضم شفتيه

يُصفر لحننا كيفما اتفق، فقامت ووضعت

كفيها على سطح المكتب تقول بنفاذ صبر

فلا ينقصها بعد كل ما مرت به في يومها ذاك

وحتى الذي قبله...

(لماذا تتجاهلني؟؟... ولماذا لم تتصل لمرّة

واحدة...تطمئن فيها على شقيق اسماعيل؟؟ او

حتى تأتي لتفقدنا...فالقسم غير بعيد .....

رفع وجهه يبتسم بقساوة ويقول... ..

(حزنت بسبب تجاهلي لك؟... أليس

كذلك؟؟...))... جعلت جبينها اكثر تنظر

كنت لأطلب من عيسى... لكنه لن يستطيع

تهدئتها امي... لا بد أنها استشعرت خطبا ما ...

رغم حجج ابنة الخالّة شمتة ... يجب ان تذهب

أنت ... سأطل على القسم النفسي ..واطمئن على

البروفيسور ثم أرجع... لأبقى مع حق ..واقنعها

بأكل شيء ... حتى تعود أنت بإذن الله ...)

هز رأسه بتفهيم، يرد ممتنا...

(حسنا .. انت محقّة ... جميعنا متعبون ...

أتمنى ان ينتهي اليوم على خير...))... أمنت على

قوله، ثم أخبرا العائلة بالترتيبات، ليطلب

جده من حفيده أن يحجز غرفة اضافية ويدفع

ثمنها، كي يستريحوا فيها بالتناوب، فلا احد

منهم سيغادر حتى يطمئنوا على ابراهيم

ويستيقظ .

.....



إليه بحيرة، وهو يكمل بسخرية..  
(لقد اتصلت بالحاج ابراهيم ... أما انت وزوجك  
الأبله ... فلا علاقة لي بكما بعد اليوم ... إلا  
العمل طبعاً ... ) تنفست بتعب، وجلست على  
الكرسي، تقول بقلق...  
(لما كل هذا؟؟... هل عدنا لنفس  
الموضوع؟؟) ... وضع آخر ملف ببعض من العنف،  
يجيب بجديته...  
(لم نعد يا طائعتة ... بل نحن لازلنا فيه ... لم  
ينتهي من الأساس.. ظننت ذلك .. لكن لا ...  
ودعيني اخبرك ... لقد خيبت ظني فيك ...  
وكذلك فعل زوجك ... ) فتحت فمها،  
واغلاقته ريبته، فأكمل.....  
(حين اكتشفت أمر أختك... تفهمت  
تكتّمك على أنه عدم ارتياح لطبيب معين ...

وبلعت الغصّة رغم صعوبتها ... فلا أشد على  
طبيب من أن يفضّل في معالجة مريض ... )  
تلكاً قليلاً ثم أضاف بانفعال....  
(لكن ... أن اكتشف ... بأنك تزوجت حبيب  
أختك ... بأمر من والدك ... الذي فرض عليها  
شقيقه الأكبر... ذاك الذي يرقد في  
الإنعاش... من أجل مصالحة الشخصية .... فهذا  
يعني شيئاً واحداً فقط ..... ) ... كتمت شهقة  
صدمتها من فداحة التعبير، فهي بالفعل تزوجت  
حبيب أختها، حتى إن كانت جاهلة بالموضوع  
لكن عائلتها وعائلة زوجها يعلمون .  
(أنك خجلت من إخباري ... لماذا أنت خجلت يا  
طائعتة؟؟... ) ... تلجلجت في مكانها تجهل أي  
جواب تتخذ منه مهرباً، فقام من مكانه يقول  
بتحدّ قبل أن ينصرف ويتركها لحيرتها التي

انتهت ببكاء مرير .

(أجل .... فكري جيدا ... لأنني لن أقبل أي  
تواصل آخر معك... او مع زوجك ...دون أجوبة  
صادقة....(....)

.....

في أحد الشوارع.....

لوحث لهما ما إن ظهرتا على باب ذلك المنزل  
الفخم، فأسرعتا إليهما لتتلف والدتها بقلق،  
وهي تمسك على ثوب جلبابها الرث، تبث في  
كفيها الدفئ والراحة من أثر العمل الشاق .  
ح.... حفصة ...ماذا حدث؟؟.. لما أنت  
هنا؟؟)... ضمتها حفصة تحاول تمالك رجفتها،  
وشقيقتها الصغرى جوارها شاحبة من أثر

الخوف، تقول بحزم...

(هيا امي ... لا يجب ان تعودى الى البيت ...  
سنذهب الى العمر عمر... ثم نرى ماذا  
سنفعل؟؟)... اوقفت حديثها الأقرب الى الهدر،  
تجيب بريبة...

(ماذا حدث يا حفصة؟؟.... أخبريني؟)...  
صمتت تلهث، فنطقت الصغيرة ببكاء...  
(أبي ضربها ... لأنها رفضت ذلك الرجل ...  
بالتأكيد الآن سيزوجه خديجة ...)... شهقت  
خديجة الجامدة مكانها بصدمته، فتدخلت  
حفصة تقول بتوعد...

(أقسم لن يحصل ذلك.... حتى لو كان على  
جثتي..).. شدت والدتها على كتفيها خوفا،  
تقول بلهفة...

(حفظك الله من كل سوء بنيتي ... لا تقولي



ذلك...)(... سحبتها تهتف بتوسل...

(أرجوك أمي ... رافقيني ... سنجد حلا ... لقد كنت انوي البحث عن منزل صغير لنا ... دخلي يكفي لسد رمقنا ... لن نجوع وربي رحيم ...)(... أوقفتها مرة أخرى، تفكر للحظة قبل ان تقول بتصميم....

(خذي شقيقتيك ... وأنا سأعود للبيت ...)(... اتسعت مقلهن استنكارا، فسارعت تقنعهن... (يجب أن أعود ... فأنا زوجته ... وكى أعلم بتحركاته ... السيد عمر وزوجته ... أناس جيدين ... أطلبى منه المساعدة... واعتني بشقيقتيك ... لا تعدن الى البيت... حتى نرى ماذا سيفعل؟... عسى الله يقدر سجنه ... ونرتاح ... هيا ... المساء حل ... ولا يجوز تأخركن... اعتنين ببعضكن ... هيا!!)... انطلقت دموعهن

دون استثناء، لتميل عليهن تقبل كل واحدة

منهم على حدة، وتهمس لمرات عدة...

(سامحنني... اغفرن لي ...)(... ثم خطت بقلتها

حيلتها مبتعدة تندمج مع ظلال الظلام، بجلبابها

الأسود، لا يظهر منها سوى الطرحة الرمادية.

شيعنها بأنظارهن المشفقة والخائفة، ثم

التفتت حفصة تقول قبل ان تضر كلتاها

وتحشهما على المشي...

(سيكون كل شئ بخير... إن شاء الله ... هيا

بنا ...)

المشفى .... القسم النفسي.....

كانت تنتظره بلهفة، يعلم ذلك من جلوسها

المتأهب، ولمعة مقلتيها المهمة. زفر نفسا قبل



أكثر منه تساؤلا ، فسكنت ترمقه بترقب، وهو  
يزفر بتعب قبل ان يسأل بغموض...  
(كيف هي علاقتك مع والدك؟) ... زمت  
شفتيها ثم ردت وهي تعيد كفيها على  
ركبتيها...

(كانت أقوى فيما مضى ... لكنها توترت بعد  
الأحداث الأخيرة....) ... (مهمم... وكيف هي  
علاقتك بمجيد ابن عمك؟) ... تجعد انفها  
بقرف، ترد بامتعاض...

(لم أره منذ دخوله للسجن ... وحتى قبل ذلك  
... كنت اتهرب منه... فأنا لا أطيقه... ) ... أوأ  
بخفت، ثم سأل بحذر...

(وكيف هي علاقتك بزوج اختك؟؟) ...  
أجفلت وهو يرفع إصبعه يكمل بنبرة ذات معنى

...

ان يتحرك مشيرا لها إلى الباب يقول...  
(ما رأيك لو قصدنا الحديقة؟.... تعبت من جو  
المشفى الخانق اليوم ....) ...أسرعت في  
الوقوف، تتقدمه بخيلاء لا يفارق شخصيتها  
المعتدة بنفسها، يناقض تلك اللهفة والاهتمام  
به هو .... البروفيسور. وضع رجلا على أخرى  
كعادته، ففعلت مثله باستعلاء أضحكه،  
لكنه لم يسمح لضحكته بتجاوز خاطره .  
بدأ حديثه بهدوء يشابه الذي يملئ الحديقة  
أمامهما قائلا...

(لما قررت المعالجة؟؟) ... رتبت طرحتها تمنح  
لنفسها دقيقة، قبل أن تجيب بنفس الهدوء...  
(لأنني أبحث عن إجابات ) .... رفع جانبي فمه  
يقول بمزاح بارد...

(ألسنا جميعنا نبحث عنها!!) ... كان تقريرا



... لا شيء... فلا تخشيني... أجبيني بصدق... ما  
ينطق به قلبك في هذه اللحظة... ( ... سأكت  
حنجرتها، باحثه عن صوتها الذي يبدو قد فر  
منها، وهو ينتظرها بصبر الى ان قررت النطق  
أخيرا، فخرج صوتها متقهقرا خجلا خافت...  
( لا .... حمممم... لا أعرف ... )... مال بجذعه  
تجاهها، يقول بصراحتة رزينتة...  
(بل تعرفين يا صباح ... الله مُطلع على  
دواخلك... هذا يعني أن اعترافك بالأمر... لن  
يفضحه... فانا طبيبك ...ومن حقي أن أعرف...  
( ... بلعت ريقها وقد ظهر الرعب جليا على  
ملامحها ترد بتوتر...  
(ل... ليست... ج... يدة)... عاد يسترخي على  
مسند كرسية، يبتسم بفخر قائلا..  
(أحييك على صراحتك... وشجاعتك...)

(قبل أن يصبح زوج أختك ....) ... بللت شفثتها،  
تجيب بحزن لاح في مقلتها فقط....  
لم يكن يطيقني... بل وطردني من بيت  
أهله... مرتين... ( ... رفع احد حاجبيه بدهشة  
حقيقية يطلب تأكيدا...  
(معقول؟؟... طيب النفوس المهدب... طردك  
(؟؟) ... هزت رأسها مؤكدة، تعبس في وجهه،  
فرفع كفيه يسأل بجديتة...  
(وكيف هي علاقتك مع الله؟؟) ... تجمدت  
مكانها تنظر إليه ببلاهة، فرفع كفه يسند  
بها جانب فكيه، واضعا مرفقها على طرف  
كرسيه. يستطرد باسمها بخفتة...  
(هل هو سؤال صعب؟؟... أريد اجابته صادقتة  
... فانا لست بجلاذك .... ولا رازقك... ولا  
املك من أمرك شيئا ... لا حياتك ولا موتك

لا أقصد بذلك ... الجزء .... والعقاب ... ذلك  
ليس موضوعي.... بل أقصد راحتها وشقاءها هنا  
في الدنيا (...). أومات بتفهم، فاستطرد مضرا

...

(ثم منح صاحبها الحرية .... حرية العيش ...  
حرية التصرف ... حرية القرارات .... وخلق فيه  
صفات تناسب حريته التي منحها إياه ...  
كالكبرياء ... الكرامة... العزة...). تلكاً  
قليلاً، ثم نطق بسهولة أكثر منه حواراً موجه  
لها، فانتبهت إليه أكثر...

(بل وأمر الملائكة ... والشيطان الذي كاد  
حينها أن يصل مرتبة الملائكة في تعبد له  
... أمرهم بالسجود له ... فما بعد هذه الكرامة  
والعزة التي خص بها الله الإنسان دوناً عن باقي  
مخلوقاته؟! (...). رفع رأسه إليها، يخصها

نظرت إليه بتشكك وهي تفرك كفيها  
ببعض، فقال....

(هل تعلمين ... ماذا يعني ...مرض نفسي يا  
صباح؟؟) ... أومات بإيجاب تقول بخفوت خجل،  
وكان رهبة ذكر الخالق، قد منت على نفسها  
ببعض من الحكمة والتعقل...

(خلل يلم بالنفس فينتج عنه.. تغيراً في  
تصرفات صاحبه ....). ... هز رأسه بإعجاب،  
يستلم منها دفء الحديث...

(بلى ... أحسنت... النفس يا صباح ...خلقها الله  
على الفطرة ... وعلمها أين تكمن راحتها  
...واين يكمن شقاءها... والدليل في سورة  
الشمس ... \*\*فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا\* (...).  
راقبته بتركيز، فأشار بكفه ينفي حديثه  
القادم...

بحديثه ذاك...

(ولأن الشيطان خلق مثله مثل الإنسان... للعبادة .. مفتون ومخير... غار من الإنسان... وظهر تكبره وتمرده ... يتحدى الله.... أن كيف يفضل عليه انسانا ضعيفا خلق من طين ... هو الخارق الذي خلق من نار... )... ضحك بعدها ساخرا يكمل....

(الغبي ... تكبر وأضاع عمره... في اثبات أن الناس كما قال هو... ناكرين للجميل ... وسيتكبرون على خالقهم ... يعني بكل بساطة يريد ان يثبت أن الإنسان مثله ... متكبر... جاحد... أحمق... يجهل مصاحته... ولمن؟؟... ل لله العالم بكل شيء... غبي!...)... سكن للحظة ثم سألها بغموض

...

(أنتِ طبعا تتساءلين... لما اخبرك بقصتي... الجميع يعلم بها ويجهل بها في نفس الوقت.... أو لنقل يتجاهلونها... )... لم تجبه، فقط تنظر إليه مراقبتة كيف يتحدث بثقتة كأنه مالك الكون، ويقف أعلاه ساخرا من فوضاه .

(انا لازلت أشرح المرض النفسي .... لأن كل أمر كشفنا عن جذوره ... سيطرنا عليه بالكامل... المهم .... الشيطان... في رحلته الأزلية في جمع الدلائل والإثباتات .... كرس جميع حياته لدراسة الانسان من كل نواحيه...ركز على هدفه وجعله نصب عينيه... فأول شيء فعله ... توّاه عن هدف خلقه .... فالإنسان خلق للعبادة بكل تأكيد .. لكنه لم يُخلق للدنيا (... )... قلبت شفتها بتشكك... فأكمل

مؤكداتها...

(أنا اعني ذلك ... فلو كان الله خلق الإنسان  
للدنيا ... لكان أنزل أبونا آدم عليه السلام  
للعيش على أرضها... بعد خلقه مباشرة ....  
لكنه سبحانه .. أسكنه وزوجته في الجنة ...  
بل وحذره من عدوه ... )... هز كتفيه يضيف  
باستسلام...

(لكنها أحداث قُدرت ... أن ينزل الإنسان على  
الأرض بعد معصيته... كي يخلف الله عليها  
...ولمدة يحددها خالقه.. يعيش فيها عيشة  
كريمته... تحت كنفه ... ثم يعود الى بيته  
الأصلي... وهي الجنة... لكن العدو الذي نفاه  
الله الى النار بعد تمرده ....في المرصاد لا  
يكل ولا يمل... بعد أن أنسى الإنسان غايته  
خالقه ... عزز في نفسه حب التشبث بالدنيا  
...التي في الأصل ليست له ... وبدأ بوساويسه

... احذر سيصيبك الفقر!! .. احذر ستمرض  
!!... احذر أخوك سيقضي عليك !!... المال  
قليل !!...والدعوات لا تجاب!! ... فمن انت كي  
يستجيب لك الله!! ... أنت لست أهلا لذلك  
!!... بناتك لن يتزوجن!! .. ليس هناك رجال  
للزواج !! أولادك لن يجدوا عملا !!... يخوفهم  
بقلة الرزق في كل شيء...وكل أمر  
...والإنسان في طبعه الخوف مثل الشجاعة...  
(... بلل شفتيه وهز راسه بحسرة، يكمل...  
(فبدأ قتال البشر على كل شيء ... قد ضمنه  
خالقهم لهم في الأصل ... )... نظر إليها  
فوجدها متيقظة تتابع كلماته، ليسأل دون ان  
ينتظر جواب...

(أعلمين أين تكمن السخرية في الأمر؟؟)...  
رفعت وجهها بخفة تنتظر، فاستطرد...

بعد أن جعلهم يبتعدون عن الله .... انتقل إلى  
المرحلة التالية... وهو التخويف بالبعد عن  
خالقهم ... ).. قطبت بحيرة، فأشار بسبابته  
يشرح...

(إياك والانصات لدرس الدين... لأنهم  
سينعتونك بالعاصي!! ... وجزاءك جهنم  
!!... ابتعد!!... لا تقرأ الدرس الشرعي  
والاحاديث!!... سيثبتون أنك هالك لا محالة  
!!... لا امل لك... في الجنة!!... فستان بينك  
وبين من سيفوزون بها !!... يخدعه دائما  
بالتخويف .... في حين أن الله... خلق الإنسان  
خطاء ... وأخبره انه سيخطئ ... دائما الى أن  
يموت... وان الانسان لو كان معصوم ... لكان  
الله ذهب به ... وأتى بقوم يخطئون ويستغفرون..  
كي يغفر لهم .... وأكد لهم ... ان باب التوبة

مفتوح في وجه أي مذنّب الى أن تشرق الشمس  
من مغربها .... أي إلى قيام الساعة ... )....

حك خلف رأسه، يكمل بجديته....  
(ما يهمني في الموضوع .... أن العدو... جعل  
الإنسان يتخذ.. طريقا خارجا عن فطرة نفسه  
السلامة ... وجعله يتمرد عن العبادات التي هي  
في الأصل.. من مصلحته.... بالله عليك  
أخبريني بصدق ... )... أومات مستعدة، فسأل....  
(هل لو جميع من على الأرض... من يوم ان خلق  
الله الانسان .... إلى آخر فرد سيولد قبل  
الساعة .... اجتمعوا على قلب رجل واحد  
... واعتكفوا في المساجد .. ليل نهار ... وصاموا  
جميع أيام الزمن .... وفعلا كل العبادات  
باتقان ... .. هل كان ذلك لينفع الله في شيء

او يزيد من ملكه؟؟..... ولو أضلوا جميعهم  
..... هل كان لينقص من ملك الله شيئا ولو  
يسيرا؟؟)... جعلت دقتها تقول بتلقائيتها...  
(أبدا ... لأنه الله) ... صاح مؤكدا...  
(أليس كذلك!)... إذن ... من باب الحكمة  
أن يستعمل الإنسان عقله بمنطقية.... ليعلم أن  
تلك العبادات... ليست تكليفا من أجل الخالق  
...بل من أجله هو ... من أجل راحته... وصحته  
... لأنه خالقه... وأعلم بتركيبته الجسدية  
والنفسية ... فمن سيعلمه كيف يعيش سوى  
خالقه!؟)... صمت قليلا، ثم استأنف حديثه  
...  
(ومن رحمته بعباده ... أن رافق العقاب بالعبادة  
... وكلما اشتد العقاب الموعود في حالة ترك  
عبادة... كلما علمنا أن تلك العبادة أهم من

غيرها لتركيبتنا الجسدية .... سأستعين  
بمثال واحد ... وهو اشد العبادات أهمية ...  
الصلاة... فهي عماد الدين ... هل تعلمين أهمية  
الصلاة للإنسان؟؟)... أمالت رأسها تنتظر  
بقية حديثه، المتعمق...  
(الصلاة... مجموعة من الحركات ...  
والوضعيات ... تمنح الانسان راحة جسمية  
...في كامل أعضائه... الخارجية والداخلية...  
ألم تسمعي عن شيء اسمه اليوجا والذي  
ترجمته الحرفية...دون التطرق لأصل الاسم  
...هو التأمل ... فكم من أناس يلجؤون لرياضة  
التأمل ... كي يتخلصون من الضغط العصبي  
.....فحركاتها اقرب...لوضعيات الصلاة ... إن  
كانت رياضة التأمل ناقصة .... لا تمنحك  
نفس الراحة النفسية الكاملة ... لماذا؟؟...

لأنها تفتقد لأهم ركيزة في الصلاة .... وهي  
صلة النفس بخالقها ... (.... اقترب قليلا  
بكرسيه، وكأنه وصل الى جزئية مهمة،  
يشرح باهتمام...

(النفس البشرية ... خلقت متعلقة بخالقها ...  
منه تستمد طاقتها ... وتفاؤلها ... وأمانها ...  
لذلك تحتاج الى صلتها به أن لا تنقطع أبدا  
..... يجب ان نتجاوز المفهوم الذي ترسخ داخلنا  
.... أن الصلاة تكليف وواجب .... إنما نقضيها  
فقط لأنها فرضت علينا ..... إلى الفهم  
الحقيقي... أن الصلاة .... راحة لنا ... هنا في  
الدنيا ... قبل ان تكون نجاة لنا من العذاب  
الذي قدره الخالق أصلا من أجلنا... رحمة بنا ..  
... هل فهمتني يا صباح ؟؟ ) ... أومات منبهرة  
بشغفه وهو يكمل بلهفة وصدق...

(النفس تحتاج للسكون ... لذلك حثنا على  
قيام الليل ... حيث يكون السكون....  
ويستطيع الإنسان منح نفسه الهدوء.. والتركيز  
كي تقوي النفس صلتها بخالقها... ومن هنا  
نفهم حثه لنا على الخشوع في الصلاة ....  
والخشوع هو التركيز في الصلّة بين النفس  
وخالقها ... والانفصال عن الدنيا ومن فيها ...  
هل تعلمين كيف يكون ذلك ؟؟) ... لازلنا  
تومئ بتفسير على كل سؤال لا ينتظر له  
جواب...

(أن يذكر الانسان خالقه بتركيز...  
ويستحضر وقوفه امامه سبحانه ..... وذلك في  
استحضار الآيات يتلوها بتمعن في معانيها ...  
آيات تذكره بغاية خلقه ... وكيف يعيش  
على أرضه! ... ثم يذكره في تسبيح واستغفار

الرسول عليه الصلاة والسلام.... يقول ...\*أرحنا  
بها يا بلال\*\* ... لقد فهم أن الصلاة ... مهرب  
للنفس إلى الراحة والاستجمام .... والتخلص من  
الهموم والغموم .... وبالتالي...تتمتع النفس  
بصحة جيدة معافاة كلياً ... وقد اثبتت  
دراسات علمية أن الصلاة التي سنت في الدين  
الإسلامي.....حين تقام بأصولها وشروطها.. ..  
تخلص الجسم من الاشعاعات التي تسببها  
الأجهزة المشعة ... كالهواتف والحواسيب  
والشاشات الخ ..... والعكس ....).... تلكاً قبل  
ان يكمل بامتعاض... (حين تفقد النفس صلتها  
بخالقها .. ... ويخرج صاحبها عن الفطرة التي  
خلقت عليها ... تبدأ بالشكوى... ثم التعب  
...وتنتهي بالمرض ... هل الصلاة إذن....

تكليف مجبرون عليه ... أم عبادة مريحة يجب

... وحين ينزل الى السجود...تلك النقطة  
التي يكون فيها أقرب الى خالقه ... حيث  
منحه الحرية ... حرية الدعاء.. والدعاء كله  
شكوى الى الخالق.... هناك يطلق الانسان  
لنفسه العنان في الشكوى...والبكاء ... لمن  
في يده الضج ... بل من في يده كل شيء  
يخصه .... وحين يطبق الصلاة...بتأني وروية  
... وتمهل في الحركات....ويصل الى مستوى  
ينطق فيه اسم الله بقلبه... لا بلسانه فقط ...  
يخرج منها بروح جديدة ... خالية من الهموم  
... والغموم ... مستعدة لمواجهة الحياة... (....  
غامت مقلتيها وقد بدأت باستيعاب ما يريد  
الوصول اليه، وهو يكمل ...  
(على الإنسان أن يعتبر الصلوات الخمس ...  
اللحظات الاستجمام الخمس .... لذا كان



به ... لسببين اثنين ... ان الحديث فيه سيطول  
... ولأنك لست في حاجة لمعرفة الآن ...  
لكن سأخبرك بأساس علاجه .... وهو تقوية  
صلتك بخالقك ... حتى تكفّن عن التعلق  
بالبشر ... وتكفّن بالتعلق برب البشر ....  
وقد قطعنا نصف الطريق .... بعد اعترافك  
الأخير هذا .... هنيئاً لك ....)

.....

أن نسرع إليها... وتتخذها ملجأ نستعيد فيها  
طاقاتنا ... وصحة أنفسنا (؟) ... جعدت شفتها  
السفلى بإعجاب، تقول بدهشة وتلقائية...  
(لن اكذب عليك ... لم افكر فيها هكذا  
يوماً ... حتى حين كنت أقيمها ... كنت أسرع  
... كي انتهي من قضاءها .... ولم اكن اشعر بأي  
تغير ... بعد الفراغ منها ... لكن الآن ... بعد  
هذا الشرح .. من هذه الزاوية الجديدة....  
سأقيمها بنيتة مختلفة.... بنيتة لقاء النفس مع  
خالقها... فحسب حديثك .... لقد ظلمت نفسي  
... وحرمتها من مصدر حياتها وأمانها ... أنا  
ظالمة في حق نفسي ... ) ... ففرت شفتها  
صدمة بما اقترت به لتوها، بينما بسمته اتسعت  
حتى شملت وجهه، يقول بخضر....  
(مرضك قد شخصته يا صباح .... ولن اخبرك

## الفصل الحادي عشر ...

يخاطبني السفيه بكل قبح \* فأكره أن أكون  
له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلما \* كعود زاده الإحراق  
طيبا.... الإمام الشافعي ...

المشفى ..... أمام غرفة الإنعاش

(حق .... يكفي عزيزتي .... لقد أشار لك  
واطمأنتت عليه ... يكفيك وقوفا .. انت حامل  
..ولا يجب أن تتعبي نفسك ... )... التفتت إليها  
لا يشي بتعبها سوى الاضرار الذي علا سحنت  
وجهها، تومئ لها قائلة بهمس مرتعش...  
(ماذا ان أستيقظ ...وأراد شيئا؟ ... )... ابتسمت

طائعة بوجود، تسحبها تجاه الغرفة الأخرى  
التي حجزوها من أجل الراحة ....  
(هناك ممرضين يتفقدونه كل حين ... هيا ...  
لقد أحضرت بعد الطعام ...).. تبعتها  
مستسلمة، ومقرة بتعبها .  
استقام الحاج ما إن لمحهما يبتسم قائلا...  
(الحمد لله ... ابراهيم بخير... وسيكون أفضل  
بإذن الله ... أريحا نفسيكما قليلا .... هيا بني  
...لتقلني إلى البيت ...).. ربت على رأس حق  
بحنو، وانصرف برفقة الشابين .  
بسطت لها الطعام على المنضدة، وتناولتا  
لقيمات بصمت لم تجد أي واحدة فيهما القوة  
لقطعه.



(ماذا فعل؟؟).... نظرت إليه بخجل، تقول

بتردد...

(لقد علم بقصة صباح...م... مع عائلتك  
....).... تلكأت وهو على حاله، تستطرد....  
(أخبرني بما كنت أتجاهله منذ أن علمته...  
واجهني به... فكان وقعته على قلبي أليم  
وصعب... ).. تحدث يسأل ببرود...

(ماذا قال؟؟).... نزلت دموعها مجددا وهي تجيبه

بحزن...

(تزوجت حبيب أختي...بأمر من والدي...)  
شهمت ببكاء، فمرر يديه على ذراعها مهدئا،  
يقول ببرود....

(طائعت... أنت تعلمين أن باطن الأمر مختلف  
.... كما نعلم أن البروفيسور... سيعلم...على  
اي حال...حين يتولى حالة صباح)... توقفت

فجأة تبلع ريقها، ثم مسحت دموعها تقول بحيرة

....

(أنا لم أخبره لأنني كما قال...خجلت من الأمر  
برمته... لكن... أنت)... صمتت تحديق فيه  
بتفحص، وهو على بروده لا يتغير تكمل بريبت

...

(بل كان عليك إخباره عن الحالة.. فلما

؟؟)... شهقت بصدمتة و احمرار طفيف يعلو

وجنتيه، تهتف بدهشة...

(هل كنت تريد أن يتشاجر معي؟؟... يا إلهي

اسماعيل؟!... هل تغار منه؟...من

البروفيسور؟!... ما... اسماعيل؟!)... نادته بقلتها

حيلتها، فأوماً بلا معنى يخفي بسمتها حرجتها،

لتنفض يديه بخفتة تسأل بجديتة...

(لكنني أخبرتك كل شيء... حتى ما



يتناقض مع سرية المرضى ... لأن الأمر اختلط  
بالعلاقة الشخصية ... والشرع بنفسه لن يسمح  
بعلاقتي به ... ان لم تكن واضحة أمامك أنت  
زوجي ... فهو مثل أخ لي ... بل أخ حقيقي  
... فعل ما لم يفعله الذي أنجبني من صلبه  
.....) رفع كفيه بمهادنته يضرر بهدوء...  
(أنت طبيبة نفسية .... يجب عليك أن تعلمي  
الفرق بين الغيرة.... والشك) ... ففرت شفيتها  
تحقق به وهو يكمل...  
(والغيرة تتعلق بالقرب ... لا يهر إن كان غريب  
أو من العائلة ...). أقفلت فمها تضم بين  
حاجبيها، ثم سألت بحيرة...  
(ماذا تقصد؟؟)..  
أنزل دراعيه الى جانبيه ثم اقترب منها، يقول  
مفسرا...

(ذلك التفاهم بينكما ... لا اعلم... لكنه  
يؤلمني بطريقتا ما ... منذ أن قابلتكما معا ...  
ذلك الترابط بينكما واضح ... يمنح الغريب  
عنكما فرضية انكما فعلا اخوين ...  
تتفاهمان فقط بالنظرات .. هو يربح عن بعد  
..وانت!!) ... بالله عليك لم أرى البروفيسور  
يستجيب لأحد اثناء نوبات غضبه ...سواك ...  
والآن حزنك لأنك اخفيت عنه امورا مهمة ...  
في الوقت الذي هو أخبرك عنه كل شيء)...  
لا تزال على دهشتها، وهو يحك رأسه من  
الخلف، ويستدير بجسده مرتبك وهو يكمل  
.....  
(اعلم ان هذا خطأ ... من كل النواحي ...  
فكلاكما عانى...ووجد أحدهما الآخر في  
أصعب الظروف .... وأعلم أيضا بحالته ..)...  
www.rewily.com

انتفضت تمسكه من دراعيه تهتف بغضب لأول  
مرة يراه عليها...

(أسكت إسماعيل... لا تجعلني أندم على  
اخباري لك... عن أمر... لم أكن لأخرجه مع  
لساني... لو لم يكن...).. سقطت دمعة من  
احدى المقلتين التين لمعتا بحريق غضب  
جارف، أعلمه بمدى فداحة خطئه، فقبض على  
كتفها يرد بأسف...

(من فضلك اعذريني... أعتذر بشدة.... أدرك  
أنك ضغطت على نفسك... وخالفت مبادئك  
... فقط كي تحافظي على علاقتك بي...  
لكن..).. رفعت دقتها، تكلم عنه وبجفاء...  
(ماذا اسماعيل؟... أنا أنتظر حجة قوية... لا  
تدعني اغير رأي فيك.... فأنت بالنسبة لي  
... رجل ناضج رزين... حكيم في النفوس... يا

طبيب النفوس)... زم شفتيه ثم قال بتردد...  
(أعترف ان كل هذه المشاعر... أربكتني  
... فأنا لم اعتد على فقدان السيطرة حول أي  
شيء... يخص من أحب... أنا!).. بتر كلماته  
حين تحدثت تستفسر...

(وماذا يخصني... تفقد عليه السيطرة إسماعيل  
؟؟... ان كنت وهبتك قلبي... فماذا

يحدث؟)... زفر بإعياء يعترف...  
(صدقيني طائعت... لقد حللت كل شيء....  
وكنت بالفعل سأخبر البروفيسور... بل وأشرح  
له كل ما خفي عنه... لكن الأحداث توالى  
بسرعة... ولم أضع في الحسبان... أن صباح  
ستخبره بهذه السرعة... حتى أنني لازلت  
استغرب... قرارها في النطق أخيرا....).. بللت  
شفتيها تفكر، فاقترب منها يلمس احدى يديها

برقت، يكمل باستجداء للتفهم...

(اطمئني .... وامنحيه بعض الوقت ... سيعرف  
مدى ظلمه لك ... وسيتراجع ... إنه فقط ...  
البروفيسور... يتصرف بطفولية أحيانا ....)  
عبست تقول بعتاب...

(يبدو أنه ليس الوحيد ... من يتصرف بطفولية  
... علت البسمة المشوبة بذنب ثغره،  
وسحبها يضمها هامسا بحب...

(ألم أخبرك؟! ... هذه الأحاسيس جديدة علي  
... وتريكني ... لكنني أسيطر عليها ... لا  
تقلقي...)  
... ضمت حاجبيها تجيب بتهكم...  
(أنت وسيطرتك ...)  
... أطلق العنان لبسمته،  
قبل أن يميل تجاهها يقبلها بعمق. ابتعد قليلا  
يقول بمرح انتقل إليه، وهو يتأمل جسدها...  
(هل ترتدين كعبا؟؟) ... رمته بنظرة مأكرة،

قبل أن تنسل منه تقول وهي تفر خارجا...  
(أنا في نفس طولك اسماعيل ... سيطر علي  
ذلك ....) ... ضحك بصخب سيطر عليه  
ليستعيد رزائته، قبل أن يتبعها عائدين إلى  
الرواق أمام غرفة الإنعاش.

.....

القسم النفسي .... غرفة صباح ....

تمصص شفيتها بضجر وامتعاض، وهي تراقب  
ابنتها التي تراجعت عن كل خطتها وتغير  
حالتها إلى النقيض، دون أن تخبرها عما يدور في  
خلدها. فتكتفي بالصمت خوفا من رد فعل قد  
يحرمها من ابنتها إلى الأبد. تتسع مقلتيها ويقفز  
حاجبيها بالتدريج، وهي تلمحها خارجة من

الحمام تقطر مياهها، وتبحث عن شئ ما، وجدته  
بكيس لم تلحظه قبلا، ليتبين لها أنها عباءة  
وسجادة للصلاة .

تجاهلت والدتها، يكفيها ارتباكها مما هي  
مقبلة عليه، ولا يلزمها حديث أمها المحبط.  
انزوت إلى ركن بعيد عن مرمى نظراتها، ثم  
فردت السجادة.

وقفت مستقيمة وهي تستحضر حديث  
البروفيسور، \*يجب ان أركز... ركزي صباح\*  
... رفعت كفيها وكبرت ثم بدأت في تلاوة  
سورة الفاتحة... \*الآن ماذا ... كيف اركز؟  
... انا لست مركزة... وكيف أكون مركزة؟  
...ماذا قال؟.. اجل أركز على الآيات... \*  
،، ملك يوم الدين ...،، \*ماذا لو كان  
يخدعني؟ ... لكنه طيب يا صباح كيف

سيخدعك؟؟ ... يا إلهي! ... فقدت تركيزي  
مجددا\*... ،، ولا الضالين... أمين .... \*أي سورة  
اقرأ... هل اجعلها قصيرة أم طويلة؟؟ ..... وماذا  
تحفظين يا صباح سوى قصر السور؟!... ابدئي  
بأحداها!!... لكن هكذا سأكمل بسرعتي  
...وهو قال علي التمهّل... أه!! ... لقد فقدت  
التركيز مجددا... لماذا عقلي لا يكف عن  
التفكير؟\*... بسم الله الرحمن الرحيم ...  
قل هو الله أحد ... \*أنت حمقاء... لن تصلي الى  
ما أخبرك به .... تُضيعين وقتك ... الذي  
يجب أن تقضيه في كسبه هو... أصمت ودعني  
أركز!! ... \*... ،، لم يلد ولم يولد  
.... \*سيضيع من يدك هو الآخر... تماما كما  
ضيعت اسماعيل لمن اخذت منك كل شئ  
..... أصمت ... أخبرتك أن تصمت!!\*..... الله



اكبر... (....)

ركعت تسبح بتوتر، والطواحين في داخلها  
تعمل على أشدها.. (سبحان ربي العظيم ....  
\*\*أنت تصدقين البروفيسور؟... فأين ما وعدك  
به من تركيز وراحة؟!... أجل سأركز...  
اخبرني ان استحضر وقوفي أمام الله ... لكن  
كيف؟... لقد أخبرتك.. أنت تضيعين  
وقتك\*\*... سمع الله لمن حمده... )... استقامت  
وقد بدأ اليأس في الطغيان، لكنها أكملت  
بتصميم، وسجدت.....

(الله اكبر ... سبحان ربي الأعلى .... \*\*يجب  
علي الدعاء .... لا... قال الشكوى .. انتظري...  
قال الدعاء هو الشكوى ... إذن سأدعوه\*\* .... يا  
رب .. يا رب ... يا رب... \*\*ألا تخجلين من دعاءه  
بعد كل ما فعلته؟؟... أنا ... أنا... \*\*.. يا رب ...

يا رب ....\*\*أجل ... تذكرني ماذا فعلت ....  
بداية مع مجيد .... حين سمحت له بالتجاوزات  
... ثم اسماعيل .... كذب وسحر الى حد القتل  
.. بل محاولته قتل حق... تهديد الحاجة  
.... وترهيبها كي لا تقبل كنتها التي هي  
أختك ... والآن... تدعين ربك بكل وقاحة  
.... ألا تخجلين من نفسك؟؟...\*\* ).... تفاجأت  
من نفسها وهي تشهق باكية، وتفتح فمها  
وتقفله مرات عدة، وهي تبحث عن الكلمات،  
ولا تجدها...

\*\* (... أنت ميؤوس منك... فلا تضيعي وقتك  
.... أنت مجرمة وتستحقين العقاب... أنت  
مكانك الجحيم .... وليس الجنة\*\* )...  
ضحكات ساخرة علت في رأسها، توازيها شهقات  
بكاء تحولت لنحيب هستري، لتجد نفسها

(هل بلغت البروفيسور؟؟) ... سألت احداهن،  
فردت الأخرى (أجل ..انه قادم .....)... تمكّن  
منها أخيرا، فاستسلمت لحقنة المهدئ، ولحملهن  
لها إلى السرير .

ظلت تهدي ونبرتها تخفت مع تسرب السائل عبر  
شرايينها، فلمحته بين سحب الضباب التي تفلها،  
لترفع كفها إليها تستنجده بنبرة أثارت شفقتة  
كل من كان حاضرا، حتى البروفيسور نفسه  
...

(أنت اخبرتني أن الله يغفر الذنوب ...أنا لست  
مجرمة ... أنا لست قاتلة ..... أنا خاطئة ..... أنا  
اخشى الجحيم ... أنا اخشى الله ..... أنا خاطئة  
..... أنت ...قلت... الله .... غفور...رحيم ..)  
امسك رسغها يجس نبضها، يرمقها بتمعن  
ووالدتها تقص عليه ما حدث وهي تبكي. انهى

ثسحب من على الأرض ووالدتها تهتف بنفس  
اللحظة التي دخل بها والدها....  
(ما بك يا صباح؟؟... يا إلهي !!).... لقد افزعت  
قلبي....)

انتفضت تصرخ بحدة وعنف، مما سبب صدمة  
لوالديها اللذان تجمدا بخوف يراقبانها....  
(ابتعدي عني!!.... لا !!)... أنا لست مجرمة ... لا  
!!...أنا لست قاتلة .... أنا مجنوننة!!.... أجل  
...افقد عقلي مرات .... حين أرغب في شئ ما  
... أرغبه بشدة لا أتحكم فيها ... لكنني لست  
قاتلة ...لست مجرمة ... لا اريد الجحيم ... لا ...  
(... دخلت الممرضات مسرعات على اثر  
صراخها، وطُفن حولها يحاولن امساكها، وهي  
تصرخ بهياج.

المرابط...)(...عفو!!)... نطقها الحاج  
باستفهام، فاستدرك البروفيسور بحزم....  
(المرضى...تارة يحتاجون للانفراد بأنفسهم  
...وعن تأثير من حولهم ... لذلك ..من  
فضلكما ... من اجل مصاحتها... لا تزورها إلا  
حين اطلب منكما ... غادرا ... لو سمحتما ..)...  
سحب زكريا زوجته الباكيت، كي يرحلا بعد  
أن منحا ابنتهما الراقدة كأنها جثت غادرتها  
الحياة، نظرة مشفقتة ليقومها البروفيسور يقول  
قاصدا الحاج....

(سأنتظر زيارة منك بإذن الله .... هناك  
الكثير مما يجب أن نتحدث فيه ... )... أوما له  
بحيرة واستأنف خطواته، بينما البروفيسور أخذ  
مقعدا وجلس عليه، واضعا رجلا على أخرى،  
يتأمل حالة شحوبها هامسا بسهولة واجم...

فحصه ثم استدار يقول بجفاء....  
(من فضلك غادري .... من الأفضل لها ... لو  
بقيت لوحدها لأيام....) ...تدخل الحاج  
زكريا، ينفذ عن نفسه الصدمة، يقول بقلق  
....

(لكن...كيف نتركها في هذه الحالة  
؟؟؟)... رمقه البروفيسور بحيرة يقول بنفس  
الجفاء...  
(ومن تكون؟؟)... بسط كفه ليصافحه، مجيب  
برسميته...

(زكريا المرابط ... والدها...)... للحظات ظن  
الحاج أنه لن يبادل المصافحة، وهو يرمقه  
بنظرات غامضة، ختمها أخيرا بلمسة خاطفة،  
نطق خلفها بوجوم...  
(مهمم .... وأخيرا ....زكريا

(قدرى إصلاح ما أفسده السيد زكريا المرابط  
.... ذهب النوم الى الجحيم هذه الليلة... ) ....

.....  
على باب المشفى.....

تمسكت بوالدتها وهي تكابر على ألمها، بعد  
ان فلتت دمعات من مقلتيها أثناء اعادة الطبيب  
لكتفها الذي انزع من مكانه. لتلعن جميع  
المجرمين على الأرض. حتى والدها قد تراجع  
عن غضبه منها مشفقا، فهو لم يتعود رؤيتها  
بذلك الضعف والألم، مع أن ذلك لم يزد  
سوى تصميمها على شد حبال الأبوة حولها، فما  
ذاقه من حنظل القلق في بعدها أدمى قلبه  
وضرب نواقيس الخطر داخله.



توقفت فجأة قبل ان تستقل سيارة والدها،  
ليتوقفا هما أيضا ينظران إليها مستضمران.  
توجهت نحوه تسأل بلهفة...

(هل قبضتم عليه؟؟) ... تجمد مكانه متفاجأ  
من مظهرها الضعيف الشاحب، تقف بقوة  
واهيتا، وكلها يرتعد حتى صوتها الذي ألفه  
ثابت، يرتعش...

(انسي يا براء... واهتمي بنفسك... )... كانا  
والدها خلفها تماما، حين فاجأتهم بدموعها  
المنهمرة على حين غرة، تجيب بنبرة ملئها  
الغضب والحزن والوجع...

(يجب ان تقبض عليهم ... أنت المقتش طارق ...  
الذي لا يدع مجرما يفلت من عقابه ... حتى  
يونس آل عيسى الذي ضلل الشرطة لأعوام  
طوال ... قبضت عليه بعد انتقالك هنا ثلاث



العائلي..... للشبهة به بسبب الشجار الذي حدث  
بينه وبين ابراهيم...فكان من حقي إصدار  
تصريح بتفتيش أملاكه... وفعلت ذلك سرا  
حتى داهمناه على غفلة منه ... لم يلحق على  
تنظيم نفسه... وأنا كنت أعرف جيدا على ماذا  
أبحث ... ولله الحمد وجدته (...).. اقتربت منه  
خطوة، تسأل بتوسل...

(ما هو؟؟... أعدك لن أذيع شيئا... بدون  
موافقتك ... فقط أرح بالي... ) ... رفع زاوية  
فمه بما يشبه البسملة، يجيب بظفر...  
(سلاح جريمة قتل... ذلك الموظف في  
مصاحبة المياه.... لم يثبت بعد تطابقه مع  
نتيجة التشريح .... لكنني متأكد ... وادعو  
الله أن لا يخيبني (...).. شقت شفتيها عن بسملة  
حلوة، نشرت الدفيء في صدره، وهو يكمل

سنوات فقط ... ذلك الرجل... لا يجب ان يبقى  
على رأس المجلس البلدي... ذلك المنافق ...  
البائس ... الحقير!?)... سكنت تلهث، بأنفاسها  
وشفتيها مزمومتين بحزن اكثر منه غضب،  
ليتدخل والدها ملاحظا جمود المفتش يبحلق  
فيها بغموض لم يفهمه...

(أسف سيد طارق .... لكنها محققة... أولئك  
المجرمون ... مكانهم خلف القضبان ... وليس  
خلف المكاتب والمناصب ... هيا ابنتي ...  
لنغادر..)... رفعت أصابع مرتعشة تمسح دموعها،  
فارتعدت دقات قلبه معها، ليقول بجديته وحزم  
...

(كان سيفلت منا ... لأنه عزل نفسه جيدا عن  
الشبهة... فالمخازن لم تكن باسمه ... وبذلك  
لا تكون له علاقة بها ... لكنني فتشت منزله

ب رسميتا يقول قبل ان ينسحب تجاه المشفى...  
(استأذنكم سيد عمر... يجب ان اطمئن على  
إبراهيم.... تصبحون على خير.... سأمنح  
الانسة براء.... وقت لترتاح... قبل ان نستدعيها  
للتحقيق... السلام عليكم)... تبعت والديها  
اللذان تناظرا فيما بينهما بغموض، ولم تستطع  
منع نفسها من الاستدارة قبل أن تنحني إلى  
مقعدتها الخلفي، وتبحث عنه لتجده قد فعل  
الشيء نفسه على باب المشفى، ولسبب لم تعرف  
كنهه، ولم تتعب نفسها في تحليله، بعثت له  
بسمته حملتها النسائه بينهما إليه بدفتها،  
ليستقبلها قلبه النابض بقوة، ويسمح لنفسه  
لنفس السبب المبهمة في إرسال أخرى تخصه  
هدية لها وحدها .

.....

مسرورا بإزالة غمامة الحزن من على محياها ...  
(وما إن يقع ... ستتهار باقي الجدران من حوله ...  
وينتهي)... أوامات مؤكدة وهي ترمقه بمقلتين  
لامعتين بشعور، عصف بثبات صدره بقوة لم  
يفعلها الركض خلف المجرمين، كما كاد  
إلحاح أن يعصف بتعقله وينفذ رغبته الشديدة  
في سحبها، وضمها إلى صدره ويحاوطها بالأمان  
والحمائية.

فجأة تذكر حديث صديقه عنها، وفي رغبته  
بتزويجهما. بلع ريقه صدمة من إدراكه  
المفاجئ، دون أن يحيد عنها بمقلتيه التان  
اتسعتا وكأنه يتأكد، أفعلا هي من تحركت  
مشاعره لها؟؟

(حسنا ابنتي... هيا... يجب ان تترتاحي...)..

تنفس بعمق حين تذكر والديها، فابتسم لهما

منزل آل طالب....

غرفة رواح...

(أقسم لك أخي... هذا ما حدث ... )... نطتها  
رواح ببكاء، تستطرد شاهقة بألم...  
(أعترف أنني تماديت... فلم أكن أنا تلك التي  
تفعل كل ذلك ... لكنني أردت إطفاء النار  
في جوفي... فلم استطع الانتقام من أمي التي  
انجبتني ... ولم أجد سوى نجوى ... أردت إيلاها  
كما فعلت بي طوال السنوات... لكن أقسم  
لك أخي... ما كنت لأسمح لقريبها بتجاوز  
الحدود أبدا... )... زفرياسين وهو يرفع كفه  
إلى دقنه، يمسد على لحيته المشذبه، صامت  
يمنح نفسه فرصة للاستيعاب، ولاحتواء غضبه

كي لا يفرغه عليها، ففي النهاية هي فتحت له  
قلبا وحكت عن كل شيء فعلته بثقتا، وهذا  
له معنى واحد لها تتمادي بشكل مخزي  
ولم تسمح لشباب بلمسها، وهذه نعمته يجب ان  
يحمد لله عليها. فإن عامله بالعدل لا بالالطف  
سيجعله يدفع ثمن الفتاتين التين تعرف عليهما  
في حياته اثناء الدراسة الجامعية، وكاد أن  
يتمادي ويصل الى علاقة كاملة لولا رحمة  
ربه به، انقبض قلبه وانتفض مقترب منها  
يمسك يدها بحنو وهي تكمل بحرقته....  
(أشعر بالنقص يا أخي ... وهذا يحرقني ها هنا  
... ).. ضربت على موضع صدرها، تستدرك ..  
(مهما فعلت ... مهما تأنقت ... ومهما اعتنيت  
بنفسي ... حتى انني أقوم من نومي فرعته ..  
وأقف على قدمي كي أتأكد من صحتها ...

وكل هذا لا يجعل الأصوات في رأسي تختفي ...  
كلما أسمع ... أنت معاقتة ... أنت ناقصة ...  
سحبها بين أحضانه يربت على ظهرها يقول  
بحنو...

(ما فعلته خطأ يا رواح ... وما تفكرين به ليس  
حقيقة ... انا متأكد أن الحق في أعماقك  
موجود ... فقط يجب ان تنقبي عليه ... ليخرج  
الى النور ... ) ... أبعدها قليلا يمسك برأسها،  
يستطرد ...

(لم تكوني يوما ناقصة ... وأظن رفض أبي  
للعلمية أكبر دليل على ذلك ... فلما تأثرت  
بأمك ؟ ... ولم تتأثري بي وبحق .. وأبي ؟ ... لم  
أبحث عن علاج لك ... سوى كي أزيل نظرة  
الانكسار من عينيك فقط ... فأنا كنت دائما  
اراك كاملة ... وكذلك كنت ... وستبقين

إن حاربت البشاعة في داخلك ... وقتلتها قبل  
ان تستولي عليك ... حينها ستكونين ناقصة  
بحق ... وأفكارك معاقتة ... ) ... أو مات تسأله  
بترقب ...

(هل انت غاضب مني ؟؟) ... ترك رأسها وتنفس  
عدة مرات قبل أن يجيب بجديتة لا تخلو من  
الحزم ...

(لا انكر أنني غاضب من طريقة تفكيرك  
... بعد كل ما فعلته من اجلك ... لكنك  
دفعت الثمن غاليا ... وحرمت من حريتك ...  
( ... ذرفت الدموع مجددا ، تقول بحزن ...  
(أرجوك اخي ... تحدث مع أبي ... لن اعيد  
الكرة .. من فضلك اخي ... ) ... هز رأسه سلبا  
يرد بحزم ...

(لا رواح ... كل ما استطيع ضمانه ... هو حضور



امتحاناتك ....كي لا تفقدي دراستك ... غير  
ذلك ...لن يسمح به ...وانت أعلم بذلك (...)  
ابتسمت بأمل تقبله على وجنته قائلت...  
(شكرا أخي...وهذا يكفيني... لا حرمني الله  
منك).. قبل اعلى رأسها، وتركها بعد ان  
أوصاها...  
(اهتمي بدراستك...وانسي الموضوع حاليا  
...حين يقترب موعد الامتحانات...سأحدثه  
بإذن الله... تصبحين على خير)... ما إن وصل  
الى غرفته، وأقبل الباب عليه حتى رفع الهاتف  
مقررا التحدث إلى التي لم تفارق عقله رغم  
كل ما مر به يومه ذاك. استلقى على سريره  
بثيابه وراقب الأرقام وهي تتوهج في شاشته  
هاتفه، كما يتوهج قلبه بالأحاسيس الجميلت  
حين ذكرها .

.....  
منزل السيد عمر...قبل لحظات...  
أقفلت خديجت الهاتف تهتف باكيته بهلع  
وحزن...  
(يجب ان نذهب إليها يا حفصتة ... جارتنا  
سعيدة سمعت شجارهما....وهذا يعني أنه ضربها  
..قد يؤذيها يا اختي... )... اوقفتها حفصتة  
تجيب بحزم...  
(لا.... انت سمعتها جيدا ... هل تريدن إهدار  
تضحيتها؟؟.. كل ما سيفعله حين يتمكن  
منك..هو حبسك وتزويجك لذلك  
العجوز... وماذا بعد؟؟...ها؟؟)... رمقتها بتساؤل  
تستدرك بغضب مرير...

(هل سيتوقف عن وحشيته؟؟... او ضربه لأمي  
ولنا جميعا؟؟... لن يتغير...أبدا .... فلا تزعجي  
نفسك ... وكما قالت امي ... عسى أن يسجن  
ونرتاح جميعا ...).. زفرت بقنوط واختيها  
تشهقان بكاء، وفتح الباب لتستدير بقلق  
ولهفت، تعدو إلى الواصلين، قلبها يهضو إليهم  
بفرحة وسعادة. ضمت براء إلى صدرها تهتف  
بقلق...  
(حمدا لله على سلامتك ... يا إلهي براء!!...  
لقد خفت عليك ... الحمد لله ... الحمد لله  
...). ابتمت لها بوهن تربت على ظهرها، وترد  
بخفوت...  
(شكرا لك...حبيبتي ... )... ما فتئت أن  
قطبت بحيرة حين لمحت الفتاتان تذكرهما  
من زيارتها لأهل حفصة، ليتدخل السيد عمر

قائلا بحنو...  
(كيف حالكن؟؟... )... كانت السيدة أمينتا  
تضم إليها الفتاتان تسلم عليهما، حين سألت  
براء بريبتا من وجوهن المكفهرة والمحمرة...  
(ماذا حدث؟؟... لماذا تبكين جميعكن  
؟؟)... صمتوا حتى والدها يمسح على وجهه، ثم  
نطق بأسف يقصد حفصة...  
(أنا آسف بنيتي لأنني لم أكن بجانبك ....  
)... أومأت حفصة باستنكار على أسفه، فهتفت  
براء وحاجبها يعلو بخطورة ..  
(ليخبرني أحدكم ماذا حدث؟؟)... التفتت  
إليها حفصة تقول بمهادنة...  
(ليس الآن حبيبتي...أنت متعبتة ... ويجب ان  
ترتاحي..)... اقتربت منها براء تتجاهل حديثها،  
وتشير إلى وجهها قائلة بتهكم...

والسيدة أمينة تتباد لان نظرات يأس من تغير  
حالتها .

(براء .... اهدئي ... أين ستذهبين؟) ... ردت

بانفعال ...

(انه جبان ... أقسم لو واجه رجلا حقا ... وتلقى

تهديدا صارما ... سيقيد كفيه رغما عنه

... لنخبر المفتش طارق ... سيعيد تربيته ...

انتم اعلم به ... ) ... ابتسم العالمين بحالها مع

التنين، بينما شقيقتي حفصة لا تزالان على

انبهارهما، فقال والدها يبتسم مجبرا...

(بلى .... أليس هو البطل المغوار؟؟ ... الذي

يقبض على كل المجرمين؟؟) ... سكتت براء

بريبتها، حين أكملت والدها متهمكمت...

(مع أنه كان قبل يومين فقط ....التنين

المتوحش ... ) ... بللت شفيتها والخرج يزحف

(تعبي بديهي ... فقد خُطفت ... وضربت من

مجرمين ... لكن أنت ما سبب الكدمة على

خدك؟؟؟ ... ولماذا منظرک وشقيقتيک

كأنكن تحت تهديد بالسلاح .... هل واجهتن

مجرم انتن أيضا؟؟؟) ... زفرت والدها بيأس،

بينما السيد عمر يرد عليها، حين لاحظ خجل

الفتيات الثلاث....

(والدها ضربها ... لأنها رفضت الزواج من صديقه

... وهربت شقيقتيها خوفا من أن يزوج إحداهما

....) ... اتسعت مقلتي براء، وانفجرت وكان روح

القتال دبّت فيها مجددا، تهتف بتوعد...

(ذلك المجرم!! .... سأذهب إليه حالا

!!... لأريه قدرة النساء اللائي يتجبر عليهن!!

..... ) ... رفع والدها كفه ليوقفها، وشقيقتي

براء يراقبونها بانبهار صادم ، بينما حفصة

إلى وجهها، بينما حفصة تنهي على سخرية  
الموقف....

(سبحان مغير الأحوال...)... تكومت على نفسها  
بغتة، تمسك كتفها المعلول وتقول بنبرة  
خافتة متصنعة التعب مع انها لم تكن في  
حاجة لذلك، فهي بالفعل مستنزفتة على  
آخرها....

(آه...كتفي يؤلمني...أنا تعبته..ويجب أن  
أنام... لما لا تهتمون بي؟؟)... ضحك والداها،  
بينما حفصة تقترب منها وتسندها، قائلته بمرح  
....

(عفاك الله حبيبتي...هيا سأساعدك ... )...  
نظرت إليها تجيب بعبوس طفولي...  
(شقيقتك الصغرى جميلة جدا .... أريدها أن  
تنام بجانبى ...).. هزت حفصة رأسها بمهادنة

تكتفهم بسمتها المرحة، لولا الغصنة في قلبها  
لما يحدث لهم لضحكت من كل قلبها،  
والأخرى تكمل بطفوليتها...

(بل أريدكن أنت وشقيقتيك من حولي...حتى  
أنام ... أو ما رأيك لو جلبنا سرير غرفتك إلى  
غرفتي؟؟ ...وننام جميعا في غرفتي!!)  
...سيكون ذلك رائعا...أليس كذلك؟؟)...  
اتسعت بسمته حفصة رغما عنها وهي تجيب...  
(جدا ... سنفعل ذلك...)... ضحكت براء  
تقول بسرور صادق...

(أنت محظوظة بشقيقتيك .... محظوظة جدا  
...). .... اوصلتها إلى الحمام، وعادت تجهز لها  
ثيابها، فعلا رنين هاتفها. انتفضت مستغربة، فلا  
أحد يحدثها في ذلك الوقت من الليل، فترددت  
ترقق الرقم المجهول لها، لكنها ردت خوفا من

أن تكون والدتها. عند تلك الفكرة فتحت  
الخط، وهتفت بقلق ولهفة...

من معي؟؟)... لم ترى الذي رفع كفه ووضعها )  
على موضع قلبه، يرد بهدوء لا يعبر عن  
... العاصفة في صدره  
أنا ياسين ....) ... تلكاً قليلاً، يصله هسيس )  
... أنفاسها المتلاحقة، ثم أكمل  
أسف على تطفلي... لكنني انشغلت في أمور )  
طارئة... ولم أستطع النوم... دون الاطمئنان  
عليك.... كيف حالك؟؟)... عضت شفتها  
وهي تسند جسدها بكفها على الدولاب، وقلبها  
..... في سباق مهاك  
ح.... حفصة... هل أنت بخير؟؟)... شيء ما في )  
نبرته، جعلها تخطو الى السرير وتهوي عليه،

وتجهش ببكاء مرير. انتفض من مكانه  
يمسك الهاتف بين يديه بقوة، بينما شهقاتها  
تصله واضحة. هم بقول شيء ما، لكنه تراجع  
محافظاً على صمته للحظة قبل أن يقول بهمس  
...

ابكي... ولا تكتمي في قلبك ... الدموع )  
أحياناً تغسل الهموم... لكن لا تضعي أبدا ...  
هل سمعتني يا حفصة؟...إياك والضعف ...  
فهو كجرثومة قاتلة...إذا تسللت إلى الجوف  
ظلت تقعات عليه حتى تقضي عليه ....)  
تماسكت بعد ان تسللت كلماته هو إلى  
جوفها، وبددت الغم في قعره، فاردف باسمها  
.... حين استجابت له وهدأت  
الفرج غير بعيد عنك يا حفصة ... فمتي )  
تشتد الظلمة إلا قبيل الفجر؟! .... القليل بعد

رفرفت برموشها تشعر برأسها سينفجر، فتحت  
مقلتيها بتعب ثم نظرت حولها تسترجع  
ذكرياتها، لتتجمد حين لمحته غافيا على  
مقعده أمام سريرها.

سكنت مكانها تحت الغطاء، تتأمل هيئته،  
وتتساءل ما الذي جعل قلبها يتعلق به وينسيها  
إسماعيل بين ليلته وضحاها؟!، فلا هو بوسامته  
ولا بشبابه، لكن هناك أمر مختلف به، بل  
أمر تمنحه هيبته خاصة به وحده. رفعت  
كفيها تتفقد رأسها، فانتفضت ترتب طرحتها  
التي وصلت نصف رأسها، وتجمع الخصلات  
المنفلتة تحتها. شعر بها ففتح مقلتيه يقول  
... بتهكم

بشعته.... حين تقومين من النوم لتوك.....) ... )  
...زفرت بحنق، ترد وهي تمسح على وجهها

من الصبر... وأنت لست من فاقدية يا حفصة  
.....) ... أحببت اسمها على لسانه، فنطقت بخفوت  
... وتوتر

أشكرك.... ) ... كلمة واحدة، تلاه انقطاع )  
خط، والحالم على سريريه يتأمل السقف ببسمته  
كحاله حالمة، وامتزجت صورتها في خياله  
بأحلام نومه الذي سلبه إلى عالمه دون حتى أن  
يغير ثيابه.  
.....

..... اليوم التالي

... المشفى.... القسم النفسي....غرفت صباح

... وأنت ...).. أشار إلى حالها وتعبها يكمل  
قد تغير حالك بالفعل ... أخبريني بما شعرت )  
.... (؟؟)... داهمها الخوف وهي تجيب  
سأدخل الجحيم .... بسبب ما قمت به من )  
أفعال... يا الهي... لقد كنت على وشك قتل  
أناس ... هل تصدق؟؟... أنا حتى لا أعلم كيف  
سمحت بذلك (؟؟)... زم شفثيه متمعنا، ثم قال  
...

هذا جيد في بداية الطريق... الاعتراف )  
بالأخطاء والذنوب ... ثم حاولت اصلاحها ...مع  
... الاستغفار ... )... رفعت يدها تسأل بانزعاج  
كيف ذلك؟... كيف سأصلح دفعي لحق )  
زوجة ابراهيم من على الدرج؟... وكيف  
سأصلح اطعامهم السحر؟... الذي كان سيؤدي  
بهم؟! ... وكيف اصلح تهديدي للحاجتة وهي

أنت فظ ... عل تعرف ذلك؟؟)... ابتسم ببرود )  
يجيب  
..  
بل مراوغ .... اخبرتك ذلك كي تتجاوزي )  
احراجك مني ... بسبب هيئتك التي تظنينها  
مزريته... وتتحولين الى الهجوم الحائق .... وقد  
نجحت في ذلك ...)... ابتسمت بهدوء، فرفع  
.... أحد حاجبيه يسأل بجديته  
كيف حالك؟؟)... اعتدلت في جلستها )  
... تجيب بعتاب حزين  
رأسي يؤلمني ... لقد فشلت في صلاتي أمس )  
... ..)... أوما سلبا يقول  
لا ... أنت لم تفشلي ... بل نجحت ... وبامتياز )  
... ..)... اتسعت مقلتيها ترمقه بجهل ، ففسر  
الفاشل ... هو من لم يتغير حاله بعد الصلاة ... )

مشولت؟ .. وكيف سيغفر لي ربي بعد كل  
... ذلك؟؟... كيف؟؟).. قاطعها يقول بتنبيهه  
على رسالك .... الله يغفر جميع الذنوب سوى )  
أن يُشرك به .... وحتى المشرك ما إن يعلن  
توحيده .... يغفر الله له كل ما سلف ... كل  
ما في الأمر... ان ظلم العباد ... قد علق الله  
غفرانه... بغفران المظلومين ....) ... نظرت إليه  
... باستفسار، فاستدرك  
لذا يجب عليك ... التأسف لمن أخطأت في )  
حقهم .... مسامحتهم ستساعدك نفسيا لتقبل  
... أن الله غفر لك ... والى حين ذلك ... كل  
ما ستحركين به لسانك في الصلاة وبينك  
وبين نفسك ... الاستغفار ... استغفري ... ولا  
تدعي الصوت في عقلك يمنعك من ذلك ...  
... ) هتفت بدعشت

هناك صوت أليس كذلك؟؟... يا إلهي إنه )  
يثير جنوني (...). ... ابتسم من تلقائيتها، ثم  
.... شرح قائلاً

في الحقيقة هما صوتين.... وليس صوت )  
واحد.... صوت النفس ... أو ما يسمونه بالضمير  
... وصوت الوسواس ... الشيطان هل  
تذكرينه؟؟... )... أو مأت، فقال بعد لحظة  
... يسأل

على فكرة .... لماذا أردت التخلص من زوجة )  
ابراهيم؟؟.. فأنت رفضت ابراهيم .... سعيك  
خلف اسماعيل معلومة أسبابه ... لكن  
حق؟؟... صمت فردت بخجل تفرك بين  
.... كفيها

ابنة عمي ... شقيقة مجيد .... هي بمثابة أخت )  
لي ... أحبها جدا ... معها لعبت في صغري ...



...غرفة إبراهيم

عينيه تهرب منه إليها كل حين، تلك البسمة  
الحلوة التي لا تفارق ثغرها، رغم التعب الذي  
أثقل جفنيها، والاصفرار الذي طغى على  
بشرتها، إلا أنها تبدو مشرقة. تلك الصغيرة  
تحبه بحق، تحزن لفراقه وتخشى عليه من كل  
شر، وتشرقق في حضرتة، تنفس بعمق يريح رأسه  
على الوسادة، يقرب بحظوته، يبتسم بحب لها دون  
عن النساء. شعر بدفئ على ظهر كفه فالتفت  
إلى والدته التي أصرت على المجيء لرؤيته  
والاطمئنان عليه، تبتسم له بحنو على  
كرسيها النقال، تومئ له وتشير إلى حق، ثم  
... حركت لسانها بمشقة تنطق

وكبرنا معا في مكان واحد ... وهي مغرمت  
بإبراهيم جدا ... وكنت أخطط لتزويجها له  
... وأنا من شقيقه ... فنجتمع في بيت واحد  
... كما عهدنا ... لكن لم يحدث ما اردته ....  
وعواطف رحلت ... اشتقت إليها كثيرا ....  
شعرت بفراغ كبير بعد رحيلها ... استقام  
.... واقفا، يقول قبل أن يغادر

حاولي التفكير في كيف ... ستعذرين ممن )  
ظلمتهم! .... سنناقشه ... ونتخذ قرارا ....  
ارتاحي ... أنا منعت عنك الزيارة ... كي  
تنفردى بنفسك قليلا .... وإن احتجت لي ...  
إبعتي الممرضة ... عن اذنك ... هزت رأسها  
... بتفهم، فخرج يهمس لنفسه ساخرا  
... ( ... لديها فكر إجرامي بحث .... اللهم أجرنا )

.....

ح.... حق... ح...ق) ... من يسمعا يظنها تنطق ( حروف اسم كنتها، لكنه تلقى الرسالة ... كاملة، وأمسك بكفها، يقول بتفهم أجل.. إنها عطية من الحق .. الحمد لله ... ) ... اتسعت بسمتها من تفهمه، فاستدرك بإشفاق ....

أمي ... سامحيني لأنني اتعبتك ... بالمجئ ( إلى هنا ... ) ... دمعت مقلتيها وهي تمد يدها، وتتمس على وجهه، وجنتيه، أنفه، عينيه، ... كل وجهه ثم نطقت بتمهل

ح.... مد.... ل.. لله .... ) ... لمعت عينيه ( بدموع أبت النزول، وقبل أصابعها على وجهه، ثم نظر إلى تغريد المنزوية منذ قدوم والدته، بعد أن كانت تضمه وتقبل وجنتيه باكية هي الأخرى تخبره عن مدى قلقها ورعبها من فقده،

ليكتشف أن صغيرة أخرى تحبه وليس كاخ لها بل كوالد، ليقر بمدى حظوته بأفراد عائلته، ومدى حب خالقه به إذ عوضه كل عذاب صغره بنعم لا تعد ولا تحصى، كما عوضه كره والده بحب أناس كثر. تتبعت والدته نظره بسبب الوجوم الذي حل عليه بغتة، لتلمح تلك الفتاة التي لم تراها سوى مرات معدودة، تظنها تتهرب منها، ففكرت قليلا لتشير الى عيسى كي يدفع كرسيها، واستجاب لها مسرعا، ووجهته نحو تغريد التي دق قلبها بسرعة مترقبة، حالها كحال الجميع يراقبون بصمت.

أوقف عيسى الكرسي، ورفعت كفها إلى تغريد التي تبلدت من الموقف الغريب، فتسمرت قليلا، قبل ان تمد كفها بتردد. قبضت عليها وسحبها

إليها فأنحنت تغريد بنفس التردد والجميع متابع  
بتوجس، ربتت على وجنتها تبتسم لها بحنو،  
ثم سحبتها اكثر حتى قبلت وجنتها، وأشارت  
لها نحو ابراهيم. أطلقت تغريد سراح دموعها  
مجددا وهرولت الى ابراهيم تلقي برأسها على  
صدره وضمها إليه كاتما آهت ألم فتدخل  
.... عيسى منبها بتهكم

تمهلي يا فتاة...ستقتلينه... (تجاهلته)  
تعبس بطفوليتي، وابراهيم يربت على رأسها  
بحنو. مانحا والدته نظرة شكر وامتنان

...مصنع المرابط

دخل عليهما ياسين ليلمح العبوس عنوان

... لملامحهما، فألقى التحية ليافت انتباههما  
السلام عليكم.... (رفعا رأسيهما، يردان)  
التحيتة فلم ينعش صدره سوى تلك الهزة  
الخفيفة التي أمت بدنهما، كما اللمعة في  
... مقلتيها حين لمحتة. ليستدرك مستفسرا  
ما بكما؟؟... (عاد الوجوم ليشمل)  
... ملامحها، والسيد عمر يرد بغضب  
والدها يحبس والدتها في بيتهم... رافقت)  
حفصة قبل ان تأتي إلى العمل... كي نطمئن  
عليها... فشقيقتيها لم يغمض لهما جفن  
...تبكيان خوفا على والدتهما... ذلك الرجل  
حبسها في البيت متوعدا بقتلها إن دخل السجن  
.... أمثاله عار على علينا يا رجل... ضم  
... ياسين شفثيه غضبا، ثم قال بحزم

نستطيع إبلاغ الشرطة... وخراجها من هناك)

بخير الحمد لله ... بروفييسور ... (أوماً ونظر)  
... الى الكتب يقول  
هل فكرت في مستقبلك؟؟) ... عضت جانب)  
.... شفتها السفلى خجلاً، فحثها مشجعاً  
اخبريني مريم ... لا تخجلي ... (تحنحت)  
ثم نطقت وهي تمسك على كنزتها الصوفية  
... السميكتة، ترد ببعض من الخيبة  
ليس لدي خيارات ... فقد فقدت فرصتي في)  
الالتحاق بكلية الطب ... رغم أنني قبلت  
حينها ... إلا أنني لم أتمم أوراق تسجيلي ....  
والآن لن أقبل بالشهادة الثانوية القديمة... ولا  
الحررة الجديدة .... القوانين لا تسمح ....  
فكرت في تخصص أقرب... ولم أجد سوى  
معاهد التمريض الخاصة ... لكنها تستلزم  
المال ... لذا يجب علي التفكير في العمل

... انتفضت تهتف بقلق  
لا من فضلك .... لا داعي لمزيد من الفصائح)  
.... زفرياسين، فقال السيد عمر منهيها  
.... الموضوع  
سننتظر قليلاً ... حتى نرى رد فعل صديقه)  
ذاك .... ان صدق في تهديده ... سيسجنه  
... ) .... حينها نتصرف بإذن الله  
.....  
... المشفى .... القسم النفسي .... غرفت مريم  
سحب المقعد كعادته وجلس جوارها يسألها  
.... بهجت  
كيف حالك مريم؟؟) ... ردت بنفس البهجة،)  
... وهي تعتدل في جلستها

بشهادتي الأصلية من معهد التكوين المهني ...  
(.. هز رأسه بتمهل يفكر، ثم قال يبتسم بحنو  
... غريب عليه

لا تحملي هم ذلك يا مريم ... سأتولى أمر)  
مصاريض دراستك ... أعلم جيدا اي معهد يجب  
ان تلتحقي به (...).. اتسعت مقلتيها صدمت تسأل  
... بداهشت

ل.... ماذا ... فعلت كل ذلك ولازلت تفعل من )  
أجلي؟؟... انت لا تعرفني...ولست قريبة لك  
...ولا املك شيئا اقدمه لك بالمقابل (...).  
مال تجاهها يقول بمقلتين لو كانت مريم  
تمعنت بهما، للمحت تحجر الدموع داخلهما، وهو  
..... يجيب بجديته غامضته

بلى ... لديك مقابل... يهمني جدا ... إن )  
قدمته لي ..تأكدي.. سأتمكن من التنفس

بأمل مجددا .... )... قطبت جبينها بحيرة، وهو  
... يكمل

أن تقاتلي من أجل نفسك ... أن تتعالجي )  
وتستعيدي حياتك ... وتنجحي فيها وفي  
دراستك .... كلما رأيتك سعيدة هكذا ...  
عينيك تلمع بالفرح والتفاؤل .... كوني على  
يقين انك تقدمين لي مقابلا اكبر...من أي  
شيئ فعلته من اجلك ...لأنني طبيب وملزم  
بمساعدتك بكل ما أستطيع .... هل فهمت يا  
مريم؟؟)... هزت رأسها بداهشت، وهو يريح ظهره  
على الكرسي يستدرك بمكر، كي يغير  
... دفتر الحوار

كما اتمنى...رؤيتك في بيت زوجك ... )  
حولكما أولادا صغار ... زوجا تختارينه  
بنفسك ...وتقبلين مشاركته حياتك (...).

ابتسمت بحياء والاحمرار يزحف إلى وجنتيها،  
.... فاستدرك بجديته عاد إليها  
مريم (!.... لما كنت تستسلمين للشخصية )  
الأخرى... كي تلعب بمستقبلك  
... (وقراراتك؟؟) ... ردت بسرعة مدافعت  
لا ... انا لم أسمح لها ... أنا حتى لا أشعر بها )  
متى تستولي علي..) ... أمال رأسه مفسرا، وهو  
... يمسد على رأس عكازه  
لم أقصد ذلك مريم ... أنت قوية الشخصية )  
.... لك مبادئ واضحة تؤمنين بها ... وغالبها  
قناعات صحيحة ... وقراراتك سليمة .... فلما  
تستولي عليك رغم ذلك ... وكأنك خاطئة  
في قراراتك ... وهي الحكيمه التي تقرر  
عنك ما يصح؟؟ ... ).... قلبت شفتها بجهل  
واضح، ففكر لوهلة قبل أن يستدرك مجددا

....  
من أقرب الناس إليك يا مريم؟... تحبينه )  
ويهمك رأيه.. وما يفكر به؟؟) ... ردت  
... بتلقائية وصدق  
... (أبي... وأمي ... ) ... أوما ثم أكمل في أسئلته)  
حين قررت الذهاب الى كلية الطب ... ما )  
كان رأيهما؟؟) ... أجابت وهي تلمس خاتمها في  
... .. حركة مألوفة، كلما توترت  
أخبرني أنه فخوري بي .... وأنه سيساعدني بما )  
يستطيع .... رغم عوزه .... أمي كانت صريحت  
... أخبرتني بحزنها بسبب الفراق ... وحثرتني من  
التعب الذي ينتظرنني .. بسبب العمل الى جانب  
الدراسة ..) ... ضم البروفيسور بين حاجبيه،  
.... يقول بريبت  
كانت صريحت؟؟... هل هذا يعني أن والدك )

لم يكن؟؟).... مططت شفيتها بحزن، ثم  
 .... فسرت  
 للأسف اكتشفت ذلك في إحدى الليالي ( )  
 ...حين سمعت حوارهم مع امي ... يخبرها أنه  
 خائف من بعدي .. ومن عدم قدرته على  
 حمايتي ومساعدتي ... وقد كانت كل آماله أن  
 اتزوج باكرا ... لأريحه من همي ... أذكر انني  
 لم أذق طعما للنوم ليلتها ... وأنا أبكي قلت  
 حيلتي...وأبي يثير شفقتي...فهو محق .. يحق  
 له الاطمئنان على بناته ... بعد كل شيء فعله  
 من أجلهن .. ).. ذرفت دموع الحزن، فتدخل  
 ... يقول بتفهم  
 اهدهي ... هذا ما كان يشكك ثغرة في ( )  
 شخصيتك مريم ... والديك بالنسبة لك ...  
 مركز الأمان ... والأهمية في قلبك ... وإن لم

يتوافق مع رغباتهما قرارك حتى إن كان  
 صحيحا ... باطنك لا يتقبله ...وهنا تدخل  
 الأخرى... كشخصية مطيعة واهية ... تنفذ ما  
 يفترض بك أن تفعله من أجل طاعة والديك  
 ...والحصول على رضاها ... وهذا يجب ان  
 ... يتغير... ).. راقبته بتركيز وهو يستطرد  
 من الآن فصاعدا .. كل شخص يهتمك أمره... ( )  
 وتحبين طاعته ... يجب أن تخبريه بما علمت  
 عن حقيقة رايه تجاه قراراتك  
 ....وسلوحياتك .... كل ثغرة قد تشكل  
 ضعفا او تناقضا في داخلك.. ومع باطنك  
 ...يجب ان تزيلها .... وتوضح دواخلك  
 بالنسبة لك .... هل فهمتي يا مريم؟؟) ... هزت  
 ... رأسها بعدم تأكيد، فأضاف مؤكدا  
 سنتدرب على هذا في كل جلسة بإذن الله .... )

(وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته....) ...  
نطق صاحب المحل قائماً من بينهم يمد يده له  
مصافحاً....

(حلت أهلاً... ونزلت سهلاً... يا سليل آل طالب  
... أطلت الغيبة عني يا أصيل... )... ابتسم له  
بحبور صادق، يجيبه وهو يصافح يده بود....  
(وأنت تعلم لما يا حكيم الجبل... )... ضحك  
الحاج عبد الحكيم، يسحبه بعيداً عن جماعة  
رفاقه....

(أنت من القليلين الذي لا يحبون اجتماعات  
الرجال... )... هز رأسه وهو يستجيب لإشارته  
كي يجلس على إحدى تلك الكراسي  
القصيرة المصنوعة من القصب، ويقول بجديّة  
...

(عقلي لا يتحمل اللغو... ولا صبر لي على

ثم بعدها سبداً بتصريح لأهلك بزيارتك  
... كي أرصد ردود أفعالك... ونجهزك  
لمواجهة الحياة... فتشجعي... وابقظي مريم  
المقاتلة الشرسة... اتفقنا (؟؟؟).... ابتسمت  
... بثقة، ترفع ابهامها إشارة للنصر، تهتف بثقة  
(... اتفقنا... بإذن الله)

\*\* شارع البقالين... \*\*

رفع الحاج عبد الله طرف سلهامه، ودخل المحل  
الكبير للعطارة، يلقي السلام على صاحبه  
وبعض من رفاقه الذين لا يخلو المحل منهم إلا  
في ما نذر....

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... )....  
ردوا عليه التحية بمثالها باسمين لرؤيته....



تصرفات البشر... لسنا جميعنا حكماء يا  
حكيم ....).. جالس قربه بعد أن جلب قنينت  
عطر صغيرة مسكيت، مسد برأسها على أعلى  
كتفيه ثم أعطاها له ليدسها في جيبه،  
كضيافة عود عليها أصدقائه، مجيبا ببشاشته  
...

(ليست حكمت ... إنما فرض عليّ بسبب عملي  
... فأنا تاجر ... وسر التجارة الرابحة ... بشاشته  
الوجه وسعة الصدر ... طبعا مع جودة البضائع  
... ) هز الحاج عبد الله رأسه بتفهم،  
فاستدرك العطار حديثه مستفسرا...  
(كنت أود لو كانت زيارتك محبة في فقط  
.... لكنني أرى حديثا ينطق به وجهك يا  
سليل آل طالب ....) ... ضحك الحاج عبد الله  
كما لم يفعل إلا لهما، يجيب بود...

(لقد أخبرتك... حكيم ... يا عبد الحكيم  
... لكن .. معزتك في قلبي ... وثقتي بك ... ما  
جلبني إليك اليوم ... كي استشيرك في أمر  
مهم لدي ....) .. قطب العطار بحيرة، يرد  
بحكمت...

(أدعو الله أن لا يخيب ظنك فيّ يا حاج ....  
تفضل .. متوكلين على الله ...). غمغم الحاج،  
قبل أن يبدأ حديثه الجدي...  
(و نعو بالله ..... أريد سؤالك عن فتاة ... اسمها  
حفصة ... ووالدها ... اسمه سليمان جابير ...)  
رفع الحكيم إحدى رجليه من تحت جلبابه  
الأبيض، وحط بها فوق الأخرى، ليسند مرفق  
أحدى يديه على ركبتيه، ويمسك بكفها  
على دقنه الطويلة البيضاء، كبياض وجهه،  
رغم سمار بشرته. ثم صمت لبرهة امتدت

والحاج عبد الله منتظر بصبر يحسد عليه. نظر

إليه أخيرا يبتسم بغموض وهو يقول...

(هل تريد ما يروج له الناس؟؟... أم الحقيقة

؟؟)... رفع الحاج عبد الله زاوية فمه بتهكم،

وهو يجيبه...

(وبرأيك لو أردت الإشاعات .... كنت

قصدتك بعد الله يا حكيم الجبل!؟)....)

ربت العطار على ركبتي الحاج يسأل... (هل

يمكنني معرفة السبب؟؟... فأنت لست من

محبي اللغو... وأنا كثيرا ما استعمل أذنيّ....

وأجمل لساني...)

أخبره بصدق...

(ابني يريد الزواج بها... اتسعت بسمت

العطار، يجيب بثقتة...

(إذن ..... اسمع مني يا سليل آل طالب...)

المشفى.....

غرفة ابراهيم....

ابتسم ابراهيم يرد على صديقه بسرور....

(الحمد لله .... تخلصنا منه .... لكن احذر

طارق ... أمثاله تكون لديه طرق ملتوية

... كي يفلت منها ..).... هز رأسه بتفهم يرد

بتصميم....

(أنت محق ... لكن لا تخف ... لقد حكمتها من

حواله جيدا .. ولا مفر له منها هذه المرة ...

فكل من كان يساعده بدأ بفضحه .... خوفا

من تحمل المسؤولية لحالهم ....).... تنفس

بعمق وحرك يده يمسا على كتفه المصابة،

قائلا بمكر....

(السيد عمر اتصل بي ... لم يستطع المجيئ ...



صديقي ... وحين تتعافى كليا ... صم ثلاثه  
أيام ... كفارة يمينك ... رفع ابراهيم رأسه  
يرمقه بتمعن، ثم قال يهز كتفيه بخفته...  
(إذا كان كذلك... لا مشكلت... سأخطبها  
لشقيقي الأصغر... )... انتفض طارق معتدلا في  
جلسته يهتف بصدمته...

(من؟؟؟ عيسى؟!)... إنه أصغر منها... كيف  
... هل أنت بخير ابراهيم؟؟؟ هل أثر عليك  
الحادث؟؟؟) ... تظاهر ابراهيم بالجديته يجيب...  
(أنا بخير والحمد لله .... والفتاة جيدة ... قد  
تكون طائشة بعض الشيء ... لكنها أصيلت  
... وتدافع عن مبادئها بكل حياتها ... فأين  
سأجد فتاة كتلك لشقيقي؟... الله عالم بي  
... قد فضلتك عن اخي ... وولفت انتباهك إليها  
مرات عدة ... لكن بما أنك رفضت ... أخي أولى

بسبب مشاغل أخرى.. فسأل عن صحتي ...  
وتحمد لي بالسلامة ... وشكرته لأن ابنته في  
النهاية السبب في إيجاد مكاني ... )... تغير  
حاله، وارتخى على المقعد يرفع أحد حاجبيه  
يرد بامتعاض...

(ماذا فعلت بالله عليك؟؟؟ إنها جلابت  
مشاكل ... لو كنت مكان والدها ... لحبستها  
في البيت... كي يكف جنونها عن البشر  
... )... ابتسم ابراهيم بمرح يقول....  
(سهل جدا أن تكون في مكان والدها .... وأنا  
أقسمت على تزويجكما .... إن خرجت حيا ...  
ولا أريد الحنث بقسمي ... )... قفز حاجبي  
طارق، يرد بدهشة...  
(وهل فقدت عقلي ... كي ابتلي بسنفوره  
مجنونته ... تحيل حياتي الى جحيم؟ ... انسى يا

(لا تناديهما هكذا ابراهيم... وكف عن جمعها  
مع أخيك في جملة واحدة...)... التحق  
الحاجب الآخر بأخيه، تعبيرا عن الدهشة، دون  
أن يكف عن استفزازه....  
(ماذا تقصد؟؟... السنفورة.. ال..)...  
(ابراهيم!!؟؟)... ضحك المعني بتعب، يمسك  
على صدره، ثم قال بحنو وهو ينظر الى صديقه  
المحمر غضبا...  
(يا إلهي يا طارق... هل فهمت أخيرا؟؟... لقد  
أتعبت صدري...)... ارتخت ملامحه تفعها، وقال  
بمزاح...  
(أنت اسوء من أبي وأمي... لم يتركاني هذا  
الصباح حتى انتزعا مني اعترافا بالحب...)...  
تعالى ضحكات ابراهيم يقول بدهشة  
حقيقية...

بها... وما بينهما سنوات قليلة...)... قاطعه  
بانفعال...  
(أخوك اصغر منها... ولا زال يدرس!!)... ثم  
من قال انني رفضتها؟؟)... لا يعلم ابراهيم  
كيف كبت الضحك في نفسه، من منظر  
صديقه المتأهب على كرسيه كأنه جالس  
على جمر، والعروق في وجهه تكاد تنفجر،  
يقول بهدوء مستفز...  
(أنت... من رفض...)... أسرع يجيب نافيا...  
(أبدا لم ارفض... لقد أسأت فهمي...)... ارتفع  
حاجب ابراهيم بمكر يتشدد...  
(لا... لا!!)... أنا لا أرضى بالجنون لصديقي... ولا  
أرضى له ببلاء... دع السنفورة المجنونة  
لأخي... هو أجن منها.. سيتفقدان معا...)...  
احتد تنفسه وهو يرد بحنق...

(لن اكذب عليك يا صديقي ...على عكس ما  
كنا نسمعه من نكات حول ... بشاعة  
الزواج... وكأبته ... وجدت فيه نفسي ...  
وراحتي ... فلا تطرق سمعك للشياطين ... كل  
له حياته مسؤول عنها ...وفي يده إدارة دفتها ...  
تحت رضى الرحمان ... لكن اسمع نصيحتة من  
رجل امتنع عن الزواج بعد وفاة زوجته ... لسبعة  
عشر سنة ... ولا زالت السنون في توالي ... لمن  
يعد ...\*\*حينما يجد الرجل المرأة التي تملأ  
قلبه .... يستغني بها عن باقي النساء ... حتى  
ان لم تعد تشاركه الأنفاس\*\* ... كما اخبرني  
... بنصيحة أخرى أظن أنها ستفيدك أكثر  
مني ...\*\*حين تُقفل أبواب النقاش بينك وبين  
زوجتك ... غازلها ... فنقطت ضعف الانثى  
تكمن في الكلمة الحلوة ...\*\*... )... ارتفع

(اعتراف بالحب؟؟... انهما بارعين حقا ....كل  
ما كنت آمله ...هو اقناعك بالزواج منها ...لا  
غير ...لكن حب؟؟... أنا بالفعل متفاجئ  
.....) ... هز راسه مستسلما يقر...  
(أنا مثلك لم اصدق ما نطقت به الى الآن....  
لهما طرقهما صدقني... ..وهما جدا سعيدين ...  
وسيشكلان حلفا معها ... لأنهما أحباها قبل أن  
يلتقيا بها ...ومع جنونها ... سيطير عقلي لا  
محالتر ....) ... ابتسم له بهدوء يقول...  
(بل ستستقر ... سيجد قلبك مرفئ له ثق بي  
... لكن تنازل قليلا عن حدتك ... فهي  
ستكون زوجتك ... غير زملائك والمجرمين  
... )... نطق طارق بتهكم يتهرب من حرجه...  
(لقد أصبحت متمرسا ...ولم تفت السنة على  
زواجك يا رجل ... )... أوأا يجيب بصدق....

القسم النفسي .... مكتب اسماعيل ...

رفع رأسه من على الملف أمامه، فمطط شفثيه  
فيما يشبه بسمته، تخلو من أي لمحة من المرح  
أو البهجة....

(ظننتك لن تأتي اليوم ... وانا استمتع بمنصب  
رئيس القسم هنا ....) ... ضم شفثيه وجلس على

المقعد أمام المكتب، يقول بترقب....

(كيف حالك بروفيسور؟؟.... أخي بخير

الحمد لله ...شكرا على سؤالك ...).. أنهى

عبارته بنوع من التهكم، فرد عليه البروفيسور

بجفاء....

(أعلم أن شقيقك بخير... لأنني زرتة صباحا ...

وأنا على خير حال ... والحمد لله ...).. ابتسم

إسماعيل بحرج، ثم قال بغموض...

حاجبي طارق، يهتف بسخرية ..

(أراهن أن صاحب النصائح ليس بابن جبل  
.....).. ضحك إبراهيم يجيب بتقرير...

(بل من صلب الجبل ... لكنه واجه الحمم

المشتعلة بالنيران في قاعه... ليتعرف عن أسرار

تاقت عنه ...حين كان في قمته بين صقيع

الثلوج ... هل فهمتني يا صاح؟؟...).. أوماً

بتفهم، وهو يزم شفثيه، فسأله بجديته...

(إذن متى ستخطبها؟؟).. نظر إليه بمقلتين

لامعتين، يجيب بهدوء...

(بعد انتهاء التحقيق... بإذن الله).... أرخى

إبراهيم رأسه على المخذة، يقول بلطف....

(بارك الله لكما وعليكما .... يا صديقي

....)

.....

(لقد احزنت قلب طائعتي ... وبكت امس كما  
لم تفعل من قبل ... )... أفضل البروفيسور الملاف  
أمامه بعنف، يجيبه بنبرة حادة لكن غير  
عالية...  
(لا تستدرج عواطفني يا اسماعيل .. ولا تدعي  
معرفةك الكاملة بها ... فكيف تعلم انها لم  
تبك بحرقة قبلا ... ولم تكمل معها شهورا  
معدودة ؟؟!! )... )... اشتعلت مقلتي اسماعيل،  
فأكمل بظفر يتشدق...  
(أتعلم ؟؟.. لقد منحت وقتا للتفكير ليلا  
أمس... وأنا الألاحظ حالة صباح ... وقلبت  
الأفكار والأحداث في رأسي .... لأصل لنتيجة  
لا أعلم مدى صحتها ؟! )... )... قطب اسماعيل  
ومقلتيه لا تزالان في اشتعال، وهو يكمل  
بتهمك...

(كنت ملزم بإعلامي عن كل ما يرتبط بحالتي  
صباح ... لكنك لم تفعل.... وقد استغربت  
حقا ... وأنا أتساءل لماذا اخفيت عني أهم  
الأمر.. وأنت متأكد... أنني سأعلم لا محالة ...  
وأول من سألوم هي زوجتك التي اعتبرها أختي  
..وكانت يوما ما مريضة عندي .. لماذا يا  
تري؟؟) ... ربت على جانب فمه يدعي التفكير،  
ثم أكل بنفس السخريته...  
(حينها ... صوت ما في دماغي ... اخبرني ان  
طبيب النفوس البارد اللبق .... أراد أن أتشاجر  
مع زوجته... لأنه يغار مني عليها ... وهذا يعني  
أنه تنازل عن برودته من اجل حماية ما  
يخصه... كما تنازل عن لباقتة وطرده صباح من  
بيت عائلته مرتين .... وأنا حقا ... لا أعلم  
كيف أشعر ؟؟... بالإطراء ... أم بالشفقة من

أجلك...)( ضم إسماعيل شفتيه بامتعاض،  
فرفع البروفيسور حاجبه يستدرك بنزق...  
(كان من الممكن ان تواجهني مباشرة ...  
لكنك لم تفعل ... وهذا يجعلني أتساءل... هل  
زوجتك المصون...خرقت السريّة الطبيّة  
وأخبرتكم بما لا يجب ان تخبركم به ؟!....)  
كان يعلم انه في مأزق رهيب، ويجب عليه  
التصرف بذكاء، يدعو الله ان يفوق ذكاء  
الذي أمامه، وان استحال الأمر، من الأفضل ادعاء  
الجهل. لذا قطب حاجبيه يخبره بريبتة مزعومة  
بإتقان...

(لهذا بالذات أشعر بالغيرة منك...لأنني على  
يقين من أن ما يجمعكما عميق ... وأعترف بأنه  
يثير جنوني...)(... ارتخت ملامح البروفيسور  
للحظة، قبل أن يعود لنبرة المكر، يقول

بتهكم...

(عليك أن تتعلم...في بعض المواقف ... يجب  
أن تكتفي بالثقة... الثقة فقط ... فهل  
تستطيع ذلك يا طبيب النفوس؟؟)... بلع  
اسماعيل ريقه يشعر بنفسه على شفا حفرة  
عميقة، يتفادها في ظلام دامس. والبروفيسور  
يكمل بمكر...

(كما ستكتفي بالثقة بي...حين اخبرك أن  
صباح...لن تشكل خطرا عليكم بعد الآن....  
إن شاء الله...)(... قام من مكانه يهرج بالرحيل،  
فوقف إسماعيل يسأل بريبتة....

(ماذا تقصد؟؟... فصباح لم تعد تشكل خطرا  
..منذ ان انهارت...ودخلت هنا....)... اتسعت  
بسمتة البروفيسور باستمتاع، يهتف وهو يبتعد  
ويلوح بعكازه....



مدير مكتب السيد ياسين... وهما الآن في  
اجتماع مع صاحب المصنع .... فبماذا  
أساعدك؟؟)... آمال راسه إلى الخلف بخفت،  
يرمقها بنظرات غامضة، ثم رد اخيرا...  
(أريد ياسين في امر مهم ...سأنتظر ...)  
ابتسمت له بحياء، وأشارت إلى المقاعد  
الجلدية، تطلب منه....

(تفضل سيدي ...).. جلس وعادت إلى مكتبها،  
وبين داخل وخارج، سكن هو مكانه ملاحظ  
تصرفاتها وردود أفعالها، وبشكل ما ذكرته  
بابنته حق، وذلك لحاله يبعث بثقة فيما يريد  
فعله. خرج السيد عمر من مكتب ياسين برفقة  
الحاج زكريا، فتوقفا حين لمحا الحاج عبد  
الله وتقدما إليه باسمين بترحيب...

(كيف حالك يا حاج؟؟)... (أي ربح طيبته

(الثقة يا طبيب النفوس ..... الثقة ...)  
حرك اسماعيل شفتيه المزمومتين الى كلا  
جانبي فمه بتمهل، مفكرا وهو مقطب بريبتة...

مصنع المرابط....

تقدمت من جانب مكتبها، حين لمحت الواجه  
الغريب بالنسبة لها تقول برسميته...  
(السلام عليكم سيدي .... هل من خدمة؟)...  
نظر إليها الحاج عبد الله بتقييم، قبل أن يجيب  
بنبرته الجديدة....

(ومن تكونين؟)... رمته بنظرة خاطفة، قبل  
أن تطرق مجيبة بعملية...

(أنا حفصة سيدي ... مساعدة السيد عمر ...

حملتك إينا يا حاج (؟؟).. استقام واقفا

وصافحهما يرد بود...

(نحمد الله ونشكر فضله .... شكرا لكما  
...).. استأذن الحاج زكريا وغادر، فقال الحاج  
عبد الله يقصد السيد عمر....

(حمد لله على سلامة ابنتك يا عمر ... يجب  
ان تلجمها قليلا .. لولا انني أعرفها منذ الصغر...  
وأعرف معدنها ومعدن من رباها ..... لكنت  
أسمعتك حديثا موجعا .. كي تعلم ابنتك  
حدودها ... لكنني أشعر بانك بت تعلم .... ما  
عليك فعله ...).. ابتمس السيد عمر بحرج،  
شاركه فيه ياسين الذي خرج على أثر صوت  
والده، يقول وهو يقبل ظهر كفه...

(مرحبا والدي).. في تلك اللحظة، رفعت  
حفصة رأسها، بدهشة لمحوها جميعا، فنطق

الحاج بجديته امام الاثنين...

(الرجل حين يقرر أمرا ما ... فإنه يتحمل  
مسؤوليته كاملة .... فهل أنت مستعد لما  
ينتظرک من مسؤولية؟؟ ...).. فغرياسين  
شفتيه يتمتم بريبتة وصدمة...  
(أبي؟؟).. رفع الحاج حاجبه وأشار إلى الجامدين  
مكانهما، يستدرک بحزم....

(هي العروس ... وهو الشاهد عليكما ... فلما  
الاندهاش؟؟).. تمالك السيد عمر نفسه عن  
الضحك، وياسين يجيب بثقتة، بعد ان لمح  
المترقبة بحياء...

(انا على قدرها بإذن الله ..).. عدل الحاج  
عبد الله طرفي السهام، ثم قال....  
(نهاية الدوام وشيك ... فهايموا بنا .... لن

يسدل الظلام بظلاله ... حتى نحل هذا الأمر...



واحد!! (...)... (أجل... هي محقة... يجب ان  
 ترقى ابنتيك يا ميمونته...)... (أنا أعرف شيئا  
 بارعا في الرقية...)... (لا... بل يجب ان  
 تبخري بالحبّة السوداء...).. (بل يجب ان تبخر  
 بحجر الملح بعد ان تحيط به جسديهما وتقرأ  
 المعوذتين والاحلاص... والفاحة...)... (أهم  
 شيئ... أن تحصني بيتك...وابنتيك....  
 واطلقي سورة البقرة في البيت...كي تطرد  
 الشياطين والعين الحسود)... (لا بأس عليها...  
 ان عادت عرجاء...المهم أنها حية وبخير)...  
 زفرت رواح نفسا ضاق به صدرها، تراقبهن وهي  
 تشعر بنفسها بعيدة عنهن، لتعبس بحزن عميق،  
 حين نطقت والدتها تدافع بلهفة مثيرة للشفقة  
 ...  
 (لا...رجلها صحيحة...لم تعد للعرج...الرجل

بإذن رب العالمين...)... (تقدمهم خارجا،  
 فتناظروا بينهم، ليهز السيد عمر كتفيه قائلا  
 ببهجة....  
 (ماذا تنتظران؟؟... هيا بنا.... أنا متحمس جدا  
 ...)...  
 .....  
 منزل آل طالب....

اجتمعت النسوة في غرفة الضيوف بمنزل آل  
 طالب، منهن من تؤدي واجبها، ومنهن من جلبها  
 الفضول او الشماتة.  
 (حمدا لله على سلامتها...)... (مسكينة...لم  
 تكذ تفرح بصحة رجلها)... (آه...إنها عين  
 حسودة... أصابت ابنتيك... ما أصاب زوج حق  
 ليس بالسهل ابدا... ورواح..كل في يوم

الأخرى هي التي كسرت... لكنها ستشفى  
... بإذن الله... ابنتي ليست معاقرة... لمعت  
مقلتي رواح بدموع حارقة، فتدخلت واحدة من  
النساء تقول بتشدق....

(على فكرة... ابني عبد الحفيظ عاد من  
الخارج... وطلب مني انتقاء عروس له... وأول من  
فكرت بها هي رواح... جعدت المعنيت  
جبينها بتوجس، وأخرى تسأل بامتعاض...  
(ألم يكن متزوجا من فرنسية؟؟) ... سارعت  
تجيب بتلجلج...

(تزوجها فقط من أجل الإقامة... لا غير... وهو  
يريد ابنة بلده كي ينجب منها الأولاد...)  
قطبت ميمونته تسأل بحيرة، ورواح يحتد تنفسها

...

(وهل سيأخذها معه؟؟) .. مططت شفثيها ترد

بتوتر...

(لا اعلم... هما يتفقان لاحقا.. المهمل موافقت  
العروس).. صممت ميمونته، وأخرى تقول بنيت  
غير معلومة...

(مادام متزوجا من فرنسية... فلن يستطيع اخذ  
زوجته معه... لأن قانونهم لا يسمح... بل لو  
اثبتت زواجه من غيرها... سيدخل السجن لا  
محالته... )... همت ميمونته بالتدخل، فصاحت  
رواح بنفاذ صبر، تصيح كقنبلة انفجرت في  
وجوههن... ..

(كفى... كفى!!) يا إلهي اتركوني وشأني...  
أنا لست ساعته تتفقدون مدى صلاحيتها وجودتها  
... أنا انسان... انسان له أحاسيس ويشعر....  
يشعر بالحزن.. بالضيق... بالقنوط... وأنا لا  
اريد الزواج... لا من ابنك ولا من اي احد آخر

...فاتركوني وشأني!! (...). .... وقفت بتعثر  
تحاول الانصراف، والجميع مفرغ فمه بدهشة،  
فقالت والدة العريس بامتعاض... (معاقت  
وتشترط... عشنا وشفنا ...). ... شهقن بصدمته،  
وحل الصمت للحظة وجيزة، كل من في الصالة  
ينظر الى رواح التي اتسعت مقلتيها تحمر وهي  
تلتفت إليها، وبعدها ..... زمجرت بقوة وهي  
تهجم عليها، لتنقض عليها والدتها تمسكها  
بكل قوتها، والأولى تصرخ بهستيرية...  
(أخرجني من بيتي!! ... أيتها المنافقة!! ... عسى  
ابنك يتعرض لحادث يحرق قلبك ... كما  
أحرق قلبني ... اخرجن جميعكم ... مجتمع  
منافق .... أنتم المعاقين بسبب افكاركم  
الرجعية ... تتدعون التحضر... وقلوبكم  
متوحشة ... تدعون العلم وانتم في قعر الجهل

تغرقون .... مجتمع معاق ... اخرجن من بيتي  
... أنا لا أريدكن!!.. ولا أريد رؤيتك أحد ...  
منافقات ... شامتات ... كاذبات!!).... ارتعد  
بدنها بين يدي والدتها، المصعوقمة، فنفضتها  
عنها لتقع أرضا تكمل بحسرة ومرار...  
(ابتعدي عني ... أنت السبب .... انت من  
رخصتني أمامهم ...). ... ضربت والدتها على  
صدرها تهتف باستنكار...  
(ماذا؟؟ ... أنا؟؟) ... رفعت وجهها الباكي إليها،  
تجيب بمرار...  
(إن كنت أنت أمي ... ترينني بعين ناقصة ...  
وتعتبرينني معاقتة ... كيف سيراني الباقي؟؟!!)  
... أنت أمي أنا ... يجب ان تفخري بي ... وترينني  
بعين كاملة ... أنت أمي أنا .. من حقي ان  
تفخري بي ... من حقي ان أكون كاملة في

نطق الحاج عبد الله بغضب جارف، قلبه يحترق  
في صميمه، لكنه يتريث بحكمته....  
(اعلم أنني لا أعيد تحذيري مرتين.... وإن لم  
تعلم من هو عبد الله آل طالب... اسأل عنه  
وساخبرونك.... دينك قد اشتريته من أشباه  
الرجال ذاك... قبل أن آتي الى هنا ...  
وسأراقبك يا سليمان ... إن فقط تعرضت لأحد  
مهما كان ... أو فقط جربت أن تمارس عنفك  
على احد.... سأسجنك ... بعد أن أوريك ضرب  
الرجال كيف يكون؟؟... فلا تظن أبدا... أن  
من يلجم يده وغضبه عن الناس عامتة... وعن  
الضعفاء خاصة... هو ضعيف... بل هو الرجل  
الحق.... أما من يستقوي على الضعفاء... فما هو  
الا جبان حقير... هل فهمت يا ابن جابير؟؟...  
ابتسم السيد عمر، معه ياسين والمعني ينطق

عينيك... من حقي أن تحبيني كما انا  
.... كما أنا... )... شهقت بنحيب ودموع غزيرة  
تجري مدارا على وجنتيها، فانحنت والدتها  
كي تضمها، تهم بالرد، إلا أنها منعته بغضب  
تكمل...  
(لا.... إياك!.... انا لا اريد شفقتك... أتوسل  
اليك ارحميني... ودعيني لشأني... )...  
.....  
منزل..... سليمان جابير...

تكوم على نفسه خوفا، فظهر في جبابه  
الرمادي المخطط البالي، وكأنه متسول على  
وشك تلقي عقاب عسير، وزوجته تضمها بناتها  
من كل جانب، يبكين من حال وجهها المتورم.

بخزي وخوف...

(أجل يا حاج ... أنا أفهمك ... ) رفع الحاج وجهه يرمقه بتهديد وتوعد ، وهو يقول....  
(الفتيات سيعدن الى بيت والدهن ... معززات مكرمات ... حيث مكانهن ... وسيعدن إلى مدارسهن ... وزوجتك تجلس في بيتها ... معززة مكرمة ... وأنت من سيخرج للعمل ... فأنت الرجل ... ألسنت يا ... سليمان؟؟) ... ازدرد ريقه وهو يمسد على كفيه بالتناوب، يهز راسه مرات عدة وهو يجيب...

(ل... لكنني لم اجد عملا يا حاج ... ) زمجر الحاج وكأنه يسعل ، فانتفض سليمان خوفا ، ليرفع الباقي كضوفهم يخفون افواههم خيفة من الضحك....

(ابني سيؤمن لك عملا ... وإياك من التهور

والعنف ... ها انا ذا أخالف عادتي واحذرک مرة

(أخرى..) ... هز رأسه مجددا ، يهتف بتوتر...

(رحم الله والديك ... يا حاج ...

أشكرک... ) ... رفع الحاج كفه رافضا يقول

بحزم...

(لا تشكرني ... لكن انتبه لنفسك

ولأسرتك ... فنحن سنكون انسياء ان شاء رب

العالمين ... أم ان لديك رأي آخر؟؟) ...

(ها؟؟) ... سأل ببلاهة ، فاستطرد الحاج...

(أنا أطلب منك ابنتك المصون حفصة ...

لابني ياسين على سنت الله ورسوله ... ) فتح

الرجل فمه ببلاهة ، يرمق حفصة بدهشة ، ثم

ينظر الى ياسين ، ليعود الى الحاج يقول بغباء

...

(لكن يا حاج ... لقد سبق لها الزواج؟ ... و... ) ...



عبست حفصةً بحزن وخجل، فقاطعه ياسين  
بتأهب....

(نحن نعرف كل شيء عنها .... فزواجها السابق  
... لم ينل من صلاحها ... ولا أخلاقها ... ولم  
ينقص من قيمتها أي شيء ... بل هي كما هي  
... قطعة ألماس ... محظوظ من يفوز بها ...)  
ابتسمت حفصةً ووالدتها وشقيقتها بتأثر،  
ووالدها لا يزال مفغرا فمه ببلاهة، بينما الحاج  
عبد الله يقول بجديته....

(ها انت سمعت من العريس نفسه ... فما رايك  
يا سليمان؟؟ .... سيرفع اذان المغرب بعد قليل  
.... ويجب ان نلحق بالصلاة ...). بل شفتيه  
ينطق بنفس الغباء الذي حل عليه، فلم يكن  
هو من واجه رجالا أشداء من قبل....

(ن.... نلحق بالصلاة؟؟) ... أوأ الحاج يجيب

بتوعد عاد اليه...

(أجل...ن.... نلحق بالصلاة... أم انك على غير  
ديننا يا ابن جابير؟) ... انتفض يرد بسرعة  
ينفي عنه التهمة، والجميع تكاد تفلت  
ضحكاتهم...

(قطعا لا .... أنا مسلم ...ماذا تقول يا حاج؟؟)....  
وقف وقامت معه هيئته، ليقف الجميع وهو  
يقول...

(جيد يا سليمان ...إذن اتوقع رؤيتك في  
المسجد الكبير...الى جانبي في كل صلاة  
...وفي الصف الأول... حتى الفجر ... كي  
أعرّف الناس على نسبي ... وبعد أول صلاة لنا  
معا ...سنحدد موعد العرس بإذن الله....) ....



بعد أيام المركز الأمني ....

رمق المفتش طارق ساعته فزفر مستغربا من تأخرها، ليرفع رأسه على إثر دقته على الباب. ابتسمت من منظر وجهه وتقدمت تقول بمرح خجل، حتى ان احمرار طفيفا علا وجنتيها أضاف الى دهشته المزيد...

(أفضل فمك يا حضرة المفتش... الحشرات في الأجواء...)... أفضل فمه مجفلا، ثم أشار لها كي تجلس، ودون كلمة بدأ التحقيق والمساعد يدون الحوار، فلم يستطع أبعاد عينيه من عن مظهرها الجديد، وحتى طريقة حديثها وكأن فيها شيئاً ما مستجد.

انسحب المساعد عند نهاية التحقيق، فقالت

بتهرب من بحلقته..

(أظن اننا انتهينا ... استأذن ..).. همت بالوقوف

فقال بتهكم..

(كيف تمكن والدك من قص ريشك؟؟)...

قفز حاجبها، تهتف بحنق وخيبة، بعدما

انتظرت منه كلمة، ولو كلمة تكمل على

سعادة قلبها، لكن لا ... ذلك الجلف... !!

(أنت متوحش... ولن تتغير!!)... قهقهه ببهجة،

فتاهت في ملامحه المسترخية، لتجفل من نبرة

تهكمه مرة اخرى..

(كنت ستخدعينني بادعائك للخجل...)..

عبست تزم شفيتها، وهي تقوم منصرفا

ليستدرك بسرعتها...

(مظهرك جميل... على فكرة...).. تجمدت

مكانها تستدير إليه، وهو يشير الى رأسها

مكملا بمكر...

(الحجاب يليق بك ... والفضتان ... كنت اظن  
الفساتين حشمة ... لكنني أراجع ... لا أعلم  
ما الذي سيكون عليك محتشما ؟؟) ... أجعل  
من قوله فانتظر منها هجوما آخر، إلا أنها اهدته  
بسمته، ذكرته بتلك التي اهدته على باب  
المشفى، تقول بلطف..

(شكرا لك ... ) ... ثم قلبت شفقتها تكمل  
بتهكم ساخر...

(لكنك متوحش حتى في إطرائك .... إلى  
اللقاء).. ضحك عاليا، ليهمس بعد حين...  
(لديك كل الحق يا ابراهيم ...). ....  
ضغطت على موضع قلبها المسرع في ضرباته،  
وهي تذكر حديث والدها، بعد ان أسمعها  
محاضرة طويلة، عريضة حول الحدود التي

يجب ان تلتزم بها من اجل مصالحتها وامانها،  
ورغبته في حجابها. لتتفاجأ حين اخبرها أنه  
دائما ما يتمنى رؤيتها في بيت زوجها تكون  
أسرتها، لكنه لم يرد إحباط آمالها واهدافها،  
وان المرء مهما نجح في عمله يتمنى ان يستقر  
ويبني أسرة وينجح في حياته الاسرية أيضا.  
ومن خجلها لم تخبره انها بالفعل اصبحت تفكر

في ذلك وتتمناه، خصوصا بعد أن قابلت  
المفتش. لا تعلم الى الآن كيف تسال إلى  
قلبها، وعشش فيه، هي التي كانت تظن فيه  
كل العبر التي تكرها، لتجد نفسها تفكر  
فيه مع كل نفس يخرج من رئتيها، وتتحيل  
كيف ستكون حياتهما معا، ولكم طار قلبها  
فرحا حين سمعت والدها يخبر والدتها، أنه قد  
طلب منه موعدا ليأتي بأسرته كي يتقدم

(... ربت على كفه، يقول بجديته...  
(لما لا تخطبها يا عيسى؟؟... أنت تحبها يا صاح  
وهذا ظاهر..)... تنفس بقنوط يرد...  
(لازلت ادرس يا منصف.... أعلم ماذا ستقول  
... لكنني أخجل من طلب هذا من إخوتي وانا لم  
أقدم شيئاً بعد... لعائلي... حتى أنني لم اعمل  
قبلا في المصنع...)... هز كتفيه يقول  
بتلقائيتها...

(إذن عليك بالصبر... وعلى العموم ... عرس  
أخيها قريب ... قد تتمكن من رؤيتها... كما  
أنها ستحضر الامتحانات... كما أخبرك ياسين  
)... مشط شعره بيده، يجيب..  
(أتمنى ذلك... فهي لا تزور أختها... بل الأخيرة  
من تذهب إليهم...)... استندا على الحاجز،  
كل منهما يفكر في مستقبله، أحدهما مرتاح

رسميا بعد التحقيق. اتسعت بسمتها تهمس وهي  
تبتعد...

(تيني المتوحش... يا إلهي... أنا أحبه...)..

.....

شقت عيسى... ومنصف...

بحث عنه في أنحاء الشقة، ليجده في الشرفة  
الصغيرة يرمق الشارع بكآبة، تحدث ببشاشته  
المعتادة يقول...

(كفاك وجوما يا عيسى ... أنت تحبطني

(...)... التفت إليه مجيبا بانزعاج...

(اشتاق إليها يا منصف ... لم أكن أعلم أنني

متعلق بها إلى هذه الدرجة... الجامعة أصبح

جوها كئيب... وعيني تبحثان عنها كل حين

...

(تقاطعني من أجلها؟؟... إنها مجرد منافقة

كاذبة).. قاطعها يهتف بحنق...

(لم اري منافق بيننا سواك يا نجوى... تعمدت

بث سمك... كي يحرمها والدها من دراستها...

ماذا كسبت من ذلك؟؟.. انا لم أفهم...

لكنني فهمت امرا آخر... انك لست سوى

حاقدة... خائنة لل صداقة... ومن تبيع

صديقتها قد تبيع اي احد غيرها... ردت

بحقد اسود تقول ..

(لم تكن يوما صديقتي... بل عدوتي منذ

الصغر... أنت لا تفهم... هي كذبت عليك

...). رفع كفيه يسكتها قائلا قبل أن يغادر

بسيارته...

(إن فعلت فقد دفعت ثمنا أكبر.. لأنها لم تؤذي

بأله لأن معشوقته لا تزال صغيرة، يستبشر  
بالقادم ان يجمعهما بعد تكوين نفسه، بينما  
الآخر كل ما يخشاه أن يخطفها احد منه، وهو  
لم يربطها به باي طريقة كانت، حتى أنه غير  
متأكد من شعورها تجاهه .

.....

على باب الجامعة....

اسرعت بخطاها لتلحق به قبل ان يستقل

سيارته، تهتف بنبرة حزينة مزعومة...

(هيشه... انتظر ارجوك.... ألا زلت غاضبا مني

؟؟)... فتح باب سيارته، وتوقف يجيبها بجفاء

...

(نجوى كفّ عن اللحاق بي... أنا غاضب منك

ولن أسامحك).. ظهر وجهها البشع، تقول بغل



أحد ... وأنت ماذا؟؟... لا تحسبي انني لم اسمع  
ما قيل عن حادث رواح .... واتمنى ان لا تكوني  
بالفعل بتلك الوحشية .... من فضلك ابتعدي  
عني .... لا أريد رؤيتك بعد اليوم ..) ... شيعته  
بنظرات حاقدة، ووحش من الكره والغل ينهش  
أحشائها .

.....

المشفى ..... القسم النفسي ...مكتب  
اسماعيل ..

دق الباب فهتف ان تفضل، ليدخل الحاج زكريا  
يبحث عنه ويلمحه على المقعد خلف المكتب.  
ترك الملفات بين يديه وقال بعملية....  
(مرحبا يا سيد زكريا .....تفضل اجلس ...)

اطاعه يرد بلطف...

(مرحبا بك بروفيسور ...شكرا لك ...)  
صمت البروفيسور قليلا، يرمقه بتمعن أريكه  
فاستطرد بتوتر....

(كيف حال صباح؟؟... والدتها تلح علي  
...تريد رؤيتها ..) ... جعد دقنه يرد بجمود...  
(ليس من صلاحيتها رؤية أي منكما حاليا ...  
فأنتما السبب المباشر في ما حل بها .....) ... جعد  
جبينه يسأل باستنكار...  
(نحن .....كيف ذلك؟؟...)

(مهمم.. وهل انت مستعد لتحمل الحقيقة يا  
سيد زكريا؟؟) ... مسد على جبينه بحيرة،  
وأوماً بترقب، لتنفجر ماسورة كلمات من فم  
البروفيسور جعلت الحاج زكريا يتجمد مكانه  
وتنحبس انفاسه، غير قادر على التحدث او

الإتيان بأي حركة....

(كيف أقولها؟؟.. لنقل أنك دللت ابنتك  
وافسدتها .... وضخمت من تقديرها لذاتها  
...حتى صنعت منها شخصية نرجسية... ترى  
نفسها أعلى من الآخرين... كما أدمنت سماع  
المدح والاطراء منهم ... واعتادت انقيادهم  
لرغباتها... فلم تستطع إقامة أي علاقة صحية  
...حتى مع ابنة عمها التي تحبها... لذا حاولت  
لاحقا تعويضها بإبراهيم آل عيسى الذي تحبه  
الأولى ... كما أنها فاقدة للثقة في نفسها  
...وهذا ظهر مع اول نقطة سوداء في حياتها ...  
ابن عمها الذي استغل الجانب العاطفي  
لاستدراج الانثى داخلها... فانصاعت له بإدمان  
آخر أوصلها إلى التعلق المرضي... وفي خضم  
ذلك ..دخل اسماعيل آل عيسى في الخط حين

عاملها ... ببروده ولباقته المعتادة ... لتنبهر  
بأمر جديد لم تره من قبل ..و سعت وسخرت  
كل قوتها ...واستغلت كل من صادفت في  
طريقها كي تحصل عليه ....وكان لوالدتها  
الفضل الكبير في تسهيل ذلك .... وهذا يجمع  
بين الشخصية النرجسية والتعلق المرضي ....  
لكنني لن اقف هنا .... فمنذ زمن وانا أتمنى  
مقابلتك كي اسألك سؤالا واحدا ...ظل يدور  
كالفأر العالق بين دهاليز عقلي ...كيف بالله  
عليك استطعت تجاهل ابنة كالدكتورة  
طائعة؟؟... تلك الفتاة الرائعة... الخلوقة  
...المجتهدة ... الطيبة القلب... الرقيقة  
...المراعية ... كيف سمحت لنفسك بحرمانها  
من حضنك؟ ...من حنانك؟ ...من أبوتك  
؟؟... أين كان عقلك؟؟... لكنني لن

## الفصل الأخير

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب  
سوانا" ... الامام الشافعي

تحمله عاصفة مظلمة، والضباب يغلفه عن ما  
حوله. تاركا المشفى من خلفه، وعقله يضج  
بكلمات، لا... لم تكن كلمات، بل سهام  
مطعمت بسم قوي يشعر بنفاذه عبر شرايينه،  
فيسقيه الوجع حنظلا تغلي به دماؤه، ألم... ألم  
لا يطاق، أمسك برأسه من شدة الوجع وتلك  
الكلمات لا تكف عن بث سمها...  
(دلت ابنتك وأفسدتها ... ظلمت الأخرى  
وحرمتها من حقها... أنت ظالم ... كانت

ارحمك أبدا ... وسأخبرك يا سيد زكريا ...  
يا حاج بيت الله .... أن ابنتك التي حرمتها  
منك ... كانت تتسلل من مدرستها كي  
تراقبك مع اختها .... أجل ... كانت تحاول  
تعويض نفسها من خلال اهتمامك بأختها ...  
فتراقبك من بعيد ... كل يوم خميس ... حين  
كانت في الاعداديتة ... وبعد كل ذلك  
..حين طلبت منها أول طلب ... استجابت لك  
بسرعة وطاعة ....ماذا يعني لك ذلك يا سيد  
زكريا (؟؟) ... لم يجد منه ردا سوى الصمت من  
الصدمة، ليومئ بحسرة يكمل بحزن...  
(أن الفتاة الصغيرة .... توقفت عن النمو  
....تنتظر سكاكر والدها ... مع قبلة حانية  
على الخد ... وضمت الى الصدر...)(.....)

تراقبك من بعيد....تراقب حبك وعطفك  
عن الأخرى ... كيف استطعت فعل ذلك؟؟...)  
أستند على سيارته ورفع يده يفتح أول زرّين من  
قميصه، يأخذ انفاسا متتالية، لم يستطع الرد  
عليه، وماذا سيقول؟ إن كانت جلدات ضميره  
صارت تتعاضد مع مرور الوقت، وألمها يكبر  
ويوجع عن كل سابق. لذلك اكتفى بالصمت  
حتى أنهى الرجل ما لديه، ثم قام يجرح خزيه  
بصمت، يفر من اشباح لم يعلم أنها تتقدمه،  
فقد تنامت داخله تتغدى على التجاهل  
والأنانية حتى أضحت وحشا كبيرا على وشك  
بلعه. رفع رأسه الى السماء وقد لمعت مقلتيه،  
يزفر بعمق وحرارة ما يجيش في أحشائه من  
نيران، ليتذكر اكثر ما اثرفيه واستفحل  
بقلبه وأثار كل عاطفة راقدة ...

( أن الفتاة الصغيرة ... توقفت عن النمو  
....تنتظر سكاكر والدها ... مع قبلة حانية  
على الخد ... وضمت الى الصدر.....).. تلفت  
بمقلتيه في كل اتجاه، ثم مسح على وجهه،  
ليسحب الهاتف من جيب سرواله، ويطلب رقما ما  
..  
(مرحبا... أين أنت؟؟... في المشفى... حسنا أنا  
خارجة... سأعود... أريد رؤيتك ... حسنا ...أنا  
قادم...)(...  
لمح تجعيده جبينها، فاقترب منها يمسك  
يدها، هامسا...  
(هل أنت بخير؟؟)... ربتت على قبضته، تبتسم  
له بتوتر...  
(انه أبي .... لا أعلم نبرة صوته متغيرة ... على  
العموم هو خارج المشفى...ويريد رؤيتي)...



نظر إليها قائلاً باطف...

(أنا مضطر لتركك ... لدي مريض لا أستطيع

التنصل من مقابلته ..... لا تدعي أي أمر

يزعجك ... اتفقنا؟؟) ... ففرت شفتيها عن

بسمته سعيدة، فمال عليها يقتنص تلك

الشفتين في قبلة، استجابت لها بحب، وهمس

قبل ان ينصرف...

(أراك لاحقاً ... أحبك) ... (وأنا ... أحبك)...

نطقها بسرعة فانصرف تصحبه بسمته البلاء،

التي نسيها على ثغره، حتى تجمدت، حين

صدمة من حالة المريض. رغم كل أناقته في

بدلته ذات العلامة التجارية الفخمة، كفخامة

المعطف عليها، إلا ان شحوب بشرته ونحول

جسده حتى برزت عظام وجهه، تفضح مدى

خطورة مرضه، وتعبه الشديد الذي يحاول

إخفاءه بكبرياء، وهو يجلس باستقامة جذعه.

يضع رجلا على أخرى تلتحمان ببعضهما من شدة

نحولهما، وعلى قمة ركبتيه تستكين كفيه،

باطن إحداهما على ظهر الأخرى .

(أسف دكتور... لا طاقة لي بالوقوف كي

أصافحك ... ولا أظنك تريد مصافحتي ..

والدليل ظاهر على محياك ...)... تمالك

اسماعيل نفسه، واقترب منه يمد يده

لمصافحته يرد بود...

(الصدمة على وجهي لأنني لم أتوقع

استسلامك للمرض .... فأنت مقاتل شرس ....

وقاتلت الحياة بضراوة وشجاعة ...)... رmqه

بتأثير يخص به طبيب النفوس عن غيره، يجيب

وهو يمسك بيده كلتا كفيه....

(أنت قلتها يا دكتور... قاتلت الحياة ...



معركتي الآن مع الموت... ولا أحد ينتصر على  
الموت .... لا أحد ...). رفع اسماعيل كفه  
الحرّة، وربت على كفيه الدافئتين بلطف،  
فتركه الأول ليجلس بالقرب منه، تاركا  
المقعد البعيد الذي يجلس عليه عادة أمام  
المرضى...

(كيف حالك يا مصطفى؟) ... ضم شفّتيه  
كما ضم كفيه المرتعشتين يرد بحزن...  
(رائحة الموت تحيط بي يا دكتور... ولا  
يهمني سوى أمرين أتّين...). انتظره بصمت  
ليكمل، فاستطرد...

(كيف سيكون لقائي بربي؟) ... وشقيقتي التي  
لم أجدّها بعد ...). أوّماً بتفهم، ثم قال...  
(أحسن الظن بالله... ستجده عند ظنك به...  
لم أكن متأكداً من عودتك حقيقة...)

وكنت أنوي الاتصال بك ...). لا زال على  
بسمته الحزينتة يجيب...  
(لا أعلم لما عدت؟! .. لكن شيئاً ما يربطني  
بهذا المشفى ... كما أنني لا أستطيع الفراق  
عن هذا الجبل.. رغم كل ما عشته فيه من  
عذاب ... قررت أن أدفن تحت ترابه ... وقد أوفّق  
وأجد شقيقتي قبل أن تفيض روعي الى بارئها  
(...). هز اسماعيل رأسه يقول بهدوء...  
(لا يهم لما عدت ... كما لا نعلم متى ستموت  
... فرغم خطورة مرضك... ما قدر لك من أيام  
لتعيشها .. ستعيشها لا أقل ولا أكثر...  
وكذلك باقي البشر ... أما شقيقتك ... ادعي  
الله ليحفظها أينما كانت ...). عاجله قائلاً  
بلهفة...

(لم يمر يوماً... أو صلاة ... دون ان أدعوه

ليحفظها ....) ... بتر كلماته والوجع ظاهر  
على محياه، فأكمل إسماعيل بود..  
(ليس هذا فقط .. كيف حال ذلك الفتى ؟)...  
زم شفتيه بخفته، مفكرا لوهلة قبل أن يقول  
...  
(يجب أن يرى طبيبا نفسيا ... لا أظني لحقته  
قبل أن تنال منه بعض من بشاعة الدنيا...  
لكنه ... سينجو.. بإذن الله ... سينجو..)  
ابتسم إسماعيل، يهز رأسه موافقا، فاستطرد...  
(كنت أريد منك خدمة ... أتمنى ان لا تردني  
...)(... لفت انتباهه، يرد بصدق...  
(لو في استطاعتي ... لن أتأخر....) ... شكره  
ثم أكمل...  
(لقد تركت وصيتي ... ورتبت أموري... كما  
تعلم ... لدي اناس قريبين مني ... لكنهم

لا يزالون قاصرين ... من ضمنهم شقيقتي ... أن  
وجدتها أم لا ... مجلس الادارة للمجموعة ..  
ستبقى على عملها ... بعد موتي ... إلى أن يستلم  
بعض من القريبين مني ... مناصبهم ... حين  
يكملون العشرون من عمرهم ... ويستلمون  
حصصهم ... شكلت لجنة من أناس اثق بهم...  
ليتابعوا سير الأعمال ... كل ثلاثة أشهر.. ثم  
يحضرون حين موعد تسليم الحصص لأصحابها  
... وكنت أتمنى لو تنضم الى اللجنة... )...  
انتظره بترقب، تحول الى ارتياح حين اتسعت  
بسمته اسماعيل يرد بتأثر...  
(أنا اشكرك على ثقتك ... وطبعا ... يسعدني  
المشاركة في الخير الذي تفعله .... هذا طبعا  
إن لم يسبق أجلي أجلك ..... تقبل الله منك  
(... )...

(حين يكون المرء على شفا خطوة من الموت  
.... وهو على معرفة أكيدة بذلك .....

يسترخص كل شيئ في الدنيا .... حتى الظلم  
....) ارتفعت زاوية فمه بتهكم، يكمل ...  
(ما كنت أحاول نسيانه طوال حياتي ... ولم  
أفلح ... أصبحت انساه منذ ان أضحي الموت  
قريبا ... قريبا جدا ... وقد سبق وأخبرتك بما  
يهمني الآن...) .. تحدث إسماعيل سائلا....  
(هل هذا يعني أنك تصالحت مع نفسك؟؟) ...  
تحولت بسمته إلى الهدوء يجيبه بتلقائية...  
(كل ما أعرفه.... أنني لم أعد اذكر كل ما  
يتعلق بالدنيا .... حتى لا وقت لدي لأذكر  
شيئا آخر ... خارج نطاق هدفاي ....) .... غير  
إسماعيل الموضوع كلياً، يسأل باسماء...  
(انت لم تخبرني .. باسم شقيقتك من قبل

(أمين ... يا رب ... بل أشكرك انت دكتور...  
سأبعث لك بالأوراق مع المحامي ... غدا بإذن  
الله ... وتتفقدان على الراتب ...)... قاطعه  
إسماعيل بعتاب...  
(لا يا مصطفى ... شرطي الوحيد هو لا مقابل ..  
سأفعل ذلك ... لله فقط ... )... حل عليهما  
الصمت بعد أن أوما له بتفهم، فسأله إسماعيل  
بحذر...  
(هل سامحته يا مصطفى؟؟ ... أقصد شقيقك  
؟) ... رفع المعني رأسه مجفلاً، لكنه قال بعد  
فترة من التفكير...  
(قد لا يصدقني أحد ... حتى نفسي قبل أن  
أمرض...) .. تلكاً قليلاً كأنه متردد، ثم  
استدرك وهو ينظر في عينيه بنبرة أرعدت  
قلب إسماعيل...

(... غزى الحنين تقاسيم وجهه التعب، وهو

يجيب بدفئ....

(سُتْرَه آل منصور... ..)

.....

مكتب طائعت... في نفس اللحظات....

لم تجلس خلف مكتبها، تنتظر أبيها بقلق  
ازداد، حين لمحته مقبلا عليها، بوجه شاحب.  
أسرعت إليه تهتف دون ان تجرؤ على لمسه...  
(هل انت بخير؟... ما بك؟)... تجمد مكانه  
يحدق بها، فقطبت بحيرة من سكونه الذي  
استمر للحظات حتى شهقت بصدمته وهي تلمح  
دمعة تتدحرج فارة من أسرها تتبعها أخرى  
وأخرى، وحين همت بفتح فمها، سحبها بين

ذراعيه يضمها بقوة يائسة. شلت أطرافها،  
ذراعيها الى جانبيها، وهي على صدره، تتساءل  
ما خطبها!، ألم يكن حلمها الأوحاد أن يضمها  
والدها، فلما تقف جامدة وهو يطبق عليها،  
تكاد تنقطع أنفاسها؟ ... !

(سامحيني .... أنا! ... أنت! ... سامحيني يا بنتي  
... أنا ظالم ... )... بلعت ريقها وهمساته المريرة  
تنفذ إلى قلبها، فرفعت كفيها بتردد إلى أن  
أمسكت جانبي ظهره، وحركت وجهها إلى  
أسفل عنقه تحاول شم رائحته كما كانت  
تفعل مع جديها، فتتساءل إن كانت رائحة  
والدها مثلها .

(أعلم أنني لا أستحق غفرانك ... كيف حصل  
عليه؟! ... ولم أنله من والدتك؟! ... ولن أناله  
أبدا ... )... رفعت وجهها من على رقبتة، تقول

بحنو...

(لكن أمي لم تحقد عليك ...)... منعها من  
البعد ، وأعادها على صدره يطوقها بقوة، يجيب  
بنبرة تهدجت..

(لطالما كانت طيبة القلب .. لكنها تبقى انثى  
...حتى إن أخفت عنك ألمها... فهذا لا يعني  
أنه لم يوجد .. أنا ظلمتها ... بل ظلمتكما  
معا... غرتني الدنيا بفتنها ... ونسيت ما  
ينتظرني من حساب .... فلم أكن عادلا معكما  
... لا شيء يبرر أنانيتي ... لا شيء ... مهما عللت  
...وحاججت ... أبقى ظالما لك ولوالدتك  
... تكومت ملامح وجهها، في إشفاق وكونها  
في حضنه تشعر بدفته الحاني، أضعف قلبها  
أكثر وأجج أحاسيسها فقالت باطف...  
(أبي ... أنا لا أحمل عليك ... من فضاك هون

عليك ...)... أبعدها قليلا، يبحث في ملامحها

عن اليقين فيما نطقت به...

(هل أنت متأكدة؟؟... لقد ندمت أشد الندم  
بعد أن وثقتي بي ...وأطعتني دون تردد...  
لكنني لم أعرف كيف أتقرب منك ...آلاف  
من الحواجز حالت بيني وبينك ... حواجز أنا  
من بينيتها عبر الزمن ... فلم أدري كيف  
أهدمها ... )... انسلت من بين ذراعيه بخضرة،  
تجيب بحزن...

(لن أكذب عليك أبي ... لقد آلمني هجرانك  
لي ... وسؤالا واحدا ... يدور في خلدي ... ما  
الذي ينقصني كي تحرمني منك؟! ... وكل  
من حولك يشهد بصلاحك ... )... رمقها  
بتوسل أوجع قلبها، فزفرت تستدرك بأسف...  
(لكنني أصبحت أفضل مؤخرا ... وكنت

بسبب ما فعلته في الماضي .. وعدم تأكدي من  
موقفك ... )... فغرت شفيتها مباحقة  
بتشكك، فشد على كفيها مؤكدا...  
(أقسم على ذلك ... كما فكرت في مصلحة  
صباح وسعيت لزواج يناسبها ... فكرت فيك  
ايضا واخترت لك نسبا مثالا ... لكنني كنت  
اتريث لأنني لم أكن على يقين من موافقتك  
... وحين تهورت صباح ورفضت ابراهيم .. ...  
كنت متأكدا.. ان آل عيسى ... لن يقبلوا بها  
مهما حدث ... ولو كان لدي شك واحد ... ان  
اسماعيل يبادلها او حتى منحها بصيص أمل.. ما  
كنت ورطتك يا بنتي ... من فضلك صدقيني  
.....).... أمالت رأسها تبتسم له بحزن، وأمل يقاقل  
كي ينبثق من أحشائها، وهو يكمل دون أن  
يفلت كفيها...

اكتفي بوجودك في حياتي مهما يكن .. ..  
لو فقط ... )... صمتت فاقترب منها، يمسك  
كفيها متسائلا...  
(ماذا بنيتي؟؟.. تحدثي ... )... ردت بتوتر  
وخجل...  
(لماذا طلبت مني الزواج من رجل ... علمت بأنه  
... أنه ... اعني ... صباح) ... رفع كفه إلى  
شفيتها ليسكتها قائلا بدفاع...  
(أسمعيني طائعت ... أنا حين فكرت في أبناء آل  
عيسى ... لم يكن فقط من أجل المنصب ... لا  
... بل لأنهم على تربية صالحة ... ومن صلب  
هذا الجبل ... فقررت كأبي والد يحب بناته ...  
ويكثر لمصاحتهن ... في مصاهرتهن .....  
وسعيت الى تزويج ابراهيم من صباح ...  
واسماعيل منك .... لكنني أجلت امرك ....

(أستحق كل ما قد تظنينه بي ... لكن أنا  
طلبت منك الزواج من إسماعيل... لأنه مناسب  
لك... وأنت ستكتشفين ذلك ... وستنعمين  
بحياة مستقرة بإذن الله .... مع رجل بحق ...)  
لم تشعر بنفسها تبتسم بحب لمع في مقلتيها،  
فأكمل بحنو...

(أو لعلك ... تأكدت فعلا ....).. احمرت خجلا،  
فاتسعت بسمته أملا، يقول وهو يربت على خدها  
...

(هل سيشفع لي ابن آل عيسى ... عند قلبك ...  
كي يحنو على عجوز خاطئ ...). ... رفعت يده  
وقبلتها ترد بلهفة، وقلبا يئن ألما من أجله، لم  
تستطع رؤيته وجعه ودموعه طعنتها في قلبها...  
(أبي ... أرجوك ... لا تقل ذلك مجددا .. أنت  
أبي ... والجميع يخطئ ... وأحمد لله ... أنك

أخيرا بجانبني ...). ... قبل رأسها وقال بتأثر...  
(رحم الله من رباك ... من حظك أنني لم  
أكن أنا ... لكنت انتهيت مثل صباح ... ذنبي  
الآخر...). ... لازالت متشبثة بيده، لا تدري ماذا  
تقول سوى...

(لا تقلق أبي ... البروفيسور بارع في عمله ...  
وسيعالجها إن شاء الله ... ستشفى ...). ... هز رأسه  
بتفهم، يفكر ثم قال بتردد...

(إذا كان كما قلت ... فيجب علي احضار  
سكاكر)... قطبت بحيرة، فأكمل مخرجاً...  
(لقد قال ... قبلت على الخد وضمت إلى الصدر  
... وسكاكر ... لم أفكر في السكاكر  
... لكن إذا كنت تحبينها ... سأحضرها ...).  
ما لبثت ان فهمت قصده، حتى اصدرت ضحكة  
رنانة، أدهشت والدها وزوجها الذي عاد لتوه،



يقول باسمًا بانهار...

(ما الذي يضحك لهذه الدرجة؟؟).. استدارا  
إليه، ليجيبه الحاج زكريا سعيدا بسعادة ابنته

...

(يبدو أن البروفيسور كما تقولون... بارع في  
عمله بالفعل)... تماكنت طائعت نفسها، وزوجها  
يقف جوارها، تفسر له وهي تلمح اشتعال مقلتيه

....

(البروفيسور... أخبر أبي.. أنني في حاجة الى  
قبلة على الخد منه وضمت على الصدر... مع  
السكاكر... وأبي يتساءل.. إن كنت احب  
السكاكر؟)... عادت تضحك بمرح، فابتسم  
اسماعيل وقد فهم فحوى الحوار السابق، يقول  
بتهكم....

(أظن يا حاج... أن طائعت قد كبرت عن

السكاكر ..).

(من قال ذلك؟؟)... قاطعته تستنكر بعبوس  
طفولي أدهشه، بينما والدها يبتسم بسرور  
حقيقي، مطمئنا على سير علاقتها بزوجها، من  
خلال تفاهمهما الظاهر في تعاملهما السلس...  
(طبعًا احب السكاكر... ولعلمك... جدي  
احمد... لا زال يعطينها كلما التقينا... )... بلل  
شفتيه يرمقها بغموض أخجلها، فنطق والدها  
يشعر بصدرة يتخلص من ذنب أثقل عليه...  
(لا عليك بنيتي... سأحضر لك... كل أنواع  
السكاكر... فأنا أنوي زيارتك... مرة كل  
صباح ومساء... واضمك الى صدري.... ولا  
أظنني سأكتفي... )... ودعهما وانصرف على  
وعد بلقاء قريب، فسحبها زوجها يضمها، على  
حين غفلت منها، يقفل الباب خلف ظهرها

هامسا بنبرة لائمت... ..

(اذن والدك ... سيجلب لك السكاكر

...ويضمك صباح مساء ... ألم يشعر بالذنب ...

إلا حين أصبحت زوجتي؟؟... ..) وضعت كفيها

على صدره، تنصت اليه بينما تحولت نبرته الى

توعد مازح... ..

(أظن أن الوقت قد حان ... للبروفيسور كي يعود

إلى دياره ... يكفي ما أحدثه من أضرار... ..)

سائرته ترد بمرح وهي تمسد على سترته... ..

(وما هي هذه الأضرار يا طبيب النفوس؟؟... ..)

ضيق مقلتيه وهو يجيب... ..

(ألا يكفي أنني أتحمل مشاركته في قلبك ...

كي يضيف شخصا آخر ... يزاحمني في

الأحضان والقبل على الخد ... ..) ضحكت

باستمتاع، فأشعلت نار العشق في قلبه... ..



(يا إلهي اسماعيل ... أنت لم تكن هكذا

أبدا... ..) ... اقترب بوجهه منها يهمس بتساؤل

عابث... ..

(وكيف كنت يا ترى؟؟... ..) شهقت بخضرة تأثرا

من قربه، فقالت بتوتر... ..

(كنت رزينا ... باردا ... طيب نفوس ..) ...

اقترب اكثر حتى لفحتها انفاسه الذا فتة،

يهمس بوله... ..

(واشتعل قلب طبيب النفوس ... لتنصهر أحشائه

... ويذوب الجليد عن صدره .... فأصبح يغار من

والد ... يريد تعويض ابنته عن سنين حرمانها

منه ... من يا ترى فعلت به هذا؟؟... ..) توقفت عن

التنفس، وهي تتمتم جوار شفتيه... ..

(م...ن؟؟... ..) وكان آخر ما نطق به، قبل ان

يلتقط شفتيها في قبلة عميقة، عبرا فيها عن



ما يجيش في قلبيهما كلُّ ثُجَاهِ الآخر .  
(حبيبة قلبه ... طائعت...)(.....)

.....  
بعد شهر....

انطلق بسيارته، وانطلق المذياع معه ليصدح  
صوتها ذو النبرة السعيدة في سيارته، وتتسع  
بسمته بفخر وبهجة عالما أنه السبب في تلك  
السعادة التي تنضح بها نبرة صوتها .  
(وهنا يُقفل ملف العربي ... رئيس مجلس  
البلدية سابقا ...ونزيل سجن الجبل حاليا ....  
فليتعض كل من يحاول ... إزاء البشر ... أيها  
المجرمون احذروا ... القائمين على القانون  
وتحقيق العدالة في المرصاد ....).. ضحك  
طارق وهو يذكر يوم ذهب ووالديه لخطبتها،

ليتفاجأ بفتاة تختلف كلياً عن التي يعرفها،  
فتاة خجلت تحمر حياء منه ومن أهله. لكن  
والدته سريعا ما استدرجتها للحديث بنفس  
السرعة التي تآلفتها فيها لتشكلا كما توقع  
حافا.

لم ينتهي شجاره معها كلما التقيا، يستفزها  
فتجيبه ويحتد حوارهما، حتى توشك على  
الانسحاب حنقا، فيرمي لها كلمة لا يظنها  
غزلا لكنها صادقة خارجة من قلبه لها  
وحدها، فتعود الحمرة لتزين خديها وتستكين  
كقطرة ناعمة، لينتعش صدره حياةً وبهجة.  
لقد صدق صديقه الصدوق ابراهيم، ويشعر  
بالحماسة لباقي حياته معها ويرى فيهما والديه  
المحبان بطريقتهما الخاصة .  
(حانت نهاية حلقة اليوم ... أعلمكم سيداتي

آنساتي سادتي ... انتي سأغيب عنك لشهرين  
باذن الله ... بمناسبة زواجي ... سأشتاق إليكم  
.... وبهذه المناسبة ... أنتم مدعون إلى حفل  
زفافي ... فمرحبا بكم ... يوم\* \*... أسعد الله  
اوقاتكم بكل خير ... وإلى لقاء متجدد باذن  
الله.... في برنامجكم\* \*موضوع للنقاش\* \*...  
من إذاعتنا ... قلب الجبل .... معكم ... براء  
الرزقي ....).... هتف طارق بيأس....  
(المجنونة قامت بدعوة جميع أهل الجبل.... وما  
جاوره ممن يسمع البرنامج .... سنفوره  
مجنونة....) ... أوقف سيارته أمام المركز،  
يكمل باسمها بهمس....  
(سنفورتي أنا ... المجنونة....)....  
.....  
منزل .... آل طالب .... مساءا...

ثمطط ميمونة شفتيها وهي تتوسط النسوة  
مستقبلات العروس واهلها، كما اقتضت العادة.  
فمالت عليها رواح تهمس بتوعد أصبح يطغى  
مؤخرا على أغلب حواراتها مع والدتها .  
(اضحكي أمي .... فإن وصل الخبر إلى أبي ...  
لن يعجبه الأمر)... ردت عليها من بين فكيتها  
حانقت....

(ومن سيخبره؟؟) ... منحتها رواح نظرة ساخرة،  
قبل ان تلتفت الى العروس تسحبها من حق التي  
سبقتها لتبارك لها، وتضمها مباركتها هي  
الأخرى....

(أنا ....) ... عبست ميمونه، غير مصدقة مدى  
تغير رواح في معاملتها، بعد انهيارها المخزي  
أمام النسوة، لم تعد كما كانت، بل أصبحت

تنهرها عن اغلب أفعالها، وتهدها بوالدها طوال الوقت. حتى زواج ياسين الذي تراه مخطئا في اختياره، لم تستطع الاعتراض عليه، وقد حذرها زوجها شخصيا من التدخل. سلمت على العروس ببرود عبرت به عن رفضها، لتجد رواح تنظر إليها بتوعد، جعلها تزغرد فارة من أنظارها وتدعو النسوة كي يدخلن إلى بيت آل طالب. ارتفعت دقات قلب حفصة، غير مصدقة بأن حلمها في الاقتران برجل كياسين قد تحقق، وقد أصبحت فعلا في بيته وعلى ذمته. أشارت لها حق تدلها على غرفة زوجها التي أصبحت غرفتها كذلك، فابتسمت لها بسرور، سعيدة بموقفها منذ ان علمت أول مرة بأمر زواجها من شقيقها، لتضمها إليها بحب وتعبر عن مدى سعادتها أن وجدت شخصا يناسبها كشقيقها.

(هذه غرفتكما ... استريحى حبيبتي ... لا بد وأنك متعبت) ... ربتت حفصة على دراع حق بلطف، تجيب ممتنّة...  
(شكرا لك حق ... لكنك أنت المتعبت ... لا تجهدى نفسك ... أنت حامل ...).. هزت رأسها ترد بصدق...  
(لا بأس ... سأطمئن على سير الامور... بعدها أذهب للنوم ... لا طاقة لي بالسهر... عن اذنك حبيبتي ... ومبارك عليك مرة أخرى...)

.....

الحديقة الأمامية للبيت...  
(ما زلت تنتظر؟) ... التفت إليه عيسى يجيب بتبرم....  
(ابتعد عني منصف ... لا طاقة لي ... بمزاحك

الآن... (....)

هم منصف بالرد المازح، فربت عليه بدل ذلك  
يلفت انتباهه، قبل ان يبتعد....

(حظك نازل اليك من السماء ... لا تفسد  
فرصتك... بالتوفيق يا صديقي)... استدار  
مستغربا ليلمحها خارجة تبحث عن شيء ما.

تجمد مكانه يتأملها بقفطانها الأسود المطرز،  
لقد اشتاق إليها بشدة، وروحه تهفو إليها، تلك  
الفتاة أوقعته في شباك هواها وانتهى الأمر.  
أجفل على زفرائها حنقا من عدم تحقيق هدفها  
في إيجاد ما تبحث عنها، فنطق اسمها قبل ان  
تعود من حيث أتت....

(روح!!)... توقفت خطوتها، تلتفت بسرعتها

لتتيقن من سمعها، فتنتقل دقات قلبها في سباق  
مमित، ماذا يحدث لها؟ فكرت، لما كل تلك

اللهفة لرؤيته؟، بل لما كان الوحيد المحتمل

لفكرها طوال مدة عقابها؟، فلم تشكل

الجامعة لديها اهمية كما شكلها غيابها عن

ناظرها هو؟. حتى أنها قررت العودة لزيارة بيت

عائلته لولا خوفها وخجلها من والدها، فهي بعد

حديث نجوى لا تتوقع ما قد يفكر فيه .

تنبتهت إلى قربه منها، فتلافت حولها بخوف

كما نطقت...

(م... مرحبا... ع... عيسى... م... ماذا؟)....

صمتت تمنح صدرها بعض من أنفاسه الضائعة،

فرد باسمها بدفئ، يتذوق بسمعه، اسمه من بين

شفتيها...

(كيف حالك روح؟؟... الجامعة من دونك

خلاء مظلوم...). ضمت ذراعيها إلى صدرها،

تخشى الوقوع من شدة توترها، تتهرب منه



بمقلتها ووجنتها قد احمرتا بشدة، دون ان  
تستطيع الإتيان بأي رد فعل لا حركي ولا  
حرفي. ازدادت دقات قلبه في العدو، وهو يرمق  
توترها الفاضح لتأثرها بما يقوله فأضاف  
متشجعا...

(اشتقت إليك روح ... حاولت رؤيتك ...  
لكنني لم أنجح في ذلك ... وأنت تختبئين في  
بيت أهلك ... لما لم تدافعي عن نفسك روح  
... كي تعودي للجامعة؟) ... قطعت صمتها  
مندفعة تعبر عن ندمها، وهي ترى مدى تراجعها  
عن فخره يعترف لها بحقيقة مشاعره. فقد  
راجعت نفسها حين انجلت غمامة الانتقام  
والغرور، لتجد أن الحمق استفحل بعقلها إلى  
درجة تجاهل حب حياتها وهو يحاول التقرب  
منها، والاعتذار عن ما اقترفه في لحظة طيش

وصدمتها، فالجميع يخطئ. ألم تفعل هي؟ ...  
(ولماذا أذاع؟ ... لقد أخطأت ... واستسلمت  
لعقابي .... يكفي أنني لم أحرم من دراستي ...  
سأحضر الامتحانات ... وهذا هو المهم ...)  
ابتسم لها فشهقت بخفوت، تطرق برأسها  
ليعترف مستغلا الفرصة ...  
(روح انظري إلي ...) ... رفعت رأسها بخجل،  
فاستدرك بصدق ...  
(هل سامحتني على خطئي في حقل ؟؟) ...  
بلعت ريقها، ثم قالت بتردد ...  
(وهل سامحتني أنت على تهوري ؟؟) ... اتسعت  
بسمته يجيب بمزاح ...  
(اعترف أنني في وقت ما كنت على وشك  
قتلك ... وقتل ذلك السمج هيثم ... ونجوى  
معكما .... لكن لا ... ليس هناك ما

تريح قلبي الملتاع يا رواح ... (فغرت شفتيها  
تشعر بحلقها جف، وقلبا سيتوقف من شدة  
هدره، لتنزل صدمة على راسها حين قاطعها  
ابراهيم ينادي على شقيقه بغضب هادر...  
(عيسى!!)... التفتا إليه مجفلين، فأسرعت رواح  
في الانسحاب، بينما الآخر تجمد مكانه ينصت  
لشقيقه الذي اقترب منه يستطرد بجفاء...  
(ماذا تفعل عيسى... هل جننت؟)... أجابه  
بانفعال...

(لو اخطئ ... فأنا أحبها بالفعل ... ) رفع  
ابراهيم أحد حاجبيه، يقول بتوعد...  
(وهل نسيئ إلى سمعت من نحب ... يا  
قيس؟؟)... زفر عيسى يرد بوجوم...  
(لا تتهكم اخي ... كنت فقط أحاول ربطها  
بي ... فانا لست اهلا بالزواج بعد... وقد

اسامحك عليه ... لكل منا عقده الخاصة ...  
تتأجج في قلوبنا... فتدفعنا الى التهور....  
المهم في الأمر... هو التراجع في الوقت  
المناسب ... )... اومات بتفه ثم قالت بتاعثم  
...

(إذن ... لم يعد هناك ما اسامحك عليه ... أنت  
ايضا ... )... أسعدت قلبه، فعلم أن الوقت قد  
حان، ويجب عليه التصرف، ليربطها به ...  
(رواح .... امنحيني بعضا من الوقت ... )... رمقته  
مقطبة بحيرة، فأكمل بتصميم...  
(أنا احبك رواح....) ... احتد تنفسها، وهمت  
بالفرار منه، لكنه منعها يسد عليها الطريق  
مكملا...

(لا أريد زوجة غيرك ... لكنني لا زلت ادرس  
... كل ما اطلبه وعدا منك ... كلمة واحدة...)



يزوجونها في اي وقت قريب ... ضيق ابراهيم  
مقلتيه بغموض، ثم اقترب منه يربت على  
كتفه قائلاً بجديته....  
(و ما يمنعك عن الزواج يا أخي؟؟) ... أطرق  
برأسه يرد بخجل...  
(أنا لم اعمل بعد... ولم أقدم للعائلة شيئاً...  
كما فعلت انت واسماعيل... أو حتى ...)  
صمت فحشه ابراهيم مندهشا من موقف شقيقه  
الأصغر، الذي لم يعد صغيراً....  
(أكمل عيسى ... أو حتى ماذا؟...) ... نظر إليه  
يكمل بآلم...  
(من انقذ حياتك أخي ... وضحي بحريته ...  
في سبيل ذلك ... أما انا ... فلست سوى عبئ  
عليك ...).. ضمه إليه يقاطعه بحنو...  
(لا تقل ذلك أبدا ... لم تكن يوماً عبئاً ... بل

شقيقي... وأكثر من ذلك...أبني ... هل  
سمعت؟).. أبعد قليلاً يستطرد مؤكداً...  
(أجبني هل سمعت؟).. هز رأسه يومئ بتأثر،  
فأكمل ابراهيم....  
(لا انكر شوقي لانضمامك إلي في المصنع  
كي تكون لي سند...ولتستلم مني المسؤوليات  
كاملة يوماً ما.... لكن لا تنسى ان لك حصته  
... في كل أملاك آل عيسى ... خالصته من  
حقوق ... أما زواجك... فيمكننا حل  
الموضوع بما يناسب حيرتك ...). رمقه  
بلاهفتة، فابتسم ابراهيم يكمل بمرح..  
(سنخطبها لك ... ونؤجل الزواج الى ان تتخرج  
...). رفرف السرور على محياه يسأل بترقب...  
(وهل تظن الحاج عبد الله سيقبل؟؟) ... سحبه  
منصرفين يقول بثقتة...

(إن شاء الله سيوافق ... ولجدك طرقه الخاصة  
... سيفرح كثيرا بهذا الخبر... هيا ... يا قيس  
... (ابراهيم!) ... هتف عيسى بعتاب،  
فضحك المعني بسعادة ملئت قلبه المحب...  
.....

غرفة ياسين....

تنفس بعمق وهو يفتح باب غرفته، بعد ان  
تأكد من انصراف جميع الضيوف، واقفا الى  
جانب أبيه لم يتركه للحظة. بحثت عيناه  
عنها بتلقائية، ليلمحها مستكينته على السرير  
بقفطانها الأبيض، وكأنها خيال لا واقع، لقد  
اصبحت له أخيرا، لا يكاد يصدق نفسه،  
يحسبه حلما قد يستيقظ منه، في أي لحظة.  
اقترب منها وجلس جوارها يتأملها. ملامح وجهها

مرتخية، كشالها المفتوح دون ان يزال كليا  
من على راسها. مد يده يسحبه برويته، فانتفضت  
مجفلة ليرفع كفيه باسماء باعذار...  
(آسف... ظننتك نائمة... )... عضت شفتها  
حياء، دون أن تتحدث، فاستدرك....  
(مبارك علينا يا حفصة... أنا سعيد ...  
بزواجي منك ... )... ابتسمت بحياء تجيب  
بخفوت....  
(بارك الله علينا... وجمعنا في خير...)  
تمتم ياسين بآمين ثم قال يتفحص المكان  
حواله...

(هل نصلي ركعتين نبدأ بهما حياتنا... وندعوه  
ليبارك ارتباطنا؟) ... أوامات بسرور، وأسرعت  
تسحب سجادتي الصلاة، صلى بها وتلى الدعاء،  
ثم غاب في الحمام يغير ثيابه، ليعود إليها

... ( ... رفعت كفها بتمهل وتردد، وأرخت الشال  
حول رأسها ثم نزعته كلياً ، لتتسدل خصلاتها  
السوداء. كتم تنهيدة حارة، وهو يسحبها فوق  
صدره، يمسد على خصلاتها هامسا بجنو...  
(لا تخافي مني حفصة... لقد تعهدت لك ...  
بحمايتك ... والمحافظة عليك ... لن أسمح  
لنفسي أو لأي شخص آخر أن يؤذيك ..)...  
ابتسمت والراحة تتسلل الى أحشائها،  
واستكانت على صدره تتنفس من عبق عطره  
الرجولي، فأضحى كل شيء من حولها  
كالحلم، وهي ترى نفسها تستجيب لكل  
حركة منه، كالمسحورة لتتلقى أول قبلة  
حقيقية شعرت بها من صميم قلبها، قبلت  
غاصت بهما إلى أعماق دواخلهما، وما تلاها  
كانت رحلة تشاركها بسلاسة، وتناغم لم

ويجدها بنفس قفطانها. جلس بالقرب منها على  
السريير يسأل باطف...  
(ألن تغيري ثيابك ؟؟) ... (ها؟!)... نطقت  
ببلاهة، فقد نسيت نفسها في خضم تفكيرها  
بما سيحدث، بينما تنهال عليها ذكريات مريرة،  
فتندلع حرب شعواء في أحشائها بين خوف  
مسيطر ودفاع عن حبيب مختلف، وعدها  
بالتفهم والحب والحنان. لاحظ شحوب بشرتها،  
فتفهم وضعها، وخوفها .  
استلقى في مكانه، ومد كفها إليها يقول برقة  
...  
(لا مشكلت ... إن كنت متعبت ... لا تغيريه ...  
تعالى .. كي ترتاحي ...). ... أومات مستجيبة له  
فقال بحذر...  
(أنزعي طرحتك حفصة كي تسترخي اكثر

سعادة...

(لا... أنت لم تؤذني ... فقط لا تذكر الماضي  
... لا اريده ان يفسد علينا حاضرننا معا ... من  
فضلك ياسين ...). دنى من وجهها بوجهه،  
يجيب بعشق خالص لها...

(لا ماضي ولا حاضر... ولا مستقبل بإذن الله الا  
معك... حبيبتي ...). ابتمت له بخجل،  
فمسح دموعها برقته، يستدرك....  
(اخبرتك أنني احبك مرات عدة ولم اسمعها  
منك ولا مرة...). خبات وجهها في صدره،  
فضحك بسعادة انطلقت من قلبه الذي لم  
يخيبه، يقول بمرح...

(لست مستعجلا ... لكنني سأنتزع منك  
اعترافا... يوما ما ... لا بد وان أفعل....). ضمت  
نفسها إليه أكثر، فطوقها بشدة يحمد ربه سرا

تتوقعه، بل لم تعرف عن وجوده قبلا، فما كان  
ذلك الذي عاشته قبله زواجا، ولا كان ما رآته  
من ذلك الرجل سابقا عشرة. ارتفعت معه الى  
أعلى السموات، فحلفت هنالك تحملها الغيوم  
على ريشها الناعم الحريري. لتتعم بأحاسيس  
تكتشفها لأول مرة، ومعه هو حبيبها ياسين.  
رفع وجهها يقبل أنبته أنفها، غير مصدق لما  
حدث لتو، فهمس من فرط سعادة قلبه...  
(حفصة ... أنت عذراء؟! ...). تراكمت عليها  
مشاعرها الجياشة بالعاطفة، فبكت بنحيب  
خافت هز أحشائه، فضمها إليه يهدئها ويسأل  
بهلع...

(ششش... أنا آسف ... هل أذيتك ... حفصة انا  
(... تماكنت شهقاتها، ترد بإشفاق، فهي لا  
تريده ان يُدين نفسه، بعد كل ما منحها من

على فيض كرمه عليه.

.....

بعد يومين ...

المشفى .... قسم الأمراض الباطنية....

ضمت وجهها مطرقة برأسها ، كمن يحمل هما  
أثقل ظهره. تتنازعها الأحاسيس بين شوق لرجل  
علمت أنها وقعت في المحذور حين احبته، وبين  
عقل يجلدتها بسياط العقاب، واللوم من أجل  
عذاب نست أمره، بسبب من؟ رجل شبيه بمن  
أذاقها الألم بشتى أنواعه. رفعت وجهها الى  
السقف تتنفس بعمق وهي تهمس لنفسها بعتاب  
...

(أفيقي يا سناء ... ليس فيه ما يناسبك ...

سيغادر وتنسينه مع مُضي الزمن ... )... أومأت

بتصميم خبي ما إن أتتها نبرته المعاتبية....

(ألن تودعيني يا سناء؟؟) ... استدارت بسرعة

ألمت عنقها ، فرفعت كفها تمسدها وهي

تستقيم على رجليها.

تقدم إليها بخطى متمهلتة وقد أصبح يسترجع

صحته بتروى، كما أخبره الطبيب، وأوصاه

بمراقبة طعامه، جودته وصحته .

(انتظرتك ... حتى فقدت الأمل من مجيئك

... وأتيت إليك أنا ...). ... بلعت ريقها ثم رفعت

دقنها تجيب بكبرياء، قبل ان تستدير عنه ..

(حمدا لله على سلامتكم... أدعو الله أن لا تعود

الى هنا مرة اخرى ... اعتني بصحتك جيدا ...

ولا تنسى الرقية .. والصلاة ... لا تترك أبدا

قراءة القران ... وأدعية التحصين ... وداعا

...). ... ابتسم بحزن واقترب اكثر، فشهقت حين



اكتشفت مدى قربته وهو يقول....

(هذا فقط؟! ...) ... عضت شفتها، وقلبيها يتوثب  
ينشد الحرية من سجنه، لياوي الى صاحبه.  
لكنها ضغطت على نفسها واستدارت إليه تجيب  
بتوتر من قربته...

(... ماذا تريد يا عزيز؟!...) ... أطرق برأسه قليلا  
يرتب كلماته التي نسقها في عقله قبل أن يأتي  
إليها، بل قبل يومين او اكثر، فستان بين من  
كان يتعامل معهن من فتيات جريئات، أو حتى  
حفصة النقيضة تماما عنهن، تختلف عن هذه  
الانثى أمامه، تجمع بين الحزم والحنان، بين  
القوة والرافة، مزيج مختلف نادر، استولى على  
قلبه فلم يعد يريد غيرها .

(أريد الكثير يا سناء ...) .. ارتعدت بشكل  
حرفي، فبسطت يدها من خلفها إلى حافتها

الطاولة كي تستند إليها، تخفي ضعفها الذي  
تمكن منها، بسبب نبرة صوته اليائسة  
المتوسلة..

(وذلك الكثير يجتمع في مرآة واحدة... هي  
أنت يا سناء...) .. أطلقت سراح أنفاسها وعاجلته  
تدافع بشراسة...

(عزيز!)... لست عاهرة ... ولا حتى قديسة ....  
ولا شيئ يجمع بيننا ....) ... توقع اندفاعها،  
فأسرع هو الآخر يفسر....

(أول الأمر... أنا أقصد الزواج لا غيره .... أما ما  
يجمعنا فهو كثير يا سناء .... وإن أردت نكران  
ذلك .... إفعلي لكن وأنت تنظرين في عيني  
.....) ... تلافنت تضر منه وهي تعود إلى الخلف،  
كي تبتعد عن حصاره، فأضاف محذرا بحزن...  
(لا تهربي يا سناء ... ما شعرت به تجاهك أمر

جديد ومختلف... وعميق.... لا استطيع تجاهله  
(... لا تريد لقلبها الضعف، ستندم بشدة....  
(ارحل يا عزيز من فضلك... )... تحدث بعد  
تردد يقول بحذر....  
(لقد سمعت كل حديثك ... حين كنت  
عاجزا عن النطق.... وأعرف كل مخاوفك  
(... اتسعت مقلتيها دهشة، فهتفت بمرار ..  
(لن أعيد خطئي يا عزيز.... ).... طعنته في  
قلبه فقال بحسرة يشير إلى نفسه....  
(أنظري إلي.... لقد تعلمت الدرس بأصعب الطرق  
... كيف سأنسى وأعود إلى ما كنت عليه؟؟)...  
ضغطت على أعصابها لتظهر القسوة مجيبت  
بحدة....  
(ستعود يا عزيز... إنه طبعك الذي نشأت عليه  
.... جزء من تكوينك.... وما إن تجد في

نفسك القوة .. ستعود... وأنا أخذت كفايتي  
من العذاب ... لا يلدغ المؤمن من جحر واحد  
مرتين... ).... زفر أنفاسا متتالية كي يطفئ  
النار في جوفه، انها محقة، هو نفسه يخشى  
على نفسه، من فشله في التغير وخسرانه  
لآخرته ودينياه. تهدلت كتفاه بحزن وبؤس يُقر  
.....  
(إذن دُلّيني على الحل... )... نظرت إليه مقطبة  
بحيرة، فاستدرك...  
(أنا أيضا أخشى على نفسي من نفسي... ولا أريد  
العودة الى ما كنت عليه.... لكنك قلتها انه  
طبع ... يصعب تغييره... ولا يستحيل ... فدُلّيني  
على علاج ... او حل ... أو أي شئ ... أفعله ...  
فقط لا ترفضني قربي منك... لم أعهد فيك  
الضعف او الاستسلام.... لطالما كنت مقاتلة

شرسة... لا تفقدين الأمل حتى في مسحور سلم  
الجميع بهلاكه...). شعرت بنفسها  
مستنزفة، فهوت على الكرسي تتنفس بحدة،  
وانتظرها بصبر، كمن ينتظر حكما من فم  
قاض العدل. تراحمت الأفكار بين عقلها  
وقلبها، فقالت ما اهدت به حينها من حكمت  
...

(ستفعل اي شيئ يا عزيز؟؟)... اقترب منها  
مؤكدا بتصميم...

(جربيني يا سناء)... نظرت إليه تقول بجديت  
...

(سنقصد أطباء النفس... لهم قسم خاص هنا  
... أنا وأنت... سنعرض عليهم مشاكلنا  
...ومخاوفنا... وإن كنا نصلح للزواج أم لا  
....)... ضيق مقلتيه بعدم تأكد فأضافت بحزم

(لن أجبرك على شيئ... أنت حرفي قرارك  
... لكنني أبدا لن أقبل بك... إن لم أكن  
مقتنعة تماما بارتباطنا...). ابتسم لها يومئ  
باستسلام...

(وأنا موافق... سأبدل جهدي كي أقنع نفسي  
قبالك...بتغيري...). تسلمت البسمة  
المتأملت الي ثغرها، ترمقه بتأثر ورجاء في  
مستقبل تعيش فيه السعادة والاستقرار.

.....  
القسم النفسي.....

خرجت من سيارة الأجرة تبتسم بفرح،  
فالبروفيسور عاد خصيصا من مدينته كي  
يحضر معها آخر جلسته رسميت في المشفى، ثم  
ليعود بها الى حيث ستدرس، وقد دبر لها



السعادة ...)(... (الحمد لله .... العقبى لك ...  
رزقك الله بالذرية الصالحة ...)(...  
(أمين ...)(... لم تكن تلك مريم التي نطقتها،  
فقد سبقها الدكتور أمين الذي يبدو عليه  
العلم بقدومها، فتسلل الى القسم كي يلتقي  
بها. تحدثت طائعتا بمرح تقول وهي تنسحب من  
مكتبها..

(حسنا مريم ... سأستدعي البروفيسور فهو في  
جولته تفقدية ... او لنقل فضولية ...)..  
ابتسمت مريم بخجل تتلفت حولها لاهية عنه،  
لم تتعود على تلك المشاعر بعد، فتتلبك  
أمامه هو لوحده. لا احد غيره يصيبها  
بالارتباك والتوتر.  
(كيف حالك مريم؟؟) ... نطقها بشوق، فردت  
بلهفة...

المسكن في بيت للطالبات وسجلها بمعهد  
التمريض الخاص. كما وعداها بمتابعة حالتها  
كي يطمئن على سير العلاج على المدى  
الطويل. استقبلتها طائعتا بهجة مضاعفة،  
فسألتهما بحيرة...

(أنت سعيدة جدا طائعتا ... ماذا هناك؟؟)....  
ضحكت بخفوت ترد بمرح...  
(سأخبرك وتكونين أو واحدة ... زوجي بنفسه  
لم يعلم بعد...)) ... مالت عليها تهمس بخجل..  
(أنا حامل .... تأكدت هذا الصباح ....تصوري  
لم ألاحظ ذلك ... بسبب العمل والانشغال  
....حتى أبدأت ممرضت ملاحظة ما بسبب تعبتي  
والدوار ....)) ... ضمتها مريم تبارك لها بسرور  
صادق...

(مبارك عليك حبيبتي ... تستحقين كل

(الحمد لله ... لم أعد أغيب عن الوعي ...  
وأموري مع عائلتي في استقرار...).... هز رأسه  
يرمقها بحنو، يقول...

(الحمد لله ... لطالما علمت انك قوية ... ولن  
تستسلمي ..) ... بللت شفثيها حياء، ففتنت قلبه  
وضخمته بالمشاعر لينطق دون تفكير...

(مريم ... هل سترحلين بالفعل مع  
البروفيسور؟).. أجابته وهي تعتدل في جلوسها،  
وتسوي ثنايا وهمية في تنورتها...

(أجل ... أخبرتك من قبل ... سألتحق بمعهد  
التمريض بإذن الله ...).. لم يكن ليتردد بعد  
ان سمحت له الفرصة يقول بجديته، وهو  
يستشعر مدى الحزن والوجوم الذي حل على  
قلبه من مجرد تصور رحيلها، وعدم مشاركتها  
له هواء الجبل...

(مريم ... أنا كنت أريد مفاتحتك في موضوع  
مهم .... وأود معرفة ردك قبل سفرك...)..  
قبضت على كفيها كي لا يظهر ارتعاشهما  
تنتظر، وهي تومئ، فأكمل...

(أريد الزواج منك يا مريم ... فهل تقبلين بي  
؟؟)... قلبها كان يخبرها، وتوقعت طلبه هذا  
من خلال لهفته لرؤيتها كل ما أتت من اجل  
جلساتها، لكنها ظلت تنهره عن احلامه  
المستحيلية، لتقف الآن على حافة خيارين  
كلاهما لا يقل اهمية عن الآخر. طال صمتها  
فبدأ اليأس يزحف الى أحشائه، والندم على  
تسرعها، ليجفل كلاهما على البروفيسور  
يقاطعها قائلاً بحزم...

(مريم .... لا تهربي ... على ماذا اتفقنا ؟؟....)..  
رمشت بجفنيها، ثم قالت....

.... فهل انت مستعد للانتظار؟؟....).... لا زال  
على بسمته، بينما مقلتيه تشع فخرا واعجاب،  
ليتدخل البروفيسور قائلا بمكر...

(مهممم... مريم لازالت في العدة ... حين  
تنتهيها ... اطلبها من أهلها... ولتكن خطبة ...  
وخذا الأمور بروية ...). فغرت مريم شفيتها  
تفكيراً، فقال الدكتور بلهفة يحاول اقناعها

...

(ما رايك مريم؟؟... انا موافق جدا ... ومن  
يدري؟.. قد اقنعك بالزواج مني... قبل  
تخرجك... ففي النهاية أنا لن أمنعك من  
تحقيق احلامك... بل سأساندك بكل ما  
استطيع ...). لمعت مقلتي مريم بالسعادة  
والحب، ثم أومات بخجل، بينما البروفيسور  
يقول ضاحكا وهو ينسحب....

(يجب أن أكون واضحة... مع كل من يهمني  
أمرهم... ويؤثر علي احساسهم تجاهي ...).  
ابتسما كلاهما والأمل عاد لينفجر في صدر  
الدكتور امين، وهي تكمل بجديته تخصه بها  
...

(أنا طبعا... أقبل الزواج بك... دكتور أمين  
... لكنني أريد لحلمي الآخر أن يكتمل....  
كي أشعر أنني أليق بك.. وبمكانتك ....  
(.... هم بالرد وقلبه ينبض في مكانه يعلن  
النصر، لكنها أوقفته تنهي حديثها بصدق...  
(هذا ليس فقط من أجلك ... بل من اجلي ... لا  
أريد ترك ثغرات لنفسي كي يلعب فيها  
الشیطان .... حين أخرج كمرضة بإذن الله  
... وأتبت جداتي ... سأصالح مع نفسي.... وقد  
حققت لها كل ما كان من حقها وحرمت منه

(على بركة الله ...مبارك لكما ... استعدي  
يا مريم .... غدا بإذن الله ... سابت لك سيارة  
أجرة.. كي ثقاك الى المطار... استأذنكما  
لدي عمل مهم ... يجب اتمامه قبل الرحيل  
...)

.....  
مساء ....منزل إل عيسى....

كانت العائلة مجتمعة في الحديقة الأمامية،  
تستعد لحضور حفل زفاف المفتش طارق وبراء،  
حين انضم إليهم اسماعيل بعد مكالمته  
هاتفية قلبت مزاجه، فسألته طائعت بقلق...  
(ماذا حدث؟؟)... نظر إليها يقول بأسف، وحزن  
..

(أحد مرضاي ... مصطفى آل منصور...توفي  
اليوم ...)... ربتت على ذراعه تهمس بمواساه...

(رحمه الله ...أجرك الله حبيبي ...)... هز  
راسه متمتا بالرحمة، فارتفع رنين الجرس.  
أسرعت تغريد تفتح الباب لتجد رجلا تعرفت  
عليه، ومن خلفه فتاة لم ترها من قبل....  
(مرحبا يا صغيرة ... أين اهل البيت؟؟)...  
عبست في وجهه ترد باندفاع...  
(لست صغيرة ... وهم مجتمعون في الحديقة  
...تفضل)... ضحك البروفيسور وهو يشير  
للفتاة كي تتقدمه، قائلا بمرح...  
(اووووه ...بل صغيرة جدا .... لا تتسرع يا  
صغيرة... تكفيك سرعة تعاقب الزمن ... )...  
قطبت بجهل، بينما هو يلقي السلام على أفراد  
العائلة الذين استقاموا واقفين بتأهب، والحاجة  
إيجتة على كرسيها النقال تئن خوفا وقلقا،  
فاقترب منها ولديها يقفان كل منهما الى جانب

ويربتون على كتفيها. وكان أول من نطق،  
إسماعيل بهدوء زائف ...

(عليكم السلام بروفيسور...ماذا تفعل صباح  
هنا؟؟)... نظر البروفيسور الى الحاجتة، فتقدم  
نحوها يقول بلطف...

(سيدة إيغتة ... هل تذكريني؟؟ ... فلقد  
التقينا مرة واحدة... من قبل ..) ... هزت رأسها  
ومقلتيها في اتساع، فابتسم لها مستطرد...  
(الآنسة صباح ... تود الاعتذار منك ... وطلب  
السماح ...ومن سائر أفراد عائلتك... )... نقل  
أنظاره إليهم جميعا، فظلوا على صمتهم  
باستثناء اسماعيل الذي انحنى تجاه والدته  
يقول برقته...

(إن كنت رافضة... أطلب منها المغادرة أمي ...  
لا تضغطي على نفسك ... )... رمقه البروفيسور

بسخرية، وحركت الحاجتة رأسها تشير لصباح  
المتسمرة مكانها بترقب، كأنها تمثال جامد.  
فقال البروفيسور...

(تقدمي صباح ...هذه فرصتك ..كي تنسي  
الماضي ...وتبدئي حياة جديدة ...خاليتة من  
الظلم .....) ... حركت قدميها بمشقة، وجلست  
القرفصاء أمام الحاجتة .

كم لزمها من وقت كي تستطيع مواجهة  
أخطائها أخيرا، لكنها عازمت على الشفاء من  
علاتها، ولا يمكن ذلك إلا بتحصيل الغفران  
من المظلومين. لم تكذب تباداً حديثها حتى  
تهدج صوتها ونزلت دموعها مدرارا، دموعا من  
شدة صدقها، فاجأت الجميع...

(خاليتة إيغتة ... لن أقدم لك تبريرات ولا  
حجج.... لأنني لا أملكها .... ما فعلته كان

على رأسها دليلا على مسامحتها، معترفت  
بداخلها أن ما خشيته أكثر هو أذية أبنائها،  
وبعد أن زال الخطر عليهم لم تعد تكثر، فهي  
قد تعبت من الأحقاد والغم، تريد العيش مع  
أولادها وأحفادها القادمين بسعادة فيما تبقى من  
عمرها .

(هل هذا يعني ... أنك سامحتني؟؟) ... أومأت  
موافقة، فابتسمت صباح بأمل، وتلقفت كفيها  
تقبلهما بسرور، جعل الشقيقين يتراجعا عن  
موقفهما، بينما الحج يبتسم براحة، والفتيات  
تدمع مقلهن.

(شكرا لك يا خالتى ... أشكرك ... الحمد

لله ... الحمد لله) ... نظرت إليهم بعد ان

استقامت واقفت، ثم اقتربت من حق تقول

بخجل وتوجس...

فضيحا ... وليس له تبرير... لذا سأطلب منك  
الغفران.... حتى إن اقتضى الأمر التوسل لك ...  
أنا في عذاب أليم ... امنحيني السكينت  
بغفرانك ... بل جميعكم... سامحوني ... حتى  
عذر مرضي لا يشفع لي .... لذا لن استعمله  
لأستدرّ عواطفكم .... فقط اعلموا انني  
بالفعل أردت يوما الانتماء الى عائلتكم ... )  
منحت اسماعيل نظرة بطرف مقلتها، قبل أن  
تعود الى الحاجة المراقبة بصدمة، فهي  
بالفعل سلمت بجنون الفتاة، خصوصا اثناء  
زياراتها الليلية، ومن طريقة حديثها الغير  
متوازن .

(من فضلك يا خالتى ... لن تري وجهي بعد

اليوم ... أعدك ... فقط سامحيني ...). ذرفت

الحاجة إيجة الدموع، وهي ترفع كفها وتربت

(لا ادري ان كنت ستمنحينني غفرانك ...حين  
تعلمين أنني .. دفعتك من على الدرج بتعمد  
...)(... هتف ابراهيم بغضب وهو يسرع الى  
زوجته يضمها...

(ماذا؟؟)... تراجعت صباح خطوة الى الخلف  
بهلع، والبروفيسور يهم بالتدخل، لكن حق  
سبقته وهي تضغط على ذراع زوجها كي يهدأ،  
وتقول بحكمة ورُقي....

(أنت لم تتعمدي ذلك ... أنا متأكدة... كنت  
مريضة ... والله لن يحاسبك على ما اقترفته  
وأنت فاقدة لمنطق تفكيرك ... فمن انا كي  
أحاسبك؟؟... الله لطيف خبير... وغفور رحيم  
...هوني عليك ...).. نطق البروفيسور باعجاب  
لم يتحكم في كتفه...

(احسنت يا فتاة ... هنيئا لكم يا أبناء آل

عيسى ... بنساء واعيات ...صالحات ... )  
انتشرت البسمات كالعدوى، باستثناء صباح  
التي طلبت اليقين...

(هل سامحتموني؟؟ ... ).... تحدث الحاج

ابراهيم يقول عنهم بحنو...

(أريحي قلبك بنيتي .... لقد حصلت على

مرادك ... واسأل الله ان يتم علاجك بخير  
... وتسعدي في حياتك ... )... ابتسمت أخيرا،  
تمسح دموعها فأشار لها البروفيسور كي يغادرا،  
لكنها طلبت منه الانتظار، وخطت إلى طائعة.  
توترت المعنية فوجدت زوجها الى جانبها، يضم  
كفها داخل قبضته. والأخرى تبتسم بحزن  
وهي ترمق حميته تجاهها...

(مرحبا ....).... صمتت فقالت طائعة بترقب...

(مرحبا بك ..).... هزت رأسها وهي تضم ذراعيها

للموقف، فبادلها بنظرة أخرى تعني .... أن لقد  
تبادلنا

.....

في وقت لاحق من الليل .... فندق \*\* زهرة  
الجبل ... \*\*

رفع رأسه الى سقف المصعد، يصرخ بعث، وهو  
يدس كفيه في جيبه سروال بدلته السوداء  
الأنيقة، يتجاهل عبوسها الطفولي المصاحب  
لذفرات حانقة، يكاد تنفست منه ضحكات  
عالية، لكنه اكتفى بكل ما فعله بها ولا  
يريد دفعها إلى الحافة. فُتح باب المصعد،  
فتقدمته بعنف تضرب الأرض بكعب حذاءها  
الأبيض كبيض فستان زفافها الحريري. ابتسم

إلى صدرها، تستدرك بتردد...  
(لا اعلم كيف أقول هذا؟؟.. أنا أريد التعرف  
عليك... في الحقيقة... قبلا كنت  
أكرهك... واعتبرتك سارقة لما هو لي  
... لكن ... اكتشفت أنني السارقة الوحيدة  
بيننا... )... قطبت ترمقها باستغراب، وهي  
تكمل...

(أتمنى ان تتعرف على بعضنا... .. أنت اختي  
الوحيدة ... وحتى لا أعرف معنى لهذا  
... لكنني أرغب بالتعرف عليه ... فما  
رأيك؟؟) ... تشكلت البسمة على ثغرها، ترد  
باطف...

(طبعاً يسعدني ذلك ... والأخوة شيئ رائع ...  
ولا يكون دائماً برابط الدم ... صدقيني ..)  
أرسلت نظرة امتنان ودفئ للبروفيسور، المتابع



بمكر وهو يفتح باب غرفتهما، لا تعلم كم  
تعجبه في هيئتها تلك بضستانها الملاصق  
لمنحنياتها، تتخصر بغل أضاف إلى جمال  
قسماتها الصغيرة لذة أشعلت فتيل رغباته  
الدفينة. خطى الى داخل الغرفة حين لمح  
تسمرها في مكانها، انتظرها حتى نفذ صبره  
وعاد إليها يسأل بحيرة....

(ماذا تنتظرين يا براء؟؟... أوشك الفجر على  
الانبلاج يا ابنة الرزقي....) ... ضغط على  
شفتيه غير متنازل على جمود ملامح وجهه،  
وكل ما يشتهييه هو الضحك حتى تظهر  
نواجده، من منظرها وهي تحمر وتخضر حنقا،  
تهتف بانفعال...

(وهل سأدخل هكذا .... على قدمي؟؟) ...  
قطب بحيرة حقيقية، يرد باستغراب...

(لا افهمك؟... وكيف يدخل الناس الى  
الغرف؟؟).... أطلقت نضاً طويلاً حتى حسبها  
ستنقضي من غلها، ومسدت على جبينها تقول  
بنبرة تعمدت ان يسمعها...

(يا ربي ماذا فعلت في نفسي؟؟..... وماذا  
ينتظرني بعد؟؟) ... مطط شفتيه يهتف بتهكم  
....

(فات الأوان على الندم ... كما ترين ... لقد  
تزوجنا وانتهى الأمر... وليس بيدنا حيلت  
...سوى مجابهة المجهول الذي ينتظرنا معا  
.....) ... قلبت مقلتيها وقد اشتاطت أعصابها،  
تقول بغضب...

(يا الله يا طارق .... هذا كثير علي ... أنظر..  
(... رفع حاجبه مركزا، فأكملت تشير إليه ثم  
إلي نفسها، وكأنها تعلم طفلاً صغيراً....

على قضاء الليلة هنا ... وغرفتي في بيتنا  
أكبر وأوسع.... لعلمك فقط ...). ضربت  
رجليها بالأرض تهتف وهي على وشك  
البكاء...

(يكفي ... لم اعد أريد منك شيئاً ...  
أخبرتكم من قبل ... انا لست من الجبل ...  
وتقاليدنا مختلفة... ومع هذا فعلت كل  
تقاليدكم إكراماً لوالديك .... وأنت ... أنت  
جعلتني مصدر سخريته لكل صديقاتي واهلي  
... كل مرة اتوسل فيها اليك .. كي تتنازل  
وتقوم بتقليد من تقاليدنا ...). اقترب منها  
يقول بحنق وقد نسي تماماً أين هما...  
(وهل تسمين الاستعراضات التي قمت بها الى  
جوارك .... تقاليد؟ .. يا ظالمة ... سبع ساعات  
.... وأنا اغير من زي لآخر ... لم تتركي زياً

(من المفترض أن يحمل العريس عروسه ... ليلت  
زفافهما إلى غرفتهما ...). زم شفثيه إلى  
الأمام، يضيق عينيه بتفكير، ثم قال  
بتفلسف....

(من قال هذا؟؟) ... قفز حاجبها دهشة، كما  
أجابت ...  
(وهل يهمك الجواب؟؟) ... هز كتفيه بخفة  
يجيب...  
(أكيد .... إن كان عالماً جليلاً ... أو فيلسوفاً  
عظيماً ... أو ...). قاطعته بعدم تصديق تقول  
...

(وإن لم يكن أي من هذا؟! ... وأنا طلبت منك  
فقط !!...). ابتسم ببراءة مزعومة يرد...  
(سأفعل .... لكن.. هذه ليست غرفتنا .... وهذا  
خطأك أنت ... لا أعلم ما السرفي اصرارك

العامل بخرج، فنفخت براءتهم بالدخول  
مستسلمة، لكنه أوقفها، ثم أشار للعامل...  
(انتظري!!) ... وأنت انصرف لو سمحت... سندخل  
غرفتنا حالا...)... اختفى العامل في رمشة  
عين، ونظرت إليه ساخطة، لتشهق بشدة حين  
حملها بخفة، كأنها لا تزن شيئا، ودخل بها إلى  
غرفتهما .

(ماذا الآن؟؟) ... اضحك ام أن هناك وقتا  
محددا؟! (...).. كانت على وشك الرد بحق،  
لكنها حولته الى مكر تجيب بدلال....  
(يقولون... كل رجل على حسب قوة تحمله  
....). ... عاد يرفع احد حاجبيه، يرد ساخرا...  
(سيمر اليوم بأكمله... ونحن هكذا... فأنت  
بوزن الريشة ...). .. ابتسمت له بصدق تقول،  
وهي تتشبت بعنقه... ..

رسميا ... لأي مدينة على الصعيد الوطني ...  
وتجاوزت ذلك إلى الهندي والغربي .... لقد  
كنت فُرجة... للناس فاقداهيبيتي ... وأنا الذي  
لم يتقبل الاستعراضات العسكرية ويتنصل  
منها... بأي سبب .... تجبرني سنفوره صغيرة ...  
على الجلوس فوق الطيفور... والتلويح للناس...  
وكأنني ملك يجمال رعيته (...). ... عضت  
شفتها السفلى غيضا، تحدجه بنظرات غاضبة  
متبادلة، ليجفلا الاثنين على نبرة رسمية  
بلمحة قلق...  
(عفوا سيدي... هل من مشكلة؟؟) ... ضمت  
ذراعيها إلى صدرها، لا تتنازل عن عبوسها،  
فقال بامتعاض متهكم...  
(أبدا... الرواق نال إعجابنا... فتمهلت والسيدة  
حرمي ... لتأمل حُسن بهائه ...). ... تنحنج

(شكرا لك ...) .. بلع ريقه متأملا ثغرها

الباسم، يسأل بريبته..

(شكرا على ماذا؟؟) ... (لأنك غازلتني)...

ردت، فقطب جبينه حيرة، يقول...

(كيف ذلك؟؟) ... جعدت دقنها ياسا تفسر...

(قلت عني رشيقته ... شكرا لك ..) ... صمت

للحظة يفكر، ثم قال باستغراب...

(لقد قلت وزن الريشة ... وأنت) ... لمح تحول

نظراتها الى التوحش، فابتسم بمرح مفتعل

يستدرك...

(أنت رشيقته ... طبعا رشيقته ... لكن بالله

عليك ... ألغي هذا التقليد ... الفجر سيؤذن

بعد ساعتين لا أكثر... وأنا لم أغب عن صلاة

فجر .. منذ الصغر ... ولن ابدأ زواجي .. بالغياب

عن الصلاة .... أنه فال شوئم علينا ...) .. هزت

رأسها موافقة، فوضعها على الأرض. حل عليهما

الصمت ليشملهما التوتر، فقالت بخجل زحف

إليها رغما عنها...

(ألن تغير ثيابك؟؟) ... لم يجيبها وسأل بدل

ذلك...

(هل أنت على وضوء؟؟) ... هتفت حين تذكرت

وهي تضرب على جبينها... ..

(أجل... الصلاة كدت أنساها... لقد اوصتني

أمي بذلك ..) .. بحث بعينيه عن سجادة

نظيفة، يغمغ بتهكم...

(فيها الخير..) ... (ماذا قلت؟؟) ... ابتسم بظفر

حين وجدها، يقول بجذل...

(حماتي ... فيها الخير) ... أومأت بلا معنى،

وسحبت عباءة مفتوحة من حقيبتها، لتضعها

فوق فستانها، ثم صلى بها .



أنهيا الصلاة، ثم اقترب منها فعادت إلى الخلف  
خطوة، ورمقها بدهشة من فعلتها، لتتهرب قائلة  
بتوتر..

(ألن تغير ثيابك؟؟) ... ابتسم يقول بمزاح وهو  
يضع كفه على رأسها من فوق طرحتها  
البيضاء...

(مالك انت وثيابي؟).. ... احمرت أكثر،  
فاتسعت بسمته وهو يتلو الدعاء، ثم قال....  
(انت ايضا لم تغيري فستانك...) ... شبكت  
كفيها، تتلعثم بحروفها...

(ا... جل... س.. أغير... ال... ف)... ضحك  
يضيف الى توترها الذي نال اعجابه كما  
يعجبه حنقها، انه فعلا يحبها في كل حالاتها

...  
(ما بك؟؟... لو لم أكن أعرفك حق

المعرفة... لقلت انك تموتين خوفا... ورعبا  
...). .. عادت للعبوس بسبب سخريته، تهتف  
بحمق...

(لست خائفة...).. تحداها وقد وجد إليها  
المسلك...

(بلى... وترتجفين خوفا...). ... (لست خائفة...  
قلت لك! ..) ... استجابت لتحديه مستنكرة،  
فقال بتصميم...

(برهني على ذلك...).. ضمت بين حاجبيها،  
وهي تمسد على فستانها، مستفسرة...

(كيف؟؟).. ... (اقتربي)... أشار إلى المسافت  
بينهما، فخطت إليه تاجم توترها، وخوفها من  
القادم. وقضت أمامه تطرق برأسها، فقال مجددا

...  
(ارفعي رأسك...). ... رفعته بكبرياء، تنظر

هناك الغد .... وبعده... وبعده.... بإذن الله  
(...).. حملها مرة أخرى، ووضعها على السرير،  
ثم نزع سترته ومقلتها تتسع صدمته تتمم..  
(م .... ذا... ت... فعل؟؟).. بدأ بفتح قميصه  
يرد بتهكم...

(ها انا اذا انزع ثيابي ... الم تسأليني مرتين  
؟؟).. فتح قميصه بإهمال، ثم استلقى جوارها،  
ومد يديه كي ينزع طرحتها، استنكرت  
مجددا، فقال بجديته...

(براء ... نحن تزوجنا...فسلمي بذلك...أفضل  
لك .... لن نقضي الليلة في مصارعة للديوك  
... )... أمال رأسه متراجعا عن حديثه يصحح،  
والأخرى تراقبه بصدمته، وهو يرمي الطرحة  
جانبا ويمسك خصلات شعرها بعث...  
(حسنا .. إنه نوع من المصارعة .. لكن حتما

إليه بتصميم، فمال إليها مسحورا بنظرة عينيها  
التي برزت زرقتهما بفعل تحديدهما بالكحل.  
وحين لم يفصله عن شفيتها، سوى انشأت قليلة،  
شهقت بتأثر، فهمت بالفرار منه، إلا أنه كان  
أسرع منها، ينقض عليها مطبقا على كتفها  
بقبضتيه القوتين، فقالت بتوجس...

(ماذا تفعل؟؟).. اقترب من وجهها يجيب بسؤال  
...

(وماذا يفعل المتزوجون؟؟).. شهقت مرة أخرى،  
وانتفضت تحاول الفك من، إلا أنه شل  
حركاتها يهتف بضجر...

(اتبتِ كي أقبلك يا فتاة ... الليلة ستنقضي  
... ونحن نتجادل بلا فائدة...).. لم تستسلم  
تهتف منفعلة...

(لماذا تتحسر على الليلة؟؟... فلتنتهي ...

... ليست للديوك ....)(ماذا تقول؟؟)...

قاطعت هدره بدهشته، فأمسك وجهها بين

كفيه يجيب وهو يهل عليها...

(ماذا تريدن براء؟؟.. مغالطة؟؟... حسنا ... أنت

جميلة جدا في فستانك الأبيض هذا ..)

استكانت ومقلتها لا تزالان في اتساع تراقبانه

بحب شع منهما، وهو يكمل...

(كأميرة بحق.... وعينيك ... تلك الزرقرة

تشع بألوان... على درجات حسب مزاجك ... وأنا

... أنا ...)(... لفحته انفاسها الدافئة، فالتقط

شفتيها في قبلة محمومة، قطعها تسأل بغباء

...

(أنت ماذا؟؟)... مطط شفتيه بامتعاض يرد....

(لن تسهليها علي...أليس كذلك؟؟)...

ضحكت بغنج أجج النار في احشائه، وهي

تدلل عليه...

(أبدا ... مستحيل)... ضحك معها، فقال قبل ان

يغيبها معه في لعبة كانت كل شيء، سوى

المصارعة .

(أحبك يا سنفورتى....)(...)

بعد مدة ....ضمها يلهثان، من فرط المشاعر

المتأججة، فقال بمزاح....

(لقد اخبرتك ..بحبي ولم تفعلي ... نقطرة

لصالحي...يا جبانة...)(... كانت تلك

حدودها، لكن لن تكون براء، ان هي

استسلمت له، لذا دست وجهها في صدره وهتفت

بشجاعة...

(أحبك يا تيني ... وأنا لست جبانة)... جاجلت

ضحكته حتى رفعت رأسها تراقبه بانبهار،

وأجفلت على غمزته يسأل بعث لم تعهده منه



(ما رأيك بالمصارعة؟؟) ... اختفت تحت  
اللحاف، فضحك مجدداً يستطرد....  
(أخبرتكم...جبانته... )... نطقت من تحت  
اللحاف بعند وتحدي...  
(لست جبانته ... وأنت.... لا تخجل ... )... انضم  
إليها يضمها إليه، وكله امل في مستقبل  
مشتعل، يضح بالحياة... معها... هي ... سنفورته.

.....  
صباح اليوم التالي .... في المطار....

رفع كفه يشير لمريم، التي أسرعته تجر  
حقيبتها تهتف مستفسرة...  
(هل تأخرت؟؟) ... هز رأسه سلماً، ولمح صباح  
تركض نحوه هي الأخرى تقول بقلق...

(ظننت انني لن ألحق بك ... ).. مسد على  
لحيته ثم قال لمريم..  
(الباب الثاني على يمينك ... ادخلي هناك  
وانتظريني ... )... أومأت قبل ان تبتعد، فقال  
البروفيسور...  
(ماذا هناك صباح؟ ... لقد تحدثنا أمس...  
وأخبرتكم.. لا يمكنني الزواج منك ... وليس  
لعييب فيك ... بل في أنا ... )  
اقتربت منه تقول بتردد، والجرح ظاهر في  
نظرها الخائبة...  
(لا اصدقك ... هل هناك امرأة أخرى؟ ... فقط  
أخبرني... )... زفر بتعب، وهو يمسد على رأس  
عكازه، ثم قال...  
(ليس هناك أي امرأة أخرى .... ولن تكون  
... من فضلك صباح ... أنا لن اخبرك بأكثر



من هذا (...)... مسدت خلف عنقها بتوتر، ثم  
قالت بتوسل...  
(كيف سأعيش من دونك؟... أنا اشعر بالخواء  
كلما غادرت المدينة ..)... دغدغت قلبه هو  
يعلم أنها صادقة، فلم يعد تعلقا إنما تأثرا  
بشخص تفهمها وتعامل معها بحرفية. ليقول  
بحرج غلظه بمرح...  
(سأغتر يا صباح ... من يسمعك سيحسبني  
وسيما ...)... لم تستجب لتهربه، تتطلع إليه  
بحزن ممزوج بخيبة وبؤس. تنهد ثم قال بحنو  
...  
(صباح ... أنت فتاة جميلة ... شابة صغيرة ... لا  
تضيعي أيام حياتك ... تلهثين خلف السراب  
...ستجدين الحب الحقيقي .. وتسعدين ... فلا  
أكون إلا ماض ... يختلط بالوهم ...)... نطقت

بنبرة متهدجة..  
(ماذا لو كنت أنت ... الحب الحقيقي؟؟...  
كيف تعرف أن ما أشعر به نحوك ليس  
صادقا؟؟)... زفر باستسلام وقد حاصرته في  
الزاوية، ثم قال بعد تذكير...  
(سنبرم اتفاقا ... حاولي عيش حياتك  
...ونسياني .... وإن لم تفلحي في ذلك بعد  
سنت أو اثنتين.... سأخبرك بكل شيء  
...وأترك لك الخيار...)... برق الأمل بسناه  
في بنيتها الغامقة، تقول بلهفة واضحة...  
(أنا موافقة ... لكن عاهدني ...).. ابتم  
بصدق، يقول بتصميم...  
(أعدك بذلك ..... اعطني بنفسك  
...وبعلاجك ...)..)

بعد ..... أربعتا أشهر ....

الجامعة .....

بسط ذراعيه يتنهد بتعب، دون ان تغفل مقلتيه  
السوداوين عن بحثهما المستمر، ليباغته  
صديقه بمرح....  
(كيف كان الامتحان؟؟) ... رد عليه

بامتعاض...

(طلاسم .... لكن لا بأس ..أظنني سأفلح ..)....  
ضحك منصف، فلاحظ بحثه ليقول بمكر...  
(لن نتحدث معك ... والدها كان واضحا ... فلا  
تفسد الأمر... بحبك يا قيس على رأي  
شقيقك... )... زفر بضجر، يُقر بصدق صديقه،  
فالحاج وافق على الخطوبته على مضض، بشرط

أن لا يحاول لقاءها إلى ان يتزوج بها، لأنه حسب  
رأيه لا داعي لتأجيل الزواج لأسبابه، التي  
يعتبرها الحاج عبد الله غير مقنعة. فما الذي  
سيمنعه عن الدراسة والعمل بعد زواجه؟!، وهو  
يستطيع البقاء رغم عدم تخرجه بعد، فلما  
الانتظار؟! لكنه أصر على موقفه، وبمساعدة  
من جده وياسين، ودفعته من ابراهيم وافق غير  
مقتنع البتة .

أجفل على نبرة منصف الجديدة يقول....  
(إنها هناك ...مع أختها ....) .. مطط شفتيه  
بتهكم يلتفت إليه، ويرد بسخط...  
(وبماذا سيفيدني إن لم أستطع لقاءها؟؟....  
الحمد لله ...أنها تأتي فقط للامتحانات...)  
قاطع منصف وهو يسحبه بحزم يهتف...  
(أنت مرغم على ذلك ... هما في مأزق

أسرع... (.....)  
قبل لحظات....

انتظرت قرب باب قاعة الامتحانات تنتظر حق،  
بعد أن خرجت من قاعتها، تفر من الأعين  
الفضولية، وكأنها لم تكن هنا قبلا من أجل  
الامتحانات السابقة، لكنها افلحت في الفرار  
من سموم نجوى وحتى هيثم الذي لمحت بحثه  
عنها، اختبأت منه حتى أنهت امتحانها، لا تعلم  
لما. تنشد نسيان خطئها فلا تريد حتى ما  
يذكرها به. وفي المقابل قلبها الولهان انشغل  
بالبحث عن وجه آخر سكنه حتى النخاع .  
(انظروا من هنا... يختبئ كالجرذ المرعوب!!)  
(.....) تنفست رواح بعمق، ثم استجلبت كل  
ذرة تعقل لديها، واستدارت إليها تقول بجفاء...

(ابتعدي عني نجوى ...)... ابتسمت ساخرة،  
تقول بحقد...

(لقد فعلت سابقا ..وانت من لاحقتني ...)...  
(بلى ...ودفعت الثمن غاليا ...فهمت ...وداعا  
(... ردت بعبوس، فقالت نجوى دون ان  
تتحرك من مكانها...  
(لا ...الثمن الغالي حقا ... لو كنت عدت  
لعاهتك ... او حتى فقدت إحدى قدميك  
(... شهقت رواح بصدمته، في نفس اللحظة  
التي خرجت فيها حق شاحبة تمسح عن وجهها  
العرق، وتربت على بطنها المنتفخة بألم لم  
يلحظه أحد ...  
(هل أنت من تسبب بوقوعي؟؟) ... اتسعت بسمته  
نجوى المتشفية وهي تتخصر، فاستطردت رواح  
بعدم تصديق...

لقد فكرت في ذلك ... و لم أصدق نفسي ...  
 لكنك بذلك التوحش بالفضل ... يا إلهي  
 ...ألا تخشين من العقاب؟؟) ... ردت بحقد دون ان  
 يرف لها جفن ...  
 (ومن سيبلغهم؟؟ ... أنت؟؟ ... لا شاهد لديك  
 ....) ... (أنا سمعتك....) ... أفضلهن هيثم يهتف  
 بغضب، فاقتربت حق من رواح تسأل بخفوت،  
 وعدم تركيز، بينما الأول يستدرك ...  
 (لقد تماديت يا نجوى.... ويجب أن تُعاقبي ..)  
 تجمدت نجوى في مكانها، يبدو أنها لم تحسب  
 حسابا لابن عمها، فقالت رواح قبل ان تسحب  
 التي يزيد شحوبها مع كل لحظة تمر ...  
 (لن أبلغ أحد... الله كفييل بك ... هو من  
 سينتقم لي منك ...يا نجوى) ... انسحبت  
 وأختها، فتبعهما هيثم يهتف بدّهشت...

(هل ستتنازلين عن حقدك؟؟) ... توقفت  
 تستدير إليه، وهم غافلين عن التي تشجنت  
 ملامح وجهها، تهمس بوجع ...  
 (رواح 1؟) ... (انتظري حق .... ماذا تريدني أن  
 افعل يا هيثم؟؟ ... لقد اكتفيت من الانتقام  
 والكره .... لم يعد يهمني ....) ... صمت هيثم،  
 فتدخلت نجوى تقول بسخط ...  
 (كفّ عن التدلل لها يا هيثم ... واحذرک من  
 الوشاية بي ... سأخبرهم بحبك العظيم لها ...  
 لا أظن خطيبتها سيقبل بذلك؟؟ ..)  
 (وما الذي لن يقبل به خطيبتها؟؟) ... باغتهم  
 عيسى من خلفه منصف الذي ينظر الى حق  
 بتمعن قلق، لتشهق رواح خوفا من تفاقم  
 المشكلتة، خصوصا ونجوى تكمل بتشفي ...  
 (أن يلاحق شابا آخر خطيبته .. الى درجتة ان

يتهم قريبته بجريمتة... لمجرد تملقها ....)...  
انحنت حق غير قادرة على مجازاة حوارهم،  
تمسك على ظهرها وبطنها، غافلين عنها  
باستثناء منصف الذي بدأ بالتقرب نحوها.  
همت رواح بالدفاع عن نفسها، لكن عيسى  
كان سابقا يهتف بحنق...  
(هيشم من الأفضل لك ان تلجم قريبتك  
.... لأنك حتى لو كرهتها ... لن يعجبك ما  
سأفعله بها ... فكن رجلا واسحبها الى بيت  
أهلها... واخبر والدها.. ان يعيد تربيتها ...)  
كان دور نجوى لتشقق بحدة، في نفس الوقت  
الذي امسكها هيشم بقوة آلمتها، يجرها بعنف،  
بينما يهتف بغضب...  
(أنت محق .... وأنا رجل .. رغما عنك ...وعنها  
...)

(سيدة حق ... هل أنت بخير؟؟) ... التفتا  
كلاهما مجفلين من نظراتهما المتبادلتا، على  
سؤال منصف، لتنتفض رواح تمسك بأختها  
وتهتف بقلق...  
(حق ... حبيبتي ... ما بك؟؟) ... تأوهت بضعف،  
تقول...  
(يبدو انني على وشك الولادة... ).... نظرت  
رواح الى عيسى بخوف تستنجد به، فقال قبل  
ان يركض...  
(سأحضر السيارة ... منصف اتصل بإبراهيم  
... وأنا سأتصل بإسماعيل ... كي يستقبلنا في  
المشفى... )....

المشفى ..... بعد ساعات....

اجتمعت العائلة منتظرين في أحد اروقة قسم  
الولادة، فاقترب عيسى من رواح يهمس برقة...  
(لا تبكي... ستكون بخير... ان شاء الله)...  
مسحت دموعها ترد بقلق...

(لقد تأخرت كثيرا... أنا خائفة....).. (لقد  
سمعت الخالة شمة تخبر الجميع أن الولادة  
البكرية... عادة ما تأخذ وقت طويلا... فلا  
تخافي....).. اومات بتفهم، وانتفضت حين  
سمعت نحنحة والدها المهل عليهم، فأسرعت  
تقبل يده وتخبره بما حدث، ليربت على رأسها  
ويرمق عيسى بنظرات شاكرة بحزم، جعله  
يطرق برأسه ويبتعد عن مجال نظره .  
جاء الفرج وخرجت الممرضة إليهم، تحمل

الرضيع تبشرهم...

(مبارك عليكم .... إنه صبي جميل...أصلحه  
الله ... )... ناولته لإبراهيم الذي أسرع إليها  
يسأل بلهفة...

(وزوجتي.. كيف حالها؟؟... )... طمأنته  
فشكرها، وقدم لها إكرامية، ثم نظر إلى  
المخلوق الصغير بين يديه بمقلتين لامعتين من  
التوتر والحماس، التفوا حوله حتى الحاج عبد  
الله، يقول بحزمه الذي تخلله بعض السرور،  
ينفلت منه رغم عنه..

(سمي الله ..وأذن في أذنيه...يا إبراهيم...ماذا  
تنتظر؟؟)... أطاعه ثم سلمه لجدته، قائلاً....  
(تفضل جدي ... أذن له أنت أيضا.....).. ملأت  
البسمة وجهه، وهو يتلقفه بحذر ويحمد الله  
على عطيته.

ظننته من الدراسة .. والامتحانات....)...  
ابتسمت بتعب تجيب بخفوت...  
(الحمد لله.... أنا بخير... أين هو الصغير؟)...  
ضحك وهو يمرر كفه على وجنتيها يرد بمرح  
...  
(لا اعتقد أنك ستريه قريبا ... إنه يتنقل من  
حضر لآخر... سيفسدونه لا محالة...)  
اتسعت بسمتها وجفنيها يثقلان، حتى غفت،  
فقبل جبينها بحنو يحمد الله على سلامتها .

بعد أسبوع.... منزل... آل عيسى....

امتأ بيت آل عيسى بالمهنيين طوال الأسبوع  
كما ذبحت الذبائح في سبيل الله وفُرقت على  
المحتاجين حمدا لله على نعمه، واثنان منها

مالت طائعتة على زوجها تهمس بمرح، حين  
سلمه الحاج ابراهيم للحاج عبد الله...  
(يبدو أننا سننتظر طويلا ...حتى نحصل على  
فرصة... لرؤية الصغير...).. ضحك يضم  
كتفيها، قائلا بنفس الهمس....  
(أنا بالفعل انتظر ... ولقد مرت خمسة اشهر..  
ولم يبق سوى أربع... ونستقبل صغيرا يخلصنا  
وحدنا ...). منحة نظرة تشع سعادة، لم تخفى  
عن من حولها .

شعرت بدفئ على جبينها، ففتحت مقلتيها  
بتعب، لتقابلها نظرات زوجها القلقة يسألها  
برقة...

(كيف تشعرين حبيبتي؟... كان يجب ان  
أصدق حدسي صباحا... كنت تعبته.. لكن

(هل تعلم والدته أنه معك؟؟) ... أجزلت تشهق،

فضحك يوماً بيأس يكمل ... .

(يا إلهي... لقد سرقته...) .. عبست ترد بسخط

....

(أنا عمته ... ولست سارقتة .... والدته كانت

نائمة ... ففكرت في إلهائه قليلاً .... كي

ترتاح....) ... اقترب منها ينظر الى الصغير

الشهي بجماله الفطري، يقول بمرح...

(لقد أصبحت بالفعل عمته ....) ... اتسعت

بسمتها تؤكد على حديثه بسرور...

(اجل ... أنا لا أصدق ... انظر اليه ... إنه صغير

جدا ... بريء ... و....) ... لم تجد الكلمة

فأكمل عنها، بغموض...

(شهي ... براءته... تمنحك الأمل... وحب

الحياة ... وعيشها بكل شعور وعاطفة جميلة

للحقيقة سنتاً مؤكدة عن الرسول صلى الله

عليه وسلم، في اليوم السابع الذي نُظِم فيه

حفل السبوع، ودُعي إليه جميع الأقارب

والجيران والأحباب .

ارتمتي على مقعد في الحديقة الخلفية يستريح

لوهلة، قبل أن يعود إلى مساعدة باقي الشباب

في خدمة الضيوف من الرجال. لياضت انتباهه

ضحكات خافتة تعرف عليها قبل ان يتتبعها،

ليجد صاحبها تجلس أسفل الدرج الخلفي

لشرفة غرفتها، وعلى رجليها لفة علم راسا من

فيها .

تسمر مكانه يتأمل طفوليتها وهي تضحك

الرضيع ببسمات غاصت بقلبه، وحركات

تتعدها كي تلفت انتباه الصغير، ليقرر النطق

أخيراً بعد ان شعر بصدرة يضيق بدقات قلبه...





(... قطبت بحيرة، انقلبت الى مكر ترد وهي  
تقوم منصرفت...

(ما هذه التشبيهات الغريبة؟؟.... الناعمة!)...  
لكن ماذا انتظر من شاب اسمه منصف؟؟)... ويا  
لغرابتها لم يجبا، يشيعها بنفس نظراته  
الغامضة، كبسمته يهمس بعد أن اختفت من  
امامه...

(لم تفهمي لأنك صغيرة.... لكنك ستفعلين  
يوما ما....يا صغيرتي).....

مساء..... غرفت ابراهيم....

دخل الى غرفته يجرد قدميه تعباً، ليجد حق  
جالسة على السرير تراقب رضيعها المستلقي  
امامها وتبكي بحرقة .

اسرع إليها هالعا يهتف وهو يتفقد الصغير...  
(ماذا هناك حق؟؟...ماذا به محمد؟؟)...

أجفلت فردت ببكاء...

(إنه بخير ابراهيم...حفظه الله من كل شر  
)... تنفس الصعداء يهوي جالسا قربها ثم  
سأل بقلق....

(إذن ما بك؟؟... لماذا تبكين؟؟)... رفعت إليه

مقلتيها المحمرة بكاء تجيب بصدق...

(أنا سأفسد محمد... ولن يتربى جيدا...)

قطب زوجها بحيرة، يسأل مجددا...

(لماذا يا حق؟؟... أنا لا افهمك...)

شفتيها تقول وهي تمسك كفه برقة، وكأنها  
تشكو له همها...

(أنا أحبه جدا... واضعف كل مرة انظر إليه....

لن استطيع ان أعامله...كما عاملتني أمي

ميمونته ... ولا كما تعامل الأمهات أبنائهن  
(....) ... أسدل ابراهيم جفنيه وقد فهم قصدها،  
ثم قال بهدوء....  
(حبيبتي .... آسف لما سأقوله لك ... لكن  
معاملته زوجته أبيك لك ... ليست مثالا يحتذى  
به ... بل هي نسخة سيئة عن الأم....)  
قاطعته مستنكرة...  
(لكن كل الأمهات صارمات مع ابنائهن .... ألم  
ترى الخالته شمتة ... وأمي إيجهت؟!....) ... رقت  
مقلتيه لبراءة حبيبته يضمها إليه مضرا...  
(حبيبتي ... الخالته شمتة ... نعمت الأم هي ...  
تعامل بصرامته ... حين يخطئ الابن ... وتعلمه  
القواعد ... لكنها تحمل حنان العالم كله في  
قلبها ... حين كنت صغيرا ... كانت تضمني  
اكثر من امي ... ولولا أنها تستحي مني الآن ...

لكانت فعلتها كما تفعل مع عيسى ... وأبنائها  
من صلبها .... وأمي أيضا ... حنونته علينا بل  
ودلت عيسى كثيرا.... وكان لتدخل الخالته  
شمتة وجددي في تربيتنا الدور الكبير بعد الله  
... (في تقويم سلوكنا ....) ... نظرت إليه بحيرة  
حقيقية، فضم وجهها يضيف بحنان....  
(أنت ستكونين أحلى واحن أم ..... بإذن الله ...  
فطرتك السليمة ... وإيمانك وتمسكك  
بالله ... سيرشدك إلى الطريق السوي ... كي  
تربي أبناءنا تربية حسنة ..... رزقنا لله ذريته  
صالحه .... امنحهم كل الحب الذي تشعرين به  
.... ولا تنسيني أنا أيضا....) .. ابتسم في آخر  
حديثه، فبادلته البسمة تقول بخجل...  
(انت الأصل..... حبيبي) ... تنهد ابراهيم  
يسحبها على صدره ويستلقي على ظهره، يجيب

بسرور...

(آه .... يا حق ... لا حرمني الله منك أبدا ...

وأدام الله علينا نعمه سبحانه...)(.....

.....

بعد .... سنتين....

المشفى.....

دقت عليها باب مكتبها، فاستدارت إليها تبسم

قائلة بلطف....

(ادخلي ... من فضلك ... )... دخلت فتاة في

السابع عشر من عمرها، سمراء كلون القمح،

مليحة الملامح تبسم بحلاوة، وهي تمسك

أدوات التنظيف، تقول برسمية...

(صباح الخير دكتورة طائفة... لا اريد

ازعاجك ...يمكنني العودة بعد قليل ...)..

حملت طائفة حقيبة يدها، ترد وهي تدس في

جيب بلوزة الفتاة، إكرامية...

(سأنصرف يا حلوة .... شكرا لك ...)

أوقفتها تسأل باحترام تكنه لها...

(كيف حال صغيرك ابراهيم؟؟) ... اتسعت

بسمتها، وهي تربت على رأسها...

(يتعبني جدا ... ويثير جنون محمد الهادي ...

ابن عمه... )... سارعت ترفع كفيها الصغيرتين،

تدعو بصدق...

(حفظهما الله واصلاحهما ...يا رب ... )...أمنت

طائفة على دعوتها، ثم قالت قبل ان تغادر...

(هل تعرفين مكان بيت آل عيسى ؟) ... أومأت

بتأكيد، فقالت...

(تعالى بعد نهاية عمالك .... أنت مدعوة لعرس

عيسى آل عيسى ... )... أجابتها ممتنة تقول

بسرور...



(إن شاء الله لدكتوراة... شكرا لك...)

.....

مكتب اسماعيل....

يجلس أمامه على أحد كرسيي الضيوف،  
والبروفيسور على الآخر، يرمقه بترقب، فقال...  
(إذن ستتزوج من صباح؟؟) ... أجابه بتفكه...  
(أصبحت طائعتا ثرثارة جدا ... لم تكن  
كذلك قبل زواجها... صدقني....) ... (لا أحد  
منا بقي على حاله بعد زواجنا... وأنت لم  
تجبنني ...)

ضحك البروفيسور يرد بمرح...

(لا أعرف... سألتقي بها بعد قليل ... وسنرى ...  
لقد أتيت إلى هنا مباشرة... كي أسلم عليك  
وعلى طائعتا .. وأخبركم انني سألبي الدعوة

...بإذن الله .... فقد اشتقت إلى ابراهيم جدا

...وحتى ابن اخيك ...محمد ... لي نظرة في

الناس ...وذلك الصبي...مختلف .... مختلف

جدا ... حفظهما الله...)

هز راسه يؤمن، فأكمل البروفيسور بمكر...  
(هذا لا يعني انني أقلل من شأن ابنك.. فهو  
أيضا ذو شخصية خاصة به ...). ... امال إسماعيل  
رأسه يرد بنفس مرح محدثه..  
(لا يزالان صغيران ... والإنسان يتغير على مدى  
مراحل عمره ..). .. جادله البروفيسور بحكمة  
...

(لكن أساس الشخصية يظهر منذ الصغر ...

خصوصا إن كان الطفل ...يحظى بوسط صحي

...مستقر ... وعائلتك ما شاء الله ... بيئت

صحيته ...). .. هز اسماعيل رأسه بفخر، فقال



(بخير... كيف حالك أنت؟ ... مع الصغير ..  
ومع والدك وأختك؟ ...)... ردت بنبرة  
ممتنة....

(بخير الحمد لله ...).... أكمل عنها إسماعيل  
يدعي السخط، وهو يضم كتفها...  
(والدها لا يزال يضمها مرة كل مساء وصباح  
.... والباقي .. يضمها فيه ابراهيم الصغير ....  
(... قفز حاجبي البروفيسور يرد ساخرا...  
(وأنت يا مسكين تقلصت حصتك ...)  
احمرت طائعت بحياء، وإسماعيل يومئ  
ضاحكا، فاستدرك...  
(لدي حل جيد ... أعطي إبراهيم لجده  
زكريا... واخطف أنت زوجتك ... لتبقى لك  
حصّة الأسد....) ... رمقتها بعتاب، وإسماعيل  
يجيب....

البروفيسور يجيب بعضا من الاسئلة التي تلوح  
له في مقلتيه كل مرة يلتقيان فيها...  
(هل تعلم يا إسماعيل؟؟... لما لفتت طائعت  
انتباهي ... من بين المئات الذين أدرس لهم ...  
كل سنت ؟؟...)... لفت هو انتباهه ولمعت  
مقلتيه بفضول، لتتسع بسمت البروفيسور  
يكمل بلطف....  
(هذا هو الشيء الوحيد الذي لم اخبر به  
زوجتك ... أن اسمها ... كان على اسم والدتي  
..... طائعت).... غلف اسماعيل نظراته المشفقت  
بالرسمية، فهم بالحديث لتقاطعهما وهي تلج  
المكتب تهتف ببهجة...  
(وهي الآن أصبحت تعلم .... كيف حالك  
بروفيسور؟) ... استقام واقفا يرد بسرور حقيقي  
...

لقد كان بالفعل يأخذه الى والده...ولا يعود  
به....حتى نهاية دوامنا ... لكن...).. صمت  
ممتعضا ، فأكملت طائعت بحزن..

(تشاجرت معه زوجته....فهي لا تطيقني  
...فكيف ستطيق ابني؟؟ ... وأبي هدها  
بالطلاق ... وكاد يفعلها .... لو لم نتدخل  
...لذا اتفقت معه ومع جدي احمد .... على ان  
يأتيا لزيارته في بيتنا ... ونتجنب المشاكل  
...)(... زفر البروفيسور بدهشة ثم سأل

بغموض...

(وما كان موقف صباح؟ ... )... ابتسما كلاهما  
ترد هي...

(تشاجرت مع أمها ... وغضبت جدا ...لما فعلته  
... لقد تغيرت ... بالفعل...واتمنى ان تمنحا  
نفسيكما فرصة ... قد تسعدا مع بعضكما

(... )... ضم شفثيه ثم قال منسجبا...

(أراكما الليلة .... بإذن الله ... )... غادر فهمس

اسماعيل بريبتة...

(لم اقتنع بعد .. )... قبلته على وجنته تقول

بتفاؤل...

(احسن الظن بالله .... صدقت حق... )...

.....

في مطعم ما .....

منذ ان التقت به وهي تبتسم ببلاهة، لا تصدق

أنها أخيرا استطاعت إقناعه، بما لم يفعل احد

من قبل...

(ماذا ستشربين؟؟).... بللت شفثيها تقول بفرح

...

(أي عصير لا يهم ... )... طلب العصير لكلاهما،



الذي وأدها برغبتها، وسخر نفسه لفعل الخير  
ومعالجته الناس. لكنه يخشى أن تتراجع بعد ان  
تسمع منه، أجل شق أناني داخله يخشى من  
تراجعها. هو الذي دفعها لتبتعد بكل طريقت  
ممكنة، لكنها حاربتة لكي تصل إليه، وقد  
نجحت...

(أمي كانت مريضة بالفصام... ظهر بعد زواجها  
بسبب ضغط تعرضت له من اهل والدي... وهي  
كانت قد تعرضت لأذى آخر في صغرها.... من  
زوج والدتها.. )... تحدثت بسرعة، خوفا من  
جنبه وتراجعها هو، فاطرقت السمع بتركيز  
وهو يكمل بوجوم...

(كان أشد أنواعه خطورة... وسوء... حيث  
تسمع أصواتا داخل رأسها... وتتوهم أمورا لا  
منطقية.... ثم تتحول الى شخصيات مختلفت

ثم وضع كفيه على سطح المائدة بينهما،  
يقول بهدوء...  
(إذن أنت مصرة يا صباح.... لا أخفيك من الأمر  
شيئا... لقد تفاجأت... ولم أظن أن أحدا ما  
... سيحبني لهذه الدرجة... لكن لا تزال  
هناك عقبة.. أجلت الحديث عنها... ما  
استطعت.. أملا في ان تنسيني... وتعيشي  
حياتك... لكن الحب غريب بالفعل....)  
رفعت كفيها هي الأخرى تضعهما على المائدة،  
تجيب بحب...  
(اخبرتكم مشاعري حقيقية.... ولم انسى  
امرک يوما واحدا... ونبرة صوتك.... تملأ  
عقلي وخيالي... كل يوم بل كل لحظة...  
حتى في بعدك... )... لقد نجحت في تحريك  
مشاعره، هو

... منها ... الصارمة ... والحنونة ... والجريئة ...  
والمجرمة ... )... بلعت شهقتها ، فهي قد تالقت  
من أختها تحذيرا دون أن تحكي لها عن كل  
شيء ، لكنها أعطتها لمحة بعد أن طلبت منها  
المساعدة كي تتقرب منه .

(شخصيتها المجرمة ... أذنتي جدا .... وأذت  
والدي الذي أحبها بشدة ... لكن بسبب أهله ...  
اضطر لتطليقها .... وأنا كنت مجرد طفل ...  
وبعد تفاصيل كثيرة .. لا تهمك ... قتلت  
نفسها ... )... صمت قليلا ثم أضاف بألم طفئ  
على ملامحه...

(حين استعادت وعيها ... قررت انهاء حياتها قبل  
ان تغيب مجددا ... وتناولت سُمًا قاتلا ... )...  
رقت نظراتها ، وقد اخذتها به رافعة وبوالدته ،  
وهو يكمل مدافعا عن ذكراها...

(كنت متأكدا من أن بها خطب ما ... رغم  
صغري ... فقد كانت تتغير .. وذاكرياتها  
ومواقفها في فوضى عارمة ... وحين تكون هي  
...تضمني إليها وتبكي ... تبكي فقط ... )...  
نطقت أخيرا تقول برقة...

(رحمها الله .... لكن يجب ان تعيش حياتك  
...ولا تدفن نفسك ...هي لن ترضى بذلك  
... )... بلع ريقه ثم قال ...  
أنت لا تفهمين صباح .... لقد تسببت لي بأذى  
كبير ... وعميق في نفسي ... منها ... منها  
... )... تلكأ قليلا ثم أكمل بإصرار...

(العجز الجنسي ... ).. لم تتحكم في شهقتها ،  
وهو يكمل بمرار ...  
(لقد تعالجت ... وتحسنت كثيرا ... حين قابلت  
طائعة ... لكن ذلك الجانب لم أكثر له



ضغط على نفسه كي يجنبها الإحراج، لكن  
الدهشة كانت من نصيبه، حين قالت بمرح  
ساخر....

(لن تتخلص مني بتلك السهولة .... بروفيسور  
...)(... قطب يسأل بعدم يقين...

(ماذا تقصدين؟؟)... ضحكت تهتف بغنج،  
جعله يهز رأسه بياس ..

(سأتزوجك بروفيسور... أقسم... سأفعل...)(... .

(مجنونته أنت يا صباح... أقسم انك ....  
مجنونته...)

.....

...لأنتي ومنذ زمن...قررت عدم الزواج ...  
لأسباب كثيرة...منها أنني نذرت نفسي للطب  
النفسي ... كي أساعد أمثال امي...وأمثالي ...  
اما السبب الأساسي... أنني عشت خائفا من ان  
أصاب بالفصام .... فأعذب أسرتي...لذا عزفت  
عن الزواج... فلم اكثر لعجزي .. بالعكس  
فقد كان سندا لي (...). ألجمت الصدمة فمها،  
فأضاف بحزن...

(أنت حرة يا صباح...صرت تعلمين كل شيء ...  
إن كان حبك لي كبيرا ... وقررت الارتباط  
بي...سأكمل العلاج...). قاطعته تسأل..  
(بدأت في العلاج؟؟)... أوما، فقالت مندهشة...  
(لن اكذب عليك...لقد صدمتني قصته  
حياتك...)(... )

(اعلم ... ولك كل الحرية في التراجع...)(...)

مساءً ..... منزل آل عيسى....

غرفة عيسى....

لمحها تبحث عن امر ما في الحقيبة، فتنحج

لترفع رأسها مجفلة، اقترب منها يقول..

(عن ماذا تبحثين؟؟) ... حكت طرف دقتها

تجيب بتهرب...

(إنها الحقيبة التي جلبتها معي اليوم... لذا لم

أرتب ما فيها بعد....) ... هز رأسه بتفهم، فنداها

يقول بمكر...

(رواح !؟) ... رفعت رأسها فأكمل...

(هل هذا وقت توضيب ملابس؟؟) ... بحلقت فيه

ساهمة، فابتسم لتفضل فمها تتنبه لغفلتها،

تقول بتوتر....

(لقد صلينا معا... يمكنك النوم.. لترتاح ...

سأكمل التوضيب... لا أريد للنسوة غدا ... ان

يجدن الغرفة في فوضى ...) ... كتم ضحكته

يقول بمرح...

(سأساعدك ...) ... ضمت الحقيبة الى صدرها،

تقول بضرع...

(لا...!!) ... عقد حاجبيه الكاثين ريبته، فعللت

بتاجلج...

(أقصد .... كما قلت ... لا داعي لترتيب

الأغراض الآن....) ... أفضلتها ودفعت بها، الى

جانب الدولاب ثم وقفت أمامه تشير الى

السرير....

(هيا ... اذهب الى النوم ...) ... أشار الى لباسها،

يقول بتفكه..

(ستنامين بقفظانك؟؟) ... منحت الحقيبة نظرة



الى عاطفة قوية تبادلها برقّة وتفاهم، يضعان  
بها أولى ركائز حياتهما القادمة .

.....  
المطبخ .....

(لقد انتهيت يا خالتي ...).. ألقى الخالتي

بالمنشفة تهتف بتعب...

(الحمد لله انتهيتا... شكرا لك يا ابنتي ...

الجميع تركني وسط فوضى عارمة ... لقد

تعبن ولم يستطعن إكمال توضيب المطبخ ...

ولولاك ... لاستسلمت ... شكرا لك ...)

ربتت على كتف المرأة الحنون، تقول بلطف...

(لا داعي للشكريا خالتي...إنه واجبي...أحب

الدكتورة طائعتة...إنها سيدة طيبة ...

وكريمة).. (من ذكر اسمي؟؟... ذكره الله

خاطفت، ثم خطت الى الدولاب وسحبت منامة  
وغابت في الحمام للحظة. خرجت فوجدته  
مستلقيا ينتظرها، أعادت القفطان الى الدولاب  
ثم استلقت جواره بروية وتمهل، ليستدير إليها  
يهمس بحب.....

(أخيرا يا رواح ... لقد تحقق حلمنا ... واجتمعنا

تحت سقف واحد... انا سعيد يا رواح ...)

تبسمت بحياء، تتهرب منه بأنظارها، فأمسك

بوجهها يسأل برقّة...

(أنت سعيدة يا رواح؟؟).. هزت رأسها بإيجاب،

والخجل يكاد يفتك بها، فابتسم بمكر

يستدرك..

(تلك الأشياء في حقيبتك ...اريد رؤيتها

عليك كلها ... )... شهقت بصدمته، فباع

شهقتها في قبلة محمومة، طالت حتى تحولت

(لم أسألك عن اسمك يا ابنتي ... ) ... اعتذرت

طائعتاً تلمي نداء زوجها ، تقول ..

(خالته شمتة ... اهتمي بها من فضلك ... وان

لزمكما شيئاً انا في غرفتي ... ) ... انسحبت

تجيب اسماعيل الذي اعاد نداء اسمها ، فقال وهو

يسحبها الى غرفتهما ...

(ما الذي أحرک؟؟ ... انت تعبتة ... ويجب أن

ترتاحي ... ) ... تأبطت ذراعه تقول بوهن ...

(أنت محق ... كنت فقط اطمئن على الفتاة

... من المشفى ... واوصيت الخالته عليها ... ) ...

نظر إليها يسأل بتلقائية ...

(من؟؟) ... لترد بضجر ...

(أنت لا تعرفها ... إنها احدي فتيات التنظيف في

المشفى ... لاتزال صغيرة ... في السابع عشر

على أقصى تقدير ... قمت بدعوتها ... فعلمت

(في علبين؟؟) ... قاطعتهما المعنيتة، تحمل بعض

المناشف بين يديها ، وتستطرد ...

(لقد اكملت وحق ... توضيب الصالونين ...

وتفريد ساعدت جهاد في توضيب المالحق

الرجالي ... انتهينا ... وسنكون بإذن الله

... مستعدين لنستقبل ضيوف الغد ... ) ...

ابتسمت شمتة تهوي فوق أحد كراسي طاولته

المطبخ ، بينما الفتاة تقول بخجل ..

(و أنا سأغادر ... ) ... هتفت طائعتة برفض ...

(في هذا الوقت من الليل؟! ... أبدا ... اتصلي

بأهلك ... وابلغيهم أنك ستقضين ما تبقى من

الليلة هنا ... ستنامين الى جانب الخالته ...

وجهاد ... فلا تقلقي ... ) ... أومات مستسلمة ،

والمرارة تتشكل على وجهها ، فتدخلت شمتة

تقول ببشاشة ...



مؤلفات الكاتبة ... latifi mouna .... بحمد

الله..

➤ سلسلة أزهار جار عليها الزمن ...

• أشواك ورد.

• رياح البنفسج.

• سنا البيلسان في دجى الأوركيدا.

➤ سلسلة نساء صالحات.

• حق بين يدي الحق.

• طوع يدي الحق.

• الستر من الحق.

في المطبخ مع الخالته.. لذا طلبت منها المبيت  
(...). أوما بعدم اكترات ودخلا الى غرفتهما  
...بينما الخالته تعيد سؤالها بعد أن صحبتها الى

احدى غرف الضيوف...

(لم تخبريني يا ابنتي ... ما اسمك؟؟)...

استاقت مكانها وسحبت الغطاء الى نصف

جسدها، ترد بلطف...

(اسمي .... سثرة...).

تمت بحمد الله ..... الى اللقاء مع الجزء الثالث

... ستر من الله ... بإذن الله.